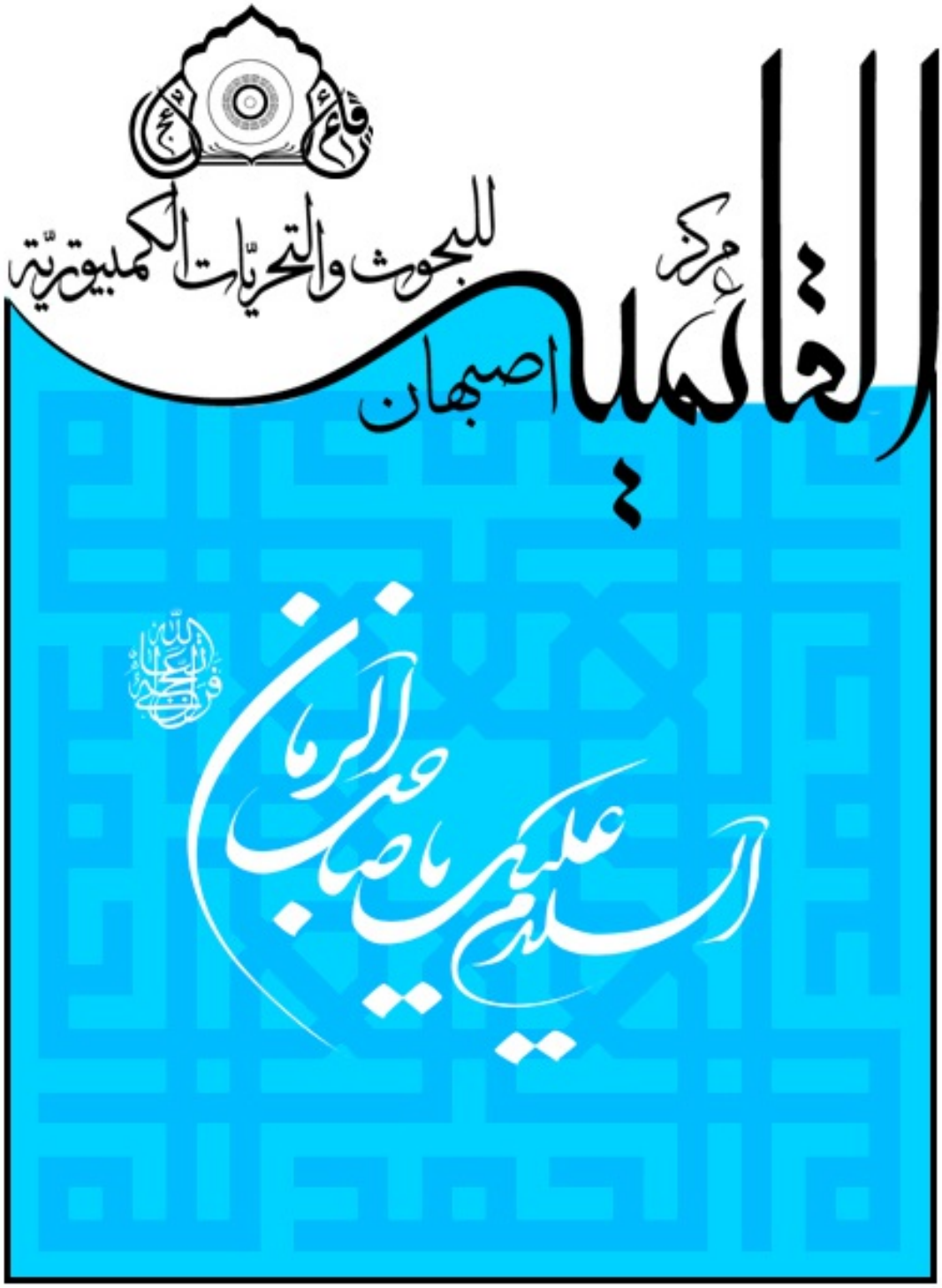


www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

# نفح الطيب

## من غصن الأندلس الرطيب

وذكر قاضيها لسان الدين بن الخطيب

الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني

الجزء السابع

تحقيق

يوسف الشيخ محمد البقاعي

إشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

# نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

كاتب:

مقرى، احمد بن محمد

نشرت فى الطباعة:

دارالفكر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

الفهرس ----- ۵
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب المجلد ۷ ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
[تتمة القسم الثانى] ----- ۱۳
صلة الباب الثالث من القسم الثانى شيوخ لسان الدين بن الخطيب ----- ۱۳
[عود إلى ذكر نماذج من نظم ابن الجياب] ----- ۱۳
[ذكر نماذج من نثر ابن الجياب] ----- ۱۴
[من أشياخ لسان الدين أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمى] ----- ۱۶
[أبو سعيد بن عبد المهيمن الحضرمى] ----- ۲۰
[و من أشياخ لسان الدين قاضى الجماعة أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقى] ----- ۲۰
[من أشياخ لسان الدين أبو زكريا يحيى بن هذيل (ترجمة)] ----- ۲۹
[و منهم الوزير أبو بكر محمد بن ذى الوزارتين أبى عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندى] ----- ۳۵
[مما مدح به أبو الحسن بن الجياب الوزير أبا بكر بن الحكيم] ----- ۳۶
[من نثر ذى الوزارتين ابن الحكيم و من شعره] ----- ۳۷
[ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم (عن عائد الصلة) لابن الخطيب] ----- ۳۸
[رحلة ابن الحكيم (عن الإحاطة) للسان الدين] ----- ۳۹
[شىء من ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم، و عن الإحاطة] ----- ۳۹
[ترجمة أبى الحسن على بن عمر القيجاطى] ----- ۴۰
[ترجمة أبى سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب] ----- ۴۲
[ترجمة أبى القاسم محمد بن أحمد بن جزى، الكلبى] ----- ۴۴
[أربعة أبيات على روى الغين لابن لؤلؤة] ----- ۴۵
[من نظم ابن جزى فى التبليغ] ----- ۴۶
[ترجمة أبى بكر أحمد بن محمد بن جزى] ----- ۴۶

[قصیدة له صدر بها أعجاز لامیة امرئ القیس «ألا عم صباحا»] ----- ۴۶
[قصیدة لحازم صاحب المقصورة صدر بها أعجاز معلقة امرئ القیس (قفا نبک)] ----- ۴۸
[جیمیة بارعة لحازم صاحب المقصورة] ----- ۵۰
[جیمیة لابن قلاقس] ----- ۵۲
[عود لترجمة أبی بکر أحمد بن محمد بن جزی الکلبی] ----- ۵۲
[ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن محمد بن جزی الکلبی] ----- ۵۲
[قصیدة من نظمه یمدح بها أمیر المسلمین أبا الحجاج و حذف منها الراء] ----- ۵۳
[قصیدة له یمدح فیها أبا عنان ملک المغرب] ----- ۵۴
[مقطعات من نظمه فی أغراض شتی] ----- ۵۵
[من شعر ابن الجزی الذی وری به] ----- ۵۶
[عدة مقطعات من نظمه یوری فیها بأسماء کتب] ----- ۵۸
الباب الرابع [من القسم الثانی] فی مخاطبات الملوک و الأکابر ----- ۹۹
اشارة ----- ۹۹
[من السلطان أبی زیان المرینی إلی لسان الدین و ترجمة السلطان أبی زیان المرینی عن «الإحاطة» للسان الدین] ----- ۹۹
تعقیب لابن مرزوق علی کلام لسان الدین فی «الإحاطة»] ----- ۱۰۳
من السلطان أبی سالم المرینی إلی لسان الدین] ----- ۱۰۳
من لسان الدین إلی السلطان أبی سالم المرینی] ----- ۱۰۴
من لسان الدین إلی السلطان أبی سالم] ----- ۱۰۵
تعریف لسان الدین فی «الإحاطة» بالسلطان أبی سالم المرینی، و ذکر مقتله] ----- ۱۰۸
ترجمة لسان الدین من إنشاء الأمیر أبی الولید إسماعیل بن الأحمر] ----- ۱۰۸
رد اعتراض أورده ابن الأحمر علی لسان الدین] ----- ۱۰۹
ثناء قاضی القضاة برهان الدین الباعونی علی لسان الدین بن الخطیب اتهام لسان الدین بالإطناب] ----- ۱۰۹
الرد علی هذا الاتهام] ----- ۱۱۰
بین لسان الدین و السلطان الغنی بالله سلطانه] ----- ۱۱۰

جواب لسان الدین علی أبی جعفر بن خاتمة] ---- ۱۱۱
من أبی جعفر بن خاتمة إلی ابن جزی] ---- ۱۱۳
ترجمة أبی جعفر بن خاتمة من إنشاء لسان الدین] ---- ۱۱۳
من أبی جعفر بن خاتمة إلی لسان الدین] ---- ۱۱۴
من نظم ابن خاتمة] ---- ۱۱۵
قصیدة من أحمد بن صفوان إلی لسان الدین ضمنها غرضا تعجل له قضاءه] ---- ۱۱۵
إجازة من ابن صفوان للسان الدین و ولده عبد اللّه] ---- ۱۱۶
من أبی جعفر العذری إلی لسان الدین] ---- ۱۱۷
من لسان الدین إلی ابن نفیس] ---- ۱۱۷
من لسان الدین إلی أبی القاسم بن رضوان] ---- ۱۱۸
من ابن رضوان إلی لسان الدین] ---- ۱۱۸
من لسان الدین إلی الشیخ الجنان] ---- ۱۱۸
من الشیخ الجنان إلی لسان الدین] ---- ۱۱۹
ترجمة الشیخ أحمد بن محمد الجنان الأوسی] ---- ۱۱۹
أبیات رآها المؤلف علی دائرة مجری الماء بمدرسة تلمسان التی بناها ابن تاشفین] ---- ۱۱۹
أبیات کتبت علی القبة التی أنشأها السلطان المنصور أبو العباس الشریف الحسنی] ---- ۱۲۰
أبیات للفقیه أبی محمد المسفیومی المراکشی مما کتب علی أحد مبانی الوزیر عبد العزیز الفشتالی] ---- ۱۲۱
أبیات للوزیر أبی فارس عبد العزیز الفشتالی تبت فی المبانی المنصوریة بمراکش] ---- ۱۲۱
أبیات للوزیر الفشتالی مما کتب ببهو المبنی المنصوری بمرمر أسود فی أبیض] ---- ۱۲۳
أبیات له کتبت بداخل القبة] ---- ۱۲۴
أبیات له فی بعض المبانی المنصوریة] ---- ۱۲۴
أبیات له مما کتب فی المصریة المطلة علی الریاض] ---- ۱۲۵
من الوزیر عبد العزیز الفشتالی إلی مؤلف هذا الکتاب] ---- ۱۲۶
لابن الصباغ العقیلی فی لسان الدین و اختصاصه بابن الجیاب] ---- ۱۲۷

إجازة بين ابن الجياب و لسان الدين] ----- ۱۲۸
من أبي يحيى البلوى للسان الدين] ----- ۱۲۸
تهنئة من أبي يحيى البلوى للسان الدين في إعذاره أولاده] ----- ۱۲۹
ترجمة أبي يحيى البلوى من إنشاء لسان الدين في «الإحاطة»] ----- ۱۳۰
من أبي عبد اللّه بن مرزوق إلى لسان الدين و منه إلى ابن مرزوق] ----- ۱۳۰
من أبي القاسم البرجي إلى لسان الدين، في شفاعة] ----- ۱۳۲
ترجمة أبي القاسم محمد بن يحيى البرجي، عن «الإحاطة» للسان الدين] ----- ۱۳۳
من الوزير ابن زمرک إلى لسان الدين] ----- ۱۳۶
تعليق للمؤلف على قصيدة ابن زمرک] ----- ۱۳۸
من الوزير ابن زمرک إلى لسان الدين أيضا] ----- ۱۳۸
من مخاطبات ابن زمرک للسان الدين] ----- ۱۳۹
من ابن سلبطور إلى لسان الدين] ----- ۱۴۰
ترجمة أبي عبد اللّه بن سلبطور، عن «الإحاطة» للسان الدين] ----- ۱۴۱
من أبي عبد اللّه بن راجح التونسي إلى لسان الدين] ----- ۱۴۲
ترجمة أبي عبد اللّه محمد بن علي بن راجح] ----- ۱۴۳
من لسان الدين إلى ابن راجح (قصيدة)] ----- ۱۴۳
من ابن راجح إلى لسان الدين (قصيدة)] ----- ۱۴۴
من أبي عبد اللّه العشاب التونسي إلى لسان الدين في بعض الأعياد] ----- ۱۴۵
من ابن عبد الملک المراكشي إلى لسان الدين] ----- ۱۴۵
ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملک، الأنصاري، الأوسي، عن «الإحاطة» للسان الدين] ----- ۱۴۵
من أبي عبد اللّه محمد المكودي الفاسي إلى لسان الدين] ----- ۱۴۶
من أبي عبد اللّه اليتيم إلى لسان الدين] ----- ۱۴۶
رسالة من لسان الدين إلى أبي عبد اللّه اليتيم جوابا عن قصيدته] ----- ۱۴۷
بين أبي عبد السلام و أبي عبد اللّه اليتيم (مداعبة)] ----- ۱۴۸

ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن علی العبدری، المالقی، المعروف بالیتیم] ----- ۱۴۸
من أبی عبد اللّه الکرسوطی للسان الدین] ----- ۱۴۹
ترجمة أبی عبد اللّه الکرسوطی من أبی عمرو بن الزبیر إلی لسان الدین] ----- ۱۴۹
ترجمة أبی عمرو محمد بن أحمد بن الزبیر] ----- ۱۵۰
من ترجمة أبی یحیی محمد بن أحمد بن الأکحل] ----- ۱۵۰
من أبی عبد اللّه محمد بن علی بن عیاش إلی لسان الدین] ----- ۱۵۱
من محمد بن محمد الوادی آشی إلی لسان الدین] ----- ۱۵۲
من أبی محمد عبد اللّه بن إبراهیم الأزدی إلی لسان الدین و من شعر أبی محمد الأزدی] ----- ۱۵۲
من لسان الدین إلی أبی قاسم بن رضوان، النجاری] ----- ۱۵۴
من ابن رضوان إلی لسان الدین] ----- ۱۵۵
ترجمة أبی القاسم بن رضوان] ----- ۱۵۵
بین أبی بکر عبد الرحمن بن عبد الملک و لسان الدین بن الخطیب] ----- ۱۵۸
ترجمة أبی بکر عبد الرحمن بن عبد الملک] ----- ۱۵۸
من أبی سلطان عبد العزیز بن علی بن یشت الغرناطی إلی لسان الدین] ----- ۱۵۹
ترجمة أبی سلطان بن یشت] ----- ۱۶۰
من أبی الحسن النباهی إلی لسان الدین] ----- ۱۶۲
ترجمة القاضی أبی الحسن النباهی] ----- ۱۶۲
[بین لسان الدین و أبی الحسن بن الجیاب] ----- ۱۶۵
[من سعید بن محمد الغرناطی إلی لسان الدین علی ظهر کتاب استعاره منه] ----- ۱۶۸
[بین أبی الحسن علی بن محمد بن البناء الوادی آشی و لسان الدین] ----- ۱۶۸
[ترجمة أبی الحسن علی بن محمد بن البناء] ----- ۱۷۰
[من لسان الدین إلی سلطان تونس] ----- ۱۷۰
[من أبی الحسن علی بن یحیی الفزاری المالقی المعروف بابن البرزی، إلی لسان الدین] ----- ۱۷۱
[من أبی القاسم قاسم بن محمد الحرالی المالقی إلی لسان الدین و ترجمته] ----- ۱۷۲

[من أبی الحجاج یوسف بن موسی الجذامی الرندی، إلی لسان الدین] ----- ۱۷۲
[من لسان الدین إلی أبی الحجاج الجذامی] ----- ۱۷۳
[ترجمهٔ أبی الحجاج الجذامی] ----- ۱۷۴
[ثناء ابن عاصم علی لسان الدین] ----- ۱۷۸
[ترجمهٔ الوزیر أبی یحیی محمد بن محمد بن عاصم] ----- ۱۷۹
[ظهیر بتعیین ابن عاصم للقضاء] ----- ۱۸۳
الباب الخامس [من القسم الثانی] فی إیراد جملهٔ من نثر لسان الدین ----- ۱۸۶
اشارهٔ ----- ۱۸۶
[وصف نثر لسان الدین تحمید من إنشاء لسان الدین] ----- ۱۸۶
[من نثره فی الحض فی الجهاد] ----- ۱۸۷
[من إنشائه فی ذکر أولیهٔ شریف فاس] ----- ۱۸۷
[من إنشاء لسان الدین فی ترجمهٔ أبی عبد اللّه الشدید و کتب له و قد ولی الحسبهٔ] ----- ۱۸۸
[مما کتب به لسان الدین إلی علی بن بدر الدین بن موسی بن عبد الحق من مدینهٔ سلا] ----- ۱۸۹
[ترجمهٔ ابن خلدون من إنشاء لسان الدین] ----- ۱۹۰
[تعلیق للمؤلف علی ترجمهٔ لسان الدین لابن خلدون] ----- ۲۰۰
[من کلام الشیخ إبراهیم الباعونی فی حق لسان الدین] ----- ۲۰۱
[ترجمهٔ یحیی بن إبراهیم بن یحیی البرغواطی، من إنشاء لسان الدین] ----- ۲۰۱
[من لسان الدین إلی السلطان بن یغمراسن] ----- ۲۰۲
[من إنشاء لسان الدین ما کتب به إلی شیخه أبی عبد اللّه بن مرزوق] ----- ۲۰۸
[من إنشائه تهنئهٔ إلی أبی عبد اللّه بن أبی القاسم بن أبی مدین] ----- ۲۰۸
[من إنشائه ما کتب به إلی قاضی الجماعهٔ، و قد نالته مشقهٔ] ----- ۲۰۸
[و کتب إلی بعض الفضلاء] ----- ۲۰۹
[و کتب إلی السلطان أبی عبد اللّه بن نصر، و قد عاد ولده من الأندلس] ----- ۲۰۹
[و کتب إلی محمد بن نوار، و قد أعرس ببنت مزوار الدار السلطانیهٔ] ----- ۲۱۰

[و کتب إلی عامر بن محمد بن علی الهنتانی] ---- ۲۱۰
[من إنشائه فی وصف البلاد الأندلسیة (مقامة)] ---- ۲۱۱
[کلام له مرسل فی وصف البلاد و وصف مکناسة الزیتون] ---- ۲۱۱
[المؤلف یدخل مکناسة و یصفها] ---- ۲۱۲
[شیء عن السلطان أبی الحسن المرینی] ---- ۲۱۳
[نظم لابن الصباغ یحصر فیه علاقات المجاز] ---- ۲۱۳
[حکایة عن رجل عائن] ---- ۲۱۴
[زیارة لسان الدین لقبر السلطان أبی الحسن، و قصیدة له فیه] ---- ۲۱۴
[من کلام للسان الدین یعد فیه بتصنیف کتاب کبیر فی التاریخ] ---- ۲۱۶
[أمثلة من إنشاء لسان الدین فی التراجم، علی طریقة الفتح بن خاقان] ---- ۲۱۶
[من ترجمة محمد بن عبد اللّه بن محمد بن لب، بقلم لسان الدین فی کتابه «التاج المحلی»] ---- ۲۱۹
[من إنشاء لسان الدین فی ترجمة محمد بن عبد الرحیم الوادی آشی] ---- ۲۲۱
[من إنشائه فی ترجمة أبی عبد اللّه بن العطار المزنی] ---- ۲۲۲
[من إنشائه فی ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن علی بن خاتمة] ---- ۲۲۲
[من إنشائه فی ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن محمد المالقی] ---- ۲۲۲
[من إنشائه فی ترجمة أبی بکر محمد بن مقاتل المالقی] ---- ۲۲۵
[من إنشائه فی ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن الشدید المالقی] ---- ۲۲۵
[من إنشائه فی ترجمة محمد بن الحسن العمرانی، الفاسی] ---- ۲۲۷
[من إنشائه فی ترجمة محمد بن محمد، المرادی، العشاب] ---- ۲۲۷
[من إنشائه فی ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن عمر، المالیکشی] ---- ۲۲۷
[من إنشائه فی ترجمة محمد بن علی، العبدری، التونسی] ---- ۲۲۸
[من إنشائه فی ترجمة محمد بن یحیی العزفی، السبتی] ---- ۲۲۹
[من إنشائه فی ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن المکودی، الفاسی] ---- ۲۲۹
[من إنشائه فی ترجمة محمد بن محمد بن بیش، العبدری] ---- ۲۳۰

[من إنشائه فی ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن هانیء، اللخمی] ۲۳۱
[همزیة لصفوان بن إدریس مشهورة بین أدباء المغرب] ۲۳۵
[من إنشاء لسان الدین فی ترجمة أبی محمد عبد اللّه الأزدی] ۲۳۶
[و فی ترجمة أبی الحسن علی بن إبراهیم السکاک، الغرناطی] ۲۳۷
[و فی ترجمة أبی الحسن علی بن محمد بن الصباغ، العقیلی، الغرناطی] ۲۳۷
[و فی ترجمة شیخه أبی الحسن بن الجیاب] ۲۳۹
[و من إنشائه فی ترجمة عمر بن علی، المنتقریری] ۲۳۹
[من إنشائه فی ترجمة قاسم بن محمد بن الجد، الفهری] ۲۴۰
[من إنشائه فی ترجمة أبی عثمان سعید، الغسانی] ۲۴۰
[و فی ترجمة الطرطوشی] ۲۴۰
[و فی ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن أحمد العذری، الوادی آشی] ۲۴۰
[و فی ترجمة أبی عبد اللّه بن باق] ۲۴۱
[و فی ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن إبراهیم بن سالم بن فضیلة، المعافری، المری] ۲۴۲
[و فی ترجمة أبی العباس الملیانی من نثره فی کتاب «الروض» فی ترجمة عنوانها «ضخام الغصون من شجرة السر المصون»] ۲۴۴
[من إنشائه إلی الأمیر یلبغا] ۲۴۵
[کتاب أرسله لسان الدین لرجل من الموثقین امتنع عن تناول طعامه] ۲۴۶
فهرس الرسائل و الخطب و المراسیم للجزء السابع من کتاب نفح الطیب ۲۴۹
فهرس الجزء السابع من کتاب نفح الطیب من غصن الأندلس الرطیب ۲۵۱
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ۲۵۷

# نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب المجلد ۷

## اشارة

نام كتاب: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

نويسنده: مقرى، احمد بن محمد

تاريخ وفات مؤلف: ۱۰۴۱ ه. ق

محقق / مصحح: بقاعى، يوسف

موضوع: جغرافياى شهرها

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱۰

ناشر: دار الفكر

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۴۱۹ ه. ق

## [تتمة القسم الثانى]

## صلة الباب الثالث من القسم الثانى شيوخ لسان الدين بن الخطيب

### [عود إلى ذكر نماذج من نظم ابن الجياب]

و من نظم ابن الجياب ما كتبه على باب المدرسة العلمية بغرناطة: [البسيط]

يا طالب العلم هذا بابه فتحا فادخل تشاهد سناه لاح شمس ضحى

و اشكر مجيرك من حلّ و مرتحل إذ قرّب اللّه من مرماك ما نزحا

و شرفت حضرة الإسلام مدرسة بها سبيل الهدى و العلم قد وضحا

أعمال يوسف مولانا و نيّته قد طرّزت صحفا ميزانها رجحا

و منه قوله: [الطويل]

أبى اللّه إلّا أن تكون اليد العليا لأندلس من غير شرط و لا ثنيا

و إن هى عضّتها بنوب نوائب فصيّرت الشهد المشور بها شريا

فما عدمت أهل البلاغة و الحجا يقيمون فيها الرسم للدين و الدنيا

إذا خطبوا قاموا بكلّ بليغة تجلّى القلوب الغلف و الأعين العميا

و إن شعروا جاءوا بكلّ غريبة تخال النجوم التيّرات لها حليا

فأسأل فى الدنيا من اللّه ستره علينا و فى الأخرى إذا حانت اللقيا

و قال أبو الحسن بن الجياب: [الطويل]



أرى الدهر فى أطواره متقلّبا فلا تأمنّ الدهر يوما فتخدعا

فما هو إلّا مثل ما قال قائل: (مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا)

و حكى أنه أهدى له الفقيه ابن قطبة رمانا ثم دخل عليه عائدا، فلمّا رآه قال له: يا فقيه، نعم بالهدنة زمانك، أراد: نعمت الهدية زمانك، و كان هذا قبل موته من مرضه بيسير، و هو ممّا يدلّ على ثبوت ذهنه حتى قرب الموت، سامحه اللّه تعالى!.

## [ذكر نماذج من نثر ابن الجياب]

و من نثر ابن الجياب، رحمه اللّه تعالى، ما كتبه عن سلطانه إلى بعض سلاطين وقته، و هو السلطان أبو سعيد المرينى صاحب فاس، و نصّه: المقام لدى الملك المنصور الأعلام، و الفضل الثابت الأحكام، و المجد الذى أشرقت به وجوه الأيام، و الفخر الذى تتدارس أخباره بين الركن و المقام، و العزّ الذى تعلو به كلمة الإسلام، مقام محلّ الأب الواجب الإكبار و الإعظام، السلطان الكذا أبقاه اللّه فى ملك منيع الذمار، و سعد باهر الأنوار، و مجد رفيع المقدار، و سلطان عزيز الأنصار، كريم المآثر و الآثار، كفيل بالإعلاء لدين اللّه و الإظهار! معظّم مقامه و موقره، و مجلّ سلطانه و مكبره، المثنى على فضله الذى أربى على ظاهره مضمره، الشاكر لمجده الذى كرم أثره، المعتدّ بأبوّته العلية فى كلّ ما يقدّمه و يؤخره، و يورده و يصدره، الداعى إلى اللّه تعالى بطول بقائه فى سعد سام مظهره، حام عسكره، فلان:

«سلام كريم، طيب برّ عميم، يخصّ مقامكم الأعلى، و رحمة اللّه و بركاته.

أمّا بعد حمد اللّه الذى أولاكم ملكا منصورا، و فخرا مشهورا، و أحيا بدولتكم العليّة لمكارم الأخلاق ذكرا مستورا، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسول اللّه الذى اختاره بشيرا و نذيرا، و شرح بهدايته صدورا، و جعل الملأ الأعلى له ظهيرا، و الرضا عن آله و صحبه الذين ظاهروه فى حياته، و خلفوه فى أمته بعد وفاته، فنالوا فى الحالين فضلا مستورا، و أجرا موفورا، و الدعاء لمقامكم الأعلى أسماه اللّه تعالى بنصر لا يزال به الإسلام محبوّا محبورا، و سعد يملأ أرجاء البسيطة نورا، فكتبته- كتب اللّه لكم عوائد السعادة،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵

و حباكم من آلائه بالحسنى و الزيادة- من حمراء غرناطة حرسها اللّه تعالى، و ليس- بفضل اللّه سبحانه ثم ببركة مقامكم أيّد اللّه تعالى سلطانه- إلّا الخير الأكمل، و البر الأشمل، و الحمد للّه كثيرا كما هو أهله، فلا فضل إلّا فضله. و أمّا الذى عند معظم أمركم من الإعظام لمقامكم و الإكبار، و الثناء المردد المجدد على توالى الأعصار، و الشكر الذى تتلى سوره آناء الليل و النهار، و العلم بما لكم من المكارم التى سار ذكرها فى الأقطار أشهر من المثل السيّار، و الاعتداد بسلطانكم العلىّ فى الإعلان و الإسرار، و الاستناد إلى جنابكم الكريم فى الأقوال و الأفعال و الأخبار، فذلك لا يزال بحمد اللّه تعالى محفوظا ملحوظا بعين الاستبصار، و اللّه ولى العون على ذلك بفضله و طوله. و إلى هذا أيّد اللّه تعالى سلطانكم، و مهّد أوطانكم، فقد تقدّمت مطالعة مقامكم أسماه اللّه أنّ ملك قشتالة دسّ من يتحدّث فى عقد صلح يعود بالهدنة على البلاد، و يرتفع به عنها مكابدته من جهة الأعاد، و قدّرنا أولا أنّ ذلك ليس على ظاهر الحال فيه، و إنه يبدى به غير ما يخفيه، و لكن جرينا معه فى ذلك المضمار قصدا للتشوف على الأخبار، فلمّا دار الحديث فى هذا الحكم، ظهر منه أنه قد جنح للسّلم، و كان خديمنا نقروز بحكم الاتفاق قد ورد إشبيلية لبعض أشغاله، فاستحضره و أخذ معه فى أمر الصلح و شرح أحواله، و أعاده إلى معظمكم ليستفهم ما عنده، و يعلم مذهبه و قصده، فأعيد إليه بأنه إن أراد المصالحة على صلح والده مع هذه الدار النّصرية من غير زيادة على شروط تلك القضية، و لا يعرض لاسترجاع معقل من المعاقل التى أخلصت من يد النصرانية، و أن يكون عقده على الجزيرة الخضراء و رندة و غيرهما من البلاد الأندلسية، فلا بدّ من مطالعة محلّ والدنا السلطان أمير المسلمين أبى سعيد أيّده اللّه و استطلاع ما يراه، و حينئذ نعمل بحسب نظره الجميل و مقتضاه، و أكّد على نقروز فى أنه إن انقاد لهذا الأمر فليعقد معه هدنة لأمد من الدهر بقدر ما يتّسع لتعريفكم بهذه الحال و إعلامكم، و يستطلع فيها نظر مقامكم، فما هو إلّا أن عاد يوم تاريخ هذا بكتاب ملك قشتالة، و قد أجاب إلى الصلح و انقاد إليه، على حسب ما شرط عليه، و أعطى مهادنة مدة شهر فبرير

ليعرّف فيها مقامكم، و يعلم ما لديه، و وافق ذلك وصول الشيخ الفقيه الأجلّ أبى عبد اللّه بن حبشية أعزّه اللّه من بابكم الكريم أسماه اللّه، فأخذ معه فى هذا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۶

القصد، و استفهم عمّا لديه من مقامكم فى ذلك من الإمضاء أو الردّ، فذكر أنكم قد أذنتم لمعظمكم فى عقد السلم على ما يراه من الأحكام، إذ ظهر فيها المصلحة لأهل الإسلام، فلمّا عرف مذهبكم الصالح، و قصدكم الناجح، رأى أن يوجّه إلى ملك النصارى من يخلص معه حال الصلح، على ما يعود إن شاء اللّه تعالى على المسلمين بالنّجح، و قدم تعريفكم بما دار من الحديث بين يدى جوابكم الوافد من مقامكم صحبة الفقيه أبى عبد اللّه أعزّه اللّه تعالى و لا يخفى على مقامكم حاجة هذه البلاد فى الوقت إلى هدنة مستدرك بها رمقها ممّا لقيته من جهد الحرب، و ما حلّ بها فى هذه السنين من القحط و الجدب، فالصلاح بحمد اللّه فى هذه الحال بادى الظهور، و إلى اللّه عاقبة الأمور. هذا ما تزيّد لدى معظم مقامكم، و ما يتزيد بعد فليس إلّا المبادرة إلى مطالعتكم و إعلامكم، و ما كان إمساك الفقيه أبى عبد اللّه بن حبشية فى هذه الأيام إلّا لانتظار خبر الصلح، حتى يأتيكم به مستوفى الشرح، وها هو قد أخذ فى الرجوع إلى بابكم الأسمى، و القدوم إلى حضرتكم العظمى، و اللّه يصل سعودكم، و يحرس وجودكم، و يبلغكم أملكم و مقصودكم، و السلام».

و من إنشاء ابن الجياب، رحمه اللّه تعالى، فى العزاء بالسلطان أبى الحسن المرينى ما صورته بعد الصدر:

«أما بعد حمد اللّه الواحد القهّار، الحىّ القيّوم حياة لا- تتقيّد بالأعصار، القادر الذى كل شىء فى قبضة قدرته محصور بحكم الاضطرار، الغنى فى ملكوته فلا يلحقه لاحق الافتقار، المريد الذى بإرادته تصريف الأقدار، و تقدير الآجال و الأعمار، العالم الذى لا تعزب عن علمه خفايا الأسرار، و خبايا الأفكار، مالك الملك و أهله، و مدبّر الأمور بحكمته و عدله، تذكرة لأولى الألباب و عبرة لأولى الأبصار، خالق الموت و الحياة لينقلنا من دار الفناء إلى دار القرار، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله المصطفى المختار، الذى نهتدى بهديه الكريم فى الإيراد و الإصدار، و الإحلاء و الإمرار، فى الشدّة و الرخاء، و السرّاء و الضرّاء، بسيره الكريمة الآثار، و نتعزى بالمصيبة به عمّا دهم من المصائب الكبار، و نقدم منه إلى ربّنا شفيعا ماحيا للأوزار، و آخذا بالحجز عن النار، و نعلم أننا باتّباع سبيله نسعد سعادة الأبرار، و بإقامة ملّته و حماية شرعته ننال مرضاة الملك الغفار، و الرضا عن آله و صحبه، و أوليائه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۷

و حزبه، الذين ظاهروه فى حياته على إقامة الحق الساطع الأنوار، و خلفوه فى أمّته قائمين بالعدل حامين للذّمار، و الدعاء لمحلّ أبينا و الدكم المقدّس قدس اللّه روحه، و برد ضريحه، بالرحمة التى تتعهّد روضته التى هى أذكى من الروض المعطار، و الرضوان الذى يتبوأ به مبوأ صدق فى الملوك المجاهدين الأخيار، و لمقامك الأعلى بسعادة المقدار، و تمهيد السلطان و بلوغ الأوطار، فإنّا كتبناه- كتب اللّه لكم عوائد النصر، و ربط على قلبكم بالصبر!- من حمراء غرناطة حرسها اللّه تعالى عند ما تحقّق لدينا النبأ الذى فتّ فى الأعضاد، و شبّ نار الأكباد، و الحادث الذى هدّ أعظم الأطواد، و زلزل الأرض الراسية الأوتاد، و الواقع الذى لو لا وجودكم لمحا رسم الأجواد، و عطّل رسوم الجهاد، و كسا الآفاق ثوب الحداد، و الخطب الذى ضاقت له الأرض بما رحبت، و أمرّت الدنيا بما عذبت، من وفاة محلّ أبينا أكبر ملوك المسلمين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، والدكم أتحفه اللّه تعالى برود رضاه، و جعل جنّته نزله و مثواه! و نفعه بما أسلف من الأعمال الكريمة، و ما خلّده من الآثار العظيمة! فإنّا للّه و إنا إليه راجعون تسليما لما قضاه، و رضا بما أنفذه و أمضاه، و عند اللّه نحتسب منه والدا شفيقا، حانيا رفيقا، لم يزل يولى الجميل قوله و فعله، و يصل لنا من أسباب عنايته ما اقتضاه فضله، و ما هو أحق به و أهله. و كنّا طول حياته لم نجد أثرا لفقد الوالد، لما أولانا من جميل العوائد، و كرم المقاصد، جزاه اللّه أحسن جزائه! و أعاننا على توفية حقّه و أدائه! و لمثل هذه المصيبة- و لا مثل لها- تظلم الأرجاء، و يضيق الفضاء، و تبكيه مسوّمة

الجياد، و معالم الجهاد، و السيوف فى الأغماد، و شتى العباد و البلاد، فلا تسألوا كيف هو عندنا موقع هذا الخطب العظيم، و الحادث المقعد المقيم، و الرزيّة التى لا رزيّة مثلها، و الحادثة التى أصيبت بها الملّة و أهلها، فوجدنا لفقده يتضاعف مع الآناء، و يتجدّد تذكار ما أسلف من أعمال الملوك الفضلاء، و لكنه أمر حتم، و قضاء من اللّه جزم، و سبيل يسلك عليها الأول و الآخر، و الآنى و الغابر، و ليس إلّا التسليم، لما حكم به الحكيم العليم، و لمّا انتهى إلينا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۸

هذا النبأ الذى ملأ القلب حسرة و العين عبرة، و تواترت شتى الأنباء، و غلب اليأس فيها على الرجاء، وجدنا له ما يوجد لفقد الأب الذى ابتدأ بالإحسان و الإجمال، و أولى عوارف القبول و الإقبال، و لكنه ما أطفأ نار ذلك الوجد، و جبر كسر ذلك الفقد، إلّا ما منّ اللّه به علينا و على المسلمين من تقلّدكم ذلك الملك الذى بكم سمعت معالمه، و قامت مراسمه، و عليكم انعقد الإجماع، و بولايتكم استبشرت الأصقاع، و كيف لا تستبشر بولاية الملك الصالح الخاشع الأوّاب، صاحب الحرب و الحراب، عدّة الإسلام، و علم الأعلام، من ثبتت فضائله أوضح من محيّا النهار، و سارت مكارمه فى الآفاق أشهر من المثل السيّار. و قد كان محلّ أبينا والدكم رضى اللّه عنه لما علم من فضائلكم الكريمة الآثار، و ما قمتم به من حقّه الذى و فيتموه توفية الصلحاء الأبرار، ألقى إليكم مقاليد سلطانه، و آثر إليكم أثر قبوله و رضوانه، حتى انفصل عن الدنيا و قد ألبسكم من أثواب رضاه ما تنالون به قرة العين، و عزّ الدارين، و الظفر بكلتا الحسنيين، فتلك المملكة بحمد اللّه تعالى قد قام بها حامى ذمارها، و ابن خيارها، و مطلع أنوارها، الملك الرضى العدل الطاهر، قوّام الدياجى و صوّام الهواجر، حسنة هذا الزمان، و نخبة ذلك البيت المؤسس على التقوى و الرضوان، فالحمد للّه على أن جبر بكم صدع الإيمان، و انتضى منكم سيفا مسلولا على عبدة الصلبان، و أقرّ بكم ملك آبائكم الملوك الأعاظم، و تدارك بولايتكم أمر هذا الرزء المتفاقم، فإن فقدنا أعظم مفقود، فقد ظفرنا بأكرم مقصود، و ما مات من أبقى منكم سلالة طاهرة تحيى سنن المعالى و المكارم، و تعمل على شاكلة أسلافها الأكارم، فتلك المملكة قد أصبحت بحمد اللّه و نور سعدكم فى أرجائها طالع، و سيف بأسكم فى أعدائها قاطع، و عزمكم الأمضى لأمرها جامع مانع، قد أوت منك إلى الملجأ الأحمى، و استمسكت بإيالتكم العظمى، و عرفت أنكم ستبدون فيها من آثار دينكم المتين، و فضلكم المبين، و معاليكم القاطعة البراهين، ما يملؤها عدلا و إحسانا، و تبلغ به آمالها مثنى و وحدانا، فهنيئا لنا و لها أن صارت فى ملككم، و أن تشرفت بملككم، و ألقت مقاليدها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۹

إلى من يحمى حماها، و يدفع عداها، و ليهن ذلك المقام الأعلى ما أولاه من العزّ المكين، و ما قلّده من الملك الذى هو نظام الدنيا و الدين، و أن أعطاه راية الجهاد فتلقّاها باليمين، لينصر بها ملّة الرسول الصادق الأمين، فله الفخر بذلك على جميع السلاطين.

و أمّا هذه البلاد الأندلسية- حماها اللّه!- فهى و إن فقدت من السلطان الأعلى أبى سعيد أكرم ظهير، و وقع مصابه منها بمحلّ كبير، فقد لجأت منكم إلى من يحميها، و يكف بأس أعاديها، و يبتغى مرضاة خالقها فيها، فملككم بحمد اللّه تعالى مقتبل الشباب، جديد الأثواب، عريق الأنساب، أصيل الأحساب، و مجدكم جار على أعراقه جرى الجياد العراب. و إنّا لما ورد علينا هذا النبأ معقبا بهذه البشرى، و وفد علينا ذلك الخبر مردفا بهذه المسرّة الكبرى، علمنا أنّ اللّه سبحانه قد رأب ذلك الصّدع بهذا الصنع الجميل، و تلافى ذلك الخطب بذلك الخير الجزيل، فأخذنا من مساهمتكم فى الأمور النصيب الوافر، و رأينا أنّ آمالنا منكم قد جلت عن محيّاها السافر، و عيّنّا للوفادة على بابكم لينوب عنّا فى العزاء و الهناء عين الأعيان الفضلاء، و وجه القواد و الكرماء.

و لنقتصر على هذا المقدار من كلام الرئيس ابن الجياب رحمه اللّه تعالى! و يظهر لى أنّ نظمه أعلى طبقة من نثره، و على كل حال فهو لا يتكلّف نظما و لا نثرا رحمه اللّه تعالى، و رضى عنه، و عامله بمحض فضله!.

**[من أشياخ لسان الدين أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمى]**

و من أشياخ لسان الدين رحمه اللّه تعالى الفقيه الكاتب البارع العلامة النحوى اللغوى صاحب العلامة بالمغرب الشهير الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى، قال فى «الإحاطة» فيه ما ملخّصه: عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن على بن محمد بن عبد اللّه بن محمد الحضرمى، أبو محمد، شيخنا الرئيس، صاحب القلم الأعلى بالمغرب.

من «الإكليل»: تاج المفرق، و فخر المغرب على المشرق، أطلع منه نورا أضاءت له الآفاق، و أثر منه بذخيرة حملت أحاديثها الرّفاق، ما شئت من مجد سامى المصاعد و المراقب، عزيز عن لحاق النجم الثاقب، و سلف زيّنت سماؤه بنجوم المناقب. نشأ بسبتة بلده بين علم يفيده، و فخر يشيده، و طهارة يلتحف مطارفها، و رياسة يتفيّأ وارفها، و أبوه رحمه اللّه تعالى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۰

قطب مدارها، و مقام حجّها و اعتمارها، فسلك الوعور من المعارف و السّهول، و بذّ على حداثة سنّه الكهول، فلمّا تحلّى من الفوائد العلمية بما تحلّى، و اشتهر اشتهار الصباح إذا تجلّى، تنافست فيه همم الملوك الأخاير، و استأثرت به الدول على عادتها فى الاستئثار بالذخائر، فاستقلّت بالسياسة ذراعه، و أخدم الذوابل و السيوف يراعه، و كان عين الملك التى بها يبصر، و لسانه الذى يسهب به أو يختصر. و قد تقدّمت له إلى هذه البلاد الوفادة، و جلّت به عليها الإفادة، و كتب عن بعض ملوكها، و انتظم فى عقودها الرفيعة و سلوكها، و له فى الآداب الراية الخافقة، و العقود المتناسقة. و مشيخته حافلة تزيد عن الإحصاء، و شعره منحطّ عن محلّه من العلم و الشهرة، و إن كان داخلا تحت طور الإجادة، فمن ذلك قوله: [الطويل]

تراءى سحيرا و النسيم عليل و للنجم طرف بالصباح كليل

و للفجر نهر خاضه الليل فاعتلت شوى أدهم الظلماء منه حجول

بريق بأعلى الرّقمتين كأنه طلائع شهب فى السماء تجول

فمزّق ساجى الليل منه شرارة و خرّق ستر الغيم منه نصول

تبسم ثغر الروض عند ابتسامه و فاضت عيون للغمام همول

و مالت غصون البان نشوى كأنها يدار عليها من صباه شمول

و غنّت على تلك الغصون حمائم لهنّ حفيف فوقها و هديل

إذا سجعت فى لحنها ثم قرقرت يطيح خفيف دونها و ثقيل

سقى اللّه ربعا لا يزال يشوقنى إليه رسوم دونها و طلول

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۱

و جاد رباه كلّما ذرّ شارق من الودق هتّان أجشّ هطول

و مالى أستسقى الغمام و مدمعى سفوح على تلك العراص همول

و عاذلة باتت تلوم على السّرى و تكثر من تعذالها و تطيل

تقول إلى كم ذا فراق و غربة و نأى على ما خيّلت و رحيل

ذرينى أسعى للتى تكسب العلا سناء و تبقى الذّكر و هو جميل

فإمّا ترينى من ممارسة الهوى نحيلا فحدّ المشرفىّ نحيل

و فوق أنابيب اليراعة صعدة تزين، و فى قدّ القناة ذبول

و لو لا السّرى لم يجتل البدر كاملا و لا بات منه للسّعود نزيل

و لو لا اغتراب المرء فى طلب العلى لما كان نحو المجد منه وصول

و لو لا نوال ابن الحكيم محمد لأصبح ربع المجد و هو محيل

وزير سما فوق السّماك جلالة و ليس له إلّا النجوم قبيل

من القوم: أما فى الندىّ فإنهم هضاب و أمّا فى النّدى فسيول

حووا شرف العلياء إرثا و مكسبا و طابت فروع منهم و أصول

و ما جونة هطّالة ذات هيدب مرتها شمال مرجف و قبول

لها زجل من رعدها و لوامع من البرق عنها للعيون كلول

كما هدرت وسط القلاص و أرسلت شقاشقها عند الهياج فحول

بأجود من كفّ الوزير محمد إذا ما توالت للسنين محول

و لا روضة بالحسن طيبة الثّذا ينمّ عليها إذخر و جليل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٢

و قد أذكيت للزهر فيها مجامر تعطّر منها للنسيم ذيول

و فى مقل النّوّار للطلّ عبرة تردّدها أجفانها و تحيل

بأطيب من أخلاقه الغرّ كلّما تفاقم خطب للزمان يهول

حويت أبا عبد الإله مناقبا تفوت يدا من رامها و تطول

فغرناطة مصر و أنت خصيبها و نائل يمناك الكريمة نيل

فداك رجال حاولوا درك العلا ببخل، و هل نال العلاء بخيل

تخيّرك المولى وزيرا و ناصحا فكان له ممّا أراد حصول

و ألقى مقاليد الأمور مفوّضا إليك فلم يعدم يمينك سول

و قام بحفظ الملك منك مؤيّد نهوض بما أعيا سواك كفيل

و ساس الرعايا منك أشوس باسل مبيد العدا للمعتفين منيل

و أبلج وقّاد الجبين كأنما على و جنتيه للنّضار مسيل

تهيم به العلياء حتى كأنها بثينته فى الحبّ و هو جميل

له عزمات لو أعير مضاءها حسام لما نالت ظباه فلول

سرى ذكره فى الخافقين فأصبحت إليه قلوب العالمين تميل

و أعدى قريضى جوده و ثناؤه فأصبح فى أقصى البلاد يجول

إليك أيا فخر الوزارة أرقلت برحلى هو جاء النّجاء ذلول

فليت إلى لقياك ناصية الفلا بأيدى ركاب سيرهنّ ذميل

تسدّدنى سهما لكلّ ثنيّة ضوامر أشباه القسىّ نحول

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٣

و قد لفظتنى الأرض حتى رمت إلى ذراك برحلى هوجل و هجول

فقيّدت أفراسى به و ركائبى و لذّ مقام لى به و حلول

و قد كنت ذا نفس عزوف و همّة عليها لأحداث الزمان ذحول

و تهوى العلا حظّى و تغرى بضدّه لذاك اعترته رقّة و نحول

و تأبى لى الأيام إلّا إدالة فصونك لى، إنّ الزمان مديل

فكلّ خضوع فى جنابك عزّة و كلّ اعتزاز قد عداك خمول

و قال: [المتقارب]

أبت همّتى أن يرانى امرؤ على الدهر يوما له ذا خضوع

و ما ذاك إلّا لأنى اتّقيت بعزّ القناعة ذلّ الخشوع

مولده بسبتة عام ستة و سبعين و ستمائة، و توفى بتونس ثانى عشر شوّال عام تسعة و أربعين و سبعمائة فى الطاعون، و كانت جنازته مشهورة رحمه اللّه تعالى، انتهى.

و حكى أنّ السلطان أبا الحسن المرينى سبّ الشيخ عبد المهيمن الحضرمى بمجلس كتّابه، فأخذ عبد المهيمن القلم و كسره، و قال: هذا هو الجامع بينى و بينك، ثم إن السلطان أبا الحسن ندم، و أفضل عليه، و خجل ممّا صدر منه.

و كان عبد المهيمن ينطق بالكلام معربا، و يرتفع نسبه إلى العلاء بن الحضرمى صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و أصل سلفه من اليمن، و كان جدّهم الأعلى عبدون لحقه الضّيم ببلده، فارتحل إلى المغرب، فنزل سبتة.

و لعبد المهيمن الحضرمى شيوخ أجلاء كابن أبى الربيع النحوى و ابن الشاط و ابن مسعود و غيرهم. و كان ذا سعد و سؤدد، حسن الخطّ، رأيت خطّه بإجازته لأبى عبد اللّه بن مرزوق و غيره. و كان عالى الهمّة سريّا، أعطى المنصب حقّه، و كان لا يحتمل الضيم و احتقار العلم، و كان سريع الجواب؛ حكى أنّ القاضى المليلى و أبا محمد عبد المهيمن الحضرمى المذكور صاحب العلامة للسلطان أبى الحسن حضرا مجلس السلطان، فجرى ذكر الفقيه ابن عبد الرزاق، فقال المليلى: جمع من الفنون كذا، حتى وضع يده على أبى محمد



عبد المهيمن، و قال مخاطبا للسلطان: و يكتب لك أحسن من ذا، فوضع عبد المهيمن يده على المليلى و قال: نعم يا مولاى، و يقضى لك أحسن من ذا.

و قال ابن الخطيب القسمطينى الشهير بابن قنفذ فى وفياته ما نصّه: و فى سنة تسع و أربعين و سبعمائة توفى الشيخ الراوية المحدّث الكاتب أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن على بن محمد، الحضرمى، السبتى، و من أشياخه الأستاذ ابن أبى الربيع و ابن الغماز و ابن صالح الكنانى و غيرهم من الأعلام، انتهى.

و قال غيره: إنّ والد عبد المهيمن توفى غرّة صفر سنة اثنتى عشرة و سبعمائة، رحمه اللّه تعالى!.

و حكى أنّ الشيخ أبا محمد عبد المهيمن ذكر يوما بنى العزفى، فأثنى عليهم، فقال له أحد الحسينيين، و كان بينهم شىء: إنهم كانوا يحبّون أهل البيت، فكيف حبّك أنت لهم؟

يعنى لأهل البيت، فقال: أحبّهم حبّ التشرّع، لا حب التشيّع، انتهى.

قيل: يعنى بالعزفيين أهل الدولة الثانية، و أمّا أهل الأولى فكانوا من المختصّين بمحبة الآل، و هم أحدثوا بالمغرب تعظيم ليلة الميلاد النبوى على صاحبه الصلاة و السلام.

و من أغرب ما وقع للرئيس عبد المهيمن الحضرمى من التشبيه قوله: [الطويل]

لقد راقنى مرأى سجلماسة الذى يقرّ له فى حسنه كلّ منصف

كأن رؤوس النخل فى عرصاتها فواتح سورات بآخر مصحف

و هذا من التشبيه العقيم الذى لم يسبق إليه فيما أظنّ، و كان سبب قوله ذلك أنّ السلطان أمير المسلمين أبا الحسن المرينى لما تحرّك لقتال أخيه السلطان أبى على عمر بسجلماسة و ظفر به استمطر أنواء أفكار الكتّاب و غيرهم فى تشبيه النخل، فقال عبد المهيمن ما مرّ، فلم يترك مقالا لقائل.

و قد أنشد الحافظ ابن مرزوق الحفيد قال: أنشدنى شيخنا ولى الدين الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى لشيخه الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى السبتى رحمه اللّه تعالى قوله: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵

يجفى الفقير و يغشى الناس قاطبة باب الغنىّ، كذا حكم المقادير

و إنما الناس أمثال الفراش، فهم يلفون حيث مصابيح الدنانير

قلت: و رأيت هذين البيتين فى كتاب «دوح الشّحر، و روح الشعر» للعالم الكاتب ابن الجياب منسوبين لأبى المتوكل الهيثم بن أحمد السكونى الإشبيلى، قال: أنشدنى أبو الحجاج الحافظ قال: أنشدنى الهيثم، فذكر البيتين، و كان تاريخ وفاته قبل أن يخلق عبد المهيمن، فتعيّن أنّ البيتين ليسا من نظمه، و إنما تمثّل بهما، و نسبتهما له و هم لا محالة، و اللّه أعلم.

و أما ما اشتهر على الألسنة بالمغرب من أن أبا حيان مدح عبد المهيمن بقوله: [مجزوء الخفيف]

ليس فى الغرب عالم مثل عبد المهيمن

نحن فى العلم أسوة أنا منه و هو منى

فقد نسبه ابن غازى إلى أبى حيان كما اشتهر، لكن تاريخ مرور أبى حيان بالمغرب كان قبل ظهور عبد المهيمن بلا خفاء، و هو عندى محمول على أحد أمرين: أن المراد عبد المهيمن جدّ عبد المهيمن المذكور، أو أن أبا حيان كتب بالبيتين من مصر بعد ما ظهر عبد المهيمن و صارت له الرياسة بالمغرب إذ أبو حيان عاش إلى ذلك الزمان بلا ريب، و لذا لما ذكر لسان الدين بن الخطيب فى كتابه «الكتيبة الكامنة، فى أنباء أهل المائة الثامنة» الشيخ أبا حيان قال: و هذا الرجل طالت حياته حتى أجاز ولدى.

و لعبد المهيمن المذكور أخبار غير ما قدّمناه منع منها الاختصار. و قد ألّف الخطيب ابن مرزوق باسم ولد ولده فهرسته المشهورة، و حلاه فى صدرها أحسن حلية، و هو أهل لذلك.

و قد ذكره مولاى الجد فى شيوخه كما تقدّم، و قال فيه: إنه إمام الحديث و العربية، و كاتب الدولة العثمانية و العلوية، فليراجع ذلك فيما سبق فى ترجمة الجدّ.

## [أبو سعيد بن عبد المهيمن الحضرمى]

و أبو سعيد بن عبد المهيمن كان عالى الهمّة كآبائه، و لمّا بويع السلطان أبو عنان طلب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶

منه أن يكون مرتسما فى جملة كتاب بابه، فامتنع، و قال: لا أكون تحت حكم غيرى، و عنى بذلك أن أباه كان رئيس الكتّاب، فكيف يكون هو مرءوسا بغيره؟ فلم ترض همّته، رحمه اللّه تعالى، إلّا برتبة أبيه أو التركّ، و ارتحل أبو سعيد محمد المذكور، و كان فقيها عالما، من فاس لسبتة إلى أن توفى بها سنة ۸۸۷، و كان قليل الكلام، جميل الرّواء، حسن الهيئة و البزة و الشكل، روى عن والده و عن الحجار و كتب له سنة ۷۲۴، و روى عن الفقيه أبى الحسن بن سليمان و الرحالة ابن جابر الوادى آشى و ابن رشيد و غيرهم.

و ابن أبى سعيد هذا اسمه عبد المهيمن كجدّه، و كان صاحب القلم الأعلى، روى عن أبيه و جدّه و غيرهما، رحم اللّه الجميع.

## [و من أشياخ لسان الدين قاضى الجماعة أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقى]

و من أشياخ لسان الدين رحمه اللّه تعالى الإمام العلامة قاضى الجماعة أبو البركات بن الحاج البلّفيقى: نادرة الزمان، و شاعر ذلك الأوان، و هو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن الشيخ الولى أبى إسحاق بن الحاج البلّفيقى، و كان أبو البركات أحد رجال الكمال علما و مجدا و سؤددا موروثا و مكتسبا، و قد عرف به فى «الإحاطة» بترجمة مدّ فيها النفس، و كتب ابنه على أول الترجمة ما

صورته: رحمك اللّه تعالى يا فقيه الأندلس، و حسيبها، و صدرها، و شيخها، و برّد ضريحك، فللّه ما أفدت من نادرة، و أكسبت من فائدة، انتهى.

و حكى فى «الإحاطة» أنه لما استسقى و حصلت الإجابة أنشده لسان الدين: [الكامل]

ظمئت إلى السّقيا الأباطح و الرّبا حتى دعونا العام عاما مجدبا

و الغيث مسدول الحجاب، و إنما علم الغمام قدومكم فتأدّبا

ثم ذكر فى «الإحاطة» تأليف أبى البركات و شعره، إلى أن قال حاكيا عن أبى البركات ما صورته: و ممّا نظمته و قد أكثروا من التعجّب لملازمتى البناء و حفر الآبار: [الخفيف]

فى احتفار الأساس و الآبار و انتقال التراب و الجيّار

و قعودى ما بين رمل و آجر و جصّ و الطوب و الأحجار



و امتهانى بردىّ بالطين و الما ء و رأسى و لحيتى بالغبار

نشوة لم تمرّ قطّ على قل ب خليع و ما لها من خمار

من غريب البناء أنّ بنيه متعبون يهوون طول النهار

يبتغون الوصال من صانعيه و البدار إليه كلّ البدار

فإذا حلّ فى ذراهم تراهم يشتهون منه بعيد المزار

من عذيرى من لائم فى بنائى و هو لى الترجمان عن أخبارى

ليس يدرى معناه من ليس يدرى أنّ ما عنده على مقدار

أقتدى بالذى يقول بناها ذلك الخالق الحكيم البارى

و بمن يرفع القواعد من بى ت عتيق للحجّ و الزوار

و بمن كان ذا جدار و قد كا ن أبوه من صالحى الأبرار

و بما قد أقامه الخضر المخ صوص علما بباطن الأسرار

كان تحت الجدار كنز، و ما أد راك ما كان تحت كنز الجدار

و بمن قد مضى من آبائى الغرّ الألى شيّدوا رفيع المنار

فالذى قد بنوه نبنى له مث لا و نجرى له على مضمار

قد بنينا من المساجد دهرا ثم نبنى لجارها خير جار

مثل ما قد بنيت للمجد أمثا ل مبانيهم بكلّ اعتبار

فالمبانى لسان حالى و لى فيها لعمرى ذكر من الأذكار

روح أعمالنا المقاصد، لكن حيث تخفى تخفى مع الأعذار

فعسى من قضى ببنيان هذى ال دار يقضى لنا بعقبى الدار

ثم قال فى «الإحاطة» بعد كلام: و من نظمه فى الإنحاء على نفسه، و استبعاد وجود المطالب فى جنسه، قال ممّا نظمته يوم عرفة عام خمسين و سبعمائة و أنا منزو فى غار ببعض



جبال ألمريّة: [الخفيف]

زعموا أنّ فى الجبال رجالا صالحين قالوا من الأبدال

و ادّعوا أنّ كلّ من ساح فيها فسيلقاهم على كلّ حال

فاخترقنا تلك الجبال مرارا بنعال طورا و دون نعال

ما رأينا بها خلاف الأفاعى و شبا عقرب كمثل النبال

و سباع يجرون بالليل عدوا لا تسلنى عنهم بتلك الليالى

و لو أنّا كنّا لدى العدوة الأخ رى رأينا نواجذ الرئبال

و إذا أظلم الدّجا جاء إبلى س إلينا يزور طيف خيال

هو كان الأنيس فيها و لو لا ه أصيبت عقولنا بالخبال

خلّ عنك المحال يا من تعنّى ليس يلقى الرجال غير الرجال

و جمع شعره و سمّاه «العذب و الأجاج، من كلام أبى البركات بن الحاج» و سمى أبو القاسم الشريف ما استخرجه منه «باللؤلؤ و المرجان، من بحر أبى البركات بن الحاج يستخرجان».

و من نظم الشيخ أبى البركات بن الحاج قوله رحمه اللّه تعالى: [الطويل]

ألا ليت شعرى هل لما أنا أرتجى من اللّه فى يوم الجزاء بلاغ

و كيف لمثلى أن ينال وسيلة لها فى سبيل الصالحين مراغ

و كم رمت دهرى فتح باب عبادة يكون بها فى الفائزين مساغ

فكدت و لم أفعل و كيف و ليس لى المعينان فيها صحّة و فراغ

لأصبحت من قوم دعاهم إلى الرضا منادى الهدى فاستنكروه فراغوا

أباغ ترى أخراه من يزدهيه من زخارف دنياه الدنية باغ

و يضرب صفحا عن حقيقة ما طوت فيلهيه زور قد أتته مصاغ

إذا ما بدا للرشد نهج بيانه يراع به من وحشة فيراغ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٩

فيا ربّ برد العفو هب لى إذا غلت من الحرّ فى يوم الحساب دماغ

فمن حرق للنفس فيه لواعج و من خجل للوجد فيه صباغ

و عظتك نفسى لو أنبت، و فى الذى و عظت به لو ترعوين بلاغ

و أنشد القاضى أبو البركات فى هذا الروىّ قول شيخه الأستاذ أبى على بن سليمان القرطبى: [الطويل]

ألا هل إلى ما أرتضيه بلاغ و كيف يرى يوما إليه فراغ

و قد قطعت دونى قواطع جمّة أراع لها مهما جرت و أراغ

و ما لى إلّا عفو ربّ و فضله ففيه إلى ما أرتجيه بلاغ

و كان القاضى أبو البركات من بيت كبير علما و صلاحا و زهدا، و جدّه الإمام الولى العارف سيدى أبو إسحاق بن الحاج أشهر من نار على علم، و قبره مشهور بمراكش و قد زرته بها، و له كرامات مشهورة.

و حكى فى «مزية المرية» من كراماته جملة؛ قال حفيده الشيخ أبو البركات: دخلت على الشيخ الصالح العابد المجتهد الحاج أبى عبد اللّه محمد بن على البكرى، المعروف بابن الحاج، فى منزله بألمرية عائدا قال: أظنّه فى مرضه الذى مات فيه فقال له حين سأله عن حاله: أدع لى، فقلت له: يا سيدى، بل أنت تدعو لى، فقال لى: شرح اللّه صدرك! و نوّر قلبك بنور معرفته! فمن عرف اللّه لم يذكر

غيره، فقد حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدّك قال: كنت مع سيدى أبى إسحاق بن الحاج بمراكش فقال لى: هل ترى فى المنام شيئا؟

فقلت: نعم، أرى كأنى فى ألمرية أمشى من الدار إلى المسجد، و من كذا إلى كذا، فأعرض عنى و قال: ألا ترى إلّا اللّه؟ قال: ثم مرّ به فى أثناء كلامه ابنه محمد، فقال لى: رأيت هذا؟

و اللّه ما أدرى أنّ لى ابنا حتى يمرّ بى، و لا أذكره إذا غاب عنّى، و لا أرى إلّا اللّه، انتهى.

و من تآليف أبى البركات، رحمه اللّه تعالى، كتاب ذكر فيه أخبار سلفه رضى اللّه عنهم، و ذكر جملة من كرامات جدّه سيدى أبى إسحاق المذكور، نفعنا اللّه به.

و من شعر جدّه المذكور قوله: [الطويل]

ألا كرّم اللّه البلاد بخطبة هم حسنات الدهر لا نابهم خطب



رعايتهم فرض على كلّ مسلم و حبّهم حقا قد أوجبه الربّ

إذا ما سألت اللّه شيئا فسل بهم فتعظيمهم قرب و غيبتهم حرب

و قوله: [الطويل]

شكا فشكا قلبى خبالا مبرّحا على غير علم كان منى بشكواه

و ما التقت الأسرار إلّا بجامع من النعت سلطان الحقيقة سوّاه

فيا فرحة المجهود إن بات سرّه و سرّ الذى يهواه مأواه مأواه

و من أجله قد كان بالبعد راضيا فكيف ترى مغناه و القلب مثواه

بدا فبدت أعلام ضدين فى الهوى هما عجب لو لا الدليل و فحواه

برؤيته فارقت موتى لبعده و متّ بها من أجل علمى ببلواه

فها أنا حىّ ميّت بلقائه و لم ينج من لم يسعد الفهم نجواه

إذا لم تكن أنت الحبيب بعينه رضا و عتابا ضلّ من قال يهواه

و أكذب ما يلغى الفتى و هو صادق إذا لم يحقّق بالأفاعيل دعواه

و قوله رضى اللّه تعالى عنه: [البسيط]

الحبّ فى اللّه نور يستضاء به و الهجر فى ذاته نور على نور

جنّب أخا حدث فى الدين ذا غير إنّ المغيّر فى نكس و تغيير

حاشى الديانة أن تبنى على خبل سبحان خالقنا من قول مثبور

إنّ الحقائق لا تبدو لمبتدع كذا المعارف لا تهدى لمغرور

تاللّه لو أبصرت عيناه أو ظفرت يمناه ما ظلّ فى ظنّ و تقدير

حقّق تر عجبا إن كنت ذا أدب و لا يغرّنّك الجهال بالزور

إنّ الطريقة فى التنزيل واضحة و ما تواتر من وحى و مشهور

فافهم هديت هدى الرحمن و اهد به هدى يفيدك يوم النفخ فى الصور

و قوله صدر رسالة وجّه بها إلى ابنه محمد أيام قراءته بإشبيلية: [الطويل]

إذا شئت أن تحظى بوصلى و قربتى فجنّب قرين السوء و اصرم حباله

و سابق إلى الخيرات و اسلك سبيلها و حصّل علوم الدين و اعرف رجاله

و كان رحمه اللّه تعالى كثيرا ما يتمثّل ببيتى مهيار الديلمى، و هما: [الطويل]

و من عجب أنّى أحنّ إليهم و أسأل شوقا عنهم و هم معى

و تبكيهم عينى و هم فى سوادها و يشكو النوى قلبى و هم بين أضلعى

و حدّث القاضى أبو البركات حفيده عن ابن خميس التلمسانى المتقدّم الذكر قال: سمعت بعض الأشياخ يقول: كان الشيخ أبو إسحاق البلفيقى الكبير يقول: اجتمع لنا فى اللّه أربعون ألف صاحب.

و حكى الشيخ أبو البركات المذكور عن الشيخ الصالح الحاج الصوفى أبى الأصبغ بن عزرة قال: هذه صلاة على النبىّ صلى اللّه عليه و سلم أخذتها عن رابك الشيخ الصالح الحاج أبى عبد اللّه محمد بن على بن الحاج مشافهة، و قال لى: إنها صلاة أبى إسحاق بن الحاج جدّك، و هى:

اللهمّ صلّ على محمد و على آل محمد صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك، و تبقى ببقائك، و تخلد بخلودك، و لا غاية لها دون مرضاتك، و لا جزاء لقائلها و مصليها غير جنتك و النظر إلى وجهك الكريم.

و نقل أبو البركات المذكور عن جده أنه كان يستفتح مجلسه بألمرية بهذا الدعاء: اللهمّ اجعلنا فى عياذ منك منيع، و حصن حصين، و ولاية جميلة، حتى تبلغنا آجالنا مستورين محفوظين، مبشّرين برضوانك يوم لقائك، قال: و فى وسط الدعاء و آخره: و اكفنا عدوّنا إبليس، و أعداءنا من الجن و الإنس بعافيتنا و سلامتنا.

و كان الشيخ رضى اللّه عنه يواصل أربعين يوما.

و من مآثره أنه بنى ثمانية عشر جبّا فى مواضع متفرّقة و نحو عشرين مسجدا و بنى أكثر سور حصن بلفيق، كلّ ذلك من ماله.

و قال رضى اللّه عنه فى بعض رسائله: الصوفى عبارة عن رجل عدل تقىّ صالح زاهد،



غير منتسب لسبب من الأسباب، و لا مخلّ بأدب من الآداب، قد عرف شأنه و زمانه، و ملكت مكارم الأخلاق عنانه، لا ينتصر لنفسه، و لا يتفكّر فى غده و أمسه، العلم خليله، و القرآن دليله، و الحقّ حفيظه و وكيله، نظره إلى الخلق بالرحمة، و نظره إلى نفسه بالحذر و التهمة، انتهى.

و أحوال هذا الشيخ عجيبة، و كراماته شهيرة، و إنما ذكرنا هذا النّزر اليسير تبرّكا بذكره رضى اللّه عنه فى هذا الكتاب، و تطفلا على رب الأرباب أن ينفعنا بأمثاله و يحقّق لنا النجاة و المتاب، إنه على ذلك قدير.

رجع إلى أخبار أبى البركات- و لمّا وقع بينه و بين ابن صفوان ما يقع بين المتعاصرين ردّ عليه ابن صفوان، فانتصر لأبى البركات بعض طلبته بتأليف سمّاه «شواظ من نار و نحاس، يرسل على من لم يعرف قدره و قدر غيره من الناس» و هو قدر رسالة الشيخ أو أطول، و ألفى على ظهره بخطّ الشيخ أبى البركات ما صورته: [السريع]

قد شبع الكلب كما ينبغى من حجر صلد و من مقرع

فإن يعد من بعد ذا للّذى قد كان منه فهو ممن نعى

و من بديع نظم الشيخ أبى البركات رحمه اللّه تعالى قوله: [الطويل]

يلومونني بعد العذار على الهوى و مثلى فى وجدى له لا يفنّد

يقولون أمسك عنه قد ذهب الصّبا و كيف أرى الإمساك و الخيط أسود

و قوله فى المجبنات: [الطويل]

و مصفرّة الخدّين مطويّة الحشا على الجبن و المصفرّ يؤذن بالخوف

لها بهجة كالشمس عند طلوعها و لكنها فى الحين تغرب فى الجوف

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۳

و فى هذين البيتين توريةٌ متعدّدةٌ.

و حدّث القاضى أبو البركات أنه لمّا أراد الانصراف عن سبتة قال له السيد الشريف أبو العباس رحمه اللّه: متى عزمت على الرحيل؟ فأنشد أبو البركات: [الكامل]

أمّا الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا

فأنشد الشريف رحمه اللّه تعالى: [الكامل]

لا مرحبا بغد و لا أهلا به إن كان تفريق الأحبة فى غد

و حكى أنّ السيد أبا العباس الشريف المذكور ساير القاضى أبا البركات فى بعض أسفاره زمن الشباب ببر الأندلس- أعاده اللّه تعالى!- فلما انتهيا إلى قريةٍ ترليانة، و أدركهما النصب، و اشتدّ عليهما حرّ الهجير، نزلا و أكلا من باكر التين الذى هناك، و شربا من ذلك الماء العذب، و استلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرةٍ مستظلّا بظلّها، ثم التفت إلى السيد أبى العباس و قال: [البسيط]

ما ذا تقول فدتك النفس فى حالى يفنى زمانى فى حلّ و ترحال

و أرتج عليه، فقال لأبى العباس: أجز، فقال بديها: [البسيط]

كذا النفوس اللواتى العزّ يصحبها لا ترتضى بمقام دون آمال

دعها تسر فى الفيافى و القفار إلى أن تبلغ السؤل أو موتا بتجوال

الموت أهون من عيش لدى زمن يعلى اللئيم و يدنى الأشرف العالى

و لما أوقع الشيخ أبو البركات على زوجه الحرة العربية أم العباس عائشة بنت الوزير المرحوم أبى عبد اللّه محمد بن إبراهيم الكنانى ثم المغيلى طلقة كتب نسختها بما نصّه: بسم اللّه الرحمن الرحيم، و صلّى اللّه على محمد و على آل محمد، يقول عبد اللّه الراجى رحمته محمد المدعوّ بأبى البركات بن الحاج خار اللّه له و لطف به: إنّ اللّه جلت قدرته لما أنشأ خلقه على طبائع مختلفة و غرائز شتى، ففيهم السخىّ و البخيل، و الشجاع و الجبان، و الغبىّ و الفطن، و الكيّس و العاجز، و المسامح و المناقش، و المتكبّر و المتواضع، إلى غير ذلك من

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۴

الصفات المعروفة من الخلق، كانت العشرة لا تستمرّ بينهم إلّا بأحد أمرين: إمّا بالاشتراك فى الصفات أو فى بعضها، و إمّا بصبر أحدهما على صاحبه إذا عدم الاشتراك، و لمّا علم الشارع أن بنى آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح إليه من عيل صبره على صاحبه، توسعة عليهم، و إحسانا منه إليهم، فلأجل العمل على هذا طلق كاتب هذا عبد اللّه محمد المذكور زوجه الحرّة العربية المصونة عائشة ابنة الشيخ الوزير الحسيب النزيه الأصيل الصالح الفاضل الطاهر المقدّس المرحوم أبى عبد اللّه محمد المغيلى، طلقة واحدة، ملكت بها أمر نفسها دونه، عارفا قدره، قصد بذلك إراحتها من عشرته، طالبا من اللّه أن يغنى كلّا من سعته، مشهدا بذلك على نفسه فى صحته و جواز أمره يوم الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الثانى عام أحد و خمسين و سبعمائة، انتهى.

و من نوادره رحمه اللّه تعالى أنه لما استناب بعض قضاة ألمرية الفقيه أبا جعفر المعروف بالقرعة فى القضاء من عمله بخارج ألمرية، فاتّفق أن جاء بعض الجنّانين بفحص ألمرية يشتكى من جائحة أو أذاية أصابت جنانه، ففسدت غلته لذلك، فأخذ ذلك الجنان قرعة و أشار إليها متشكيا، و قال: هذه القرعة تشهد بما أصاب جنانى، فقال الشيخ أبو البركات عند ذلك:

غريبتان فى عام واحد: القرعة تقضى، و القرعة تشهد.

و كان له رحمه اللّه تعالى من هذا النمط كثير.

و قال رحمه اللّه تعالى: نظمت صبيحة يوم السبت السابع و العشرين لرجب عام خمسة و أربعين و سبعمائة، و قد رأيت فى النوم كأنى أريد إتيان امرأة لا تحلّ لى، فيأتى رقيب فيحول بينى و بين ذلك المرة بعد المرة، قولى: [الطويل]

ألا كرّم اللّه الرقيب فإنه كفانى أمورا لا يحلّ ارتكابها

و بالغ فى سدّ الذريعة فاغتدى يلاحظنى نوما ليغلق بابها

و قال رحمه اللّه: أنشدنى شيخى أبو عبد اللّه بن رشيد عند قراءتى عليه شرحه لقوافى أبى الحسن حازم، و قد باحثته يوما، مناقشة فى بعض ألفاظه من الشرح المذكور: [الطويل]

تسامح و لا نستوف حقّك كلّه و أغض فلم يستوف قطّ كريم

و من نظم الشيخ أبى البركات قوله: [الطويل]

ألا خلّ دمع العين يهمى بمقلتى لفرقة عين الدمع وقف على الدم



فللماء فيه رنّة شجيّة كرنّة مسلوب الفؤاد متيم

و للطير فيه نغمة موصليّة تذكرنى عهد الصّبا المتقدّم

و للحسن أقمار به يوسفية تردّ إلى دين الهوى كلّ مسلم

و له رحمه اللّه تعالى: [السريع]

ما كلّ من شدّ على رأسه عمامة يحظى بسمت الوقار

ما قيمة المرء بأثوابه السرّ فى السكان لا فى الديار

و له سامحه اللّه تعالى: [الطويل]

إذا ما كتمت السّرّ عمّن أودّه توهّم أنّ الودّ غير حقيقى

و لم أخف عنه السّرّ من ضنّة به و لكننى أخشى صديق صديقى

و له و قد جلس فى حلقة بعض المشايخ و استدبر بعض الفضلاء و لم يره بسبتة: [السريع]

إن كنت أبصرتك لا أبصرت بصيرتى فى الحقّ برهانها

لا غرو أنى لم أشاهدكم فالعين لا تبصر إنسانها

و ممّا يعجبه رحمه اللّه من قوله قال فى «الإحاطة» و يحقّ أن يعجبه: [الطويل]

تطالبنى نفسى بما ليس لى به يدان فأعطيها الأمان فتقبل

عجبت لخصم لجّ فى طلباته يصالح عنها بالمحال فيفصل

و مما أورد له فى «الإحاطة» و ذكر أنه لو رحل راحل إلى خراسان لما أتى إلّا بهما: [الطويل]

رعى اللّه إخوان الخيانة إنهم كفونا مؤونات البقاء على العهد



فلو قد وفوا كانوا أسارى حقوقهم نراوح ما بين النسيئة و النقد

و قد تمثّل القاضى أبو بركات فى مخاطبة له للسان الدين بقول القائل: [السريع]

أيتها النفس إليه أذهبى فحبّه المشهور من مذهبى

أيأسنى التوبة من حبّه طلوعه شمسا من المغرب

و حكى غير واحد منهم ابن داود البلوى أنّ القاضى أبا البركات لمّا عزم على الرحلة إلى المشرق كتب إليه ابن خاتمة بما صورته: [الوافر]

أشمس الغرب، حقا ما سمعنا بأنك قد سئمت من الإقامه

و أنك قد عزمت على طلوع إلى شرق سموت به علامه

لقد زلزلت منا كلّ قلب بحقّ اللّه لا تقم القيامه

قال الحاكى: فحلف أبو البركات أن لا يرحل من إقليم فيه من يقول مثل هذا، انتهى.

يشير بقوله «لقد زلزلت- الخ» إلى طلوع الشمس من مغربها.

قلت: و لما عزمت على هذه الرحلة كتب إلىّ بعض أصحابنا المغاربة بالأبيات المذكورة متمثّلا، و لم أرجع عن العزم، و اللّه غالب على أمره.

قال الوزير لسان الدين رحمه اللّه تعالى: و ما أحسن قول شيخنا أبى البركات معتذرا عن زرقة عينيه: [الكامل]

حزنت عليك العين يا مغنى الهوى فالدمع منها بعد بعدك ما رقا

و لذاك ما ظهرت بلون أزرق أو ما ترى ثوب المآتم أزرقا

قال رحمه اللّه تعالى: و هو من الغريب.

و قال بعض الشيوخ: كنت أقرأ على الشيخ أبى البركات التفسير، فنسيت ذات ليلة السّفر الذى كنت أقرأ فيه بمنزلى، فاتّفق أن حضر الجامع الصحيح للبخارى، فقال الشيخ بعد أن أردت القراءة عليه من أوله: افتح فى أثناء الأوراق و لا تعين، و ما خرج لك من ترجمة لجهة اليمين فاقرأها، ففعلت، فإذا غزوة أحد، فقرأت الحديث الأول من الباب، و هو من عقبة بن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷

عامر قال: إنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، صلّى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودّع للأحياء و الأموات، ثم طلع المنبر فقال: «إنّى بين أيديكم فرط، و أنا شهيد عليكم، و إنّ موعدكم الحوض، و إنّى لأنظر إليه من مقامى هذا، و إنّى لست أخشى عليكم أن تشركوا، و لكنّى أخشى عليكم الدّنيا أن تنافسوها» قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقال الشيخ قوله «صلى على قتلى أحد» لفظ الصلاة يطلق لغة على الدعاء، و شرعا على الأفعال المخصوصة المعلومة، و إذا دار اللفظ بين الشرعى و اللغوى فحمله على الشرعى أولى حتى يدلّ الدليل على خلافه، فقوله «صلّى على قتلى أحد» يحتمل الصلاة الشرعية، و يكون ذلك منسوخا إذ قد تقرر أنه لا يصلّى على شهيد المعترك و لا على من قد صلّى عليه، و لمن يعارضه أن يقول: إنّ قتلى أحد متفرّقون فى أماكن، فلا تتأتّى الصلاة الشرعية عليهم، إذ الصلاة الشرعية إنما تتأتى لو كانوا مجتمعين، و الجواب أنهم و إن كانوا متفرّقين تجمعهم جهة واحدة، و ليس بعد ما بينهم بحيث لا تتأتى معه الصلاة عليهم، هذا، و إن احتمل حمله على الصلاة اللغوية. و قوله «كالمودع للأحياء و الأموات» أما وداعه للأحياء فلا إشكال فيه، و أما الأموات فمعنى وداعه لهم وداع الدعاء لهم؛ لأنه إذا مات فقد حيل بينه و بين الدعاء لهم، فلا جرم يودعهم بالدعاء لهم قبل أن يحال بينه و بين ذلك. و قوله صلى اللّه عليه و سلم «إنّى بين أيديكم» أى أتقدّم قبلكم، و قوله صلى اللّه عليه و سلم «بين أيّديكم فرط» أى متقدّم، و بين إذا أضيفت إلى الأيدى تستعمل فيما قبل زمانك و فيما بعده، و المعنى هنا فى قوله «بين أيديكم» أى أتقدم قبلكم. و قوله صلى اللّه عليه و سلم «و أنا شهيد عليكم» فيه و جهان، أحدهما: أن يخلق اللّه فى قلبه علما ضروريا يميز به بين البرّ و الفاجر، فيشهد بما خلق اللّه فى قلبه من ذلك، إذ لا تكون الشهادة إلّا على أمر مشاهد، و معلوم أنه لم يشاهد ما فعل بعده من أمته فيخلق اللّه له علما بذلك، الوجه الثانى: أن يخبره اللّه تعالى بذلك كما فى حديث الحوض «ليذادنّ عنه أقوام، كما يذاد البعير الضّالّ» فأقول: ألا هلم، ألا هلم، فيقال:

إنهم قد غيروا بعدك، فأقول: فسحقا فسحقا، فيشهد بما أخبره اللّه تعالى به، و هو نظير ما روى فى تفسير قوله تعالى وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً [سورة البقرة، الآية: ۱۴۳] من أنّ قوم نوح يقولون: كيف تشهدون علينا و زمانكم متأخّر عن زماننا؟ فيقولون: لأنّ اللّه تعالى قصّ علينا أخباركم فى كتابه، فقال إِنَّا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۸

أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ [سورة نوح، الآية: ۱] إلى آخره و قوله صلى اللّه عليه و سلم «و إنّ موعدكم الحوض، و إنّى لأنظر إليه من مقامى هذا» نظره صلى اللّه عليه و سلم إلى الحوض فيه و جهان، أحدهما: أن يكون نظره إليه بقلبه، إذ كان قد أطلعه اللّه عليه ليلة الإسراء، فصار مرتسما فى قلبه، فيكون نظره إليه بعين قلبه، كما يرتسم فى قلب أحدنا شكل بيته و ما فيه من المتاع و الثياب و غير ذلك، الثانى: أن يكون اللّه تعالى قد كشف له عنه، فيكون نظره إليه بعينه مشاهدة. و قوله صلى اللّه عليه و سلم «و إنّى لست أخشى عليكم أن تشركوا» إن قيل: كيف قال ذلك و قد ارتدّ عن الإسلام من ارتدّ من العرب بعده؟ فالجواب أنه إنما خاطب بذلك من لم يشرك من أصحابه و من بعدهم من التابعين و غيرهم من أمته، و لم يراع رعاع العرب و جهّالهم، إذ لا اعتبار بهم لاحتقارهم. و قوله عليه الصلاة و السلام «و لكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها» قد وقع ما خشى منه عليه الصلاة و السلام من المنافسة فى الدنيا، فكان كما ذكر صلى اللّه عليه و سلم، انتهى.

و حدّث الشيخ أبو البركات قال: كنت ببجاية بمجلس الإمام ناصر الدين المشذالى أيام قراءتى عليه، و قد أفاض طلبة مجلسه بين يديه: هل الملائكة أفضل أم الأنبياء؟ فقلت:

الدليل؛ لأنّ الملائكة أفضل أن اللّه أمرهم بالسجود لآدم، قال: فجعل الطلبة ينظر بعضهم إلى بعض، حتى قال لى بعضهم: استند يا سيدنا، كأنه يقول: استند إلى حائط ليزول هوس رأسك، و كانت عبارتهم فى ذلك، و كل منهم يقول لى نحو ذلك إزراء، و قال لى الإمام ناصر الدين: أبصر فإنهم يقولون لك الحق، و كانت لغته أن يقول: أبصر، قال: فقلت:

أ تقولون إن أمر اللّه للملائكة بالسجود لآدم أمر ابتلاء و اختبار؟ قالوا: نعم، قلت: أفيختبر العبد بتقبيل يد سيّده ليرى تواضعه؟ قالوا: لا، فإن ذلك من شأن العبد دون أن يؤمر، بل السيد يختبر تواضعه بأن يؤمر بالسجود للعبد، قلت: فكذا الملائكة، لو أمرت بالسجود لأفضل منها لكان بمنزلة أمر العبد بالسجود لسيده، قال: فكأنما ألقمتهم حجرا.

قال الشيخ أبو البركات: و هذه كحكاية أبى بكر بن الطيب مع بعض رؤساء المعتزلة، و ذلك أنه اجتمع معه فى مجلس الخليفة، فناظره فى مسألة رؤية البارى، فقال له رئيسهم: ما

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹

الدليل أيها القاضى على جواز رؤية اللّه تعالى؟ قال قوله تعالى لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ فنظر بعض المعتزلة إلى بعض و قالوا: جنّ القاضى، و ذلك أنّ هذه الآية هى معظم ما احتجوا به على مذهبهم، و هو ساكت، ثم قال لهم: أ تقولون إنّ من لسان العرب قولك «الحائط لا يبصر» قالوا: لا. قال: أ تقولون إنّ من لسان العرب «الحجر لا يأكل»؟ قالوا: لا، قال: فلا يصحّ إذا نفى الصفة إلّا عمّا من شأنه صحة إثباتها له، قالوا: نعم، قال: فكذلك قوله تعالى لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [سورة الأنعام، الآية: ۱۰۳] لو لا جواز إدراك الإبصار له لم يصحّ نفيه عنه، فأذعنوا لما قال، و استحسنوه.

و قال الشيخ أبو البركات: كنت ببجاية، و قدم علينا رجل من فاس برسم الحجّ يعرف بابن الحدّاد، فركب الناس فى الأخذ عنه و الرواية لما يحمله كلّ صعب و ذلول، مع أنه لم تكن منزلته هناك فى العلم، فعجبت لذلك، حتى قلت لبعض الطلبة: لقد أخذتموه بكلتا اليدين، و لم أركم مع من هو أعلى قدرا منه كذلك، فقالوا لى: لأنه قدم علينا و نحن لا نعرفه، و هو فى زى حسن؛ بخادم يخدمه، يظنّ من يراه أنّ أباه من أعيان أهل بلده، فسألناه أ حىّ أبوه أم لا؟ قال: بل حىّ، قلنا: أهو من أهل العلم؟ قال: لا، هو دلال فى سوق الخدم، فلذلك آثرناه على من هو فوقه فى العلم، قال: فقلت لهم: حق له أن ترتفع منزلته و يعلو صيته لتخلّقه و فضله.

و فوائد أبى البركات كثيرة.

و من تآليفه «المؤتمن، على أنباء أبناء الزمن»؛ كتاب مفيد جدا، و هو رضى اللّه عنه من ذرية العباس بن مرداس السّلمى صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و على آله و صحبه أجمعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال الشيخ أبو البركات: ذكر لى أنّ الشيخ الفقيه الكاتب أبا الحسن بن الجياب يحدّث عنى، و لا أذكر الآن أنى قلت ذلك، و لكننى لما سمعته علمت أنه ممّا من شأنى أن أقوله و هو أنى قلت: مثل العالم مثل رجل يصبّ ماء فى قفة، إن واظب على صبّ الماء بقيت القفة ملأى، و إن ترك صبّ الماء بقيت القفة لا شىء فيها من الماء؛ فكذلك العالم: إن واظب على طلب العلم بقى العلم لم ينقص منه شىء، و إن ترك الطلب ذهب علمه، انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰

و نقلت ممّن رأى كلام ابن الصباغ فى ترجمة أبى البركات ما نصّه: لما ورد مدينة فاس فى غرض الهناء و العزاء على أمير المسلمين أبى بكر السعيد بن أمير المؤمنين أبى عنان، و أبصر الدار غاصّة بأرباب الدولة الفاسية و لم يعدم منها عدا شخصه، و الولد على أريكة أبيه أنشد: [الكامل]

لمّا تبدّلت المجالس أوجها غير الذين عهدت من جلسائها

و رأيتها محفوفة بسوى الألى كانوا حماة صدورها و بنائها

أنشدت بيتا سائرا متقدّما و العين قد شرقت بجارى مائها

(أمّا القباب فإنها كقبابهم و أرى نساء الحىّ غير نسائها)

و أظن أنه تمثّل بالأبيات فى سرّه، و إلّا فيبعد أن يقولها فى ذلك الحفل لما فى ذلك من التعرّض للهلك، و اللّه سبحانه أعلم.

و حكى بعضهم أنه كان جالسا فى دهليز بيته مع بعض الأصحاب، فدخلت زوجته من الحمّام و هى بغير سراويل لقرب الحمام من البيت، فانكشف ساقها، فدخل خلفها مسرعا، و غاب ساعة ثم خرج و أنشد: [الكامل]

كشفت على ساق لها فرأيته متلألئا كالجوهر البراق

لا تعجبوا إن قام منه قيامتى إنّ القيامة يوم كشف الساق

و له فى خديم اسمه يحيى احتجم محجمة واحدة: [الطويل]

أرانى يحيى صنعة فى قفائه مهذّبة لمّا تبادر للباب

أرى الخمس فيها لا تفارق ساعة فصوّر بالموسى بها شكل محراب

و توفى الشيخ القاضى أبو البركات المذكور بشوّال سنة ۷۷۱ رحمه اللّه تعالى!.

## [من أشياخ لسان الدين أبو زكريا يحيى بن هذيل (ترجمة)]

و من أشياخ لسان الدين، رحمه اللّه تعالى، الشيخ الحكيم العلامة التعاليمى، الشاعر البليغ، أعجوبة زمانه فى الاطلاع على علوم الأوائل، أبو زكريا يحيى بن هذيل، و قد قال فى «الإحاطة» فى حقّه ما ملخّصه: يحيى بن أحمد بن هذيل، التجيبى، أبو زكريا، شيخنا، جرى ذكره فى «التاج المحلى» بما نصّه: درّة بين الناس مغفلة، و خزانة على كل فائدة مقفلة،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۱

و هدية من الدهر الضنين لبنيه محتفلة، أبدع من رتب التعاليم و علمها، و ركض فى الألواح قلمها، و أتقن من صور الهيئة و مثّلها، و أسّس قواعد البراهين و أثّلها، و أعرف من زاول شكاية، و دفع عن جسم نكاية، إلى غير ذلك من المشاركة فى العلوم، و الوصول من المجهول إلى المعلوم، و المحاضرة المستفزة للحلوم، و الدعابة التى ما خالع العذار فيها بالملوم، فما شئت من نفس عذبة الشيم، و

أخلاق كالزهر من بعد الدّيم، و محاضرة تتحف المجالس و المحاضر، و مذاكرة يروق فى النواظر زهرها الناضر، و له أدب ذهب فى الإجادة كلّ مذهب، و ارتدى من البلاغة بكلّ رداء مذهب، و الأدب نقطة من حوضه، و زهرة من زهرات روضه، و سيمرّ له فى هذا الديوان ما يبهر العقول، و يحاسن بروائة و رائق بهائه الفرند المصقول، فمن ذلك ما خرجته من ديوانه المسمّى بالسليمانيات و العزفيات قوله: [الطويل]

ألا استودع الرحمن بدرا مكمّلا بفاس من الدرب الطويل مطالعه

ففى فلك الأزرار يطلع سعده و فى أفق الأكبار تلفى مواقعه

يصيّر مرآه منجّم مقلتى فتصدق فى قطع الرجاء قواطعه

تجسّم من ماء الملاحة خدّه و ماء الحيا فيه ترجرج مائعه

تلوّن كالحرباء فى خجلاته فيحمرّ قانيه و يبيضّ ناصعه

إذا اهتزّ غنّى حليه فوق نحره كغصن النّقا غنّت عليه سواجعه

يذكر حتف الصّبّ عامل قدّه و تعطف من واو العذار توابعه

أعدّ الورى سيفا كسيف لحاظه فهذا هو الماضى و ذاك يضارعه

و قال: [الطويل]

و صالك هذا أم تحيّة بارق و هجرك أم ليل السليم لتائق

أياديك و الأشواق تركض حجرها بصفحة خدّى من دموع سوابق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۲

أبارق ثغر من عذيب رضابه قضت مهجتى بين العذيب و بارق

و منها:

فلا تتعبن ريح الصّبا فى رسالة و لا تخجل الطّيف الذى كان طارقى

متى طعمت عينى الكرى بعد بعدكم فإنى فى دعوى الهوى غير صادق

و قال: [الطويل]

بدا بدر تمّ فوقه الليل عسعسا و جنّة أنس فى صباح تنفّسا

حوى النجم قرطا و الدرارى مقلّدا و أسبل من مسك الذوائب حندسا

كأنّ سنا الإصباح رام يزورنا و خاف العيون الرامقات فغلّسا

أتى يحمل التوراة ظبيا مزنّرا لطيف التثنى أشنب الثّغر ألعسا

و قابل أحبار اليهود بوجهه فبارك مولانا عليه و قدّسا

فصيّر دمعى أعينا شرب سبطه و عمرى تيها و الجوانح مقدسا

و قال منها:

رويت و لوعى عن ضلوعى مسلسلا فأصبحت فى علم الغرام مدرّسا

نفى النوم عنى كى أكون مسهدا فأصبحت فى صيد الخيال مهندسا

غزال من الفردوس تسقيه أدمعى و يأوى إلى قلبى مقيلا و مكنسا

طغى ورد خدّيه بجنّات صدغه فأضعفه بالآس نبتا و ما أسا

و هذا البيت محال على معنى فلاحى، قال أهل الفلاحة: إنّ الآس إذا اغترس بين شجر الورد أضعفه بالخاصية.

و قال رحمه اللّه تعالى و رضى عنه: [الرمل]

نام طفل النبت فى حجر النّعامى لاهتزاز الطّلّ فى مهد الخزامى

و سقى الوسمىّ أغصان النّقا فهوت تلثم أفواه الندامى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص۳۲

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۳

كحّل الفجر لهم جفن الدّجى و غدا فى و جنة الصّبح لثاما

تحسب البدر محيّا ثمل قد سقته راحة الصبح مداما

حوله الزهر كؤوس قد غدت مسكة الليل عليهنّ ختاما

يا عليل الريح رفقا علّنى أشف بالسقم الذى حزت سقاما

أبلغن شوقى عريبا باللّوى همت فى أرض بها حلّوا غراما

فرشوا فيها من الدّرّ حصى ضربوا فيها من المسك خياما

كنت أشفى غلّة من صدّكم لو أذنتم لجفونى أن تناما

و استفدت الرّوح من ريح الصّبا لو أتت تحمل من سلمى سلاما

و قال منها أيضا:

نشأت للصّبّ منها زفرة تسكب الدمع على الرّبع سجاما

طرب البرق مع القلب بها و بها الأنّات طارحن الحماما

طلل لا تشتفى الأذن به و هو للعينين قد ألقى كلاما

ترك الساكن لى من وصله ضمّة الجدران لثما و التزاما

نزعات من سليمان بها فهم القلب معانيها فهاما

شادن يرعى حشاشات الحشا حسب حظّى منه أن أرعى الذّماما

و قال: [الطويل]

أ أرجو أمانا منك و اللحظ غادر و يثبت عقلى فيك و الطرف ساحر

و منها:

أعدّ سليمان أليم عذابه لطائر قلبى فهو للبين صائر

أشاهد منه الحسن فى كلّ نظرة و ناظر أفكارى بمغناه ناظر

دعت للهوى أنصار سحر جفونه فقلبى له عن طيب نفس مهاجر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۴

إذا شقّ عن بدر الدجى أفق زرّه فإنى بتمويه العواذل كافر

و فى حرم السّلوان طابت خواطرى و قلبى لما فى و جنتيه مجاور

و قد ينزع القلب المبلّى لسلوة كما اهتزّ من قطر الغمامة طائر

يقابل أغراضى بضدّ مرادها و لم يدر أنّ الضّدّ للضّدّ قاهر

و نار اشتياقى صعّدت مزن أدمعى فمضمر سرّى فوق خدّىّ ظاهر

و قد كنت باكى العين و البين غائب فقل لى كيف الدمع و البين حاضر

و ليس النوى بالطبع مرّا، و إنما لكثرة ما شقّت عليه المرائر

و قال: [الكامل]

يا بارقا قاد الخيال فأومضا اقصد بطيفك مدنفا قد غمّضا

ذاك الذى قد كنت تعهد نائما بالسّهد من بعد الأحبّة عوّضا

لا تحسبنّى معرضا عن طيفه لكن منامى عن جفونى أعرضا

و منها:

عجب الوشاة لمهجتى أن لم تذب يوم النّوى و تشكّكت فيما مضى

خفيت لهم من سرّ صبرى آية ما فهّمت إلّا سليمان الرّضا

للّه درّك ناهجا سبل الهوى فلمثله أمر الهوى قد فوّضا

أمّنت نملا فوق خدّك سارحا و سللت سيفا من جفونك منتضى

و قال فى المدح: [الطويل]

حريص على جرّ الذوائب و القنا إذا كعّت الأبطال و الجوّ عابس

و تعتنق الأبطال، لو لا سقوطها لقلت لتوديع أتته الفوارس

إذا اختطفتهم كفّه فسروجهم مجال، و هم فى راحتيه فرائس

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۵

و قال يمدح السلطان أبا الوليد بن نصر عند قدومه من فتح أشكر: [الطويل]

بحيث البنود الحمر و الأسد الورد كتائب، سكّان السماء لها جند

و تحت لواء النصر ملك هو الورى تضيق به الدنيا إذا راح أو يغدو

تأمّنت الأرواح فى ظلّ بنده كأنّ جناح الروح من فوقه بند

فلو رام إدراك النجوم لنالها و لو همّ لانقادت له السّند و الهند

و منها:

بعينى بحر النّقع تحت أسنّة تنمنمه وهنا كما نمنم البرد

سماء عجاج و الأسنّة شهبها و وقع القنا رعد إذا برق الهند

و ظنوا بأنّ الرعد و الصّعق فى السما محاق به من أيده الصّعق و الرعد

عجائب أشكال سما هرمس بها مهندسة تأتى الجبال فتنهدّ

ألا إنها الدنيا تريك عجائبا و ما فى القوى منها فلا بدّ أن يبدو

و قال و هو معتقل: [الطويل]

تباعد عنى منزل و حبيب و هاج اشتياقى و المزار قريب

و أنى على قرب الحبيب مع النوى يكاد إذا اشتدّ الأنين يجيب

لقد بعدت عنى ديار قريبة عجبت لجار الجنب و هو غريب

أعاشر أقواما تقرّ نفوسهم فللهمّ فيها عند ذاك ضروب

إذا شعروا من جارهم بتأوّه أجابته منهم زفرة و نحيب

فلا ذاك يشكو همّ هذا تأسّفا لكلّ امرئ مما دهاه نصيب

كأنى فى غاب الليوث مسالم يروّعنى منه الغداة وثوب

يحكم فيها الدهر و العقل حاضر بكلّ قياس و الأديب أديب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۶

و لو مال بالجهّال ميلته بنا لجاء بعذر؛ إنّ ذا لعجيب

رفيق بمن لا ينثنى عن جريمة بطوش بمن ما أوبقته ذنوب

و يطمعنا منه بوارق خلّب تقول عساه يرعوى فيؤوب

إذا ما تشبّثنا بأذيال برده دهتنا إذا جرّ الخطوب خطوب

أدار علينا صولجانا، و لم يكن سوى أنه بالحادثات لعوب

و منها:

أيا دهر، إنى قد سئمت تهدّفى أجرنى فإنّ السهم منك مصيب

إذا خفق البرق الطروق أجابه فؤادى و دمع المقلتين سكوب

و إن طلع الكفّ الخضيب سحيرة فدمعى بحنّاء الدماء خضيب

تذكّرنى الأسحار دارا ألفتها فيشتدّ حزنى و الحمام طروب

إذا علقت نفسى بليت و ربما تكاد تفيض أو تكاد تذوب

دعوتك ربّى و الدعاء ضراعة و أنت تناجى بالدعا فتجيب

لئن كان عقبى الصبر فوزا و غبطة فإنى على الصبر الجميل دروب

قال: و بعثت إليه هدية من البادية، فقال يصف منها ديكا: [المنسرح]

أيا صديقا جعلته سندا فراح فيما أحبّه و غدا

طلبت منكم سريدكا خنثا و جئتم لى مكانه لبدا

صيّر منى مؤرخا و لكم ظللت فى علمه من البلدا

قلت له: آدم أتعرفه؟ قال: حفيدى بعصرنا ولدا

نوح و طوفانه رأيتهما قال: علونا بفيضه أحدا

فقلت: هل لى بجرهم خير؟ فقال: قومى و جيرتى السّعدا

فقلت: قحطان هل مررت به؟ قال: نفثنا ببرده العقدا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۷

فقلت: صف لى سبا و ساكنها فعند هذا تنفّس الصّعدا

فقال: كم لى بدجنهم سحرا من صرخة لى و للنؤوم هدا

فقلت: هاروت هل سمعت به؟ فقال: ريشى لسهمه نفدا

فقلت: كسرى و آل شرعته؟ فقال: كنّا بجيشه وفدا

و لّوا و صاروا وها أنا لبد فهل رأيتم من فوقهم أحدا

ديك إذا ما انثنى لفكرته رأى وجودا طرائقا قددا

يرفل فى طيلسانه و لها و قد صيّر الدهر لونه كمدا

إذا دجا الليل غاب هيكله كأنّ حبرا عليه قد جمدا

كأنما جلّنار لحيته برجان جازا من الهواء مدى

كأنّ حصنا علا بهامته أعدّه للقتال فيه عدا

يرنو بياقوتتى لواحظه كأنما اللحظ منه قد رمدا

كأنّ منجالتى ذوائبه قوس سماء من أصله بعدا

و عوسج مدّ من مخالبه طغى بها فى نقاره وعدا

فذاك ديك جلّت محاسنه له صراخ بين الديوك بدا

يطلبنى بالذى فعلت به فكم فللنا بلبّتيه مدى

وجّهته محنة لآكله و اللّه ما كان ذاك منك سدى

و لم نزل بعد نستعدى عليه فإقراره بقتله، و نطلبه بالقود عند تصرّفه بالعمل، فيوجه الدية لنا فى ذلك رسائل.

و قال فى غرض أبى نواس: [الطويل]

طرقنا ديور القوم وهنا و تغليسا و قد شرّفوا الناسوت إذ عبدوا عيسى



و قد رفعوا الإنجيل فوق رؤوسهم و قد قدّسوا الروح المقدّس تقديسا

فما استيقظوا إلّا لصكّة بابهم فأدهش رهبانا و روّع قسّيسا

و قام بها البطريق يسعى ملبّيا و قد لبّن الناقوس رفعا و تأنيسا

فقلنا له أمنا فإنّا عصابة أتينا لتثليث و إن شئت تسديسا

و ما قصدنا إلّا الكؤوس و إنما لحنّا له فى القول خبثا و تدليسا

ففتّحت الأبواب بالرحب منهم و عرّس طلاب المدامة تعريسا

فلمّا رأى رقّى أمامى و مزهرى دعانى أتأنيسا لحنت و تلبيسا

و قام إلى دنّ يفضّ ختامه فكبّس أجرام الغياهب تكبيسا

و طاف بها رطب البنان مزنّر فأبصرت عبدا صيّر الحرّ مرءوسا

سلافا حواها القار لبسا فخلتها مثالا من الياقوت فى الحبر مغموسا

و منها:

إلى أن سطا بالقوم سلطان نومهم و رأس فتيل الشمع نكّس تنكيسا

وثبت إليه بالعناق فقال لى: بحقّ الهوى هب لى من الضّمّ تنفيسا

كتبت بدمع العين صفحة خدّه فطلّس حبر الشعر كتبى تطليسا

فبئس الذى احتلنا، و كدنا عليهم و بئس الذى قد أضمروا قبل ذا بيسا

فبتنا يرانا اللّه شرّ عصابة نطيع بعصيان الشريعة إبليسا

و قال بديهة فى غزالة من النحاس ترمى الماء على بركة: [الكامل]

عنّت لنا من وحش وجرة ظبية جاءت لورد الماء ملء عنانها

و أظنّها إذ حدّدت آذانها ريعت بنا فتوقفت بمكانها

حيّت بقرنى رأسها إذ لم تجد يوم اللقاء تحية ببنانها

حنّت على الندمان من إفلاسهم فرمت قضيب لجينها لحنانها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۹

للّه درّ غزالة أبدت لنا درّ الحباب تصوغه بلسانها

قال لسان الدين: و فلج المذكور، فلزم منزلى لمكان فضله و وجوب حقّه، و قد كانت زوجه توفّيت، و صحبه عليها وجد، فلمّا ثقل و قربت وفاته استدعانى و كاد لسانه لا يبين، فأوصانى و قال: [الطويل]

إذا متّ فادفنّى حذاء حليلتى يخالط عظمى فى التراب عظامها

و لا تدفننّى فى البقيع فإننى أريد إلى يوم الحساب التزامها

و رتّب ضريحى كيفما شاءه الهوى تكون أمامى أو أكون أمامها

لعل إله العرش يجبر صدعتى فيعلى مقامى عنده و مقامها

و مات رحمه اللّه تعالى فى الخامس و العشرين لذى قعدة عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، و دفن بحذاء زوجه كما عهد رحمه اللّه تعالى، انتهى.

و من نظم ابن هذيل: [الوافر]

و ظبى زارنى و الليل طفل إلى أن لاح لى منه اكتهال

و ألغى الشكّ من وصل فقلنا بليل الشكّ يرتقب الهلال

## [و منهم الوزير أبو بكر محمد بن ذى الوزارتين أبى عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندى]

و من أشياخ لسان الدين: الشيخ أبو بكر بن ذى الوزارتين، و هو أعنى أبا بكر، الوزير الكاتب الأديب الفاضل المشارك المتفنن المتبحر فى الفنون، أبو بكر محمد بن الشيخ الشهير ذى الوزارتين أبى عبد اللّه الحكيم الرندى، و من نظمه قوله: [الطويل]

تصبّر إذا ما أدركتك ملمّة فصنع إله العالمين عجيب

ما يلحق الإنسان عار بنكبة ينكّب فيها صاحب و حبيب

ففى من مضى للمرء ذى العقل أسوة و عيش كرام الناس ليس يطيب

و يوشك أن تهمى سحائب نعمة فيخصب ربع للسرور جديب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۴۰

إلهك يا هذا قريب لمن دعا و كلّ الذى عند القريب قريب

قال ابن خاتمة: و أنشدنى الوزير أبو بكر مقدمه على ألمرية غازيا مع الجيش المنصور قال: أنشدنى أبى: [الطويل]

و لمّا رأيت الشّيب حلّ بمفرقى نذيرا بترحال الشباب المفارق

رجعت إلى نفسى فقلت لها انظرى إلى ما أرى، هذا ابتداء الحقائق

و بيتهم بيت كبير، و أخذ عن غير واحد و عن والده، و هو ذو الوزارتين أبو عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى، اللخمى، الرندى، الكاتب البليغ الأديب الشهير الذكر بالأندلس، و أصل سلفه من إشبيلية من أعيانها، ثم انتقلوا إلى رندة فى دولة بنى عباد، و يحيى جدّ والده هو المعروف بالحكيم لطبه، و قدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبى عبد اللّه محمد بن محمد بن نصر إثر قفوله من الحج فى رحلته التى رافق فيها العلامة أبا عبد اللّه بن رشيد الفهرى، فألحقه السلطان بكتابه، و أقام يكتب له فى ديوان الإنشاء إلى أن توفى هذا السلطان و تقلّد الملك بعده ولى عهده أبو عبد اللّه المخلوع، فقلّده الوزارة و الكتابة، و أشرك معه فى الوزارة أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدانى، فلمّا توفى أبو سلطان أفرده السلطان بالوزارة، و لقبه ذا الوزارتين، و صار صاحب أمره إلى أن توفى بحضرة غرناطة قتيلا نفعه اللّه تعالى غدوة يوم الفطر مستهلّ شوال سنة ثمان و سبعمائة، و ذلك لتاريخ خلع

سلطانه و خلافة أخيه أمير المسلمين أبى الجيوش مكانه، و مولده برندة سنة ستين و ستمائة. و كان رحمه اللّه تعالى علما فى الفضيلة و السراوة و مكارم الأخلاق، كريم النفس، واسع الإيثار، متين الحرمة، عالى الهمّة، كاتبا بليغا أديبا شاعرا، حسن الخطّ، يكتب خطوطا على أنواع كلّها جميلة الانطباع، خطيبا فصيح القلم، زاكى الشيم، مؤثرا لأهل العلم و الأدب، برّا بأهل الفضل و الحسب، نفقت بمدّته للفضائل أسواق، و أشرقت بإمداده للأفاضل آفاق.

و رحل للمشرق كما سبق، فكانت إجازته البحر من ألمرية، فقضى فريضة الحج، و أخذ عمّن لقى هنالك من الشيوخ، فمشيخته متوافرة، و كان رفيقه- كما مرّ- الخطيب أبا عبد اللّه بن رشيد الفهرى، فتعاونا على هذا الغرض، و قضيا منه كل نفل و مفترض، و اشتركا فيمن أخذا عنه من الأعلام، فى كل مقام، و كانت له عناية بالرواية و ولوع بالأدب، و صبابة باقتناء الكتب، جمع من أمهاتها العتيقة، و أصولها الرائقة الأنيقة، ما لم يجمعه فى تلك الأعصر أحد سواه، و لا ظفرت به يداه، أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحاق بن أبى العاصى، و تدبّج معه رفيقه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۴۱

أبو عبد اللّه بن رشيد و غير واحد، و كان ممدحا، و ممّن مدحه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى و الرئيس أبو الحسن بن الجياب، و ناهيك بهما.

### [مما مدح به أبو الحسن بن الجياب الوزير أبا بكر بن الحكيم]

و من بديع مدح ابن الجياب له قصيدة رائية رائقة يهنيه فيها بعيد الفطر منها فى أولها:

[البسيط]

يا قادما عمّت الدنيا بشائره أهلا بمقدمك الميمون طائره

و مرحبا بك من عيد تحفّ به من السعاد أجناد تظافره

قدمت فالخلق فى نعمى و فى جذل أبدى بك البشر باديه و حاضره

و الأرض قد لبست أثواب سندسها و الروض قد بسمت منه أزاهره

حاكت يد الغيث فى ساحاته حللا لمّا سقاها دراكا منه باكره

فلاح فيها من الأنوار باهرها وفاح فيها من النّوّار عاطره

و قام فيها خطيب الطير مرتجلا و الزهر قد رصّعت منه منابره

موشّى ثوب طواه الدهر آونة فها هو اليوم للأبصار ناشره

فالغصن من نشوة يثنى معاطفه و الطير من طرب تشدو مزاهره

و للكمام انشقاق عن أزاهرها كما بدت لك من خلّ ضمائره

للّه يومك ما أذكى فضائله قامت لدين الهدى فيه شعائره

فكم سريرة فضل فيك قد خبئت و كم جمال بدا للناس ظاهره

فافخر بحقّ على الأيام قاطبة فما لفضلك من ندّ يظاهره

فأنت فى عصرنا كابن الحكيم إذا قيست بفخر أولى العليا مفاخره

يلتاح منه بأفق الملك نور هدى تضاءل الشمس مهما لاح زاهره

مجد صميم على عرش السّماك سما طالت مبانيه و استعلت مظاهره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۴۲

و زارة الدّين و العلم الذى رفعت أعلامه و الندى الفيّاض زاخره

و ليس هذا ببدع من مكارمه ساوت أوائله فيه أواخره

يلقى الأمور بصدر منه منشرح بحر و آراؤه العظمى جواهره

راعى أمور الرعايا معملا نظرا كمثل علياه معدوما نظائره

و الملك سيّر فى تدبيره حكما تنال ما عجزت عنه عساكره

سياسة الحلم لا بطش يكدرها فهو المهيب و ما تخشى بوادره

لا يصدر الملك إلّا عن إشارته فالرّشد لا تتعدّاه مصايره

تجرى الأمور على أقصى إرادته كأنما دهره فيه يشاوره

و كم مقام له فى كلّ مكرمة أنست موارده فيها مصادره

ففضلها طبّق الآفاق أجمعها كأنه مثل قد سار سائره

فليس يجحده إلّا أخو حسد يرى الصباح فيعشى منه ناظره

لا ملك أكبر من ملك يدبّره لا ملك أسعد من ملك يوازره

يا عزّ أمر به اشتدّت مضاربه يا حسن ملك به ازدانت محاضره

تثنى البلاد و أهلوها بما عرفوا و يشهد الدهر آتيه و غابره

بشرى لآمله الموصول مأمله تعسا لحاسده المقطوع دابره

فالعلم قد أشرقت نورا مطالعه و الجود قد أسبلت سحّا مواطره

و الناس فى بشر و الملك فى ظفر عال على كلّ عالى القدر قاهره

و الأرض قد ملئت أمنا جوانبها بيمن من خلصت فيها سرائره

و إلى أياديه من مثنى و موحدة تساجل البحر إن فاضت زواخره

فكلّ يوم تلقّانا عوارفه كساه أمواله الطولى دفاتره

فمن يؤدّى لما أولاه من نعم شكرا و لو أنّ سحبانا يظاهره

يا أيها العيد بادر لثم راحته فلثمها خير مأمول تبادره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۴۳

و افخر بأن قد لقيت ابن الحكيم على عصر يباريك أو دهر تفاخره

ولّى الصيام و قد عظّمت حرمته فأجره لك وافيه و وافره

و أقبل العيد فاستقبل به جذلا و اهنأ به قادما عمّت بشائره

### [من نثر ذى الوزارتين ابن الحكيم و من شعره]

و من نثر ذى الوزارتين آخر إجازة ما صورته: وها أنا أجرى معه على حسن معتقده، و أكله فى هذا الغرض إلى ما رآه بمقتضى تودّده، و أجيز له و لولديه، أقرّ اللّه بهما عينه، و جمع بينهما و بينه، رواية جميع ما نقلته و حملته، و حسن اطّلاعه يفصّل من ذلك ما أجملته، فقد أطلقت لهم الإذن فى جميعه، و أبحت لهم الحمل عنى و لهم الاختيار فى تنويعه، و اللّه سبحانه يخلص أعمالنا لذاته، و يجعلها فى ابتغاء مرضاته، قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامدا للّه عزّ و جلّ، و مصليا و مسلما.

و من شعر ذى الوزارتين ابن الحكيم قوله: [السريع]

ما أحسن العقل و آثاره لو لازم الإنسان إيثاره

يصون بالعقل الفتى نفسه كما يصون الحرّ أسراره

لا سيما إن كان فى غربة يحتاج أن يعرف مقداره

و قوله رحمه اللّه: [البسيط]

إنى لأعسر أحيانا فيلحقنى يسر من اللّه إنّ العسر قد زالا

يقول خير الورى فى سنّة ثبتت «أنفق و لا تخش من ذى العرش إقلالا»

و هو من أحسن ما قال رحمه اللّه.

و من شعر ذى الوزارتين المذكور قوله: [الطويل]

فقدت حياتى بالعراق و من غدا بحال نوى عمّن يحبّ فقد فقد

و من أجل بعدى عن ديار ألفتها جحيم فؤادى قد تلظّى و قد وقد

و قد سبقه إلى هذا القائل: [الطويل]

أوارى أوارى بالدموع تجلّدا و كم رمت إطفاء اللهيب و قد وقد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ۴۴

فلا تعذلوا من غاب عنه حبيبه فمن فقد المحبوب مثلى فقد فقد

كذا رواه ابن خاتمة، و رواه غيره هكذا:

أوارى أوارى و الدموع تبينه و هو الصواب، قال: ابن خاتمة و أنشدنى رئيس الكتّاب الصدر البليغ الفاضل أبو القاسم عبد اللّه بن يوسف بن رضوان البخارى، قال: أنشدنى رئيس الكتّاب الجليل أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمى، قال: أنشدنى رئيس الكتّاب ذو الوزارتين أبو عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم رحمه اللّه: [مجزوء الكامل]

صحّ الكتاب و عنّه و اختم على مكتنّه

و احذر عليه من مخا لسة الرقيب بجفنه

و اجعل لسانك سجنه كيلا ترى فى سجنه

قال ابن خاتمة: و فى سند هذه القطعة نوع غريب من التسلسل.

و حكى أنّ ذا الوزارتين المذكور لما اجتمع مع الجليل الفقيه الكاتب ابن أبى مدين أنشده ابن أبى مدين: [الطويل]

عشقتكم بالسمع قبل لقاكم و سمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه

و حبّبنى ذكر الجليس إليكمو فلمّا التقينا كنتمو فوق وصفه

فأنشده ذو الوزارتين بن الحكيم: [البسيط]

ما زلت أسمع عن علياك كلّ سنا أبهى من الشمس أو أجلى من القمر

حتى رأى بصرى فوق الذى سمعت أذنى فوفّق بين السّمع و البصر

و يعجبنى فى قريب من هذا المعنى قول الحاج الكاتب أبى إسحاق الحساوى رحمه اللّه: [البسيط]

سحر البيان بنانى صار يعقده و النّفث فى عقده من منطقى الحسن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ۴۵

لا أنشد المرء يلقانى و يبصرنى أنا المعيدىّ فاسمع بى و لا ترنى

## [ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم (عن عائد الصلة) لابن الخطيب]

رجع- و قال لسان الدين فى «عائد الصلة» فى حق ذى الوزارتين ابن الحكيم ما صورته: كان رحمه اللّه فريد دهره سماحة، و بشاشة، و لوذعيّة، و انطباعا، رقيق الحاشية، نافذ العزمة، مهتزّا للمديح، طلقا للآمل، كهفا للغريب، برمكى المائدة مهلّبى الحلوى، ريّان من الأدب، مضطلعا بالرواية، مستكثرا من الفائدة، يقوم على المسائل الفقهية، و يتقدّم الناس فى باب التحسين و التقبيح، و رفع راية الحديث و التحديث، نفّق بضاعة الطلب، و أحيا معالم الأدب، و أكرم العلم و العلماء، و لم تشغله السياسة عن النظر، و لا عاقه تدبير الملك عن المطالعة و السماع، و أفرط فى اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها، و أثرت أنديته من ذخائرها. قام له الدهر على رجل، و أخدمه صدور البيوتات و أعلام الرياسات، و خوطب من البلاد النازحة، و أمّل فى الآفاق النائية؛ انتهى المقصود منه.

و من أحسن ما رثى به الوزير ابن الحكيم رحمه اللّه قول بعضهم: [مجزوء الكامل]

قتلوك ظلما و اعتدوا فى فعلهم حدّ الوجوب

و رموك أشلاء، و ذا أمر قضته لك الغيوب

إن لم يكن لك سيدى قبر فقبرك فى القلوب

## [رحلة ابن الحكيم (عن الإحاطة) للسان الدين]

و قال لسان الدين فى «الإحاطة» فى حق رحلة ذى الوزارتين ابن الحكيم ما صورته:

رحل إلى الحجاز الشريف من بلده على فتاء سنّه أوّل عام ثلاثة و ثمانين و ستمائة، فحجّ و زار، و تجوّل فى بلاد المشرق منتجعا عوالى الرواية فى مظانّها، و منقّرا عنها عند مسنّى شيوخها، و قيّد الأناشيد الغريبة و الأبيات المرقصة، و أقام بمكة شرّفها اللّه من شهر رمضان إلى انقضاء الموسم، فأخذ بها عن جماعة، و انصرف إلى المدينة المشرفة، ثم قفل مع الركب الشامى إلى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۴۶

دمشق، ثم كرّ إلى المغرب، لا- يمرّ بمجلس علم أو تعلّم إلّا روى أو روّى، و احتلّ رندة حرسها اللّه أواخر عام خمسة و ثمانين و ستمائة، فأقام بها عينا فى قرابته، و علما فى أهله، معظّما لديهم، إلى أن أوقع السلطان بالوزراء من بنى حبيب الوقيعة البرمكية. و ورد رندة فى أثر ذلك، فتعرّض إليه و هنّأه بقصيدة طويلة من أوليات شعره أوّلها: [الرمل]

هل إلى ردّ عشيّات الوصال سبب أم ذاك من ضرب المحال

فلما أنشدها إياه أعجب به و بحسن خطّه و نصاعة ظرفه، فأثنى عليه، و استدعاه إلى الوفادة على حضرته، فوفد آخر عام ستة و ثمانين، فأثبته فى خواصّ دولته، و أحظاه لديه، إلى أن رقّاه إلى كتابة الإنشاء ببابه. و استمرّت حاله معظّم القدر، مخصوصا بالمزية، إلى أن توفى السلطان ثانى الملوك من بنى نصر، و تقلّد الملك بعده ولى عهده أبو عبد اللّه، فزاد فى إحظائه و تقريبه، و جمع له بين الكتابة و الوزارة، و لقّبه بذى الوزارتين، و أعطاه العلامة، و قلّده الأمر، فبعد الصيت و طاب الذكر، إلى أن كان من أمره ما كان، انتهى ملخصا.

## [شىء من ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم، و عن الإحاطة]

و قال فى «الإحاطة» بعد كلام طويل فى ترجمته: قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ولده: وجدت بخطّه رحمه اللّه تعالى رسالة خاطب بها أخاه الأكبر أبا إسحاق إبراهيم افتتحها بقصيدة أوّلها: [الكامل]

ذكر اللّوى شوقا إلى أقماره فقضى أسى أو كاد من تذكاره

و علا زفير حريق نار ضلوعه فرمى على و جناته بشراره

و قد ذكرناها فى غير هذا المحلّ.

و من نظمه مما يكتب على قوس: [الكامل]

أنا عدّة للدين فى يد من غدا للّه منتصرا على أعدائه

أحكى الهلال و أسهمى فى رجمها لمن اعتدى تحكى نجوم سمائه

قد جاء فى القرآن أنى عدّة إذ نصّ خير الخلق محكم آيه

و إذا العدو أصابه سهمى فقد سبق القضاء بهلكه و فنائه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۴۷

قال لسان الدين: و من توقيعه ما نقلته من خطّ ولده، يعنى أبا بكر، فى كتابه المسمّى ب «الموارد المستعذبة» و كان بوادى آش الفقيه الطريفى، فكتب إلى خاصة والدى أبى جعفر بن داود، قصيدة على رويّ السين، يتشكّى فيها من مشرف بلدهم إذ ذاك أبى القاسم بن حسان منها: [البسيط]

فيا صفىّ أبى العباس، كيف ترى و أنت أكيس من فيها من أكياس

ولّوه إن كان ممّن ترتضون به فقد دنا الفتح للأشراف فى فاس

و منها يستطرد ذكر ذى الوزارتين:

للشرق فضل فمنه أشرقت شهب من نورهم أقبسونا كلّ مقباس

فوقع عليها رحمه اللّه تعالى: [البسيط]

إن أفرطت بابن حسان غوائله فالأمر يكسوه ثوب الذكر و الباس

و إن تزلّ به فى جوره قدم كان الجزاء له ضربا على الراس

فقد أقامنى المولى بنعمته لبثّ أحكامه بالعدل فى الناس

ثم أطال فى أمره، إلى أن قال فى ترجمة قتله ما صورته: و استولت يد الغوغاء على منازله، شغلهم بها مدبّر الفتنة خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره، فضاع بها مال لا يكتب، و عروض لا يعلم لها قيمة من الكتب و الذخيرة و الفرش و الآنية و السلاح و المتاع و الخرثىّ، و أخفرت ذمّته، و تعدى به عدوّه القتل إلى المثلة، و قانا اللّه مصارع السوء، فطيف بشلوه، و انتهب، فضاع، و لم يقبر، و جرت فيه شناعة كبيرة، رحمه اللّه تعالى! انتهى المقصود منه.

رجع- و من مشايخ لسان الدين الأستاذ أبو الحسن على القيجاطى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۴۸

## [ترجمة أبى الحسن على بن عمر القيجاطى]

و قال فى حقه فى «الإحاطة» ما محصّله: على بن عمر بن إبراهيم بن عبد اللّه الكنانى، القيجاطى، أبو الحسن، أوحد زمانه علما و تخلّقا و تواضعا و تفنّنا. ورد على غرناطة مستدعى عام أثنى عشر و سبعمائة، و قعد بمسجدها الأعظم يقرئ فنونا من العلم من قراءات وفقه و عربية و أدب. و ولّى الخطابة، و ناب عن بعض القضاة بالحضرة، مشكور المأخذ، حسن السّيرة، عظيم النفع، و قصده الناس و أخذوا عنه. و كان أديبا لوذعيّا، فكها حلوا، و هو أول أستاذ قرأت عليه القرآن و العربية و الأدب إثر قراءة المكتب. و له تآليف فى فنون و شعر و نثر، فمن شعره قوله: [الكامل]

روض المشيب تفتّحت أزهاره حتى استبان ثغامه و بهاره

و دجى الشباب قد استبان صباحه و ظلامه قد لاح فيه نهاره

فأتى حمام لا يعاف وقوعه و مضى غراب لا يخاف مطاره

و العمر مثل البدر يبدو حسنه حينا و يعقب بعد ذاك سراره

ما للإخاء تقلّصت أفياؤه ما للصّفاء تكدّرت آثاره

و الحرّ يصفح إن أخلّ خليله و البر يسمح إن تجرأ جاره

فتراه يدفع إن تمكّن جاهه و تراه ينفع إن علا مقداره

و لأنت تعلم أننى زمن الصّبا ما زلت زندا و الحياء سواره

و لأنت تعلم أننى زمن الصّبا ما زلت ممّن عفّ فيه إزاره

و الهجر ما بين الأحبّة لم يزل ترك الكلام أو السلام مثاره

و لكم تجافى عن جفاء خليله فطن، و قد ظفرت به أظفاره

و لكم أصرّ على التدابر مدبر أفضى إلى ندم به إصراره

فأقام كالكسعىّ بان نهاره أو كالفرزدق فارقته نواره

أنكرتم من حقّ معترف لكم بالحقّ ما لا ينبغى إنكاره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۴۹

و الشّرع قد منع التقاطع نصّه قطعا، و قد وردت به أخباره

و السّنّ سنّ تورّع و تبرّع و تسرّع لتشرّع تختاره

ما يومنا من أمسنا متدارك ذهب الشباب فكيف يبقى عاره

هلّا حظرتم أو حذرتم منه ما حقّ عليكم حظره و حذاره

عجبا لمن يجرى هواه لغاية محدودة إضماره مضماره

يأتى ضحى ما كان يأتيه دجى فكأنه ما شاب منه عذاره

فيعدّ ما تفنى به حسناته و يعيد ما تبقى به أوزاره

فالنفس قد أجرته ملء عنانها يشتدّ فى مضمارها إحضاره

و المرء من إخوانه فى جنّة بل جنّة تجرى بها أنهاره

و اليمن قد مدّت إليه يمينه و اليسر قد شدّت عليه يساره

شعر به أشعرت بالنصح الذى يهديه من أشعاره إشعاره

و لو اختبرتم نقده بمحكّة لامتاز بهرجه و لاح نضاره

هذا هدى فيه اقتده تنل المنى أو أنت فى هذا و ما تختاره

و عليكم منى سلام مثل ما أرجت بروض يانع أزهاره

و قال من قصيدة رثائية: [الطويل]

حمام حمام فوق أيك الأسى تشدو تهيج من الأشجان ما أوجد الوجد

و ذلك شجو فى حناجرنا شجى و ذلك هزل فى ضمائرنا جدّ

أرى أرجل الأرزاء تشتدّ نحونا و أيديها تسعى إلينا فتمتدّ

و نحن أولو سهو عن الأمر ما لنا سوى أمل إيجابنا عنده جحد

فإن خطرت للمرء ذكرى بخاطر فتسبيحة الساهى إذا سمع الرعد

مصاب به قدّت قلوب و أنفس لدينا إذا فى غيره قطعت برد

تلين له الصّمّ الصّلاب و تنهمى عيون و يبكى عنده الحجر الصّلد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵۰

فلا مقلة ترنو و لا أذن تعى و لا راحة تعطو و لا قدم تعدو

و قد كان يبدو الصبر منّا تجلّدا و هذا مصاب صبرنا فيه ما يبدو

مولده عام خمسين و ستمائة، و توفى بغرناطة ضحى السبت فى السابع و العشرين لذى حجة عام ثلاثين و سبعمائة، و حضره السلطان فمن دونه، رحمه اللّه تعالى! انتهى.

و منهم العلامة شيخ الشيوخ أبو سعيد فرج بن لب.

## [ترجمة أبى سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب]

قال فى «الإحاطة» فى حقّه ما محصّله: فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، قال ابن الصباغ: من شعر ابن لب يمدح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: [المتقارب]

إذا القلب ثار أثار ادّكارا لقلبى فأذكى عليه أوارا

تروم جفونى لنار الهوى خمودا فتهمى دموعا غزارا

فماء جفونى تسحّ انهمالا و نار فؤادى تهيج استعارا

أطيل العويل صباحا مساء كئيبا، و لست أطيق اصطبارا

رقيت مراقى للحب شتّى فأفنى مرارا و أحيا مرارا

أحنّ اشتياقا لريح سرت و أبدى هياما لبرق أنارا

حنينا و شوقا إلى معلم حوى شرفا خالدا لا يجارى

به أسكن اللّه أسمى الورى نبيّا كريما و صحبا خيارا

هو المصطفى المنتقى المجتبى أرى معجزات و آيا كبارا

يحقّ علينا ركوب البحار وجوب القفار إليه ابتدارا

و منها:

فيا فوز من فاز فى طيبة بلثم المغانى جدارا جدارا

و ألصق خدّا على تربها و أكمل حجّا و اعتمارا

و أهدى السلام لخير الأنام على حين وافى عليه مزارا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵۱

فيا هادى الخلق دار نعيم تناهت جمالا و طابت قرارا

لأنت الوسيلة و المرتجى ليوم يرى الناس فيه سكارى

و ما هم سكارى، و لكنهم دهتهم دواه فهاموا حيارى

ترى المرء للهول من أمّه و من أقربيه يطيل الفرارا

و كلّ يخاف على نفسه فيكسوه خوف الإله انكسارا

فصلّى الإله رسول الهدى عليك، و أبقى هداك منارا

و قدّس ربّى ثرى روضة يعمّ الجهات سناها انتشارا

أعير شذا المسك منها الثرى بك المسك منه شذاه استعارا

هنيئا لمن بهداك اهتدى و مغناك وافى، و إياك زارا

و قصد رحمه اللّه تعالى بهذه القصيدة معارضة قصيدة الشهاب محمود التى نظمها بالحجاز فى طريق المدينة المشرفة على ساكنها الصلاة و السلام، و هى طويلة، و مطلعها:

[المتقارب]

وصلنا السّرى و هجرنا الديارا و جئناك نطوى إليك القفارا

و قد تبارى الشعراء فى هذا الوزن و هذا الروى، و منه القصيدة المشهورة:

أقول و آنست بالحىّ نارا و لابن لب رحمه اللّه تعالى الفتاوى المشهورة.

و قال فى «الإحاطة» فى حقه ما محصله: فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، التغلبى، غرناطى، أبو سعيد، من أهل الخير و الطهارة و الذكاء و الديانة و حسن الخلق، رأس بنفسه، و برز بمزية إدراكه و حفظه، فأصبح حامل لواء التحصيل و عليه مدار الشّورى، و إليه مرجع الفتوى، لقيامه على الفقه، و غزارة علمه و حفظه، إلى المعرفة بالعربية و اللغة، و معرفة التوثيق، و القيام على القراءات، و التبريز فى التفسير، و المشاركة فى الأصلين و الفرائض و الأدب، و جودة الحفظ، و أقرأ بالمدرسة النّصرية فى الثامن و العشرين لرجب عام أربعة و خمسين و سبعمائة، معظّما عند الخاصّة و العامّة، مقرونا اسمه بالتسويد، قعد للتدريس ببلده على وفور

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵۲

الشيوخ، و ولى الخطابة بالجامع. قرأ على القيجاطى، و العربية على ابن الفخار، و أخذ عن ابن جابر الوادى آشى، فمن شعره فى النسب: [الطويل]

خذوا للهوى من قلبى اليوم ما أبقى فما زال قلبى كلّه للهوى رقّا

دعوا القلب يصلى فى لظى الوجد ناره فنار الهوى الكبرى و قلبى هو الأشقى

سلوا اليوم أهل الوجد ما ذا به لقوا فكلّ الذى يلقون بعض الذى ألقى

فإن كان عبد يسأل العتق سيدا فلا أبتغى من مالكى فى الهوى عتقا

بدعوى الهوى يدعو أناس و كلّهم إذا سئلوا طرق الهوى جهلوا الطّرقا

فطرق الهوى شتّى و لكنّ أهله يحوزون فى يوم السّباق بها السبقا

و كم جمعت طرق الهوى بين أهلها و كم أظهرت عند السّوى بينهم فرقا

بسيما الهوى تسمو معارف أهله فحيث ترى سيما الهوى فاعرف الصدقا

فمن زفرة تزجى سحائب عبرة إذا زفرة ترقى فلا عبرة ترقا

إذا سكتوا عن وجدهم أعربت به بواطن أحوال و ما عرفت نطقا

و قال فى وداع شهر رمضان: [الطويل]

أ أزمعت يا شهر الصيام رحيلا و قاربت يا بدر الزمان أفولا

أجدّك قد جدّت بك الآن رحلة رويدك أمسك للوداع قليلا

نزلت فأزمعت الرحيل كأنما نويت رحيلا إذ نويت نزولا

و ما ذاك إلّا أنّ أهلك قد مضوا تفانوا فأبصرت الديار طلولا

تفكّرت فى الأوقات ناشئة التّقى أشدّ به وطأ و أقوم قيلا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵۳

و هى طويلة.

و كان موجودا عند تأليف «الإحاطة» رحمه اللّه تعالى! انتهى بالمعنى.

و قال الحافظ ابن حجر: إنه صنّف كتابا فى الباء الموحدة، و أخذ عنه شيخنا بالإجازة قاسم بن على المالقى، و مات سنة ثلاث و ثمانين و سبعمائة، انتهى.

و قال تلميذه المنتورى ما نصّه: من شيوخى الشيخ الأستاذ الخطيب المقرئ المتفنن المفتى أبو سعيد بن لب، مولده سنة إحدى و سبعمائة، و توفى ليلة السبت لسبع عشرة ليلة مضت من ذى الحجة عام اثنين و ثمانين، انتهى.

و هو مخالف لما سبق عن ابن حجر، لكن صاحب البيت أدرى، إذ المنتورى تلميذه، و نحوه للشيخ أبى زكريا السراج فى فهرسته، إذ قال: شيخنا الفقيه الخطيب الأستاذ المقرى العالم العلم الصدر الأوحد الشهير، كان شيخ الشيوخ و أستاذ الأساتذة بالأندلس، إليه انتهت فيها رياسة الفتوى فى العلوم، كان أهل زمانه يقفون عندما يشير إليه، قرأ على أبى على القيجاطى بالسبع، و تفقّه عليه كثيرا فى أنواع العلوم، و لازمه إلى أن مات، و أجازه عامة، و عليه اعتمد، و أخذ عن أبى جعفر بن الزيات، و أبى إسحاق بن أبى العاصى، و ابن جابر الوادى آشى، و قاضى الجماعة أبى بكر، سمع عليه البخارى، و تفقّه عليه، و قرأ عليه أكثر عقيدة المقترح تفهما، و بعض «الإرشاد» و بعض «التهذيب»، و عن أبى محمد بن سلمون، و البركة أبى عبد اللّه الطنجالى الهاشمى، و أجازه، انتهى بمعناه.

و بالجملة فهو من أكابر علماء المالكية بالمغرب حتى قال الموّاق فيه: شيخ الشيوخ أبو سعيد بن لب، الذى نحن على فتاويه فى الحلال و الحرام، انتهى.

و قلّ من لم يأخذ عنه فى الأندلس فى وقته، فممن أخذ عنه الشاطبى، و ابن علاف، و أبو محمد بن جزى، و الأستاذ القيجاطى، و الأستاذ الحفار، و الشيخ الوزير ابن الخطيب السلمانى، و الكاتب ابن زمرك، فى خلق كثير من طبقتهم، ثم من الطبقة الثانية أبو يحيى بن عاصم، و أخوه القاضى أبو بكر بن عاصم، و الشيخ أبو القاسم بن سراج، و المنتورى، فى خلق لا يحصون.

و له تواليف، فمنها شرح جمل الزجاجى، و شرح تصريف التسهيل، و كتاب «ينبوع عين

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵۴

الثرة، فى تفريع مسألة الإمامة بالأجرة»، و له فتاوى مدوّنة بأيدى الناس، و ممّن جمعها الشيخ ابن تركاط الأندلسى، و له تابة فى مسألة الأدعية إثر الصلوات على الهيئة المعروفة، و قد ردّ عليه فى هذا التأليف تلميذه أبو يحيى بن عاصم الشهيد فى تأليف نبيل انتصارا لشيخه أبى إسحاق الشاطبى، رحم اللّه تعالى الجميع!

### [ترجمة أبى القاسم محمد بن أحمد بن جزى، الكلبى]

و من أشياخ لسان الدين بن الخطيب أبو القاسم بن جزى؛ ففى «الإحاطة» ما ملخصه:

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى، الكلبى، أبو القاسم، من أهل غرناطة، و ذوى الأصالة و النباهة فيها، شيخنا، و أصل سلفه من و لبة من حصن البراجلة، نزل بها أوّلهم عند الفتح صحبة قريبهم أبى الخطار حسام بن ضرار الكلبى، و عند خلع دولة المرابطين كان لجدّهم يحيى رياسة و انفراد بالتدبير، و كان رحمه اللّه تعالى على طريقة مثلى من العكوف على العلم، و الاقتصار على الاقتيات من حرّ النشب، و الاشتغال بالنظر و التقييد و التدوين، فقيها، حافظا، قائما على التدريس، مشاركا فى فنون من عربية وفقه و أصول و قراءات و أدب و حديث، حفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، جمّاعة للكتب، ملوكى الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن، تقدّم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنّه، فاتّفق على فضله، و جرى على سنن أصالته. قرأ على الأستاذ أبى جعفر بن جعفر بن الزبير العربية و الفقه و الحديث و القرآن، و على ابن الكماد،

و لازم الخطيب أبا عبد اللّه بن رشيد و طبقتهم كالحضرمى و ابن أبى الأحوص و ابن برطال و أبى عامر بن ربيع الأشعرى و الولى أبى عبد اللّه الطنجالى و ابن الشاط.

و له تواليف منها «وسيلة المسلم، فى تهذيب صحيح مسلم» و «الأنوار السنية؛ فى الكلمات السّنّية» و «الدعوات و الأذكار، المخرجة من صحيح الأخبار» و «القوانين الفقهية، فى تلخيص مذهب المالكية» و «التنبيه على مذهب الشافعية و الحنفية و الحنبلية» و كتاب «تقريب الوصول، إلى علم الأصول» و كتاب «النور المبين، فى قواعد عقائد الدين» و كتاب «المختصر البارع، فى قراءة نافع» و كتاب «أصول القراء الستة غير نافع» و كتاب «الفوائد العامة، فى لحن العامة» إلى غير ذلك مما قيّده فى التفسير و القراءات و غير ذلك، و له فهرسة كبيرة اشتهرت و اشتملت على جملة كبيرة من علماء المشرق و المغرب.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵۵

و له شعر، فمن شعره قوله فى الأبيات الغينية ذاهبا مذهب المعرى و ابن المظفر و السلفى و أبى الحجاج بن الشيخ و أبى الربيع بن سالم و ابن أبى الأحوص و غيرهم: [الطويل]

لكلّ بنى الدنيا مراد و مقصد و إنّ مرادى صحة و فراغ

لأبلغ من علم الشريعة مبلغا يكون به لى للجنان بلاغ

ففى مثل هذا فلينافس أولو النّهى و حسبى من دار الغرور بلاغ

فما الفوز إلّا فى نعيم مؤبد به العيش رغد و الشراب يساغ

و قال: [الطويل]

أروم امتداح المصطفى فيردّنى قصورى عن إدراك تلك المناقب

و من لى بحصر البحر و البحر زاخر و من لى بإحصاء الحصى و الكواكب

و لو أنّ كلّ أعضائى غدت ألسنا إذا لما بلغت فى المدح بعض مآربى

و لو أنّ كلّ العالمين تسابقوا إلى مدحه لم يبلغوا بعض واجب

فأمسكت عنه هيبة و تأدّبا و عجزا و إعظاما لأرفع جانب

و ربّ سكوت كان فيه بلاغة و ربّ كلام فيه عتب لعاتب

و قال: [البسيط]

يا ربّ إنّ ذنوبى اليوم قد كثرت فما أطيق لها حصرا و لا عددا

و ليس لى بعذاب النار من قبل و لا أطيق لها صبرا و لا جلدا

فانظر إلهى إلى ضعفى و مسكنتى و لا تذيقنّنى حرّ الجحيم غدا

و قال: [الوافر]

و كم من صفحة كالشمس تبدو فيسلى حسنها قلب الحزين

غضضت الطرف عن نظرى إليها محافظة على عرضى و دينى

مولده يوم الخميس تاسع ربيع الثانى عام ثلاثة و تسعين و ستمائة، و فقد و هو يحرّض

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵۶

الناس يوم الكائنة بطريف ضحوة يوم الاثنين تاسع جمادى الأولى عام أحد و أربعين و سبعمائة، و عقبه ظاهر بين القضاء و الكتابة، انتهى.

### [أربعة أبيات على روى الغين لابن لؤلؤة]

و أذكرنى روى الغين الصعب قول الشيخ أبى عبد اللّه محمد بن على بن يوسف السكونى الأندلسى المعروف بابن لؤلؤة رحمه اللّه و رضى عنه: [الطويل]

أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقى أميل لزور بالغرور يصاغ

و أرتاح للذّات و الشيب منذر بما ليس عنه للأنام مراغ

و من لم يمت قبل الممات فإنه يراع بهول بعده و يراغ

فيا ربّ وفقنى إلى ما يكون لى به للذى أرجوك منه بلاغ

توفى المذكور بالطاعون سنة ۷۵۰، و كان خطيبا بحصن قمارش رحمه اللّه تعالى.

## [من نظم ابن جزى فى التبليغ]

و من نظم ابن جزى المذكور قوله: [الطويل]

أيا من كففت النفس عنه تعفّفا و فى النفس من شوقى إليه لهيب

(غرام)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص۵۶

ألا إنما صبرى كصبر، و إنما على النفس من تقوى الإله رقيب

(لجام) و هما من التخيير المعلوم فى فن البديع.

## [ترجمة أبى بكر أحمد بن محمد بن جزى]

و قول لسان الدين رحمه اللّه تعالى: «و له عقب ظاهر بين القضاء و الكتابة» يريد به بنيه البارع أبا بكر و العلامة أبا عبد اللّه و القاضى أبا محمد عبد اللّه.

و لنذكرهم فنقول: أما أبو بكر أحمد فهو الذى ألف أو أبوه «الأنوار السنية» و هو من أهل الفضل و النزاهة و حسن السّمت و الهمّة و استقامة الطريقة، غرب فى الوقار، و مال إلى الانقباض، و له مشاركة حسنة فى فنون من فقه و عربية و أدب و خطّ و رواية و شعر تسمو ببعضه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵۷

الإجادة إلى غاية بعيدة، و قرأ على والده و لازمه، و استظهر ببعض تآليفه، و تفقّه و تأدّب به، و قرأ على بعض معاصرى أبيه، ثم ارتسم فى الكتابة السلطانية لأول دولة السلطان أبى الحجاج بن نصر، و ولى القضاء ببرجة و بأندرش ثم بوادى آش، مشكور السيرة، معروف النزاهة.

و من شعره: [الطويل]

أرى الناس يولون الغنىّ كرامة و إن لم يكن أهلا لرفعة مقدار

و يلوون عن وجه الفقير وجوههم و إن كان أهلا أن يلاقى بإكبار

بنو الدهر جاءتهم أحاديث جمّة فما صحّحوا إلّا حديث ابن دينار

## [قصيدة له صدر بها أعجاز لامية امرئ القيس «ألا عم صباحا»]

و من بديع نظمه الصادر عنه تصديره أعجاز قصيدة امرئ القيس بن حجر الكندى بقوله:

[الطويل]

أقول لعزمى أو لصالح أعمالى (ألا عم صباحا أيها الطلل البالى)

أما واعظى شيب سما فوق لمّتى (سموّ حباب الماء حالا على حال)

أنار به ليل الشباب كأنه (مصابيح رهبان تشبّ لقفّال)

نهانى عن غىّ و قال متبّها (أ لست ترى السّمّار و الناس أحوالى)

يقولون غيّره لتنعم برهة (و هل يعمن من كان فى العصر الخالى)

أغالط دهرى و هو يعلم أننى (كبرت و أن لا يحسن اللهو أمثالى)

و مؤنس نار الشيب يقبح لهوه (بآنسة كأنها خطّ تمثال)

أ شيخا و تأتى فعل من كان عمره (ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال)

و تشغفك الدنيا و ما إن شغفتها (كما شغف المهنوءة الرجل الطالى)

ألا إنها الدنيا إذا ما اعتبرتها (ديار لسلمى عافيات بذى خال)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵۸

فأين الذين استأثروا قبلنا بها (لناموا فما إن من حديث و لا صال)

ذهلت بها غيّا فكيف الخلاص من (لعوب تنسّينى إذا قمت سربالى)

و قد علمت منى مواعد توبتى (بأنّ الفتى يهذى و ليس بفعّال)

و مذ وثقت نفسى بحبّ محمد (هصرت بغصن ذى شماريخ ميّال)

و أصبح شيطان الغواية خاسئا (عليه قتام سيّىء الظنّ و البال)

ألا ليت شعرى هل تقول عزائمى (لخيلى كرّى كرة بعد إجفال)

فأنزل دارا للرسول نزيلها (قليل هموم ما يبيت بأوجال)

فطوبى لنفس جاورت خير مرسل (بيثرب أدنى دارها نظر عالى)

و من ذكره عند القبول تعطّرت (صبا و شمال فى منازل قفّال)

جوار رسول اللّه مجد مؤثّل (و قد يدرك المجد المؤثّل أمثالى)

و من ذا الذى يثنى عنان السّرى و قد (كفانى، و لم أطلب، قليل من المال)

أ لم تر أنّ الظبية استشفعت به (تميل عليه هونة غير مجفال)

و قال لها عودى فقالت له نعم (و لو قطّعوا رأسى لديك و أوصالى)

فعادت إليه و الهوى قائل لها (و كان عداء الوحش منى على بالى)

رثى لبعير قال أزمع مالكى (ليقتلنى و المرء ليس بفعّال)

و ثور ذبيح بالرسالة شاهد (طويل القرا و الرّوق أخنس ذيّال)

و حنّ إليه الجذع حنّة عاطش (لغيث من الوسمىّ رائده خال)

و أصلين من نخل قد التأما له (فما احتبسا من لين مسّ و تسهال)

و قبة ترب منه ذلّت لها الظّبا (و مسنونة زرق كأنياب أغوال)

و أضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلا (و ليس بذى رمح و ليس بنبّال)

و حسبك من سوط الطّفيل إضاءة (كمصباح زيت فى قناديل ذبّال)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۵۹

و بذّت به العجفاء كلّ مطهّم (له حجبات مشرفات على الفال)

و يا خسف أرض تحت باغيه إذ علا (على هيكل نهد الجزارة جوّال)

و قد أخمدت نار لفارس طالما (أصابت غضى جزلا و كفّت بأجذال)

أبان سبيل الرّشد إذ سبل الهدى (يقلن لأهل الحلم ضلّا بتضلال)

لأحمد خير العالمين انتقيتها (و ريضت فذلّت صعبة أىّ إذلال)

و إنّ رجائى أن ألاقيه غدا (و لست بمقلىّ الخلال و لا قالى)

فأدرك آمالى و ما كلّ آمل (بمدرك أطراف الخطوب و لا آلى)

و لا خفاء ببراعة هذا النظم، و إحكام هذا النسج، و شدّة هذه العارضة.

## [قصيدة لحازم صاحب المقصورة صدر بها أعجاز معلقة امرئ القيس (قفا نبك)]

قلت: و قد أذكرنى هذا التصدير قصيدة الأديب حازم صاحب المقصورة، إذ صدّر قصيدة امرئ القيس «قفا نبك» و لنذكرها هنا، قال رحمه اللّه تعالى: [الطويل]

لعينيك قل إن زرت أفضل مرسل (قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل)

و فى طيبة فانزل و لا تغش منزلا (بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل)

و زر روضة قد طالما طاب نشرها (لما نسجتها من جنوب و شمأل)

و أثوابك اخلع محرما و مصدّقا (لدى الستر إلّا لبسة المتفضل)

لدى كعبة قد فاض دمعى لبعدها (على النحر حتى بلّ دمعى محملى)

فيا حادى الآبال سر بى و لا تقل (عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل)

فقد حلفت نفسى بذاك و أقسمت (علىّ و آلت حلفة لم تحلّل)

فقلت لها لا شكّ أنى طائع (و أنك مهما تأمرى القلب يفعل)

و كم حملت فى أظهر العزم رحلها (فيا عجبا من رحلها المتحمّل)

و عاتبت العجز الذى عاق عزمها (فقالت لكك الويلات إنك مرجلى)

نبىّ هدى قد قال للكفر نوره (ألا أيها الليل الطويل ألا انجل)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۶۰

تلا سورا ما قولها بمعارض (إذا هى نضّته و لا بمعطّل)

لقد نزلت فى الأرض ملّة هديه (نزول اليمانى ذى العياب المحمّل)

أتت مغربا من مشرق و تعرّضت (تعرّض أثناء الوشاح المفصّل)

ففازت بلاد الشرق من زينة بها (بشقّ و شقّ عندنا لم يحوّل)

فصلّى عليه اللّه ما لاح بارق (كلمع اليدين فى حبىّ مكلل)

نبىّ غزا الأعداء بين تلائع (و بين أكام، بعد ما متأملى)

فكم ملك وافاه فى زىّ منجد (بمنجرد قيد الأوابد هيكل)

و كم من يمان واضح جاءه اكتسى (بضاف فويق الأرض ليس بأعزل)

و من أبطحيّ نيط منه نجاده (بجيد معمّ فى العشيرة مخول)

أزالوا ببدر عن بروجهم العدا (كما زلّت الصفواء بالمتنزّل)

و فادوا ظباهم لا بفتك فتى و لا (كبير أناس فى بجاد مزمّل)

و فضّى جموعا فدفدا جامعا بها (لنا بطن حقف ذى ركام عقنقل)

و أحموا و طيسا فى حنين كأنه (إذا جاش فيه حميه غلى مرجل)

و نادوا بنات النبع بالنصر أثمرى (و لا تبعدينا من جناك المعلل)

و ممن له سدّدت سهمين فاضربى (بسهميك فى أعشار قلب مقتّل)

فما أغنت الأبدان درع بها اكتست (ترائبها مصقولة كالسجنجل)

و أضحت لواليها و مالكها العدا (يقولون لا تهلك أسى و تجمّل)

و قد فرّ منصاع كما فرّ خاضب (لدى سمرات الحىّ ناقف حنظل)

و كم قال يا ليل الوغى طلت فانبلج (بصبح و ما الإصباح منك بأمثل)

فليت جوادى لم يسر بى إلى الوغى (و بات بعينى قائما غير مرسل)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۶۱

و كم مرتق أوطاس منهم بمسرج (متى ما ترقّ العين فيه تسهّل)

و قرّطه خرصا كمصباح مسرج (أمال السّليط بالذّبال المفتّل)

فيرنو لهاد فوق هاديه طرفه (بناظرة من وحش وجرة مطفل)

و يسمع من كافورتين بجانبى (أثيث كقنو النخلة المتعثكل)

ترفّع أن يعزى له شدّ شادن (و إرخاء سرحان و تقريب تتفل)

و لكنه يمضى كما مرّ مزبد (يكبّ على الأذقان دوح الكنهبل)

و يغشى العدا كالسهم أو كالشهاب أو (كجلمود صخر حطّه السيل من عل)

جياد أعادت رسم رستم دارسا (و هل عند رسم دارس من معوّل)

و ريعت بها خيل القياصر فاختفت (جواحرها فى صرّة لم تزيّل)

سبت عربا من نسوة العرب تستبى (إذا ما اسبكرّت بين درع و مجول)

و كم من سبايا الفرس و الصّفر أسهرت (نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضّل)

و حزن بدورا من ليالى شعورها (تضلّ العقاص فى مثنّى و مرسل)

و أبقت بأرض الشام هاما كأنها (بأرجائها القصوى أنابيش عنصل)

و ما جفّ من حبّ القلوب بغورها (و قيعانها كأنه حبّ فلفل)

لخضراء ما دبّت و لا نبتت بها (أساريع ظبى أو مساويك إسحل)

شدا طيرها فى مثمر ذى أرومة (و ساق كأنبوب السقىّ المذلل)

فشدّت بروض ليس يذبل بعدها (بكلّ مغار الفتل شدّت بيذبل)

و كم هجّرت فى القيظ تحكى ذوارعا (عذارى دوار فى ملاء مذيل)

و كم أدلجت و القتر يهفو هزيزه (و يلوى بأثواب العنيف المثقّل)

و خضن سيولا فضن بالبيد بعد ما (أثرن غبارا بالكديد المركّل)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۶۲

و كم ركزوا رمحا بدعص كأنه (من السيل و الغثّاء فلكة مغزل)

فلم تبن حصنا خوف حصنهم العدا (و لا أطما إلّا مشيدا بجندل)

فهدّت بعضب شيب بعد صقاله (بأمراس كتّان إلى صمّ جندل)

و جيش بأقصى الأرض ألقى جرانه (و أردف أعجازا و ناء بكلكل)

يدكّ الصفا دكّا و لو مرّ بعضه (و أيسره عالى السّتار و يذبل)

دعا النصر و التأييد راياته أسحبى (على أثرينا ذيل مرط مرحّل)

لواء منير النصل طاو كأنه (منارة ممسى راهب متبتّل)

كأنّ دم الأعداء فى عذباته (عصارة حنّاء بشيب مرجّل)

صحاب بروا هام العداة و كم قروا (صفيف شواء أو قدير معجّل)

و كم أكثروا ما طاب من لحم جفرة (و شحم كهدّاب الدّمقس المفتّل)

و كم جبن من غبراء لم يسق نبتها (دراكا و لم ينضح بماء فيغسل)

حكى طيب ذكراهم و مرّ كفاحهم (مداك عروس أو صلاية حنظل)

لأمداح خير الخلق قلبى قد صبا (و ليس فؤادى عن هواها بمنسل)

فدع من لأيام صلحن له صبا (و لا سيما يوم بدارة جلجل)

و أصبح عن أمّ الحويرث ما سلا (و جارتها أمّ الرباب بمأسل)

و كن فى مديح المصطفى كمدبّج (يقلّب كفّيه بخيط موصّل)

و أمّل به الأخرى و دنياك دع فقد (تمتعت من لهو بها غير معجل)

و كن كنبيث للفؤاد منابث (نصيح على تعذاله غير مؤتل)

ينادى إلهى إنّ ذنبى قد عدا (علىّ بأنواع الهموم ليبتلى)

فكن لى مجيرا من شياطين شهوة (علىّ حراص لو يسرّون مقتلى)

و ينشد دنياه إذا ما تدلّلت (أفاطم مهلا بعض هذا التدلّل)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۶۳

فإن تصلى حبلى بخير وصلته (و إن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى)

و أحسن بقطع الحبل منك و بتّه (فسلّى ثيابى من ثيابك تنسل)

أيا سامعى مدح الرسول تنشّقوا (نسيم الصّبا جاءت بريّا القرنفل)

و روضة حمد للنبىّ محمد (غذاها نمير الماء غير المحلّل)

و يا من أبى الإصغاء ما أنت مهتد (و ما إن أرى عنك الغواية تنجلى)

فلو مطفلا أنشدتها لفظها ارعوت (فألهيتها عن ذى تمائم محول)

و لو سمعته عصم طود أمالها (فأنزل منها العصم من كلّ منزل)

و قد عرّفت بحازم هذا فى «أزهار الرياض» و ذكرت جملة من نظمه.

## [جيمية بارعة لحازم صاحب المقصورة]

و من بارع ما وقع له قوله: [الكامل]

أدر المدامة فالنسيم مؤرّج و الروض مرقوم البرود مدبّج

و الأرض قد لبست برود جمالها فكأنما هى كاعب تتبرّج

و النهر ممّا ارتاح معطفه إلى لقيا النسيم عبابه متموّج

يمسى الأصيل بعسجدىّ شعاعه أبدا يوشّى صفحه و يدبّج

و تروم أيدى الريح تسلب ما اكتسى فتزيده حسنا بما هى تنسج

فارتح لشرب كؤوس راح نورها بل نارها فى مائها تتوهّج

و اسكر بنشوة لحظ من أحببته أو كأس خمر من لماه تمزج

و اسمع إلى نغمات عود تصطبى قلب الخلىّ إلى الهوى و تهيّج

بمّ وزير يسعدان مثانيا و مثالثا طبقاتها تتدرّج

من لم يهيّج قلبه هذا فما للقلب منه محرّك و مهيّج

فأجب فقد نادى بألسن حاله للأنس دهر للهموم مفرّج

طربت جمادات و أفصح أعجم فرحا و أصبح من سرور يهزج

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۶۴

أفيفضل الحىّ الجماد مسرّة و الحىّ للسرّاء منه أحوج

ما العيش إلّا ما نعمت به و ما عاطاك فيه الكأس ظبىّ أدعج

ممّن يروقك منه ردف مردف عبل و خصر ذو اختصار مدمج

فإذا نظرت لطرّة و لغرّة و لصفحة منه بدت تتأجّج

أيقنت أنّ ثلاثهنّ و ما غدا من تحتها ينآد أو يتموّج

ليل على صبح على بدر على غصن تحمّله كثيب رجرج

كأس و محبوب يظلّ بلحظه قلب الخلىّ إلى الهوى يستدرج

يا صاح، ما قلبى بصاح عن هوى شيئان بينهما المنى تستنتج

و بمهجتى الظّبى الذى فى أضلعى قد حلّ و هو يشبّها و يؤجّج

ناديت حادى عيسه يوم النوى و العيس تحدى و المطايا تحدج

قف أيها الحادى أودّع مهجة قد حازها دون الجوانح هودج

لمّا تواقفنا و فى أحداجها قمر منير بالهلال متوّج

ناديتهم: قولوا لبدركم الذى بضيائه تسرى الركاب و تدلج

يحيى العليل بلفظة أو لحظة تطفى غليلا فى الحشا يتأجّج

قالوا نخاف يزيد قلبك لاعجا فأجبتهم خلّوا اللواعج تلعج

و بكيت و استبكيت حتى ظلّ من عبراتنا بحر ببحر يمرج

و بقيت أفتح بعدهم باب المنى ما بيننا طورا، و طورا يرتج

و أقول يا نفس اصبرى فعسى النوى بصباح قرب ليلها يتبلّج

فترقّب السراء من دهر شجا و الدهر من ضدّ لضدّ يخرج
و ترجّ فرجة كلّ همّ طارق فلكلّ همّ فى الزمان تفرّج

### [جيمية لابن قلاقس]

و تذكّرت هنا جيمية ابن قلاقس، و هى: [الكامل]
عرضت لمعترض الصباح الأبلج حوراء فى طرف الظلام الأدعج
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۶۵
فتمزّقت شيم الدّجى عن غرّتى شمسين فى أفق و كلّة هودج
و وراء أستار الحمول لواحظ غازلن معتدل الوشيج الأعوج
من كلّ مبتسم السّنان إذا جرى دمع النجيع من الكمىّ الأهوج
و لقد صحبت الليل قلّص برده لعباب بحر صباحه المتموّج
و كأنّ منتثر النجوم لآلىء نظمت على صرح من الفيروزج
و سهرت أرقب من سهيل خافقا متفرّدا، و كأنه قلب الشجى
و استعبرت مقل السحاب فأضحكت منها ثغور مفوّف و مدبّج

### [عود لترجمة أبى بكر أحمد بن محمد بن جزى الكلبى]

و لنعد إلى ذكر أبى بكر بن جزى فنقول:
و له تقييد فى الفقه على كتاب والده المسمّى بالقوانين الفقهية، و رجز فى الفرائض، و إحسانه كثير، و تقدّم قاضيا للجماعة بحضرة غرناطة ثامن شوال عام ستين و سبعمائة، ثم صرف عنها، ثم لما توفى الأستاذ الخطيب العالم الشهير أبو سعيد فرج بن لب- رحمه اللّه تعالى!- و كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، ولى عوضا عنه أستاذا و خطيبا عام اثنين و ثمانين و سبعمائة، فبقى فى الخطابة ثلاثة أعوام، ثم توفى، و أظنّ وفاته آخر عام خمسة و ثمانين و سبعمائة، رحمه اللّه تعالى!.

### [ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن محمد بن جزى الكلبى]

و أما أخوه أبو عبد اللّه محمد فهو الكاتب المجيد، أعجوبة الزمان، و توفى بفاس رحمه اللّه تعالى عام ثمانية و خمسين و سبعمائة، و قيل- و هو الصواب-: إن وفاته آخر شوال من السنة قبلها حسبما ألفيته بخطّ بعض أكابر الثقات بداره من البيضاء، و هى فاس الجديدة، قرب مغرب يوم الثلاثاء التاسع و العشرين من شوال من عام سبعة و خمسين و سبعمائة، و كان دفنه يوم الأربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقى الذى بالجامع الأعظم من المدينة البيضاء، و كان مولده فى شوال من عام واحد و عشرين و سبعمائة، انتهى.
قال الأمير ابن الأحمر فى «نثر الجمان»: أدركته و رأيته، و هو من أهل بلدنا غرناطة،
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۶۶
و كان أبوه أبو القاسم محمد أحد المفتين بها عالم الأندلس الطائرة فتياه منها إلى طرابلس، و قتل شهيدا بطريف بعد أن أبلى بلاء حسنا، و أبو عبد اللّه ابنه هذا كتب بالأندلس فى حضرة ابن عمّ أبينا أمير المسلمين أبى الحجاج يوسف، و له فيه أمداح عجيبة، و لم يزل كاتبا فى الحضرة الأحمدية النصرية إلى أن امتحنه أمير المسلمين أبو الحجاج، انتهى.

و يعنى ابن الأحمر بهذا الامتحان أنه ضربه بالسّياط، من غير ذنب اقترفه بل ظلمه ظلما مبينا، هكذا ألفيته فى بعض المقيدات.

ثم قال ابن الأحمر: فقوض الرحال عن الأندلس، و استقرّ بالعدوة، فكتب بالحضرة المرينية لأمير المسلمين أبى عنان، إلى أن توفى بها رحمه اللّه تعالى! و كان رحمه اللّه تعالى طلع فى سماء العلوم بدرا مشرقا، و سارت براعته مغربا و مشرقا، و سما بشعره فوق الفرقدين، كما أربى بنثره على الشعرى و البطين، له باع مديد فى التاريخ و اللغة و الحساب، و النحو و البيان و الآداب، بصير بالفروع و الأصول و الحديث، عارف بالماضى من الشعر و الحديث، إن نظم أنساك أبا ذؤيب برقته، و نصيبا بمنصبه و نخوته، و إن كتب أربى على ابن مقلة بخطّه، و إن أنشأ رسالة أنساك العماد بحسن مساقها و ضبطه، و هو ربّ هذا الشأن، و فارس هذا الميدان، و مع تفنّنه فى الشعر فهو فى العلوم قد نبغ، و ما بلغ أحد من شعراء عصره منه ما بلغ، بل سلموا التقدّم فيه إليه، و ألقوا زمام الاعتراف بذلك فى يديه، و دخلوا تحت راية الأدب التى حمل، إذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس فى الحمل، أنشدنى لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا الحجاج يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل عمّ أبينا ابن جدّنا الرئيس الأمير أبى سعيد فرج هذه القصيدة البارعة، و حذف منها الراء المهملة: [الكامل]

### [قصيدة من نظمه يمدح بها أمير المسلمين أبا الحجاج و حذف منها الراء]

قسما بوضّاح السنا الوهّاج من تحت مسدول الذوائب داج

و بأبلج بالمسك خطّت نونه من فوق و سنان اللواحظ ساجى



و بحسن خدّ دبّجت صفحاته فغدت تحاكى مذهب الديباج

و بمبسم كالعقد نظّم سلكه و لمى حكى الصّهباء دون مزاج

و بمنطق تصبو القلوب لحسنه أنسى المسامع نغمة الأهزاج

و بمائس الأعطاف تثنيه الصّبا فيميس كالخطّىّ يوم هياج

و منعّم مثل الكثيب يقلّه مستضعف يشكو من الإدماج

و بموعد للوصل أنجز فجأة من بعد طول تمنّع و لجاج

و بأكؤس أطلعن فى جنح الدجى شمس السّلافة فى سماء زجاج

و حدائق سحب السحاب ذيوله فيها و بات لها النسيم يناجى

و جداول سلّت سيوفا عندما فجئت بجيش للصّبا عجّاج

و بأقحوان قد تضاحك إذ بكت عين الغمام بمدمع ثجّاج

و قدود أغصان يملن كأنها تخفى حديثا بينها و تناجى

و حمائم يهتفن شجوا بالضحى فهديلهنّ لذى الصبابة شاجى

إنّ المعالى و العوالى و الندى و البأس طوع يدى أبى الحجاج

ملك تتوّج بالمهابة عندما لم يستجز فى الدين لبس التاج

و أفاض حكم العدل فى أيامه فالحقّ أبلج واضح المنهاج

هو منقذ العانى، و مغنى المعتفى و مذلّل العاتى، و غوث اللاجى

ماضى العزيمة، و السيوف كليلة طلق المحيّا، و الخطوب دواجى

علم الهدى و الناس فى عمياء قد ضلّوا لوقع الحادث المهتاج

غيث الندى و السحب تبخل بالحيا و المحل يبدى فاقة المحتاج

ليث الوغى، و الخيل تزجى بالقنا و البيض تنهل فى دم الأوداج

يتقشع الإظلام إذ يبدو له وجه كمثل الكوكب الوهّاج

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۶۸

من آل قيلة من ذؤابة سعدها أعلى بنى قحطان دون خلاج

حيث العلا ممدوة الأطناب لم تخلق معالمها يد الإنهاج

و الأعوجيّات السوابق تمتطى فتظلل الآفاق سحب عجاج

و البيض و الأسل العوامل تقتضى مهج الكماة بأبلغ الإزعاج

مجد ليوسف جمّعت أشتاته أعيا سواه بعد طول علاج

مولاى هاك عقيلة تزهو على أخواتها كالغادة المغناج

إنشاء عبد خالص لك حبّه و من العبيد مداهن و مداجى

آوى إلى أكناف نعماك التى ليست إليه صلاتها بخداج

سبّاق ميدان البلاغة و الوغى لشعاب كلّ منهما و لّاج

جانبت أخت الزاى منها عامدا فأتت من الإحسان فى أفواج

فافتح لها باب القبول و أول من أهداكها ما يبتغى من حاج

### [قصيدة له يمدح فيها أبا عنان ملك المغرب]

ثم قال ابن الأحمر: و أنشدنى أيضا لنفسه يمدح أمير المؤمنين المتوكل على اللّه أبا عنان فارس ملك المغرب: [الخفيف]

إن قلبى لعهدة الصبر ناكث عن غزال فى عقدة السّحر نافث

أضرم النار فى فؤادى و ولّى قائلا لا تخف فإنى عابث

و رمانى من مقلتيه بسهم ثم قال اصطبر لثان و ثالث

كم عذول أتى يناظر فيه كان تعذاله على الحبّ باعث

و يمين آليتها بالتسلّى فقضى حسنه بأنى حانث

جبر اللّه صدع قلب عميد صدعت شمله صروف الحوادث

فهو يهفو إلى البروق و يروى عن نسيم الصّبا ضعاف الأحادث

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۶۹

سلبته الأشجان إلّا بقايا من أمانى حبالهنّ رثائث

و بكاء على عهود مواض ملأت صدره هموما حدائث

لست وحدى أشكو بليلة وجدى أنّ داء الغرام ليس بحادث

يا مضيع العهود و اللّه يعفو عنك أنّى ارتضيت خطة ناكث

غرّنى منك و الجمال غرور و ظبا اللحظ فى القلوب عوابث

مقل يقتسمن أعشار قلبى بالرضا منى اقتسام الموارث

كيف غيّرت بانتزاحك حالى و تغيّرت لى، و لست بحارث

فرط حبى و فرط بخلك آلى أنّ عينيك بالفتور نوافث

و ندى فارس و حسبك ردّا قول من قال سدّ باب البواعث

ملك البأس و الندى، فهو بالس يف و بالسّيب عائث أو غائث

محرز المجد و الثناء، فهذا سائر فى الورى، و ذلك لابث

أوطأ الشهب رجله و ترقّى صاعدا فى سموّه غير ماكث

فدرار تسرى و ما لحقته و نجوم خلف القصور لوابث

و له المقربات لا بل هى العق بان من فوقها الليوث الدلاهث

مطلعات من كلّ نعل هلالا فلهذا تجلو دجى كلّ حادث

إن ترافعن فالجبال الرواسى أو تسابقن فالعيوث الحثائث

و المواضى كأنها قد أعيرت حدّة الذهن منه عند المباحث

هى نار محرّقات الأعادى و هى ماء مطهرات الخبائث

فيردن الوغى ذكورا عطاشا ثم يصدرن ناهلات طوامث

من معانيه قد رأينا عيانا كلّ فضل ينصّه من يحادث

خلق كالنسيم مرّ سحيرا بالأزاهير فى البطاح الدمائث

فى سبيل الإله يقصى و يدنى و يوالى فى ذاته و يناكث



شرف الملك منه سام و حام ففدته سام و حام و يافث

هاكها من بنات فكرى بكرا ليس يسمو لها من الناس طامث

ذات لفظ لا يعتريه اختلال و معان لا تنتحيها المباحث

زعماء القريض أبقوا بقايا كنت دون الورى لهنّ الوراث

من أراد انتقادها فهى هذى عرضة البحث فليكن جدّ باحث

و رأيت بخطّ ابن الصباغ العقيلى على هامش قوله «و ندى فارس و حسبك ردّا...

البيت» ما نصّه: ما أبدع تخلّصه للمدح و أطبعه! فإنه أشار إلى قول الشاعر رادّا عليه بالتبكيت، و معقبا له بالتعنيت: [الكامل]

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة باب السماحة و الملاحة مغلق

مات الكرام فلا كريم يرتجى منه النوال و لا مليح يعشق

### [مقطعات من نظمه فى أغراض شتى]

و قيل: إن السلطان أبا عنان أطلّ من برج يشاهد الحرب بين الثور و الأسد على ما جرت به عادة الملوك. فقال ابن جزى المذكور فى وصف الحال: [البسيط]

للّه يوم بدار الملك مرّ به من العجائب ما لم يجر فى خلدى

لاح الخليفة فى برج العلا قمرا يشاهد الحرب بين الثور و الأسد

و من بارع نظمه رحمه اللّه تعالى قوله: [الطويل]

أبا حسن، إن شتّت الدهر شملنا فليس لودّ فى الفؤاد شتات

و إن حلت عن عهد الإخاء فلم يزل لقلبى على حفظ العهود ثبات

وهبنى سرت منى إليك إساءة أ لم تتقدّم قبلها حسنات

و قوله و هو بحال مرض: [البسيط]

إن يأخذ السّقم من جسمى مآخذه و أصبح القوم من أمرى على خطر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۷۱

فإنّ قلبى بحمد اللّه مرتبط بالصبر و الشكر و التسليم للقدر

فالمرء فى قبضة الأقدار مصرفه للبرء و السقم أو للنفع و الضرر

و حكى أنّ الفقيه الرحال أبا إسحاق إبراهيم بن الحاج النميرى بقى فى خلوته جميع شهر رمضان المعظّم من عام سبعة و خمسين و سبعمائة، فلمّا خرج فى يوم عيد الفطر أنشده صهره أبو عبد اللّه بن جزى المذكور لنفسه: [الخفيف]

ما سرار البدور إلّا ثلاث فلما ذا أرى سراركَ شهرا

أتعجّلته سرارا لعام ثم تبقى فى سائر العام بدرا

و حكى أنه كتب للرئيس صاحب القلم الأعلى و العلامة بفاس أبى القاسم بن رضوان يطلب منه شراب سكنجبين، و قصد التصحيف بقوله «أحسن زان بيتك، نجيب تسرّ به مرضى» تصحيفه: أحب شراب سكنجبين شربه برء مرضى، قال فجاوبنى ابن رضوان بقوله: إنّ برّك نفيس، تصحيفه مقلوبا: يشفيك ربّنا.

و من نظم ابن جزى المذكور قوله: [الطويل]

رعى اللّه عهدا بالمريّة ما أرى به أبدا ما عشت فى الناس بالناسى

و كيف ترى بالله صحبة معشر مجاهد بعض منهم و ابن عباس

و قوله فى الزاوية التى أنشأها السلطان أبو عنان: [الكامل]

هذا محلّ الفضل و الإيثار و الرفق بالسكان و الزوار

دار على الإحسان شيدت و التّقى فجزاؤها الحسنى و عقبى الدار

هى ملجأ للواردين و مورد لابن السبيل و كلّ ركب سارى

آثار مولانا الخليفة فارس أكرم بها فى المجد من آثار

لا زال منصور اللواء مظفّرا ماضى العزائم سامى المقدار

بنيت على يد عبدهم و خديم با بهم العلىّ محمد بن جدار

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۷۲

فى عام أربعة و خمسين انقضت من بعد سبع مئين فى الأعصار

### [من شعر ابن الجزى الذى ورى به]

و من نظمه قوله مورّيا: [الوافر]

و ما أنسى الأحبّة يوم بانوا تخوض مطيّهم بحر الدموع

و قالوا: اليوم منزلنا الحنايا فقلت: نعم و لكن من ضلوعى

و قوله مورّيا أيضا: [الطويل]

و ربّ يهودىّ أتى متطبّبا ليأخذ ثارات اليهود من الناس

إذا جسّ نبض المرء أودى بنفسه سريعا، أ لم تسمع بفتكة جسّاس

و قوله: [الكامل]

و من أىّ أشجانى التى جنت النوى أشكو العذاب و هنّ فى تنويع

من وصلى الموقوف أو من هجرى ال موصول أو من نومى المقطوع

أو من حديث تولّهى و تولّعى خبرا صحيحا ليس بالموضوع

يرويه خدى مسندا عن أدمعى عن مقلتى عن قلبى المفجوع

و أول هذه القصيدة:

ذهبت حشاشة قلبى المصدوع بين السلام و وقفة التوديع

و قد ضمن شطرها الفقيه عبيد شارح الحلبة، إذ قال من قصيدة مطلعها: [الكامل]

اهمى دموعك ساعة التوديع يا مقلتى ممزوجة بنجيع

بقوله:

يوم استقلّت عيسهم و ترحلوا (ذهبت حشاشة قلبى المصدوع)

و قوله: [الطويل]

بخدّى و جسمى و الفؤاد و أدمعى شهود بهم دعوى الغرام تصحّح

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٧٣

و من عجب أن رجّح الناس نقلهم و كلّهم ذو جرحة فيه تقدح

فجسمى ضعيف، و الفؤاد مخلّط و دمعى مطروح، و خدى مجرّح

و قوله: [الرمل]

يا محيّا كتب الحسن به أحرفا أبدع فيها و برع

ميم ثغر، ثم نون حاجب ثم عين هى تتميم البدع

أنا لا أطمع فى وصلك لى و على وجهك مكتوب «منع»

[من إنشائه موريا بأسماء كتب و رفعها لأبى عنان فارس]

ثم قال ابن الأحمر: و من إنشائه البارع مورّيا بالكتب، و رفعها لأمير المؤمنين المتوكل على اللّه أبى عنان فارس رحمه اللّه تعالى يهنيه بإبلال ولده ولى عهده الأمير أبى زيان محمد من مرض: [البسيط]

ما ذا عسى أدب الكتاب يوضح من خصال مجدك و هو الزاهر الزاهى

و ما الفصيح بكليات موعبها كاف فيأتى بأنباء و إنباه

أبقى اللّه تعالى مولانا الخليفة و لسعادته القدح المعلّى، و لزاهر كماله التاج المحلّى، تجلى من حلاه نزهة الناظر، و يسير بعلاه المثل السائر، و يتّسق من سناه العقد المنظم، و يتّضح بهداه القصد الأمم، و لا زالت مقدمات النصر له مبسوطة، و معونة السعد بإشارته منوطة، و هدايته متكفلة بإحياء علوم الدين، و إيضاح منهاج العابدين، و إرشاده يتولّى تنبيه الغافلين، و يأتى من شفاء الصدور بالنور المبين، و ميقات الخدمة ببابه مطمح الأنفس، و ملخص الجود من كفّه بغية التلمس، قد حكم أدب الدين و الدنيا بأنك سراج الملوك، لما أتت عوارفك بالمشرع السلسل و معارفك بنظم السلوك، و وضحت معالم مجدك وضوح أنوار الفجر، و زهت بعدلك المسالك و الممالك زهو خريدة القصر، فلك فى جمهرة الشرف النسب الوسيط، و من جمل المآثر الخلاصة و البسيط، و سبل الخيرات لها برعايتك تيسير، و محاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير، و أنت حجّة العلماء، الذى تقصر عن تقصى مآثره فطن

الأذكياء، إن انبهم التفسير ففى يديك ملاك التأويل، أو اعتاص تفريع الفقه فعندك فصل البيان له و التحصيل، و إن تشعب التاريخ فلديك استيعابه، أو تطاول الأدب ففى إيجاز بيانك اقتضابه، و إن ذكر الكلام ففى انتقائك من برهانه المحصول، أو المنطق ففى موجز آمالك لبابه المنخول، و ليس

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۷۴

أساس البلاغة إلّا ما تأتى به من فصل المقال، و لا جامع الخير إلّا ما حزته من تهذيب الكمال، و لذلك صارت خدمتك غاية المطلوب، و حبك قوت القلوب، و لا غرو إن كنت من العلياء درّتها المكنونة، فأسلافك الكرام هم جواهرها الثمينة، بحماستهم أصيبت مقاتل الفرسان، و بجود جودهم تسنى ريّ الظمآن، و بتسهيل عدلهم و ضحت شعب الإيمان، و أنت المنتقى من سمط جمانهم، و الواسطة فى قلائد عقيانهم، عنك تؤثر سيرة الاكتفاء، و عن فروعك السعداء تروى أخبار نجباء الأبناء، فهم لمملكتك العلية بهجة مجالسها، و أنس مجالسها، و قطب سرورها، و مطالع نورها، و ولى عهدك درّتهم الخطيرة، و ذخيرتهم الأثيرة، لا زال كامل سعادته بطول مقامك محكما، و حرز أمانيه بالجمع بين الصحيحين حبك و رضاك معلما، و قد وجبت التهنئة بما كان فى حيلة برئه من التيسير، و ما تهيّأ فى استقامة قانون صحته من نجح التدبير، و لم يكن إلّا أن بعدت به عنك المسالك، و أعوز نور طرفه تقريب المدارك، و تذكر ما عهده من الإيناس الموطأ جنابه عند أفضل مالك، فورى من شوقه سقط الزند، و التهب فى جوانحه قبس الوجد، فأمددته من دعائك الصالح بحلية الأولياء، فظفر لما شارف مشارق الأنوار من حضرتك بالشفاء، و قد حاز إكمال الأجر بذلك العارض الوجيز، و كان له كتشبيب الإبريز، وها هو قادم بالطالع السعيد، آئب بالمقصد الأسنى من الفتح و التمهيد، يطلع بين يديك طلوع الشهاب، و يبسم عن مفصّل الثناء فى الهناء بذلك زهر الآداب، فأعدّ له تحفة القادم من إحسانك الكامل، و اخصصه بالتكملة من إيناسك الشامل، فهو الكوكب الدّرّىّ المستمدّ من أنوارك السنية، و فى تهذيب شمائله إيضاح للخلق الكريمة الفارسية، لا زالت تزدان بصحاح مآثرك عيون الأخبار، و تتعطّر بنفحة الزهر من ثنائك روضة الأزهار، و تتلى من محامدك الآيات البينات، و تتوالى عليك الألطاف الإلهيات، بمنّ اللّه سبحانه و فضله، و السلام الكريم يعتمد المقام العلى، و رحمة اللّه تعالى و بركاته، انتهى.

### [عدة مقطعات من نظمه يورى فيها بأسماء كتب]

و للمذكور عدة مقطعات يورى فيها بأسماء الكتب، فمنها قوله: [السريع]

ظبىّ هو الكامل فى حسنه و ثغره أبهى من العقد

جماله المدهش لكنما أخلاقه تحكى صبا نجد

و قوله أيضا: [الطويل]

لك اللّه من خلّ حبانى برقعة حبتنى من آياتها بالنوادر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۷۵

رسالة رمز فى الجمال نهاية ذخيرة نظم أتحفت بالجواهر

و قوله سامحه اللّه تعالى: [الخفيف]

قصتى فى الهوى المدوّنة الكب رى و أخبار عشقى المبسوطة

حجّتى فى الغرام واضحة إذ لم تزل مهجتى بوجد منوطه

و تذكّرت بالتورية بأسماء الكتب قول الأرجانى: [الكامل]

لمّا تألّق بارق من ثغره جادت دموعى بالسحاب الممطر

فكأنّ عقد الدّرّ حلّ قلائد ال عقيان منه على صحاح الجوهر

و قول لسان الدين بن الخطيب رحمه اللّه تعالى: [الطويل]

و ظبى لأوضاع الجمال مدرّس عليم بأسرار المحاسن ماهر

أرى جيده نصّ المحلّى، و قررت ثناياه ما ضمّت صحاح الجواهر

و قول ابن خاتمة: [الكامل]

و معطّر الأنفاس يبسم دائما عن درّ ثغر زانه ترتيب

من لم يشاهد منه عقد جواهر لم يدر ما التنقيح و التهذيب

و قوله أيضا: [مخلع البسيط]

سفّهنى عاذلى عليه و قال لى ودّه عليل

فقلت معتلّ أو صحيح يودعه عينه الخليل

و قوله أيضا: [الكامل]

حاز الجمال بصورة قمريّة تجلو عليك «مشارق الأنوار»

و حوى الكمال بصورة عمريّة تتلو عليك «مناقب الأبرار»

و قول الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى: [الرجز]

من اغتدى موطّئا أكنافه صحّ له التمهيد فى أحواله

و قابل استذكاره بالمنتقى من رأيه المختار من أعماله

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٧۶

و أضحت المسالك الحسنى له تدنى تقصيا قصى آماله

و سار من مشارق الأنوار فى أدنى المدارك أو إلى إكماله

و لمّا وقف على هذه القطعة الفاضل أبو على حسين بن صالح بن أبى دلامة عارضها و زاد ذكر القبس و المعلم: [الكامل]

قل للموطّىء للورى أكنافه بشراه بالتمهيد فى الأحوال

و إذا اكتفى بالمنتقى استذكاره وفّى له المختار فى الأعمال

و مسالك الحسنى تؤدّيه إلى أقصى التقصى من قصى الآمال

و يلوح من قبس الهداية رشده من معلم التفصيل و الإجمال

رجع إلى ابن جزى، و من نظمه: [البسيط]

يا دوحة الأنس من بطحاء واسجة هل من سبيل إلى أيامك الأول

إذ نجتلى أوجه الإيناس مسفرة و نجتنى ثمر اللّذّات و الغزل

و من نظمه رحمه اللّه تعالى عند خروجه إلى بلاد المغرب، و ورّى بكتابى «تحفة القادم» و «زاد المسافر» فقال: [الطويل]

و إنى لمن قوم يهون عليهم ورود المنايا فى سبيل المكارم

يطيرون مهما ازورّ للدهر جانب بأجنحة من ماضيات العزائم

و ما كلّ نفس تحمل الذلّ، إننى رأيت احتمال الذلّ شأن البهائم

إذا أنا لم أظفر بزاد مسافر لديكم فعند الناس تحفة قادم

و زاد المسافر لصفوان، و التحفة لابن الأبار.

و من نظمه قوله: [الكامل]

نصب الحبائل للورى بالحسن إذ رفع اللثام و ذيله مجرور

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۷۷

و أماله عنى العواذل غيلة فهو الممال و قلبى المكسور

و قوله أيضا: [الكامل]

تلك الذوائب ذبت من شوقى لها و اللّحظ يحميها بأىّ سلاح

يا قلب فانج و ما إخالك ناجيا من فتنة الجعدىّ و السّفاح

و قوله أيضا: [السريع]

و عاشق صلّى و محرابه وجه غزال ظلّ يهواه

قالوا تعبّدت فقلت نعم تعبّدا يفهم معناه

و قوله رحمه اللّه تعالى: [الكامل]

لا تعد ضيفك إن ذهبت لصاحب تعتدّه لكن تخيّر و انتق

أو ما ترى الأشجار مهما ركّبت إن خولفت أصنافها لم تعلق

و قوله رحمه اللّه تعالى: [السريع]

أيتها النفس قفى عندما ألزمت، فعلا كان أو قولا

فمن يكن يرضى بما ساءه أو سرّه فهو له الأولى

لا يترك العبد و ما شاءه إلّا إذا أهمله المولى

و قوله أيضا [سامحه اللّه تعالى]: [الكامل]

لو لا ثلاث قد شغفت بحبّها ما عفت فى حوض المتيّة موردى

و هى الرواية للحديث، و كتبه، و الفقه فيه، و ذاك حسب المهتدى

[ترجمة القاضى أبى محمد عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن جزى، الكلبى]

و أما أخوهما القاضى أبو محمد عبد اللّه بن أبى القاسم بن جزى فهو الإمام العالم العلامة المعمّر، رئيس العلوم اللسانية، قال فى «الإحاطة»: هذا الفضل قريع بيت نبيه، و سلف شهير، و أبوّة خير، و أخوّة بليغة، و خؤولة، أديب حافظ قائم على فنّ العربية، مشارك فى فنون لسانيّة، ظرف فى الإدراك، جيد النظم، مطواع القريحة، باطنه نبل و ظاهره غفلة.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۷۸

قعد للإقراء ببلده غرناطة معيدا و مستقلّا، ثم تقدّم للقضاء بجهات نبيهة على زمن الحداثة. أخذ عن والده الأستاذ الشهير الشهيد أبى القاسم أشياء كثيرة، و عن القاضى أبى البركات ابن الحاج، و قاضى الشريف السبتى، و الأستاذ البيانى، و الأستاذ الأعرف أبى سعيد بن لب، و الشيخ المقرئ أبى عبد اللّه بن بيبش، و أجازه رئيس الكتّاب أبو الحسن بن الجياب، و قاضى الجماعة أبو عبد اللّه أبو بكر، و أبو محمد بن سلمون، و القاضى ابن شبرين، و الشيخ أبو حيان، و قاضى الجماعة أبو عبد اللّه المقرى، و أبو محمد الحضرمى، و جماعة آخرون، و شعره نبيل الأغراض، حسن المقاصد، انتهى المقصود منه.

و ممن أخذ عنه العباس البقنى شارح البردة، و القاضى أبو بكر بن عاصم، و بالإجازة الإمام ابن مرزوق الحفيد، و غيرهم.

و قد عرّف ابن فرحون فى «الديباج المذهب» بأبيه الشهيد أبى القاسم و أخيه القاضى أبى بكر دونه، و عرّف ابن الخطيب فى «الإحاطة» بأبيه و أخويه أبى بكر و أبى عبد اللّه، و فيما ذكرنا من أمرهم كفاية.

و ممّا نسبه الوادى آشى لأبى محمد عبد اللّه بن جزى قوله: [السريع]

يا من أتانى بعده بعد ما عاملته بالبرّ و اللطف

إنى تأمّلت و قد سرّنى بجملة من سورة الكهف

و له أيضا: [الوافر]

لقد قطّعت قلبى يا خليلى بهجر طال منك على العليل

و لكن ما عجيب منك هذا إذ التقطيع من شأن الخليل

[من شيوخ لسان الدين أبو بكر بن شبرين]

رجع إلى مشايخ لسان الدين رحمه اللّه تعالى.

و منهم القاضى الأديب جملة الظرف أبو بكر بن شبرين.

و قد استوفى ترجمته فى «الإحاطة» و ذكره أيضا فى ترجمة ذى الوزارتين بن الحكيم بأن قال بعد حكايته قتل ابن الحكيم ما صورته:

و ممّن رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه اللّه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص۷۸

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۷۹

تعالى بقوله: [الطويل]

سقى اللّه أشلاء كرمن على البلا و ما غضّ من مقدارها حادث البلا

و ممّا شجانى أن أهين مكانها و أهمل قدر ما عهدناه مهملا

ألا أصنع بها يا دهر ما أنت صانع فما كنت إلّا عبدها المتذلّلا

سفكت دما كان الرقوء نواله لقد جئتما شنعاء فاضحة الملا

بكفّى سبنتى أزرق العين مطرق عدا فغدا فى غيّه متوغّلا

لنعم قتيل القوم فى يوم عيده قتيل تبكّيه المكارم و العلا

ألا إنّ يوم ابن الحكيم لمثكل فؤادى، فما ينفكّ ما عشت مثكلا

فقدناه فى يوم أغرّ محجّل ففى الحشر نلقاه أغرّ محجّلا

سمت نحوه الأيام و هو عميدها فلم تشكر النّعمى و لم تحفظ الولا

تعاورت الأسياف منه ممدّحا كريما سما فوق السّماكين مرجلا

و خانته رجل فى الطواف به سعت فناء بصدر للعلوم تحملا

و جدّل لم يحضره فى الحىّ ناصر فمن مبلغ الأحياء أنّ مهلهلا

يد اللّه فى ذاك الأديم ممزّقا تبارك ما هبّت جنوبا و شمألا

و من حزنى أن لست أعرف ملحدا له فأرى للتّرب منه مقبلا

رويدك يا من قد غدا شامتا به فبالأمس ما كان العماد المؤمّلا

و كنّا نغادى أو نراوح بابه و قد ظلّ فى أوج العلا متوقّلا

ذكرناه يوما فاستهلّت جفوننا بدمع إذا ما أمحل العام أخضلا

و مازج منه الحزن طول اعتبارنا و لم ندر ما ذا منهما كان أطولا

و هاج لنا شجوا تذكّر مجلس له كان يهدى الحىّ و الملأ الألى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۸۰

به كانت الدنيا تؤخّر مدبرا من الناس حتما أو تقدّم مقبلا

لتبك عيون الباكيات على فتى كريم إذا ما أسبغ العرف أجزلا

على خادم الآثار تتلى صحائحا على حامل القرآن يتلى مفصّلا

على عضد الملك الذى قد تضوّعت مكارمه فى الأرض مسكا و مندلا

على قاسم الأموال فينا على الذى وضعنا لديه كلّ إصر على علا

و أنّى لنا من بعده متعلّل و ما كان فى حاجاتنا متعلّلا

ألا يا قصير العمر يا كامل العلا يمينا لقد غادرت حزنا مؤثّلا

يسوء المصلّى أن هلكت و لم تقم عليك صلاة فيه يشهدها الملا

و ذاك لأنّ الأمر فيه شهادة و سنّتها محفوظة لن تبدّلا

فيا أيها الميت الكريم الذى قضى سعيدا حميدا فاضلا و مفضّلا

لتهنك من ربّ السماء شهادة تلاقى ببشرى وجهك المتهلّلا

رثيتك عن حبّ ثوى فى جوانحى فما ودّع القلب العميد و ما قلا

و يا ربّ من أوليته منك نعمة و كنت له ذخرا عتيدا و مؤئلا

تناساك حتى ما تمرّ بباله و لم يذّكر ذاك الندى و التّفضّلا

يرابض فى مثواك كلّ عشيّة صفيف شواء أو قديرا معجّلا

لحى اللّه من ينسى الأذمّة رافضا و يذهل مهما أصبح الأمر مشكلا

حنانيك يا بدر الهدى فلشدّ ما تركت بدور الأفق بعدك أفّلا

و كنت لآمالى حياة هنيئة فغادرت منى اليوم قلبا مقتّلا

فلا و أبيك الخير ما أنا بالذى على البعد ينسى من ذمامك ما خلا

فأنت الذى آويتنى متغرّبا و أنت الذى أكرمتنى متطفّلا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۸۱

فآليت لا ينفكّ قلبى مكمدا عليك و لا ينفكّ دمعى مسبلا

و كتب ابن لسان الدين على هامش هذه القطعة ما صورته: شكر اللّه وفاءك يا ابن شبرين! و قدّس لحدك! و أين مثلك فى الدنيا حسنا و وفاء و علما؟ لا كما صنع ابن زمرك فى ابن الخطيب مخدومه، قاله على بن الخطيب، انتهى.

[من أشياخ لسان الدين أبو عثمان سعد بن أحمد بن ليون التجيبى]

و من أشياخ لسان الدين بن الخطيب رحمه اللّه تعالى الشيخ الأستاذ العلّامة العلم الأوحد الصّدر المصنّف المحدّث الأفضل الأصلح الأورع الأتقى الأكمل أبو عثمان سعد ابن الشيخ الصالح التقى الفاضل المبرور المرحوم أبى جعفر أحمد بن ليون، التجيبى، رضى اللّه عنه!

و هو من أكابر الأئمة الذين أفرغوا جهدهم فى الزهد و العلم و النصح، و له تواليف مشهورة، منها اختصار «بهجة المجالس» لابن عبد البر، و اختصار «المرتبة العليا» لابن راشد القفصى، و كتاب فى الهندسة، و كتاب فى الفلاحة، و كتاب «كمال الحافظ، و جمال اللافظ، فى الحكم و الوصايا و المواعظ»، و كان مولعا باختصار الكتب، و تواليفه تزيد على المائة فيما يذكر، و قد وقفت منها بالمغرب على أكثر من عشرين.

و ممّا حكى عن بعض كبراء المغرب أنه رأى رجلا- طوالا- فقال لمن حضره: لو رآه ابن ليون لاختصره، إشارة إلى كثرة اختصاره

للكتب.

[نبذة من شعره الذى حكاه فى كتابه «نصائح الأحباب، و صحائح الآداب»]

و من تواليفه كتاب «نفح السحر، فى اختصار روح الشحر و روح الشعر» لابن الجلاب الفهرى، رحمه اللّه! و منها كتاب «أنداء الديم، فى الوصايا و المواعظ و الحكم» و كتاب «الأبيات المهذبة، فى المعانى المقربة» و كتاب «نصائح الأحباب، و صحائح الآداب» أورد فيه مائتى قطعة من شعره تتضمّن نصائح متنوّعة، و لننفح منها نبذة فنقول: منها فى التحريض على العلم قوله رحمه اللّه تعالى: [المجتث]

زاحم أولى العلم حتى تعتدّ منهم حقيقه

و لا يردّك عجز عن أخذ أعلى طريقه

فإنّ من جدّ يعطى فيما يحبّ لحوقه

و قوله: [السريع]

شفاء داء العىّ حسن السؤال فاسأل تنل علما و قل لا تبال



و اطلب فالاستحياء و الكبر من موانع العلم فما إن ينال

و قوله: [البسيط]

(علمت شيئا و غابت عنك أشياء) فانظر و حقّق فما للعلم إحصاء

للعلم قسمان: ما تدرى و قولك لا أدرى، و من يدّعى الإحصاء هذّاء

و قوله: [البسيط]

من لم يكن علمه فى صدره نشبت يداه عند السؤالات التى ترد

العلم ما أنت فى الحمّام تحضره و ما سوى ذلك التكليف و الكمد

و قوله: [السريع]

الدرس رأس العلم فاحرص عليه فكلّ ذى علم فقير إليه

من ضيّع الدرس يرى هاذيا عند اعتبار الناس ما فى يديه

فعزّة العالم من حفظه كعزّة المنفق فيما عليه

و قال رحمه اللّه تعالى فى غير ما سبق: [الوافر]

ثلاث مهلكات لا محاله هوى نفس يقود إلى البطاله

و شحّ لا يزال يطاع دأبا و عجب ظاهر فى كلّ حاله

و قال: [الكامل]

اللهو منقصة بصاحبه فاحذر مذلّة مؤثر اللهو

و اللغو نزّه عنه سمعك لا تجنح له، لا خير فى اللغو

و قال: [الخفيف]

لا تمالىء على صديقك و ادرأ عنه ما اسطعت من أذى و اهتضام

ما تناسى الذّمام قطّ كريم كيف ينسى الكريم رعى الذمام

تطعم الكلب مرة فيحامى عنك، و الكلب فى عداد اللئام

و قال: [الكامل]

احذر مؤاخاة الدنىء فإنها عار يشين و يورث التضريرا

فالماء يخبث طعمه لنجاسة إن خالطته و يسلب التطهيرا

و قال: [المتقارب]

تحفّظ من الناس تسلم و لا تكن فى تقرّبهم ترغب

و لا تترك الحزم فى كلّ ما تريد، و لا تبغ ما يصعب

و قال: [البسيط]

إخوانك اليوم إخوان الضرورة لا تثق بهم يا أخى فى قول او فعل

لا خير فى الأخ إلّا أن يكون إذا عرتك نائبة يقيك أو يسلى

و قال: [مجزوء الرمل]

طلب الإنصاف من قلّة إنصاف فساهل

لا تناقش و تغافل فاللبيب المتغافل

قلّما يحظى أخو الإن صاف فى وقت بطائل

و قال: [مخلع البسيط]

من خافه الناس عظّموه و أظهروا برّه و شكره

و من يكن فاضلا حليما فإنما حظّه المضرّه

فامرر و كن صارما مبيرا يهبك من قد تخاف شرّه

و قال: [البسيط]

إن تبغ عدلا فما ترضى لنفسك من قول و فعل به اعمل فى الورى تسد

و كلّ ما ليس ترضاه لنفسك لا تفعله مع أحد تكن أخا رشد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۸۴

و قال: [الرمل]

حسبى اللّه لقد ضلّت بنا عن سبيل الرّشد أهواء النفوس

عجبا أنّ الهوى هون و أن نؤثر الهون و إذلال الرءوس

و قال: [الخفيف]

من يخف شرّه يوفّ الكرامه و يوالى الرعاية المستدامه

و أخو الفضل و العفاف غريب يحمل الذّلّ و الجفا و الملامه

و قال: [الكامل]

دع من يسىء بك الظنون و لا تحفل به إن كنت ذا همّه

من لم يحسّن ظنّه أبدا بك أطّرحه تكتفى همّه

و قال: [البسيط]

نزّه لسانك عن قول تعاب به و ارغب بسمعك عن قيل و عن قال

لا تبغ غير الذى يعنيك و اطّرح ال فضول تحيا قرير العين و البال

و قال: [الخفيف]

كثرة الأصدقاء كثرة غرم و عتاب يعيى و إدخال هم

فاغن بالبعض قانعا و تغافل عنهم فى قبيح فعل و ذمّ

و قال: [السريع]

ذلّ المعاصى ميتة يا لها من ميتة لا ينقضى عارها!

عزّ التّقى هو الحياة التى ذو العقل و الهمّة يختارها

و قال: [الخفيف]

لا تسمع يوما صديقك قولا فيه غضّ ممن يحبّ الصديق

إنّ برّ الصديق لا شكّ منه لصديق الصديق أيضا فريق

و قال: [السريع]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۸۵

للجار حقّ فاعتمد برّه و احمل أذاه مغضيا ساترا

فاللّه قد وصّى به فاغتفر زلله الباطن و الظاهرا

و قال: [الخفيف]

سالم الناس ما استطعت و دارى أخسر الناس أحمق لا يدارى

ضرّك الناس ضرّ نفسك يجنى لا يقوم الدخان إلّا لنار

و قال: [السريع]

النصح عند الناس ذنب فدع نصح الذى تخاف أن يهجرك

الناس أعداء لنصّاحهم فاترك هديت النصح فيمن ترك

و قال: [الكامل]

تجرى الأمور على الذى قد قدّرا ما حيلة أبدا تردّ مقدّرا

فارض الذى يجرى القضاء به و لا تضجر فمن عدم الرضا أن تضجرا

و قال: [الطويل]

أخوك الذى يحميك فى الغيب جاهدا و يستر ما تأتى من السوء و القبح

و ينشر ما يرضيك فى الناس معلنا و يغضى و لا يألو من البرّ و النصح

و قال: [السريع]

لا تصحب الأردى فتردى معه و ربما قد تقتفى منزعه

فالحبل إن يجرر على صخرة أبدى بها طريقة مشرعه

و قال: [البسيط]

ما فات أو كان لا تندم عليه فما يفيد بعد انقضاء الحادث الندم

ارجع إلى الصبر تغنم أجره و عسى تسلو به فهو مسلاة و مغتنم

و قال: [الكامل]

السخط عند النائبات زيادة فى الكرب تنسى ما يكون من الفرج

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۸۶

من لم يكن يرضى بما يقضى فيا للّه ما أشقى و أصعب ما انتهج

و قال: [السريع]

إن تبتغ الإخوان ما إن تجد أخا سوى الدينار و الدرهم

فلا تهنهما و عزّزهما تعش عزيزا غير مستهضم

و قال: [مجزوء الكامل]

من يستعن بصديقه يعن العدوّ على أذاته

برّ الصديق مهابة للمرء تحمل من عداته

فاحفظ صديقك و لتكن تبدى المحاسن من صفاته

و قال: [البسيط]

نعوذ بالله من شرّ اللسان كما نعوذ بالله من شرّ البريّات

يجنى اللسان على الإنسان ميتته كم للسان من آفات و زلّات

و قال: [السريع]

من لم يكن مقصده مدحة فقد أتى بحبوحة العافيه

محبّة المدحة رقّ بلا عتق و ذلّ يا له داهيه

من لا يبالى الناس مدحا و لا ذمّا أصاب العيشة الراضيه

و قال: [مجزوء الرمل]

شرّ إخوانك من لا تهتدى فيه سبيلا

يظهر الودّ و يخفى مكره داء دخيلا

يتقى منك اتّقاء و هو يوليك الجميلا

و قال: [الوافر]

قوام العيش بالتدبير فاجعل لعيشك منه فى الأيام قسطا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۸۷

و خذ بالصبر نفسك فهو عزّ تلوذ به إذا ما الخطب شطّا

و قال: [مجزوء الكامل]

العيش ثلث فطنة و الغير منه تغافل

فتغافل ان كنت امرأ إيثار عيشك تأمل

و قال: [الرمل]

ينفذ المقدور حتما لا يردّ فعلام الحرص دأبا و الكمد

أرح النفس تعش فى غبطة و كل الأمر إلى اللّه فقد

و قال: [البسيط]

زر من تحبّ وزره ثم زره و لا تملّ و اجعله دأبا موضع النظر

لو لا متابعة الأنفاس ما بقيت روح الحياة و لا دامت مدى العمر

و قال: [البسيط]

لا تترك الحزم فى شىء فإنّ به تمام أمرك فى الدنيا و فى الدين

من ضيّع الحزم تصحبه الندامة فى أيامه و يرى ذلّ المهاوين

و قال: [الخفيف]

كن إذا زرت حاضر القلب و احذر أن تملّ المزور أو أن تطيلا

لا تثقّل على جليس و خفّف إنّ من خفّ عدّ شخصا نبيلا

و قال: [مجزوء الرمل]

من خلا عن حاسد قد مات فى الأحياء ذكره

إنما الحاسد كالنا ر لعود طاب نشره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۸۸

لا عدمنا حاسدا فى نعمة ليست تسرّه

و قال: [الوافر]

حبيبك من يغار إذا زللتا و يغلظ فى الكلام متى أسأتا

يسرّ إن اتّصفت بكلّ فضل و يحزن إن نقصت أو انتقصتا

و من لا يكترث بك لا يبالى أحدت عن الصواب أم اعتدلتا

و قال: [مجزوء الرمل]

لن لمن تخشى أذاه و ألقه فى باب داره

إنما الدنيا مدارا ة فمن تخشاه داره

و قال: [مجزوء الرمل]

حسد الحاسد رحمه لا يرى إلّا لنعمه

إنما الحاسد يشكو حرّ أكباد و غمّه

لا عدمنا حاسدا فى نعمة تكثر همّة

و قال: [المجتث]

تبديل شخص بشخص خسران الاثنين جمله

فاشدد يديك على من عرفت، و ارفع محلّه

فإنّ قطع خليل بعد التواصل زلّه

و قال: [السريع]

أنت بخير ما تركت الظهور و القال و القيل و طرق الشرور

من خاض بحرا فهو لا بدّ يب تلّ و من يجر يصبه العثور

سلامة المرء اشتغال بما يهمّه لنفسه من أمور

و قال: [الرمل]

أنت حرّ ما تركت الطمعا و عزيز ما تبعت الورعا

و كفى بالعزّ مع حريّة شرفا يختاره من قنعا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۸۹

و قال: [مجزوء الرجز]

خلّ بتيّات الطرق و وافق الناس تفق

من خالف الناس أتى أعظم أبواب الحمق

فكن مع الناس فتر ك جملة الناس خرق

و قال: [مجزوء الرمل]

لا تضق صدرا بحاسد فهو فى نار يكابد

من يرى أنك خير منه تعروه شدائد

إنما الحاسد يشقى و هو لا يحظى بعائد

و قال: [البسيط]

من يستمع فى صديق قول ذى حسد لا شك يقصيه فاحذر غيلة الحسد

يهابك الناس ما تدنى الصديق فإن أقصيته زدت للأعداء فى العدد

و قال: [مجزوء الرجز]

كم من أخ صحبته و النفس عنه راغبه

خشيت، إن فارقته بالهجر، سوء العاقبه

و قال: [الوافر]

إذا كانت عيوبك عند نقد تعدّ فأنت أجدر بالكمال

متى سلمت من النقد البرايا و حسبك ما تشاهد فى الهلال

و قال: [الوافر]

إذا انطوت القلوب على فساد فإنّ الصمت ستر أىّ ستر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۹۰

فلا تنطق و قلبك فيه شىء بغير الحقّ، و احذر قول شرّ

و قال: [المنسرح]

إن كنت لا تنصر الصديق فدع سماعك القول فيه و اجتنب

سماع عرض الصديق منقصة لا يرتضيها الكريم ذو الحسب

و قال: [مجزوء الرمل]

أنت فى الناس تقاس بالذى اخترت خليلا

فاصحب الأخيار تعلو و تنل ذكرا جميلا

صحبة الخامل تكسو من يواخيه خمولا

و قال: [المجتث]

اسمح يزنك السماح إنّ السماح رباح

لا تلق إلّا ببشر فالبشر فيه النجاح

تقطيبك الوجه جدّ أجلّ منه المزاح

و قال: [البسيط]

من كنت تعرفه كن فيه متّئدا يكفيك من خلقه ما أنت تعرفه

لا تبغ من أحد عرفته أبدا غير الذى كنت منه قبل تألفه

و قال: [الكامل]

حاسب حبيبك كالعدوّ تدم له منك المحبة، فالتناصف روحها

من كان يغمض فى حقوق صديقه نقصت مودّته و شيب صريحها

و قال: [الوافر]

تغافل فى الأمور و لا تناقش فيقطعك القريب و ذو المودّه

مناقشة الفتى تجنى عليه و تبدله من الراحات شدّه

و قال: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۹۱

إن شئت تعرف نعمة اللّه التى أولاك فانظر كلّ من هو دونكا

لا تنظر الأعلى فتنسى ما لدى ك و من من الضعفاء يستجدونكا

و قال: [الخفيف]

عجبا أن ترى قبيح سواكا و تعادى الذى يرى منك ذاكا

لو تناصفت كنت تنكر ما فى ك و ترضى الوصاة ممّن نهاكا

و قال: [الخفيف]

جرّب الناس ما استطعت تجدهم لا يرى الشخص منهم غير نفسه

فالسعيد السعيد من أخذ العف و وداری جميع أبناء جنسه

و قال: [الرمل]

فرط حبّ الشيء يعمى و يصمّ فليكن حبّك قصدا لا يصم

نقص عقل أن يغطّى حسّك الحد بّ أو يلهيك عن أمرهم

و قال: [المجتث]

سلّم و غضّ احتسابا فذا هو اليوم أسلم

النقد نار تجلّى فى القلب جمرا تضرّم

فاطو اعتراضك و اغفل عن عيب غيرك تسلم

و قال: [مجزوء الكامل]

عدة الكريم عطيّة لا مطل فى عدة الكريم

المطل تحريض العدا ة، و ذاك من فعل اللئيم

فدع المطال إذا وعد ت فإنه عمل ذميم

و قال: [الخفيف]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۹۲

من تناسى ذنوبه قتلته و أبانت عنه الولىّ الحميما

ذكرك الذنب نفرة عنه تبقى لك إنكار فعله مستديما

و قال: [الكامل]

عجبا لمادح نفسه لا يهتدى لتنقّص يبديه فيه مدحها

مدح الفتى عند التحدّث نفسه ذكرى معايبه فيدرى قبحها

و قال: [السريع]

من حسنت أخلاقه عاش فى نعمى و فى عزّ هنىء و ودّ

و من تسؤ للخلق أخلاقه يعش حقيرا فى هموم و كدّ

و قال: [السريع]

من كان يحمى ناسه صار ذا عزّ و هابته نفوس البشر

و من يكن يخذل أحبابه هان، و من هان فلا يعتبر

و قال: [البسيط]

قارب و سدّد إذا ما كنت فى عمل إنّ الزيادة فى الأعمال نقصان

ما خالف القصد فى كلّ الأمور هوى نفس، و كلّ هوى شؤم و حرمان

و قال: [البسيط]

بقدر همّته يعلو الفتى أبدا لا خير فى خامل الهمّات ممتهن

هيهات يعلو فتى خمول همّته يقوده لابتذال النفس و المهن

و قال: [السريع]

اصحب ذوى الحدة و ارغب عن ال خبيث فالصحبة ذا داؤها

و انظر إلى قول نبىّ الهدى «خيار أمتى أحدّاؤها»

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۹۳

و قال: [الخفيف]

ما صديق الإنسان فى كلّ حال يا أخى غير درهم يقتنيه

لا تعوّل على سواه فتغدو خائب القصد دون ما تبتغيه

و قال: [الخفيف]

يستفزّ الهوى للانسان حتى لا يرى غير محنة أو ضلال

و يرى الرشد غير رشد، و يغدو يحسب الحقّ من ضروب المحال

و قال: [الخفيف]

لا تبالغ فى الشّرّ مهما استطعتا و تغافل و احلم إذا ما قدرتا

فانقلاب الأمور أسرع شىء و تجازى بضعف ما قد صنعتا

و قال: [البسيط]

مثّل عواقب ما تأتى و ما تذر و احذر فقد ترتجى أن ينفع الحذر

لا تقدمنّ على أمر بلا نظر فإنّ ذلك فعل كلّه خطر

و انظر و فكّر لما ترجو توقّعه فعمدة العاقل التفكير و النظر

و قال: [السريع]

حافظ على نفسك من كلّ ما يشينها من خلل أو زلل

و احرص على تخليصها بالذى تنجو به من قول أو من عمل

و قال: [الكامل]

سكر الولاية ما له صحو و كلامها و حراكها زهو

يهذى الفتى أيام عزّتها فإذا تقضّت نابه شجو

فحذار لا تغررك صولتها و زمانها فثبوتها محو

و قال: [البسيط]

دع الجدال و لا تحفل به أبدا فإنه سبب للبغض ما وجدا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۹۴

سلّم تعش سالما من كلّ متعبة قرير عين إذا لم تعترض أحدا

و قال: [البسيط]

إذا ترى المبتلى أشكر أن نجوت و لا تشمت به و لتسل من ربّك العافيه

و خف من أن تبتلى كما ابتلى فترى كما تراه و ما تقيك من واقيه

و قال: [السريع]

العمر ساعات تقضّى فلا تقضيه فى السّهو و الغفله

و اعمل لما أنت له صائر ما دمت من عمرك فى مهله

و لا تكن تأوى لدنيا و قل لا بدّ لا بدّ من النقله

و قال: [الخفيف]

كن رفيقا إذا قدرت حليما و تغافل تسلك طريقا قويما

لا تظنّ الزمان يبقى على من سرّه أن ينيل عزا سليما

إنّ للدهر صولة و انقلابا و لهذا نعيمه لن يدوما

و قال: [السريع]

من لم يكن ينفع فى الشدّه فلا تكن معتمدا ودّه

لا تعتمد إلّا أخا حرمة إن ناب خطب تلفه عدّه

و خلّ من يهزأ فى ودّه و لا ترى فى معضل جدّه

و قال: [الطويل]

أخوك الذى تلفيه فى كل معضل يدافع عنك السوء بالمال و العرض

و يستر ما تأتى من القبح دائما و ينشر ما يرضى و إن سؤته يغضى

و قال: [الكامل]

لا تنه عمّا أنت فاعله و انظر لما تأتيه من ذنب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۹۵

و ابدأ بنفسك فانهها فإذا تقفو الصواب فأنت ذو لبّ

و قال: [البسيط]

ليس الصديق الذى يلقاك مبتسما و لا الذى فى التهانى بالسرور يرى

إنّ الصديق الذى يولى نصيحته و إن عرت شدّة أغنى بما قدرا

و قال: [الكامل]

عجبا لمستوف منافع نفسه و يرى منافع من سواه تصعب

ما ذاك إلّا عدم إنصاف و من عدم التناصف كيف يرجو يصحب

و قال: [السريع]

من عدم الهمّة فى راحة من أمره يكرم أو يهتضم

و إنما يشقى أخو همّة فإنّ الانكاد بقدر الهمم

و قال: [الخفيف]

قلّما تنفع المداراة إلّا عند أهل الحفاظ و الأحساب

من يدارى اللئيم فهو كمن يس تعمل الدّرّ فى نحور الكلاب

و قال: [السريع]

دنياك هذى عرض زائل تفتن ذا الغرّة و الغفله

فاعمل لأخراك و قدّم لها ما دمت من عمرك فى مهله

و قال: [السريع]

نصيحة الصديق كنز فلا تردّ ما حييت نصح الصديق

و خذ من الأمور ما ينبغى ودع من الأمور ما لا يليق

و قال: [الخفيف]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٩۶

أنت حرّ ما لم يقيّدك حبّ أو تكن فى الورى يرى لك ذنب

الهوى كلّه هوان و شغل و المعاصى ذلّ يعانى و كرب

و قال: [المجتث]

هوّن عليك الأمورا تعش هنيئا قريرا

و اعلم بأنّ الليالى تبلى جديدا خطيرا

و تستبيح عظيما و لا تجير حقيرا

و قال: [المجتث]

ألف صديق قليل و الودّ منهم جميل

كما عدوّ كثير إذ ضرّه لا يزول

فلا تضيّع صديقا فالنفع فيه جليل

و قال: [البسيط]

دع الحسود تعاتبه لظى حسده حتى تراه لقى يموت من كمده

ما للحسود سوى الإعراض عنه و أن يبقى إلى كربه فى يومه و غده

و قال: [البسيط]

الناس حيث يكون الجاه و المال فخلّ عنك و لا تحفل بما قالوا

و عدّ عمّن يقول العلم قصدهم أو الصلاح أما تبدو له الحال

انظر لماذا هم يسعون جهدهم يبن لك الحقّ لا يعروه إشكال

و قال: [الوافر]

توسّط فى الأمور و لا تجاوز إلى الغايات فالغايات غىّ

كلا الطرفين مذموم إذا ما نظرت و أخذك المذموم عىّ

و قال: [السريع]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۹۷

عامل جميع الناس بالحسنى إن شئت أن تحظى و أن تهنا

و لا تسىء يوما إلى أحد فتجمع الراحة و الأمنا

و قال: [الخفيف]

لا تفكّر فللأمور مدبّر و ارض ما يفعل المهيمن و اصبر

أنت عبد و حكم مولاك يجرى بالذى قد قضى عليك و قدّر

و قال: [المجتث]

إذا رأيت القبيحا فقل كلاما مليحا

و اغض و استر و سلّم و كن حليما صفوحا

تعش هنيئا و تلقى برّا و شكرا صريحا

و قال: [السريع]

من ينكر الإحسان لا توله ما عشت إحسانا فلا خير فيه

البذر فى السّباخ ما إن له نفع فذره فهو فعل السفيه

و قال: [السريع]

من لم يكن ينفع فى ودّه دعه و لا تقم على عهده

ودّ بلا نفع عناء فلا تعن بشىء حاد عن حدّه

و قال: [الخفيف]

در مع الدهر كيفما دار إن شئت تصحبه

ودع الحذق جانبا ليس بالحذق تغلبه

و حذار انقلابه فكثير تقلّبه

و قال: [الكامل]

من ليس يغنى فى مغيب عنك لا تحفل به فوداده مدخول

يثنى عليك و أنت معه حاضر فإذا تغيب يكون عنك يميل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۹۸

و قال: [السريع]

دع نصح من يعجبه رأيه و من يرى ينجحه سعيه

النصح إرشاد فلا توله إلّا فتى يحزنه غيّه

لا يقبل النصح سوى مهتد يقوده لرشده هديه

و قال: [البسيط]

البخت أفضل ما يؤتى الفتى فإذا يفوته البخت لا ينفكّ يتّضع

يكفيك فى البخت تيسير الأمور و أن يكون ما ليس ترضى عنك يندفع

و قال: [الخفيف]

افعل الخير ما استطعت ففعل ال خير ذكر لفاعليه و ذخر

و تواضع تنل علاء و عزّا فاتّضاع النفوس عزّ و فخر

و قال: [مجزوء الوافر]

صديق المرء درهمه به ما دام يعظمه

فصنه ما استطعت و لا تكن فى اللهو تعدمه

ففقر المرء ميتته لذا تغدو فترحمه

و قال: [الخفيف]

لا تقرّب ما اسطعت خلّ عدوّ فخليل العدوّ حلف عداوه

و تحفّظ منه و داره و انظر هل ترى من سيماه إلّا القساوه

و قال: [الخفيف]

لا تعد ذكر ما مضى فهو أمر فقد تقضّى و قد مضى لسبيله

و تكلّم فيما تريد من الآ تى و دبّر للشيء قبل حلوله

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۹۹

و قال: [البسيط]

قساوة المرء من شقائه فإذا يلين ساد بلا أين و لا نصب

لا يرحم اللّه إلّا الراحمين، فمن يرحم ينل رحمة فى كلّ منقلب

و قال: [البسيط]

جيء بالسماح إذا ما جئت فى غرض ففى العبوس لدى الحاجات تصعيب

سماحة المرء تنبى عن فضيلته فلا يكن منك مهما اسطعت تقطيب

و قال: [الخفيف]

لا تسامح يوما دنيّا إذا ما قال فى فاضل كلاما رديّا

إنّ قصد الدنيّ إنزال أهل ال فضل حتى يرى عليهم عليّا

و قال: [الخفيف]

خذ من القول بعضه فهو أولى و تحفّظ ممّا يقول العداة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص۹۹

ربما تأخذ الكلام بجدّ و هو هزل قد نمّقته عداة

فاحترز من غرور الاقوال و اعلم أنّ الاقوال بعضها كذبات

و قال: [مجزوء الرمل]

نافس الأخيار كيما تحرز المجد الأثيلا

لا تكن مثل سراب رىء لم يشف غليلا

إنما أنت حديث فلتكن ذكرا جميلا

و قال: [مجزوء الكامل]

الصمت عزّ حاضر و سلامة من كلّ شرّ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠٠

فإذا نطقت فلا تكن ثّر و اجتنب قول الهذر

و حذار ممّا يتّقى و حذار من طرق الغرر

و قال: [السريع]

سلامة الإنسان فى وحدته و أنسه فيها و فى حرفته

ما بقى اليوم صديق و لا من ترتجى النصرة فى صحبته

فقرّ فى بيتك تسلم ودع من ابتلى بالناس فى محنته

و قال: [الوافر]

مطاوعة النساء إلى الندامه و توقع فى المهانة و الغرامه

فلا تطع الهوى فيهنّ و اعدل ففى العدل الترضّى و السلامه

و قال: [البسيط]

كانت مشاورة الإخوان فى زمن قول المشاور فيهم غير متّهم

و الآن قد يخدع الذى تشاوره إشماتا أو حسدا يلقيك فى الندم

فاضرع إلى اللّه فيما أنت تقصده يهديك للرشد فى الأفعال و الكلم

و قال: [الخفيف]

عدّ عمّن يراك تصغر عنه و تحفّظ من قربه و أبنه

إنّ من لا يراك فى الناس خيرا منه فالخير فى التحفّظ منه

و قال: [البسيط]

رزانة المرء تعلى قدره أبدا و طيشه مسقط له و إن شرفا

فاربأ بنفسك من طيش تعاب به و إن تكن حزت معه العلم و الشرفا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٠١

و قال: [البسيط]

الصدق عزّ فلا تعدل عن الصدق و احذر من الكذب المذموم فى الخلق

من لازم الصدق هابته الورى و علا فالزمه دأبا تفز بالعزّ و السبق

و قال: [الكامل]

ليس التفضّل يا أخى أن تحسنا لأخ يجازى بالجميل من الثّنا

إنّ التفضّل أن تجازى من أسا لك بالجميل و أنت عنه فى غنى

و قال: [السريع]

من واصل اللّذّات لا بدّ أن تعقبه منها الندامات

فخذ من اللّذّات و اترك و لا تسرف ففى الإسراف آفات

و قال: [مجزوء الرجز]

دع معجبا بنفسه فى غيّه و لبسه

لا يقبل النصح لها من نخوة برأسه

فخلّه لكيده و عجبه بنفسه

و قال: [مجزوء الكامل]

عتب الصديق دلالة منه على صدق المودّه

فإذا يقول فقصده الت نزيه عمّا قام عنده

فاحلم إذا عتب الصديق و لا تخيب فيك قصده

و قال: [الخفيف]

ترتجى فى النوائب الإخوان هم لدى كلّ شدّة أعوان

فإذا لم يشاركوا فسواء هم و الأعداء كيفما قد كانوا

و قال: [البسيط]

انصر أخاك على علّاته أبدا تهب و تسلك سبيل العزّ و الظفر



و لا تدعه إلى الإشمات مطّرحا فإنّ ذلك عين الذّلّ و الصغر

و قال: [البسيط]

من عزّ كانت له الأيام خادمة تريه آماله فى كلّ ما حين

و من يهن أولغت فيه المدى و أرت له النوائب فى أثوابها الجون

و قال: [البسيط]

خلّ المنجّم يهذى فى غوايته و اقصد إلى اللّه ربّ النجم و الفلك

لو كان للنجم حكم لم تجد أحدا يخالف النجم إلّا انهدّ فى درك

و قال: [السريع]

حماية المرء لمن يصحب تدلّ أنّ أصله طيّب

لا خير فيمن لا يرى ناصرا صديقه و هو له ينسب

و قال: [السريع]

يا عاتبا من لا له همّة ألا اتّئد إلى متى تعتب

هل يسمع الميّت أو يبصر ال لأعمى؟ محال كلّ ما تطلب

و قال: [الرجز]

لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلّا أولو الفضل من اهل العقل

هيهات يدرى الفضل من ليس له فضل، و لو كان من أهل النّبل

و قال: [السريع]

لا تطلب المرء بما اعتدت من أخلاقه و المرء فى وهن

تنتقل الأخلاق لا شكّ مع تنقّل الحالات و السّنّ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۰۳

و قال: [الخفيف]

لا تعامل، ما عشت، غيرك إلّا بالذى أنت ترتضيه لنفسك

ذاك عين الصواب فالزمه فيما تبتغيه من كلّ أبناء جنسك

و قال: [مجزوء الرمل]

باعد الناس يوالوكا و اعتزل عنهم يهابوكا

فإذا ما تصطفيهم وقعوا فيك و عابوكا

و قال: [مخلع البسيط]

إياك لا تخذل الصديقا و ارع له العهد و الحقوقا

نصرته ما قدرت عزّ تمهده للعلا طريقا

فلا تسامح به عدوّا و كن له ناصرا حقيقا

و قال: [البسيط]

حدّث جليسك ما أصغى إليك، فإن تراه يعرض فاقطع عنه و انصرف

خفّف فقد يضجر الذى تجالسه طول المقام أو التحديث فى سرف

و قال: [الوافر]

جماع الخير فى ترك الظهور و إظهار التواضع و البرور

و فى أضدادها من غير شكّ جميع وجوه أنواع الشرور

و قال: [السريع]

محبّة الدرهم طبع البشر فاقنع من المرء بما قد حضر

و قس على نفسك فى بذله تقف على تحقيق عين الخبر

و قال: [الخفيف]

لا يلم غير نفسه كلّ من قد عرّض النفس أن تهان فذلّا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۰۴

ينظر العاقل الأمور فيأبى أن يرى منه غير ما هو أولى

و قال: [الخفيف]

أعذر الناس من أتته المضرّه من أخ كان يرتجى منه نصره

مثل من غصّ بالشراب ف كان الهلك فيما رجاه يدفع ضرّه

و قال: [السريع]

سلّم تعش سالما ممّا يقال من يعترض يعترض فى كلّ حال

نقد الفتى غافلا عن عيبه لا يرتضى عند أرباب الكمال

و قال: [البسيط]

تواضع المرء ترفيع لرتبته و كبره ضعة من غير ترفيع

فى نخوة الكبر ذلّ لا اعتزاز له و فى التواضع عزّ غير مدفوع

و قال: [الكامل]

إياك لا تنكر فضيلة كلّ من تدرى فضيلته فترمى بالحسد

إنكارها يجنى عليك تنقّصا و يزيده شرفا يديم لك الكمد

و قال: [الكامل]

انصر أخا لك ما استطعت فإنما تعتزّ بالإخوان ما عزّوا

من يخذل الإخوان يخذل نفسه و يهن و ما لهوانه عزّ

و قال: [البسيط]

إذا جزاك بسوء من أسأت له فذاك عدل و ما فى العدل من زلل

جزاء سيئة بالنصّ سيئة لا حيف فى ذاك فى قول و لا عمل

و قال: [الكامل]

نفس و شيطان و دنيا و الهوى يا ربّ سلّم من شرور الأربعة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۰۵

أنت المخلّص من رجاك و إننى أرجوك فيما أتّقى أن تدفعه

و قال: [مجزوء الرمل]

لا تعظّم يا أخى نف سك إن شئت السلامه

من يعظّم نفسه يج ن امتهانا و ملامه

فتواضع تلق عزّا و احتفاء و كرامه

و قال: [السريع]

دع لذّة الدنيا فمن يبتلى بحبّها ذاق عذاب السّموم

لذّاتها حلم، و أيامها لمح، و لكن كم لها من هموم

محبة الدنيا هلاك، فمن يرومها أهلكه ما يروم

و قال: [الخفيف]

كلّ خلّ يعدّ ما أنت تخطى لا تعوّل على صفاء وداده

إنما الخلّ من تناسى خطايا ك و يبقى له جميل اعتقاده

و قال: [البسيط]

من عامل الناس بالإنصاف شاركهم فى مالهم و أحبّوه بلا سبب

إنصافك الناس عدل لا تزال به تعلو إلى أن ترى فى أرفع الرتب

و قال: [الرمل]

قل جميلا إن تكلّمت و لا تقل الشّرّ فعقبى الشّرّ شر

من يقل خيرا ينل خيرا، و من يقل الشّرّ إذا يخشى الضرر

و قال: [الوافر]

إذا التأمت أمورك بعض شيء بأرضك فاستقم فيها و لازم

فما فى غربة الإنسان خير و ما بالغربة الدنيا تلازم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۰۶

و قال: [السريع]

إلى متى تسرح مرخىّ العنان قل يا أخى حتى متى ذا الحران

ارجع إلى اللّه و خلّ الهوى فما الهوى يا صاح إلّا هوان

قد أنذر الشيب فهل سامع أنت فمصغ للذى قد أبان

و قال: [السريع]

من يكفر النعمة لا بدّ أن يسلبها من حيث لا يشعر

و من يكن يشكرها معلنا دامت له نامية تكثر

و قال: [المجتث]

اعذر أخا الفقر فى أن يضيق ذرعا بنفسه

الفقر موت، و لكن من للفقير برمسه

إنّ الفقير لميت ما بين أبناء جنسه

و قال: [السريع]

كما تدين أنت يا صاحبى تدان فاعمل عمل الفاضل

أنت كما أنت فخلّ الذى يزيّن النفس من الباطل

و أين أنت ثم أنت ادر ذا حسبك فاحذر زلل العاقل

و قال: [السريع]

مالك ما أنفقته قربة للّه، و الباقى حساب عليك

فقدّم المال ترد آمنا من بعده و هو ثواب لديك

و قال: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۰۷

دع مدح نفسك إن أردت زكاءها فبمدح نفسك من مقامك تسقط

ما أنت تخفضها يزيد علاؤها و العكس، فانظر أيّما لك أحوط

و قال: [مجزوء الكامل]

ذو النقص يصحب مثله فالشكل يألف شكله

فاصحب أخا الفضل كيما تقفو بفعلك فعله

أما ترى المسك دأبا يكسب طيبا محلّه

و قال: [البسيط]

من عينى المرء يبدو ما يكتمه حتى يكون الذى يرعاه يفهمه

ما يضمر المرء يبدو من شمائله لناظر فيه يهديه توسّمه

و قال: [مجزوء الرمل]

إنما الدنيا خيال و أمانيها خبال

حبّها سكر، و لكن وصلها ما إن ينال

فتنزّه عن هواها فهوى الدنيا ضلال

و قال: [الرمل]

قلّما يؤذيك من لا يعرفك فتحفّظ من صديق يألفك

لا تثق بالودّ ممّن تصطفى كم صديق تصطفيه يتلفك

و قال: [المنسرح]

لا تضجرن فى الأمور و ارض بما يقضى به اللّه فهو مكتتب

ما قدّر اللّه لا مردّ له فما يفيد العناء و التعب

و قال: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۰۸

تنزّه عن دنيّات الأمور و خذ بالحزم فى الأمر الخطير

فأشراف الأمور لها جمال و خطر فى البهاء و فى الظهور

و فى سفسافها لا شكّ و هن و تمهين يشين مدى الدهور

و قال: [الكامل]

من يبتلى من أهله بمنغّص يصبر، فما أحد بغير منغّص

من أزمنت بالوجه منه قرحة يعزم على ضرر يشين مخصّص

و قال: [السريع]

من كان فى عزّته داره و كرّر المشى إلى داره

قبّل يدا تعجز عن قطعها و لن لمن تخشى من اضراره

و قال: [السريع]

لا تبتغ النعمة من جائع لم يرها قبل لآبائه

لا يرشح الإناء ما لم يكن ملآن قد أفعم من مائه

و قال: [مخلع البسيط]

مروءة المرء رأس ماله و صونه أشرف اعتماله

من لم يصن نفسه تردّى و زال عن رتبة اكتماله

و قال: [المجتث]

ترك المطامع عزّه و اليأس أهنا و أنزه

هيهات يعتزّ مثر أضحى للأطماع نهزه

نزاهة النفس عزّ ما ذلّ من يتنزّه

و قال: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۰۹

تعظيمك الناس تعظيم لنفسك فى قلوب الأعداء طرّا و الأودّاء

من يعظم الناس يعظم فى نفوس بلا مؤونة و ينل عزّ الأعزاء

و قال: [السريع]

اقنع من الناس بمقدار ما يعطون لا تبتغ منهم مزيد

حسبك من كلّ امرئ قدر ما يعطيك فالأطماع ما إن تفيد

و قال: [الخفيف]

لن إذا كانت الأمور صعابا و تواضع لها تجدها قرابا

دار من شئت تنتفع منه و اترك صولة الكبر فهى تجنى عذابا

لا تكن تأخذ الأمور بعنف من يعانى الأمور بالعنف خابا

و قال: [الخفيف]

سامح الناس إن أساؤوا إليكا و تغافل إذا تجنّوا عليكا

ما ترى كيف أنت تعصى و مولا ك يزيد الإنعام دأبا لديكا

و قال: [مجزوء الرمل]

اغتنم ساعة أنس و انس ما كان بأمس

ليس للمرء من دّن ياه سوى راحة نفس

من يكن حلف هموم باع دنياه ببخس

و قال: [الرمل]

حبّك الشيء يغطّى قبحه فتراه حسنا فى كلّ حال

لا يرى المحبوب إلّا حسنا كان قبح فيه مع ذا أو جمال

حتّم الحب على ذى الحبّ أن لا يرى المحبوب إلّا فى كمال

و قال: [الرمل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۱۰

يحسب الناقص أنّ الناس قد غفلوا عن حاله فى ضعته

لا يرى الناقص إلّا أنه كامل من نعته فى صفته

غلط المرء يغطّى عقله أن يرى النقص الذى فى جهته

و قال: [المجتث]

أيام عمرك هذى ساعاتها رأس مالك

فاحرص على الخير فيها قبل أوان ارتحالك

فإنما أنت طيف تجتاب سبل المهالك

و قال: [الرمل]

تجد الناس على النقص و لا تجد الكامل إلّا من و من

زمن الباطل وافى أهله و كذاك الناس أشباه الزمن

و قال: [الخفيف]

قل جميلا إذا أردت الكلاما تجن عزّا مهنّأ مستداما

إنّ قول القبيح يورث بغضا و صغارا عند الورى و ملاما

و قال: [الرمل]

حسّن الظنّ تعش فى غبطة إنّ حسن الظّنّ من أقوى الفطن

من يظنّ السوء يجزى مثله قلّما يجزى قبيح بحسن

و قال: [السريع]

إن تبع إخوان الصفاء فهم تحت التراب انتقلوا للقبور

إخوانك اليوم كأزمانهم مشتبهون فى جميع الأمور

و قال: [المتقارب]

و مستقبح من أخ خلّة و فيه معايب تسترذل

كأعمى يخاف على أعور عثارا و عن نفسه يغفل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١١١

و قال: [السريع]

من يبتغ الودّ من الناس يكن لما قالوه بالناسى

أغض عن الناس تنل ودّهم إنك لا تغنى عن الناس

و قال: [مجزوء الرجز]

أعيت مع الناس الحيل و بار فيهم العمل

فى أىّ وجه أمّلوا يخيب منهم الأمل

فآثر العزلة عن هم تنج من كلّ خلل

و قال: [الكامل]

لا ترج غير اللّه فى شىء تنل ما تبتغيه و تكف كلّ مخوّف

اللّه أعظم من رجوت فثق به فهو الذى أعطى و أنجى من كفى

و قال: [المتقارب]

توسّل إلى اللّه فى كلّ ما تحبّ بمحبوبه المصطفى

تنل ما تحبّ كما تبتغى و حسبك جاها به و كفى

انتهى ما لخصت و اخترت من الكتاب المذكور.

[نبذة من كتابه «الأبيات المهذبة، فى المعانى المقربة»]

و هذه نبذة من كتابه «الأبيات المهذبة، فى المعانى المقربة» فمن ذلك قوله: [الخفيف]

اكتم السّرّ و اجعل الصّدر قبره لا تبح ما حييت منه بذرّه

أنت ما لم تبح بسرّك حرّ فإذا بحت صرت عبدا بمرّه

من يرد أن يعيش عيشا هنيئا يتحفّظ ممّا عسى أن يضرّه

و قال: [السريع]

عداوة العاقل مع عسرها آمن من صداقة الأحمق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۱۲

يمكّن الأحمق من نفسه عمدا و من أحبابه يتّقى

لا يحفظ الأحمق خلّا و لا يرضاه للصحبة إلّا شقى

و قال: [الوافر]

إذا أمعنت فى الدنيا اعتبارا رأيت سرورها رهن انتخاب

بعاد عن تدان، و افتقار عن استغنا، و شيب عن شباب

حياة كلّها أضغاث حلم و عيش ظلّه مثل السراب

و قال: [السريع]

من تره يسرف فى ماله يتلفه فى لذّة و انهماك

فذلك المغبون فى رأيه يسلك بالنفس سبيل الهلاك

و قال: [البسيط]

من لا يرى نفسه فى الناس قاصرة عن الكمالات لم يكمل له أدب

و من يكن راضيا عن نفسه أبدا فذاك غرّ عن الآداب محتجب

آداب الانسان تحقيقا تواضعه و جريه دائما على الذى يجب

و قال: [الوافر]

يحقّ الحقّ حتما دون شكّ و إن كره المشكّك و الملدّ

صريح الحقّ قد يخفى و لكن بعيد خفائه لا شكّ يبدو

و قال: [الرمل]

كلّ ما قد فات لا ردّ له فلتكن عن ذاك مصروف الطّمع

أ يعود الحسن من بعد الصّبا قلّما أدبر شىء فرجع

و قال: [الخفيف]

اغتنم غفلة الزمان و بادر لذّة العيش ما بقيت سليما

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۱۳

أمر هذى الحياة أيسر من أن تغتدى فيه لائما أو ملوما

و قال: [الخفيف]

لا تغرّنك صولة الجاه يوما أو تظنّ أنها تتمادى

صولة الجاه لفح نار و لكن كلّ نار لا بدّ تلفى رمادا

و قال: [المتقارب]

تنحّ عن الناس مهما استطعت و لا تك فى الناس بالرّاغب

من اعتمد الناس يشقى و لا يرى غير منتقد عائب

و قال: [مجزوء الرمل]

لا تقل يوما فتقاسى محنا

من يعظّم نفسه يلق هونا و عنا

شرّ ما يأتى الفتى مدحه لو فطنا

و قال: [البسيط]

الناس إخوان ذى الدنيا و إن قبحت أفعاله، و غدا لا يعرف الدنيا

يعظّمون أخا الدنيا و إن عثرت يوما به أولغوا فيه السكاكينا

و قال: [البسيط]

العدل روح به تحيا البلاد كما هلاكها أبدا بالجور ينحتم

الجور شين به التعمير منقطع و العدل زين به التمهيد ينتظم

يا قاتل اللّه أهل الجور كم خربت بهم بلاد و كم بادت بهم أمم

و قال: [المجتث]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۱۴

اليأس أسلى و أغنى من نيل ما يتمنّى

يسلو أخو اليأس حتى يهنّا و لا يتعنّى

لليأس برد فمن لم يذقه لم يتهنّا

و قال: [الطويل]

إذا عظمت نفس امرئ صار قدره حقيرا، و حيث احتلّ فالذلّ صاحبه

يسود و يعلو ذو التواضع دائما و يحظى كما يرضى و تقضى مآربه

و قال: [الخفيف]

ودّ من يصطفيك للنفع زور و الجميل الذى يريك غرور

إنما الودّ ودّ من ليس يخشى فيك ممّن يلوم أو من يضير

و قال: [السريع]

اشكر لمن والاك معروفا تكن بفضل النفس معروفا

شكر أخى المنّة عدل فكن بالعدل مهما اسطعت موصوفا

من يكفر الإحسان لا بدّ أن يلفى عن الإحسان مصروفا

و قال: [مجزوء الرمل]

حسب الإنسان ماله و هو فى الدنيا كماله

يضجر الفقر أخا الحل م و إن طال احتماله

عزة المرء غناه و به تحسن حاله

و قال: [مجزوء الرمل]

لا تصاحب أبدا من عقله غير متين

إنّ نقص العقل داء يتّقى مثل الجنون

صحبة الأحمق عار لاحق فى كلّ حين

و قال: [الخفيف]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۱۵

وافق الناس إن أردت السلامه إنّ روح الوفاق روح كرامه

من يوافق يعش هنيئا قريرا آمنا من أذيّة و ملامه

فتوقّ الخلاف و احذر أذاه فركوب الخلاف عمدا ندامه

و قال: [الخفيف]

ظلمات الخطوب مهما ادلهمّت يجلها كالصباح فجر انفراج

أرح النفس لا تبت حلف همّ كم هموم فيها السرور يفاجى

و قال: [السريع]

من لم يكن يقصد أن يحمدا يعش هنيئا و ينل أسعدا

من يبتغى المدحة لا بدّ أن يلحقه الذلّ و أن يجهدا

عيش الفتى فى ترك تقييده و موته البحت إذا قيّدا

و قال: [الخفيف]

قل لأهل الحاجات مهما ابتغوها حسبكم ما أتى من التنبيه

إن تريدوا الحاجات من غير بطء فاطلبوها عند الحسان الوجوه

و قال: [البسيط]

خذ الأمور برفق و اتّئد أبدا إياك من عجل يدعو إلى وصب

الرفق أحسن ما تؤتى الأمور به يصيب ذو الرفق أو ينجو من العطب

من يصحب الرفق يستكمل مطالبه كما يشاء بلا أين و لا تعب

و قال: [السريع]

من يبتغى السؤدد لا بدّ أن يرهقه الجهد فلا يضجر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۱۶

يصعب إدراك المعالى فمن يرم لحاق بعضها يصبر

لا يحصل السؤدد هينا و لا يظفر بالبغية إلّا جرى

و قال: [الخفيف]

عاش فى الناس من درى قدر نفسه ثم دارى جميع أبناء جنسه

علم الانسان قدره نبل عقل و ذكاء يبين عن فضل حدسه

و قال: [الرمل]

عظّم الناس تنل تعظيمهم و اجتنب تحقيرهم فهو الرّدى

من ير الناس بتحقير يكن عندهم مؤذى حقيرا أبدا

لا يغرّنّك إهمال امرئ ربما يؤذى الذباب الأسدا

و قال: [الكامل]

حبّ الرياسة يا له من داء كم فيه من محن و طول عناء

طلب الرياسة فتّ أعضاد الورى و أذاق طعم الذّلّ للكبراء

إنّ الرياسة دون مرتبة التّقى فإذا اتّقيت علوت كلّ علاء

و قال: [مجزوء الكامل]

لا تركننّ إلى بشر إن شئت تأمن كلّ شرّ

ذهب الذين إذا ركن ت لهم أمنت من الضرر

لم يبق إلّا شامت أو من يضرّ إذا قدر

و قال: [الخفيف]

خلّ رأى الجهّال ما اسطعت و اتبع رأى أهل الحلوم و التجريب

لا تحد عن مشورة فى مهمّ فهى ممّا تنمى حياة القلوب

رأى أهل الصلاح نور يجلّى ظلمة الكرب فى ليالى الخطوب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۱۷

و قال: [السريع]

لا يرتضى بالدون إلّا امرء مقصّر ذو همّة خامله

الموت خير من حياة الفتى مهتضما ذا رتبة سافله

روح حياة المرء فى عزّه من ذلّ مات الميتة العاجله

و قال: [المجتث]

استغن عمّن تشاء فاللّه يغنيك عنه

من أمّل الناس يشقى و ليس يقنع منه

فإن ظفرت بحرّ فاحفظ عليه وصنه

و قال: [الكامل]

خذ من صديقك قدر ما يعطيكا لا تبغ أزيد و احذر أن يجفوكا

من يبغ مقدار الذى يحتاجه من أخيه يبق مخيّبا متروكا

شأن الألى رزقوا الحجا أن يقنعوا فابغ القناعة إنها تغنيكا

و قال: [مجزوء الرمل]

هن إذا عزّ أخوكا و اخش أن يقرض فيكا

إن من عاند أقوى منه قد ضلّ سلوكا

نقص عقل أن تعادى بشرا لا يتّقيكا

و قال: [الوافر]

تنزّه ما حييت عن القبيح و خالف من يرى ردّ النصيح

و خذ بالحزم مهما اسطعت و احذر من ان يلقيك حزمك فى فضوح

فلا تعدل عن الحقّ التفاتا لغير الحقّ من بعد الوضوح

و قال: [مجزوء الرمل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۱۸

لا تخف فى الحقّ لوما صدقه ينجيك حتما

ينجلى الحقّ و يبدو نوره لا يتعمّى

شأن ذى الحقّ اهتداء و أخو الباطل أعمى

و قال: [البسيط]

عامل بجدّ جميع الناس تحظ به و جنّب الهزل إنّ الهزل يرديكا

الجدّ أحسن ما تبديه من خلق و الجدّ أشرف ما فى الناس يعليكا

من لازم الجدّ هابته النفوس و من يهزل يكن أبدا فى الناس مهتوكا

و قال: [الوافر]

كفاك اللّه شرّ من اصطفيتا و ضرّ من اعتمدت و من عرفتا

جميع الناس موتى عنك إلّا معارفك الذين لهم ركنتا

تحفّظ من قريب أو صديق و كن فى الغير دهرك كيف شئتا

و قال: [البسيط]

من كان يرغب عن أحبابه و يرى تقريب أعدائه لا شكّ يهتضم

يدنى العدوّ فلا تدنو مودّته هيهات كلّ معاد قربه ندم

فاحفظ صديقك و احذر أن تعاديه إنّ الصديق إذا عاديته يصم

و قال: [الكامل]

جامل عدوّك كى يليّن حقده فيكفّ بعض البعض من إيذائكا

و احفظ صديقك ما استطعت فإنه أدرى بطرق الضرّ من أعدائكا

و قال: [البسيط]

إذا ظفرت بمن أخنى عليك فخذ بالحلم فيه ودع ما منه قد فرطا

إنّ المسيء إذا جازيته أبدا بفعله زدته فى غيّه شططا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۱۹

العفو أحسن ما يجزى المسيء به يهينه أو يريه أنه سقطا

و قال: [الكامل]

قاتل عدوّك بالفضائل إنها أعدى عليه من السهام النّفّذ

كسب الفضائل عدّة تعليك فى رتب بها سبل السعادة تحتذى

فاحرص على نيل الفضائل جاهدا إنّ الفضيلة صعبة فى المأخذ

و قال: [المجتث]

وعد الكريم وفاء تجنيه كيف تشاء

ما حال قطّ كريم و لا ثناه التواء

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص۱۱۹

فأنجز الوعد مهما وعدت فهو الزكاء

و قال: [الكامل]

ليس الغنى عن كثرة العرض إنّ الغنى فى النفس إن ترض

رأس الغنى ترك المطامع عن زهد بلا ميل و لا غرض

فازهد تعش أغنى البريۀ فى عزّ بلا همّ و لا مضض

و قال: [الكامل]

زمن الفضائل قد مضى لسبيله و لوى بطيب العيش و شك رحيله

ركدت رياح الجدّ بعد هبوبها و علا فريق الهزل بعد خموله

هيهات ما زمن الكرام و ما هم ذهبوا و جدّ الدهر فى تحويله

و قال: [المجتث]

مروءۀ المرء ثوبه و العرى فى الناس عيبه

بثوبه المرء يعلو قدرا و يحفظ قربه

من لم يصن ثوبه لم يصن و إن لاح شيبه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۲۰

و قال: [الخفيف]

لا تصخ ما بقيت حيّا لقول ليس يجنى عليك إلّا المضرّه

و اطّرح ما أتاك منه و جنّب من يرى بالفضول و اتّق ضرّه

و قال: [الطويل]

ثقيل تراه النفس فى العين كالقذى و كالجبل الراسى على الصدر و القلب

تثير غموم المرء رؤيۀ وجهه و تشكو جفاه الأرض شكوى ذوى الكرب

و قال: [السريع]

أما ترى الأشجار مصفرّۀ أوراقها كالشمس عند المغيب

ما هى إلّا صفرۀ آذنت بأنها ترحل عمّا قريب

و قال: [مجزوء الكامل]

كل ما تحبّ و تشتهى ودع الطبيب و ما يرى

حفظ الغذاء مشقّۀ ليست تردّ مقدّرا

كم عدّ من متحفّظ كم صحّ ممّن قصّرا

كلّ التحفّظ زائد لا بدّ ممّا قدّرا

و قال: [مجزوء الكامل]

من كان يأكل ما اشتهى و يرى مخالفۀ الطبيب

سيرى مضرّۀ ما أتى بطرا و يندم عن قريب

إن التحفّظ فى الأمو ر لشيمۀ الفطن اللّبيب

من لم يكن متحفّظا يخطى و يبعد أن يصيب

و قال: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۲۱

و للحمام حاءات إذا ما ظفرت بها عثرت على النعيم

فحنّاء و حكّاك مجيد و قل حجر يمرّ على الأديم

و حوض مفعم ماء لذيذا و حجّام على النهج القويم

و للحلق الحديدة حين تنمى و أطيبها حديث أخ كريم

و قال فى الغزل، و هى آخر كتابه المذكور: [البسيط]

اللّه أكبر جلّت فتنة البشر بنور غرّتك المغنى عن البصر

شمس تطلّع فى أفق الجمال لها نور تألّق فى داج من الشّعر

و وردة الخدّ فى أبراد سوسنها شقائق زانها التغليف بالدرر

و مسكة الخال فوق الخدّ شاهدة بأنّ إبداعها إحكام مقتدر

[نبذة من كتابه «أنداء الديم، فى المواعظ و الوصايا و الحكم»]

و هذه نبذة من كتابه «أنداء الدّيم، فى المواعظ و الوصايا و الحكم» و كل ما فيه كالذى قبله من نظمه رحمه اللّه تعالى، فمن ذلك قوله رحمه اللّه: [مجزوء الرجز]

العلم نور و هدى فكن بجدّ طالبه

و احرص عليه و اعتمد فيه الأمور الواجبه

من لازم العلم علا على الأنام قاطبه

و قال: [الخفيف]

خالف النفس عند قصد هواها تبق ما عشت سالما من أذاها

فاتّباع الهوى هوان و لكن هان للنفس كى تنال مناها

و قال: [الخفيف]

من يخالف فى شىء الناس يرجع هدفا للسّهام من كلّ راشق

كن مع الناس كيف كانوا، و وافق إنّ من لا يوافق الناس مائق

و قال: [الخفيف]



أرح النفس تنتفع بحياتك و اغنم العيش قبل يوم وفاتك

و اطّرح عيب من سواك، و سالم جملة الناس يغفلوا عن أذاتك

و اعتبر بالذين بادوا، و بادر ما يدانيك من سبيل نجاتك

و قال: [الخفيف]

سالم الناس ما استطعت، و جامل من يعاديك إن أردت السلامه

و تنزّه عن القبيح و جنّب من يرى بالفضول و احذر كلامه

و قال: [الوافر]

صديقى أنت ما أبقى بخير و موتى غير محتاج إليكا

فإن أحتج إليك فأنت منى برىء لا صداقة لى عليكا

و قال: [المجتث]

من أنت عنه غنيّ كن فيه مثل اعتقاده

فإن يكن منه ودّ فجازه بوداده

و إن يكن منه بعد فخلّه لبعاده

و قال: [المتقارب]

عليك بنفسك لا تشتغل بشيء سواها و خلّ الفضول

تعش رائح القلب فى غبطة فلا من يضرّ و لا من يقول

و قال: [الخفيف]

أترك الفكر فى الأمور ودعها فكما قدّرت تكون الأمور

كلّ فكر و كلّ رأى و حزم غير مجد إذا جرى المقدور

و قال: [البسيط]

هوّن عليك خطوب الدهر إنّ لها نهاية و التناهى عنده الفرج

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۲۳

و اصبر فإنّ لحسن الصبر عاقبة بصبحها ظلمة المكروب تنبلج

و قال: [الخفيف]

احذر البخل إنه شرّ خلق يتحلّى به و شرّ طريقه

من يجد غير مسرف فهو فى النا س موقّى تثنى عليه الخليقه

و قال: [الكامل]

الذلّ فى طلب الإفادة عزّة فاحرص على نيل الإفادة ترشد

إنّ التعزّز فى الذى تحتاجه كبر، و كبر المرء أقبح مقصد

و قال: [البسيط]

دع من عرفت و لا تشدد عليه يدا و داره و تحفّظ منه ما بقيا

أما ترى البلد الذى نشأت به محقّرا كلّما أصبحت معتليا

و غيره من بلاد اللّه قاطبة يعليك، لا سيما إن كنت متّقيا

و قال: [الخفيف]

ينبغى للذى تحلّى بعقل أن يرى كالبازى مدة عمره

بين أيدى الملوك أو فى فلاة خيفة من شرور أبناء دهره

و قال: [مجزوء الكامل]

العزل يضحك ذلّه من تيه سلطان الولايه

فإذا وليت فسر على نهج الدماثة و الرعايه

و اقصد مداراة الورى و احذر كيود ذوى السعايه

و قال: [السريع]

لا تقبل الحكم على بلدة نشأت فيها؛ إنه يحقد

رياسة المرء على الأهل و ال جيران و الخلّان لا تحمد

و قال: [الوافر]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۲۴

هى الدنيا إذا فكّرت فيها رأيت نعيمها سمّا نقيعا

فلا تحفل بها و احذر أذاها فإنّ لسمّها قتلا ذريعا

و لا تأسف على ما فات منها و بادر فى حياتك أن تطيعا

و قال: [الخفيف]

كن وحيدا ما عشت تحيا بخير سالما من شرور كلّ البريّة

إنّ من لا يخالط الناس يبقى دهره لا تعروه منهم أذيّه

و قال: [الخفيف]

لا تبح ما حييت يوما بسرّ لصديق و لا لغير صديق

إنّ سرّا يجاوز الصدر فاش يدريه العدا و من فى الطريق

و قال: [الخفيف]

لا تصاحب ما عشت إلّا الكبارا تنم ذكرا و تعتلى مقدارا

إنّ من ماشى فى طريق حقيرا يكتسى منه مهنة و احتقارا

فتحفّظ من أن تواخى دنيّا فهو يعديك ذلّة و صغارا

و قال: [الخفيف]

محدثات الأمور أردى الشرور فتحفّظ من محدثات الأمور

إنما المحدثات غىّ فدعها و اجتهد أن ترى مع الجمهور

كلّ من يتبع الحوادث يشقى و يرى نفسه بغير نظير

و قال: [مجزوء الرمل]

من تفضّلت عليه أنت لا شكّ أميره

و من احتجت إليه أنت بالرغم أسيره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۲۵

و من استغنيت عنه أنت فى الدنيا نظيره

و قال: [السريع]

لم يبق من يطمع فى ودّه كلّا و لا من ترتضى صحبته

الناس أشباه ذئاب فهل يعلم ذئب حسنت عشرته

من يبتغى اليوم صديقا كما يرضى فقد زلّت به بغيته

و قال: [الرمل]

فاعل الخير موقّى كلّ ما يتّقى من ضرّ أو من فتنة

ليس يخشى فاعل الخير أذى إن فعل الخير أوقى جنّة

و قال: [الوافر]

تحفّظ من صديقك فى أمور فربّتما يضرّ بك الصديق

من اعتمد الصديق و لم يبال يصبه الضرّ و هو به خليق

و قال: [البسيط]

لا تركننّ لمخلوق و كن أبدا ممّن توكّل فى الدنيا على اللّه

و لا تمل لسواه ما حييت فمن يرجو سوى اللّه هاو حبله واهى

و قال: [الخفيف]

طلب الغاية اتّباع غوايه فاعتمد فى الأمور ترك النهايه

من يكن راضيا بما يتسنّى عاش عيش الملوك دون إذايه

و قال: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۲۶

لا تعتمد أبدا على مخلوق أن تبغ النجاح و تقصد الرشدا

من يرج غير اللّه يحرم رشده و يذلّ و هو مخيّب قصدا

و قال: [الخفيف]

سفر المرء قطعة من عذابه فيه تخليق جسمه و ثيابه

إنما العيش للفتى بين أهلى ه و خلّانه و فى أحبابه

من يرده بخير اللّه يكفه كرب تجواله و ذلّ اغترابه

و قال: [البسيط]

سلّم و لا تعترض يوما على أحد إن شئت تسلم من حقد و أضرار

من يعترض يعترض لا شكّ و هو حر بذاك فالشرّ مقدار بمقدار

و قال: [المجتث]

إنّ الصديق لعون فى كلّ ما تبتغيه

فلا تسىء لصديق و احذر وقوعك فيه

فالمرء قيل كثير بنفسه و أخيه

و قال: [الخفيف]

افعل الخير ما استطعت تنل ما تبتغيه من الثناء الجميل

فاعل الخير آمن ليس يخشى صرف دهر و لا حلول جليل

و قال: [الوافر]

يحقّ الحقّ حتما دون شكّ و إن كره المشكّك و الملدّ

صريح الحقّ قد يخفى، و لكن بعيد خفائه لا شكّ يبدو

و قال: [مجزوء الكامل]

إن شئت عزّا دائما فاسلك سبيل من اقتنع

إنّ القناعة عزّة و الذّلّ عاقبة الطّمع

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۲۷

المرء إن قنع اعتلى قدرا و إن طمع اتّضع

و قال: [الخفيف]

استعن فى الأمور بالكتمان و تحفّظ من شرّ كلّ لسان

كلّ ما لا يدرى من امرك فضل ليس فيه شيء من الخسران

و قال: [المجتث]

من مال عنك بشبر مل أنت عنه بميل

فاللّه يغنيك عنه فمنه كلّ جميل

فليس فى الودّ خير مع ترك حسن القبول

و قال: [المجتث]

لا تقطعنّ صديقا و إن يضق بك صدرا

و احرص عليه وزده إن يجف برّا و شكرا

فإنّ قطع صديق لا شكّ يعقب ضرّا

و قال: [الكامل]

خلّ التأنّق فى اللباس و سر على نهج الأفاضل فى اختصار الملبس

إنّ التأنّق فى اللباس يكثّر ال حساد و الأعداء للمتلبس

فالبس كمثل الناس لا تخرج عن الم عتاد فى شيء فتخطىء أو تسى

و قال: [المجتث]

لا تحقرنّ عدوّا و لو يكون كذرّه

و احذره ما اسطعت و اجهد أن لا تحرّك شرّه

إنّ البعوضة تؤذى ال ملوك فوق الأسرّه

و قال: [السريع]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۲۸

ما أهنأ الإنسان فى عيشه ما بين أهليه و فى منزله

الذلّ فى الغربة يا كربها و كرب من قوّض عن معقله

و فى اقتلوا أو اخرجوا شاهد ساوى خروج المرء مع مقتله

و قال: [البسيط]

المال يستر عيب المرء فاقتنه و احفظه تبقى موقّى مدة الزمن

من ضيّع المال أبدى عيبه و جنى تمهينه أبدا من كلّ ممتهن

و قال: [البسيط]

سريرة المرء تبديها شمائله حتى يرى الناس ما يخفيه إعلانا

فاجعل سريرتك التقوى ترى أملا فى كلّ ما أنت تبغيه و برهانا

و قال: [السريع]

ما تمّت الدنيا لشخص و لا أمّل ذا فيها سوى من فتن

عادتها الفتك بمن رامها و كلّ من أعرض عنها أمن

فلا تغرّنک بلذّاتها فإنّ من غرّ بها قد غبن

و قال: [الخفيف]

لا يكن عندک الخديم نديما إنّ قدر الخديم دون النديم

من ينادم خديمه يتأذّى و يصير الخديم غير خديم

إنّما يصلح الخديم ابتعاد و اشتغال بشأنه المعلوم

و قال: [الوافر]

تثبّت فی الأمور و لا تبادر لشیء دون ما نظر و فکر

قبيح أن تبادر ثم تخطی و ترجع للتثبت دون عذر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۲۹

و قال: [الكامل]

كن فی زمانک كيف يرضی أهله لا تعد طورهم و لا تتبدّل

فإذا ترى الحمقى تحامق معهم و إذا ترى العقلاء فلتتعقّل

من لم يكن أبدا كأهل زمانه يشقى، و لا يحظى بنيل مؤمّل

و قال: [السريع]

الفاضل اليوم غريب بلا عون على شیء من الحقّ

إن غاب لم يحضر و إن قال لم يسمع و لم يؤبه بما يلقى

ما أضيع الفاضل يا ويحه كأنه ليس من الخلق

و قال و هو آخر «أنداء الديم»: [مجزوء الكامل]

العزّ عاقبة التّقى و الذلّ عاقبة الرياسه

فإذا اتّقيت علوت فی أهل المجادة و النفاسه

و إذا رأست نزلت فی طرق التخلّق و السياسه

فلتختر التقوى و لا ترأس فتخطيک الكياسه

و كان تاريخ فراغه من كتاب «أنداء الديم» نصف شعبان عام واحد و ثلاثين و سبعمائة.

[بعض أناشيده التی كان ينشدها أهل مجلسه، لشعراء متعددين]

و لنذكر بعض أناشيده التی كان ينشدها أهل مجلسه ببلد قصبة ألمرية أعادها اللّه تعالى، فما أنشده رحمه اللّه تعالى لأبی العباس أحمد بن العريف صاحب «محاسن المجالس»:

[الكامل]

من لم يشاور عالما بأصوله فيقينه فی المشكلات ظنون

من أنكر الأشياء دون تيقن و تثبت فمعاند مفتون

الكلّ تذكار لمن هو عالم و صوابها بمحالها معجون

و الفكر غوّاص عليها مخرج و الحقّ فيها لؤلؤ مكنون

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۳۰

و أنشد رحمه اللّه تعالى من و جادة: [مخلع البسيط]

أعوذ بالله من أناس تشيّخوا قبل أن يشيخوا

احدودبوا و انحنوا رياء فاحذرهم إنهم فخوخ

و أنشد لنفسه رحمه اللّه تعالى: [مجزوء الرمل]

أقلل العشرة تغبط إنّ من أكثر ينحطّ

و عليك الصدق و احذر أن ترى فى القول تشتطّ

و الزم الصمت إذا ما خفت أن تلحى فتغلط

فعلى الفاضل يلفى كلّ مفضول مسلّط

و أنشد لنفسه أيضا: [مجزوء الرمل]

جنّة العالم «لا أد رى» إذا ما احتاج جنّه

فإذا ما ترك الجنّة بانت فيه جنّه

فالزم الجنّة تسلم إنما الجنّة جنّه

و أنشد للحلاج رحمه اللّه تعالى: [مخلع البسيط]

يا بدر يا شمس يا نهار أنت لنا جنّة و نار

تجنّب الإثم فيك إثم و خشية العار فيك عار

يخلع فيك العذار قوم فكيف من لا له عذار

و أنشد ممّا ينسب للحلاج أيضا: [المديد]

سقمى فى الحب عافيتى و وجودى فى الهوى عدمى

و عذاب ترتضون به فى فمى أحلى من النعم

ما لضرّ فى محبتكم عندنا و اللّه من ألم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۳۱

و أنشد لسيدى أبى العباس بن العريف فى «محاسن المجالس» و هى أحسن ما قيل فى طول الليل: [الخفيف]

لست أدرى أطال ليلى أم لا كيف يدرى بذاك من يتقلّى

لو تفرغت لاستطالة ليلى و لرعى النجوم كنت مخلّا

إن للعاشقين عن قصر اللى ل و عن طوله من الفكر شغلا

و أنشد رحمه اللّه تعالى ممّا أنشده بعض الوعّاظ الغرباء: [الخفيف]

عانقت لام صدغها صاد لثمى فأرتها المرآة فى الخدّ لصّا

فاسترابت لمّا رأت ثم قالت أكتابا أرى و لم أر شخصا

قلت بالكشط ينمحى، قالت اكشط بالثنايا و تابع الكشط مصّا

ثم لمّا ذهبت أكشط قالت كان لصّا فصار و اللّه فصّا

قلت إنّ الفصوص تطبع باللث م على خدّ كلّ من كان رخصا

و أنشد لابن خفاجة: [الكامل]

و أغرّ كاد، لطافة و طلاقة، ينساب ماء بيننا مسكوبا

قد قام فى سطر الندامى فاستوى فحسبته ألفا به مكتوبا

و أكبّ يشربها و تشرب ذهنه فرأيت منه شاربا مشروبا

مشمولة، بينا ترى فى كفّه ماء، ترى فى خدّه ألهوبا

و أنشد لابن عبد ربه صاحب العقد ممّا نسبه له الفتح فى «مطمح الأنفس، و مسرح التأنس»: [الكامل]

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا و رشا بتقطيع القلوب رفيقا

ما إن رأيت و لا سمعت بمثله درّا يعود من الحياء عقيقا

و إذا نظرت إلى محاسن وجهه ألفيت وجهك فى سناه عريقا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۳۲

يا من تقطّع خصره من رقّة ما بال قلبك لا يكون رقيقا

و أنشد لابن عبد ربه أيضا: [الخفيف]

ودّعتنى بزورة و اعتناق ثم قالت: متى يكون التلاقى

و تصدّت فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب و الأطواق

يا سقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشّاق

إنّ يوم الفراق أفظع يوم ليتنى متّ قبل يوم الفراق

و أنشد له أيضا: [الرمل]

هيّج البين دواعى سقمى و كسا جسمى ثوب الألم

أيها البين أقلنى مرّة فإذا عدت فقد حلّ دمى

يا خليّ الذّرع نم فى غبطة إنّ من فارقته لم ينم

و لقد هاج لقلبى سقما حبّ من لو شاء داوى سقمى

و أنشد للمصحفى: [الكامل]

صفراء تطرق فى الزجاج، فإن سرت فى الجسم دبّت مثل صلّ لادغ

عبث الزمان بجسمها فتستّرت عن عينه برداء نور سابغ

خفت على شرّابها فكأنما يجدون ريّا فى إناء فارغ

و أنشد لابن شهيد: [الرمل]

هبّ من رقدته منكسرا مسبل للكمّ مرخ للرّدا

يمسح النعسة عن عينى رشا صائد فى كلّ يوم أسدا

شربت أعطافه خمر الصّبا و سقاه الحسن حتى عربدا

رشأ بل غادة ممكورة عمّمت صبحا بليل أسودا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۳۳

أحجمت من عضّتى فى نهدها ثم عضّت حرّ وجهى عمدا

فأنا المجروح من عضّتها لا شفانى اللّه منها أبدا

و أنشد لصفوان بن إدريس: [مخلع البسيط]

حمى الهوى قلبه و أوقد فهو على أن يموت أوقد

و قال عنه العذول سال قلّده اللّه ما تقلّد

و باللوى شادن عليه جيد غزال و لحظ فرقد

علّله ريقه بخمر حتى انتشى طرفه فعربد

لا تعجبوا لانهزام طرفى فجيش أجفانه مؤيّد

أنا له كالذى تمنّى عبد، نعم، عبده و أزيد

إن بسملت عينه لقتلى صلّى فؤادى على محمد

و أنشد لأبى على إدريس بن اليمانى: [مخلع البسيط]

علّقته شادنا صغيرا و كنت لا أعشق الصغارا

يسفر عن مستنير وجه صيّر جنح الدّجى نهارا

لم أر من قبل ذاك ماء أضرم فيه الحياء نارا

و أنشد للرّمادى، أو لابن برد القرطبى: [مجزوء الكامل]

لمّا بدا فى لازور ديّ الحرير و قد بهر

كبرت من فرط الجما ل و قلت: ما هذا بشر

فأجابنى: لا تنكروا ثوب السماء على القمر

و أنشده من وجادة: [السريع]

يا ذا الذى عذّب محبوبه أنخت عيس العزّ مغنى الهوان

لم ينبت الشّعر على خدّه بل دبّ فى أصداغه عقربان

رفقا على نفسك لا تفنها فجوهر الأنفس درّ يصان

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۳۴

و أنشد من حديقة ابن يربوع: [المجتث]

غزا القلوب غزال حجّت إليه العيون

خطّت بخدّيه نون و آخر الحسن نون

و أنشد من و جادة: [السريع]

أودع فؤادى حرقا أو دع ذاتك تؤذى، أنت فى أضلعى

و ارم سهام اللحظ أو كفّها أنت بما ترمى مصاب معى

موقعها قلبى، و أنت الذى مسكنه فى ذلك الموضع

و أنشد من حديقة ابن يربوع: [الوافر]

يخطّ الشوق شخصك فى ضميرى على بعد التزاور خطّ زور

و تدنيك الأمانى من فؤادى دنوّ البرق من لمح البصير

فلا تذهب فإنك نور عينى إذا ما غبت لم تطرف بنور

و أنشد للوزير المصحفى: [الطويل]

لعينيك فى قلبى علىّ عيون و بين ضلوعى للشجون فنون

لئن كنت صبّا مخلقا فى يد الهوى فحبّك غضّ فى الفؤاد مصون

نصيبى من الدنيا هواك، و إنه عذابى، و لكنى عليه ضنين

و أنشد لصالح بن شريف: [الرمل]

أيها العاذل بالله اتّئد لك قلب فى ضلوعى أو كبد

هى أجفانى فذرها تنهمى هى أحشائى فدعها تتّقد

لا تظنّ الحبّ شيئا هيّنا ليس فى الحبّ قياس يطّرد

أنت خلو و أنا صبّ شج فإذا حدّثت عنى قل وزد

فاترك اليوم ملامى إنه يترك الشىء إذا ما لم يفد

أنا أسلو عن حبيبى ساعة يا عذولى، قل هو اللّه أحد

و أنشد له أيضا: [مخلع البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۳۵

وافى و قد زانه جمال فيه لعشّاقه اعتذار

ثلاثة ما لها شبيه: الوجه و الخدّ و العذار

فمن رآه رأى رياضا الورد و الآس و البهار

و أنشد من حديقة ابن يربوع: [الطويل]

عليك بإكرام و برّ لستة من الناس و احذر شرّهم و توقّه

طبيب و حجّام و شيخ و شاعر و صاحب ديوان و من يتفقّه

و أنشد لبعض الصوفية: [مجزوء الخفيف]

ما ترى عند أحمق فى أمور توسّطا

بل تراه فى أمره مفرطا أو مفرّطا

و أنشد لبعض الأدباء: [السريع]

الصّبر أولى بوقار الفتى من قلق يهتك ستر الوقار

من لازم الصبر على حالة كان على أيامه بالخيار

[خاتمة الباب الثالث، و فيها سرد لجماعة من شيوخ لسان الدين]

و لنقتصر من ترجمة ابن ليون على هذا القدر، فقد حصلت الإطالة، بل و نكتفى من مشايخ لسان الدين بمن ذكرنا، و لنورد ما فى الإحاطة فى ترجمة مشيخته و إن تكرّر مع ما تقدّم، و نصّه: المشيخة- قرأت كتاب اللّه عزّ و جلّ على المكتّب نسيج وحده فى تحمّل المنزّل حقّ حمله تقوى و صلاحا و خصوصيّة و إتقانا و نغمة و عناية و حفظا و تبحرّا فى هذا الفن و اطلاعا لغرائبه، و استيعابا لسقطات الأعلام، الأستاذ الصالح أبى عبد اللّه بن عبد المولى العوّاد، تكتيبا ثم حفظا ثم تجويدا إلى مقرءات أبى عمرو رحمة اللّه عليهما. ثم نقلنى إلى أستاذ الجماعة و مطيّة الفنون، و مفيد الطلبة، الشيخ الخطيب المتفنن أبى الحسن على القيجاطى، فقرأت عليه القرآن و العربية، و هو أول من انتفعت به. و قرأت على الخطيب الحسيب الصدر أبى القاسم بن جزى رحمه اللّه تعالى. و لازمت قراءة العربية و الفقه و التفسير، و المعتمد عليه العربية]، على الشيخ الأستاذ الخطيب أبى عبد اللّه بن الفخار البيرى، الإمام المجمع على إمامته فى فن العربية، المفتوح عليه من اللّه حفظا و اطلاعا و نقلا و توجيها، بما لا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۳۶

مطمع فيه لسواه. و قرأت على قاضى الجماعة الصدر المتفنّن أبى عبد اللّه بن بكر رحمه اللّه.

و تأدّبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى، الصالح الفاضل، أبى الحسن بن الجياب.

و رويت عن الكثير ممّن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية، كالمحدّث أبى عبد اللّه بن جابر، و أخيه أبى جعفر، و القاضى الشهير الشيخ بقية السلف شيخنا أبى البركات بن الحاج، و الشيخ المحدّث الصالح أبى محمد بن سلمون، و أخيه القاضى أبى القاسم بن سلمون، و أبى عمرو ابن الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و له رواية عالية، و الأستاذ اللغوى أبى عبد اللّه بن بيبش، و المحدّث الكاتب أبى الحسن التلمسانى المسنّ، و الحاج أبى القاسم بن المهنى المالقى، و العدل أبى محمد السعدى، تحمل عن الإمام ابن دقيق العيد، و القائد الكاتب ابن ذى الوزارتين أبى بكر بن الحكيم، و القاضى المحدّث الأديب، جملة الظرف، أبى بكر بن شبرين، و الشيخ أبى عبد اللّه بن عبد الملك، و الخطيب أبى جعفر الطنجالى، و القاضى أبى بكر بن منظور، و الراوية أبى عبد اللّه بن حزب اللّه، كلّهم من مالقة، و القاضى أبى عبد اللّه المقرى التلمسانى، و الشريف أبى على حسن بن يوسف، و الخطيب الرئيس أبى عبد اللّه بن مرزوق، كلّهم من تلمسان، و المحدّث الفاضل الحسيب أبى العباس بن يربوع، و الرئيس أبى محمد الحضرمى السبتيين، و الشيخ المقرئ أبى محمد بن أيوب المالقى آخر الرواة عن ابن أبى الأحوص، و أبى عثمان بن ليون من أهل ألمرية، و القاضى أبى الحجاج المنتشاقرى من أهل رندة، و طائفة كبيرة من المعاصرين [تحملا و تدبجا]، و من أهل العدوة الغربية و المشرق و إفريقية الكثير بالإجازة. و أخذت الطب و التعاليم و المنطق، و صناعة التعديل عن الإمام أبى زكريا بن زهير، و لازمته. هذا على سبيل الإلماع، و لو تفرّغت لذكر أفذاذهم، لخرج هذا التأليف عمّا وضع له. انتهى كلامه فى «الإحاطة».

و قد ذكرت فى هذا الباب زيادة فى بعض التراجم على ما فى «الإحاطة» على ما اقتضاه الحال، إذ ذاك لا يخلو من فائدة زائدة، و حكمة بالخير عائدة.

و لو لم يكن فى هذا الكتاب غير هذا الباب لكان كافيا؛ لاشتماله على تصوف و حكم و كرامات و آداب و وصايا و إنشادات و غيرها، ممّا يغنى عن خبره العيان، و يشتاق إلى الوقوف عليه ذوو الملكة فى البيان، و لو لم يشتمل إلّا على المدائح النبوية التى فيه لتمّت محاسنه، و اللّه سبحانه و تعالى ينفع به، بجاه سيدنا محمد صلى اللّه عليه و سلم، و على آله و صحبه و تابعيه و حزبه.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۳۷

## الباب الرابع [من القسم الثانى] فى مخاطبات الملوك و الأكابر

### اشارة

فى مخاطبات الملوك و الأكابر الموجّهة إلى حضرته العليّة، و ثناء غير واحد من أعلام أهل عصره عليه، و صرف القاصدين وجوه التأميل إليه، و اجتلائهم أنوار رياسته الجليّة، و كتبهم بعض المؤلّفات باسمه، و وقوفهم عند إشارته و رسمه، و ما يضاهى ذلك فى حظّه و قسمه، و سعيهم بين يديه.

### [من السلطان أبى زيان المرينى إلى لسان الدين و ترجمة السلطان أبى زيان المرينى عن «الإحاطة» للسان الدين]

اعلم- سلك اللّه بى و بك الطريق الأقوم الأقوى! و حلّى صدور جميعنا بزينة التقوى!- إنّ لسان الدين ذكر فى كتبه كالإحاطة و نفاضة الجراب و غيرهما جملة ممّا خاطبه به الملوك و غيرهم، من تبجيل و تنويه، و لنذكر بعض ذلك من كتبه و من غيرها تتميما للمقصود، و تبليغا لنفوس الناظرين فى هذه العجالة ما تؤمّله و تنويه.

فمن ذلك ما ذكره فى «الإحاطة» من إكرام السلطان أبى زيّان المرينى ابن الأمير أبى عبد الرحمن بن السلطان أبى الحسن له، و سرد ما كتب له به من قوله: هذا ظهير، إلى قوله:

أيّده اللّه و نصره! و سنّى له الفتح المبين و يسّره! و بعد ما صورته: «للشيخ الفقيه الأجلّ الأسنى، الأعزّ الأحظى الأرفع الأمجد الأسمى

الأوحد الأنوه الأرقى، العالم العلم الرئيس، الأعرف المتفنن الأبرع المصنّف المفيد الصدر الأحفل الأفضل الأكمل أبى عبد اللّه بن الشيخ الفقيه الوزير الأجلّ الأسنى الأعز الأرفع الأمجد الوجيه الأنوه الأحفل الأفضل الحسيب الأصيل الأكمل المبرور المرحوم أبى محمد بن الخطيب، قابله أيّده اللّه بوجه القبول و الإقبال، و أضفى عليه ملابس الإنعام و الإفضال، و رعى له خدمة السلف الرفيع الجلال، و ما تقرّر من مقاصده الحسنة فى خدمة أمرنا العال، و أمر فى جملة ما سوّغه من الآلاء الوارفة الظلال، الفسيحة المجال، بأن يجدّد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدّم تاريخها المتضمّنة تمشية خمسمائة دينار

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۳۸

من الفضة العشرية فى كل شهر عن مرتب له و لولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلا حرسها اللّه فى كل شهر، و من حيث جرت العادة أن يتمشّى له، و رفع الاعتراض ببابها فيما يجلب من الأدم و الأقوات على اختلافها من حيوان و سواه، و فيما يستفيده خدامه بخارجها و أحوازها من عنب و قطن و كتّان و فاكهة و خضر و غير ذلك، فلا يطلب فى شىء من ذلك بمغرم و لا وظيف، و لا يتوجّه فيه إليه بتكليف، يتّصل له حكم جميع ما ذكر فى كل عام تجديدا تامّا، و احتراما عامّا، أعلن بتجديد الحظوة و اتّصالها، و إتمام النعمة و إكمالها، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن، و من الآن إلى ما يأتى على الدوام، و اتّصال الأيام، و أن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعى و المحاشاة فى السّخر مهما عرضت، و الوظائف إذا افترضت، حتى يتّصل له تالد العناية بالطارف، و تتضاعف أسباب المنن و العوارف، بفضل اللّه، و تحرّر له الأزواج التى يحرثها بتالمغت من كل وجيبة، و تحاشى من كلّ مغرم أو ضريبة، بالتحرير التام بحول اللّه و عونه، و من وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه، و ليمض ما أمضاه، إن شاء اللّه، و كتب فى العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة، و كتب فى التاريخ، انتهى.

و قوله «و كتب فى التاريخ» هو العلامة السلطانية فى ذلك الزمان، يكتب بقلم غليظ، و بعض ملوك المغرب يكتب عنه العلامة «صحّ فى التاريخ».

و قد عرّف لسان الدين فى «الإحاطة» بهذا السلطان بما نصه: محمد بن يعقوب بن عبد الرحمن بن على أمير المسلمين بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أمير المسلمين بالمغرب إلى هذا العهد، يكنى أبا زيان، وصل اللّه نصره على عدوّ الدين! و أرشده إلى سنن الخلفاء المهتدين!.

حاله- فاضل سكون منقاد، مشتغل بخاصّة نفسه، قليل الكلام، حسن الشكل، درب بركض الخيل، مفوض للوزراء، عظيم التأنى لأغراضهم، و وكّل الأمور لمن استكفاه منهم، استقدم من أرض النصارى بالأندلس و قد فرّ إليهم خوفا على نفسه، فسمح به ملك الروم بعد اشتراط و اشتطاط، فكان وصوله إلى مدينة الملك بفاس يوم الاثنين الثانى و العشرين لصفر عام ثلاثة و ستين و سبعمائة، و دخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان و به السعد الأعظم كوكب المشترى من الكواكب السيّارة، و قد كان الوزير قيّم الأمر و المثل فى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۳۹

الكفاية و الاستطلاع بالعظيمة عمر بن عبد اللّه بن على اليابانى لمّا ثار بعمه السلطان أبى سالم رحمه اللّه تعالى و أقام الرسم بأخيه المعتوه المدعو بأبى عمر استدعى هذا المترجم به، و قد نازله الأمير عبد الحليم ابن عمّهم، و توجّه عنه رسوله أثناء الحصار لمّا رأى الأمر لا يستقيم بمن نصبه، فتلطّف فيه إلى طاغية النصارى، و استعان بالسلطان أبى عبد اللّه بن نصر، و قد جمعتهما إيالته، فتمّ له اللحاق بالمغرب، و انصرف الأمير عبد الحليم إلى سجلماسة فتملّكها، و تم الأمر للأمير أبى زيان يقوم به عنه وزيره و مستدعيه المذكور مصنوعا له فى خدمته، أعانه اللّه تعالى! و أصلح حاله و أحوال الخلق على يديه! و وفدت عليه من محلّ الانقطاع بسلا و أنشدته قولى: [الطويل]

لمن علم فى هضبة الملك خفّاق أفاقت به من غشية الهرج آفاق

تقلّ رياح النصر عنه غمامة تمدّ لها أيد و تخضع أعناق

و بيعة شورى أحكم السعد عقدها و أعمل إجماع عليها و إصفاق

قضى عمر فيها بحقّ محمد فسجّل عهد للوفاء و ميثاق

أ حلما ترى عيناى أم هى فترة؟ أعندكما فى مشكل الأمر مصداق

و فاض لفضل اللّه فى الأرض تبتغى و مجتمعات لا تريب و أسواق

و سرح تهنيه الكلاءة بالكلا و فلح لسقى الغيث قام له ساق

و قد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا و للفتنة العمياء فى الأرض إطباق

و للغيث إمساك و فى الأرض رجّة و للدين و الدنيا و جوم و إطراق

فكلّ فريق فيه للبغى راية و كلّ طريق فيه للغيث طرّاق

أجل إنه من آل يعقوب وارث يحنّ له البيت العتيق و يشتاق

له من جناح الروح ظلّ مسجف و من رفرف العزّ الإلهى رستاق

أطلّ على الدنيا و قد عاد ضوءها دجى و على الأحداق للذعر إحداق

فأشرقت الأرجاء من نور ربّها و ساح بها للّه لطف و إشفاق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۴۰

فمن ألسن للّه بالشكر أعلنت و كان لها من قبل همس و إطباق

و ليس لأمر أبرم اللّه ناقض و ليس لمسعى النجح فى اللّه إخفاق

محمد قد أحييت دين محمد و للخلق أذماء تفيض و أرماق

و لو لم تثب غطى على شفق الضّحى دم لسيوف البغى فى الأرض مهراق

فأيمن بمشحون من الفلك سابح له باختيار اللّه حطّ و إيساق

أقلّك و الدأماء تظهر طاعة إليك و صفح الماء أزرق رقراق

إلى هدف السعد أنبرى منه و الدجى يضلّ الحجا سهم من السعد رشّاق

فخطّت لتقويم القوام جداول و صحّت من التوفيق و اليمن أوفاق

تبارك من أهداك للخلق رحمة و مستبعد أن يهمل الخلق خلاق

هو اللّه يبلو الناس بالخير فتنة و بالشّرّ، و الأيام سمّ و ترياق

سمت منك أعناق الورى لخليفة له فى مجال السعد عدو و إعناق

و قالوا بنان ما استقلّ بكفّه تفيض على العافين أم هى أرزاق

و أطنب فيك المادحون و أغرقوا فلم يجد إطناب و لم يغن إغراق

أ لست من القوم الذين أكفهم غمام ندى إن أخلف الغيث غيداق

أ لست من القوم الذين وجوههم بدور لها فى ظلمة الروع إشراق

رياض إذا العافى استظلّ ظلالها ففيها جنّى ملء الأكف و إيراق

أبوك ولىّ العهد لو سالم الردى و جدّك قد فاق الملوك و إن فاقوا

فمن ذا له جدّ كجدّك أو أب لآلىء و المجد المؤثّل نسّاق

و حسب العلا فى آل يعقوب أنهم هم الأصل فى العلياء و الناس ألحاق

أسود سروح أو بدور أسرّة فإن حاربوا راعوا و إن سالموا راقوا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۴۱

يطول لتحصيل الكمال سهادهم فهم للمعالى و المكارم عشّاق

و منها:

لئن نسيت إحسان جدّك فرقة تزرّ على أعناقهم منه أطواق

أجازت خروج ابن ابنه عن تراثه و لم تدر ما ضمت من الذكر أوراق

و من دون ما راموه للّه قدرة و من دون ما أمّوه للفتح أغلاق

خذ العفو و ابذل فيهم العرف و لتسع جريرة من أبدى لك الغدر أخلاق

فربّتما تنبو مهنّدة الظّبا و تهفو حلوم القوم و القوم حذّاق

و ما الناس إلّا مذنب و ابن مذنب و للّه أرفاد عليهم و إرفاق

و لا ترج فى كلّ الأمور سوى الذى خزائنه ما ضرّها قطّ إنفاق

إذا هو أعطى لم يضر منع مانع و إن حشدت طسم و عاد و عملاق

عرفت الردى و استأثرت بك للعدا تخوم بمختط الصليب و أعماق

فيسّر لليسرى و أحيا بك الورى و للروع إرعاد عليك و إبراق

فجاز صنيع اللّه و ازدد بشكره مواهب جود غيثها الدهر دفّاق

و أوف لمن أوفى و كاف الذى كفى فأنت كريم طهرت منك أعراق

و تهنيك يا مولى الملوك خلافة شجتها تباريح إليك و أشواق

فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها و كم فاز بالوصل المهنأ مشتاق

فلا راع منها السّرب للدهر رائع و لا نال منها جدّة السعد إخلاق

أمولاى راع الدهر سر بى و غالنى فطرفى مذعور و قلبى خفّاق

و ليس لكسرى غيرك اليوم جابر و لا ليدى إلّا بمجدك أعلاق

و لى فيك ودّ و اعتداد غرسته فراقت به من يانع الحمد أوراق

و قد عيل صبرى فى ارتقابى خليفة تحلّ به للضرّ عنى أوهاق

و أنت حسام اللّه و اللّه ناصر و أنت أمين اللّه و اللّه رزّاق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص۱۴۱

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۴۲

و أنت الأمان المستجار من الردى إذا راع خطب أو توقّع إملاق

و أهون ما ترجى لديك شفاعة إذا لم يكن عزم حثيث و إرهاق

و دونكها من ذائع الحمد مخلص له فيك تقييد يروق و إطلاق

إذا قال أمّا كلّ سمع لقوله فمصغ، و أمّا كلّ أنف فنشّاق

و دم خافق الأعلام بالنصر كلّما ذهبت لمسعى لم يكن فيه إخفاق

وعدت منه ببرّ كثير، و احترام شهير.

دخوله غرناطة- لحق بها مفلتا عند القبض على قرابته و بنى عمّه و تقريبهم إلى مصارعهم، فكان وصوله فى رمضان من عام خمسين و

سبعمائة، ثم رابه رائب لحق لأجله بصاحب قشتالة، و أقام فى جملته إلى حين استدعائه المتقرّر آنفا، و هو لهذا العهد أمير المسلمين بالمغرب، أعانه اللّه تعالى على الخير، و أطلق به يده، و ألهمه إلى ما يرضى منه بفضله و كرمه، انتهت الترجمة.

## تعقيب لابن مرزوق على كلام لسان الدين فى «الإحاطة»]

و رأيت على هامش هذا المحل من «الإحاطة» بخطّ الخطيب الشهير الإمام أبى عبد اللّه بن مرزوق التلمسانى رحمه اللّه ما صورته: توفى- يعنى السلطان أبا زيان- مغتالا عام ستة و ستين، على يد مظاهره الخائن عمر بن عبد اللّه بن على الوزير، ردّاه فى بئر، و أشاع أنه أفرط فى السكر، و ألقى نفسه فى البئر المعروفة برياض الغزلان، و بايع لعمّه عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن، فسلّطه اللّه عليه، و أخذ حقوق الخلائق على يديه، فقتله غيلة بعد أن كان تغلّب عليه، فأعمل الحيلة فى قتله، و استمرّ ملك عبد العزيز ظاهرا ظافرا قد جمع بين المغرب إلى أقصاه و بين ملك تلمسان و قد شرّد أهلها كلّ مشرّد، فعندما أقبلت الدنيا عليه، و استقام ملكه، و كاد يلحق ملك أبيه أو يزيد مات رحمه اللّه تعالى، قيل: مطعونا، و قيل غير ذلك، و ذلك فى حدود أربع و سبعين، و ولى ولده، ثم عزل بابن عمّه أبى العباس بن السلطان أبى سالم، و حاز ملك المغرب إلى حين كتب هذا سنة سبع و سبعين و سبعمائة؛ انتهى ما ألفيته بخط سيدى أبى عبد اللّه بن مرزوق.

و رأيت تحته بخطّ ابن لسان الدين أبى الحسن على ما صورته: رحمة اللّه عليك يا عمر بن عبد اللّه بن على، فلقد كنت غسلت ملك المغرب من درن كبير، و قمت على ملك

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۴۳

لهو و ضعف شهير، و شهرت سيف الحقّ، على الزواكرة الخرق، فابتهج منبر الدين، انتهى.

و مراده بهذا الكلام الردّ على ابن مرزوق فى ذمّه للوزير عمر، و قوله «الزواكرة» لفظ يستعمله المغاربة، و معناه عندهم المتلبّس الذى يظهر النسك و العبادة و يبطن الفسق و الفساد، و عند اللّه تجتمع الخصوم.

## من السلطان أبى سالم المرينى إلى لسان الدين]

و لنرجع إلى ما كنّا بسبيله فنقول:

و ممّا خوطب به ابن الخطيب رحمه اللّه تعالى! من قبل سلطان المغرب المستعين باللّه أبى سالم إبراهيم بن السلطان أبى الحسن المرينى ما صورته بعد البسملة و الصلاة:

«من عبد اللّه المستعين باللّه إبراهيم أمير المسلمين، المجاهد فى سبيل ربّ العالمين، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل ربّ العالمين، أبى الحسن، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل ربّ العالمين، أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق، أيّد اللّه أمره! و أعزّ نصره! إلى الشيخ الفقيه الأجلّ الأسنى الأعزّ الأحظى الأوجه الأنوه الصدر الأحفل المصنّف، البليغ الأعراف، الأكمل أبى عبد اللّه بن الشيخ الأجلّ الأعزّ الأسنى الوزير الأرفع الأنجد الأصيل الأكمل المرحوم المبرور أبى محمد بن الخطيب، وصل اللّه عزّته! و والى رفعته!.

سلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته:

«أمّا بعد حمد اللّه تعالى و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله الكريم المصطفى، و الرضا عن آله و صحبه أعلام الإسلام، و أئمة الرشد و الهدى، و صلة الدعاء لهذا الأمر العلى العزيز المنصور المستعينىّ بالنصر الأعزّ و الفتح الأسنى، فإنّا كتبناه إليكم- كتب اللّه تعالى لكم بلوغ الأمل، و نجح القول و العمل!- من منزلنا الأسعد بصفة تازا ملوية يمنه اللّه، و صنع اللّه جميل، و منّه جزيل، و الحمد للّه، و لكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل، و العناية المتكفلة برعى الوسائل، ذلكم لما تميّزتم به من التمسّك

بالجناب العلىّ، المولوى العلوى، جدّد اللّه تعالى عليه ملابس غفرانه»! و سقاه غيوث رحمته و حنانه! و ما أهديتم إلينا من التقرّب لدينا، بخدمة ثراه الطاهر، و الاشتمال بمطارف حرمته السامية المظاهر. و إلى هذا وصل اللّه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۴۴

حظوتكم و والى رفعتكم، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده، المقابل بالإسعاف المستعذب ورده، فوقفنا على ما نصّه، و استوفينا ما شرحه و قصّه، فآثرنا حسن تلطّفكم فى التوسّل بأكبر الوسائل إلينا، و رعينا أكمل الرعاية حقّ ذلكم الجناب العزيز علينا، و فى الحين عيّنّا لكمال مطلبكم، و تمام مأربكم، و التوجّه بخطابنا فى حقّكم، و الاعتمال بوفقكم، خديمينا أبا البقاء بن ناسكورت و أبا زكريا بن فرقاجة، أنجدهما اللّه و تولّاهما! و أمس تاريخه انفصلا مودعين إلى العرض المعلوم، بعد التأكيد عليهما فيه، و شرح العمل الذى يوفيه، فكونوا على علم من ذلكم، و ابسطوا له جملة آمالكم، و إنّا لنرجو ثواب اللّه فى جبر أحوالكم، و برء اعتلالكم، و اللّه سبحانه و تعالى يصل مبرّتكم، و يتولّى تكرمتكم! و السلام عليكم و رحمة اللّه تعالى و بركاته، كتب فى الرابع و العشرين لرجب عام واحد و ستين و سبعمائة».

### من لسان الدين إلى السلطان أبى سالم المرينى]

فراجعه ابن الخطيب بما نصه: «مولاى خليفة اللّه بحق، و كبير ملوك الأرض عن حجّة، و معدن الشفقة و الحرمة ببرهان و حكمة، أبقاكم اللّه تعالى عالى الدرجة فى المنعمين! وافر الحظّ عند جزاء المحسنين، و أراكم ثمرة برّ أبيكم فى البنين، و صنع لكم فى عدوكم الصنع الذى لا يقف عند معتاد، و أذاق العذاب الأليم من أراد فى مثابتكم بإلحاد، عبدكم الذى ملكتم رقّه، و آويتم غربته، و سترتم أهله و ولده، و أسنيتم رزقه، و جبرتم قلبه، يقبّل موطئ الأخمص الكريم من رجلكم الطاهرة، المستوجبة بفضل اللّه تعالى لموقف النصر، الفارعة هضبة العز، المعملة الخطو فى مجال السعد، و ميسّر الحظ ابن الخطيب، من شالة التى تأكد بملككم الرضى احترامها، و تجدد برعيكم عهدها، و استبشر بملككم دفينها، و أشرق بحسناتكم نورها. و قد ورد على العبد الجواب المولوى البرّ الرحيم، المنعم المحسن بما يليق بالملك الأصيل، و القدر الرفيع، و الهمّة السامية، و العزّة القعساء، من رعى الدخيل، و النصرة للذّمام، و الاهتزاز لبرّ الأب الكريم، فثاب الرجاء، و انبعث الأمل، و قوى العضد، و زار اللطف، فالحمد للّه الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة، و أعانكم على رعى ذمام

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۴۵

الصالحين، المتوسّل إليكم أولا بقبورهم، و متعبداتهم و تراب أجداثهم، ثم بقبر مولاى و مولاكم و مولى الخلق أجمعين الذى تسبب فى جودكم، و اختصّكم بحبّه، و غمركم بلطفه و حنانه، و علمكم آداب الشريعة، و أورثكم ملك الدنيا، و هيأتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة بعد طول المدى و انفساح البقاء، و فى علومكم المقدسة ما تضمّنت الحكايات عن العرب من النّصرة عن طائر داست أفراخه ناقة فى جوار رئيس منهم، و ما انتهى إليه الامتعاض لذلك ممّا أهينت فيه الأنفس و هلكت الأموال، و قصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم من عرب تامسنا، فما الظن بكم و أنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ أولا- إلى رحماكم بالأهل و الولد عن حسنة تبرعتم بها، و صدقة حملتكم الحرية على بذلها؟ ثم فيمن حطّ رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم دامع العين خافق القلب واهى الفزعة، يتغطّى بردائه، و يستجير بعليائه، كأننى ترامیت عليهم فى الحياة أمام الذعر الذى يذهب العقل و يحجب عن التمييز بقصر داره و مضجع رقاده، ما من يوم إلّا و أجهر بعد التلاوة: يا ليعقوب، يا لمرين، نسأل اللّه تعالى أن لا يقطع عنى معروفكم، و لا- يسلبنى عنايتكم، و يستعملنى ما بقيت فى خدمتكم، و يتقبل دعائى فيكم. و لحين وصول الجواب الكريم نهضت إلى القبر المقدّس و وضعته بإزائه، و قلت: يا مولاى، يا كبير الملوك، و خليفة اللّه، و بركة بنى مرين، صاحب الشهرة و الذكر فى المشرق و المغرب، عبدك المنقطع إليك، المترامى بين يدى قبرك، المتوسّل إلى اللّه ثم إلى ولدك بك، ابن الخطيب، وصله

من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك، و التقرّب إلى اللّه تعالى برعيك، و الاشتهار فى مشرق الدنيا و مغربها ببرك، و أنتم من أنتم من إذا صنع صنيعة كملها، و إذا منّ منة تممها، و إذا أبدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة و لا ممنونة و لا منتقصة، و أنا بعد تحت ذيل حرمتك و ظلّ دخيلك، حتى يتمّ أملى، و يخلص قصدى، و تحفّ نعمتك بى، و يطمئنّ إلى مأملك قلبى. ثم قلت للطلبة: أيها السادة، بينى و بينكم تلاوة كتاب اللّه تعالى منذ أيام و مناسبة النحلة و أخوّة التأليف بهذا الرباط المقدّس و السكنى بين أظهركم، فأمّنوا على دعائى بإخلاص من قلوبكم، و اندفعت فى الدعاء و التوسّل الذى نرجو أن يتقبّله اللّه تعالى، و لا يضيعه، و خاطب العبد مولاه شاكرا لنعمته مشيدا بصنيعته، مسرورا بقبوله، و شأنه من التعلّق و التطارح شأنه حتى يكمل القصد و يتمّ الغرض، معمور الوقت بخدمة يرفعها، و دعاء يردّده، و اللّه المستعان»؛ انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۴۶

### من لسان الدين إلى السلطان أبى سالم]

و كان تقدّم من لسان الدين كتاب للسلطان المذكور، و كان ما سبق من كتاب السلطان جوابا له، و ذلك بعد رجوع لسان الدين من مراكش و استقراره فى مدينة سلا برباط شالة مدفن السلاطين من بنى مرين، و منهم السلطان أبو الحسن والد السلطان أبى سالم المذكور، و نصّ الكتاب:

«مولاى المرجوّ لإتمام الصنيعة وصلة النعمة و إحراز الفخر، أبقاكم اللّه تعالى تضرب بكم الأمثال فى البرّ و الرضا و علوّ الهمّة و رعى الوسيلة، مقبّل موطئ قدمكم المنقطع إلى تربة المولى والدكم ابن الخطيب من الضريح المقدّس بشالة، و قد حطّ رحل الرجاء فى القبة المقدّسة، و تيمّم بالتربة الزكية، و قعد بإزاء لحد المولى أبيكم ساعة إيابه من الوجهة المباركة و زيارة الرّبط المقصودة و الترب المعظمة، و قد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم و الدخيل المرعىّ حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الأرض ثم عليكم، و التماس شفاعته من أمر سهل عليكم لا يجر إنفاد مال و لا اقتحام خطر، إنما هو إعمال لسان، و خطّ بنان، و صرف عزم، و إحراز فخر و أجر، و إطابة ذكر، و ذلك أنّ العبد عرّفكم يوم وداعكم أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدّس بلسان المقال ما يحضر ممّ يفتح اللّه تعالى فيه، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقّى عنه من الجواب، و قال لى صدر دولتكم و خالصتكم و خالصة المولى والدكم سيدى الخطيب- يعنى ابن مرزوق- سنّى اللّه تعالى أمله من سعادة مقامكم و طول عمركم: أنت يا فلان و الحمد للّه ممّن لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين، و صدر عنكم من البشر و القبول و الإنعام ما صدر، جزاكم اللّه تعالى جزاء المحسنين! و قد تقدّم تعريف مولاى بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم حسبما أدّاه من حضر ذلك المشهد من خدامكم، و العبد الآن يعرض عليكم الجواب، و هو أنى لمّا فرغت من مخاطبته بمرأى من الملإ الكبير، و الجمّ الغفير، أكببت على اللّحد الكريم داعيا و مخاطبا، و أصغيت بأذنى نحو قبره، و جعل فؤادى يتلقّى ما يوحيه إليه لسان حاله، فكأنى به يقول لى: قل لمولاك: يا ولدى و قرة عينى، المخصوص برضاى و برّى و ستر حريمى ورد ملكى الذى صان أهلى و أكرم صنائعى و وصل عملى، أسلّم عليك، و أسأل اللّه تعالى أن يرضى عنك و يقبل عليك، الدنيا دار غرور، و الآخرة خير لمن اتقى: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۴۷

و ما الناس إلّا هالك و ابن هالك «و لا تجد إلّا ما قدمت من عمل يقتضى العفو و المغفرة، أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة، و مثلك من ذكر فتذكر، و عرف فما أنكر، و هذا ابن الخطيب قد وقف على قبرى، و تهمّم بى، و سبق الناس إلى رثائى، و أنشدنى و مجدنى و بكانى، و دعا لى و هنأنى بمصير أميرى إليك، و عفّر وجهه فى تربى، و أملنى لما انقطعت منى آمال الناس، فلو كنت يا ولدى حيّا لما وسعنى أن أعمل معه إلّا ما يليق بى، و أن أستقلّ فيه الكثير، و أحتقر العظيم، لكن لما عجزت عن جزائه و كلته إليك، و أحلته يا

حبيب قلبى عليك، و قد أخبرنى أنه سليب المال، كثير العيال، ضعيف الجسم، قد ظهر فى عدم نشاطه أثر السن، و أمل أن ينقطع بجوارى، و يستتر بدخيلى و خدمتى، و يرد عليه حقّه بخدمتى، و وجهى و وجوه من ضاجعنى من سلفى، و يعبد اللّه تعالى تحت حرمتك و حرمتى، و قد كنت تشوّفت إلى استخدامه فى الحياة حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة، و خطيبنا العظيم المزية القديم القربة، أبو عبد اللّه بن مرزوق، فاسأله يذكرك، و استخبره يخبرك، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديمى بعد الممات، إلى أن نلحق جميعا برضوان اللّه تعالى و رحمته التى وسعت كل شىء، و له يا ولدى ولد نجيب يخدم ببابك، و ينوب عنه فى ملازمة بيت كتابك، و قد استقرّ ببابك قراره، و تعيّن بأمرك مرتبه و دثاره، فيكون الشيخ خديم الشيخ و الشاب خديم الشاب، هذه رغبتى منك، و حاجتى إليك، و اعلم أنّ هذا الحديث لا بدّ له أن يذكر و يتحدّث به فى الدنيا و بين أيدى الملوك و الكبار، فاعمل ما يبقى لك فخره، و يتخلّد ذكره، و قد أقام مجاورا ضريحى، تاليا كتاب اللّه تعالى علىّ، منتظرا ما يصله منك و يقرؤه علىّ، من السعى فى خلاص ماله، و الاحتجاج بهذه الوسيلة فى جبره، و إجراء ما يليق بك من الحرمة و الكرامة و النعمة، فاللّه اللّه يا إبراهيم، اعمل ما يسمع عنى و عنك فيه، و لسان الحال أبلغ من لسان المقال، انتهى. و العبد يا مولاى مقيم تحت حرمته و حرمة سلفه، منتظر منكم قضاء حاجته، و لتعلموا و تتحقّقوا أنى لو ارتكبت الجرائم، و رزأت الأموال، و سفكت الدماء، و أخذت حسائن الملوك الأعزة ممّن وراء النهر من الطط و خلف البحر من الروم و وراء الصحراء من الحبشة و أمكنهم اللّه تعالى منى من غير عهد بعد أن بلغهم تذمّمى بهذا الدخيل، و مقامى بين هذه القبور الكريمة، ما وسع أحدا منهم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۴۸

من حيث الحياء و الحشمة من الأحياء و الأموات و إيجاب الحقوق التى لا يغفلها الكبار للكبار إلّا الجود الذى لا يتعقّبه البخل، و العفو الذى لا تفسده المؤاخذة، فضلا عن سلطان الأندلس أسعده اللّه تعالى بموالاتكم؛ فهو فاضل، و ابن ملوك أفاضل، و حوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم و قدر سلفكم، لا سيما مولاى والدكم الذى أتوسّل به إليكم و إليهم، فقد كان يتبنّى مولاى أبا الحجاج، و يشمله بنظره، و صارخه بنفسه، و أمدّه بأمواله، ثم صيّر اللّه تعالى ملكه إليكم، و أنتم من أنتم ذاتا و قبيلا، فقد قرّت يا مولاى عين العبد بما رأت فى هذا الوطن المراكشى من وفور حشودكم، و كثرة جنودكم، و ترادف أموالكم و عددكم، زادكم اللّه تعالى من فضله! و لا شكّ عند عاقل أنكم إن انحلّت عروة تأميلكم، و أعرضتم عن ذلك الوطن، استولت عليه يد عدوّه. و قد علم تطارحى بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان، و تعلّقى بثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاى والدكم، و شهرة حرمة شالة معروفة، حاش للّه أن يضيعها أهل الأندلس، و ما توسّل إليهم قطّ بها إلّا الآن، و ما يجهلون إلّا اغتنام هذه الفضيلة الغريبة، و أملى منكم أن يتعيّن من بين يديكم خديم، بكتاب كريم، يتضمّن الشفاعة فى ردّ ما أخذ لى، و يخبر بمثواى مترامیا على قبر والدكم، و يقرّر ما ألزمكم بسبب هذا الترامى من الضرورة المهمّة، و الوظيفة الكبيرة عليكم و على قبيلكم حيث كانوا، و تطلبون منه عادة المكارمة بحلّ هذه العقدة، و من المعلوم أنى لو طلبت بهذه الوسائل من صلب أموالهم ما وسعهم بالنظر العقلى إلّا حفظ الوجه مع هذا القبيل و هذا الوطن، فالحياء و الحشمة بأبيان العذر عن هذا فى كلّ ملة و نحلة. و إذا تمّ هذا الغرض- و لا شكّ فى إتمامه باللّه تعالى- تقع صدقتكم على القبر الكريم بى و تعينونى لخدمة هذا المولى و زيارته و تفقّده، و مدح النبى صلى اللّه عليه و سلم ليلة المولد فى جواره و بين يديه، و هو غريب مناسب لبرّكم به، إلى أن أحجّ بيت اللّه بعناية مقامكم، و أعود داعيا مثنيا مستدعيا للشكر و الثناء من أهل المشرق و المغرب، و أتعوّض من ذمتى بالأندلس ذمّة بهذا الرباط المبارك يرثها ذريتى، و قد ساومت فى شىء من ذلك منتظرا ثمنه ممّا يباع بالأندلس بشفاعتكم، و لو ظننت أنهم يتوقفون لكم فى مثل هذا أو يتوقّع فيه وحشة أو جفاء و اللّه ما طلبته، لكنهم أسرى و أفضل، و انقطاعى أيضا لوالدكم ممّا لا يسع مجدكم إلّا عمل ما يليق بكم فيه، وها أنا أرتقب جوابكم بما لى عندكم من القبول، و يسعنى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۴۹

مجدكم فى الطلب و خروج الرسول، لاقتضاء هذا الغرض، و اللّه سبحانه يطلع من مولاى على ما يليق به، و السلام. و كتب فى الحادى عشر من رجب عام أحد و ستين و سبعمائة».

و فى مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة: [الكامل]

مولاى،ها أنا فى جوار أبيكا فابذل من البرّ المقدّر فيكا

أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى و اللّه يسمعك الذى يرضيكا

و اجعل رضاه إذا نهدت كتيبة تهدى إليك النصر أو تهديكا

و اجبر بجبرى قلبه تنل المنى و تطالع الفتح المبين و شيكا

فهو الذى سنّ البرور بأمّه و أبيه فاشرع شرعه لبنيكا

و ابعث رسولك منذرا و محذّرا و بما تؤمّل نيله يأتيكا

قد هزّ عزمك كلّ قطر نازح و أخاف مملوكا به و مليكا

فإذا سموت إلى مرام شاسع فغصونه ثمر المنى تجنيكا

ضمنت رجال اللّه منك مطالبى لمّا جعلتك فى الثواب شريكا

فلئن كفيت وجوهها فى مقصدى و رعيتها بركاتها تكفيكا

و إذا قضيت حوائجى و أريتنى أملا فربّك ما أردت يريكا

و اشدد على قولى يدا فهو الذى برهانه يقبل التشكيكا

مولاى، ما استأثرت عنك بمهجتى إنى و مهجتى التى تفديكا

لكن رأيت جناب شالة مغنما يضفى علىّ العزّ فى ناديكا

و فروض حقّك لا تفوت فوقتها باق إذا استجزيته يجزيكا

و وعدتنى و تكرّر الوعد الذى أبت المكارم أن يكون أفيكا

أضفى عليك اللّه ستر عناية من كلّ محذور الطريق يقيكا

ببقائك الدنيا تحاط و أهلها فاللّه جلّ جلاله يبقيكا

فلمّا وصل الكتاب إلى السلطان أجابه بما مرّ آنفا.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵۰

و رأيت بخطّ الفقيه الأديب المؤرّخ أبى عبد اللّه محمد بن الحداد الوادى آشى نزيل تلمسان على هامش قول ابن الخطيب فى هذه الرسالة «و لا شكّ عند عاقل أنكم إن انحلّت عروة تأميلكم- إلخ» ما صورته: كذلك وقع آخر الأمر، و كان الاستيلاء على مدينة غرناطة آخر ما بقى من بلاد الأندلس للإسلام فى محرم عام سبعة و تسعين و ثمانمائة، فرحم اللّه تعالى ابن الخطيب، العاقل اللبيب، و غفر له برحمته، انتهى.

و ممّا خاطب به لسان الدين السلطان أبا سالم فى الغرض المتقدّم قوله: [الكامل]

عن باب والدك الرضا لا أبرح يأسو الزمان لأجل ذا أو يجرح

ضربت خيامى فى حماه فصبيتى تجنى الجميم به و بهمى تسرح

حين يراعى وجهه فى وجهتى بعناية تشفى الصدور و تشرح

أ يسوغ عن مثواه سيرى جائبا و منابر الدنيا بذكرك تصدح

أنا فى حماه و أنت أبصر بالذى يرضيه منك فوزن عقلك أرجح

فى مثلها سيف الحميّة ينتضى فى مثلها زند الحفيظة يقدح

و عسى الذى بدأ الجميل يعيده و عسى الذى سدّ المذاهب يفتح

## تعريف لسان الدين فى «الإحاطة» بالسلطان أبى سالم المرينى، و ذكر مقتله]

و قد عرّف فى «الإحاطة» بالسلطان أبى سالم فقال بعد كلام: أملاك المسلمين، و حماة الدين، و أمراء المغرب الأقصى من بنى مرين، غيوث المواهب و ليوث العرين، و معتمد الصريخ و سهام الكافرين، حفظ اللّه تعالى على الإسلام و المسلمين ظلّهم، و زيّن ببدور الدنيا و الدين هالتهم، و أبقى الكلمة فيمن أخباره منهم أو من أقاربهم، فما عسى أن يطنب اللسان فى مدحهم؟ و أين تقع العبارة؟ و ما ذا يحصر الوصف؟ إلى أن قال: وفاته- فى ليلة العشرين من ذى القعدة من عام اثنين و ستين و سبعمائة ثار عليه بدار الملك و بلد الإمارة المعروف بالبلد الجديد من مدينة فاس الخائن الغادر مخلفه عليها عمر بن عبد اللّه بن على نسمة السوء، و جملة الشؤم، و المثل البعيد فى الجراءة على اللّه تعالى، و قد اهتبل غرّة انتقاله إلى القصر السلطانى بالبلد القديم متحولا إليه حذرا من قطع فلكى كان يحذر منه، استعجله بضعف

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵۱

نفسه، و أعانه على فرض صحة الحكم به، و سدّ الباب فى وجهه، و دعا الناس إلى بيعة أخيه المعتوه، و أصبح حائرا بنفسه، يروم ارتجاع أمر ذهب من يده، و يطوف بالبلد يلتمس وجهها إلى نجاح حيلة، فأعياه ذلك، و رشقت من معه السهام، و فرّت عنه الأجناد و الوجوه، و أسلمه الدهر، و تبرّأ منه الجدّ، و عند ما جنّ عليه الليل فرّ لوجهه، و قد التفّ عليه الوزراء، فسفهت حلومهم، و فالت آراؤهم، و لو قصدوا به بعض الجبال المنيعة لولّوا أوجههم شطر مظنّة الخلاص، و اتّصفوا بإبلاغ الأعذار، و لكنهم نكلوا عنه، و رجعوا أدراجهم و تسلّلوا راجعين إلى يد غادر الجملة، و قد سلبهم اللّه سبحانه لباس الحياء و الرجولية و تأذن اللّه تعالى لهم بعد بسوء العاقبة، و قصد بعض بيوت البادية و قد فضحه نهار الغد، و اقتفى المتبعة أثره حتى وقعوا عليه، فسيق إلى مصرعه، و قتل بظاهر البلد ثانى اليوم الذى غدر به فيه، جعلها اللّه تعالى له شهادة و نفعه! فلقد كان بقية البيت و آخر القوم دماثة و حياء، و بعدا عن الشرور، و ركونا للعاقبة.

و أنشدت على قبره الذى و وريت به جثته بالقلعة من ظاهر المدينة قصيدة أدّيت فيها بعض حقّه:

[الوافر]

بنى الدنيا بنى لمع السّراب لدوا للموت و ابنوا للخراب

انتهى المقصود من الترجمة.

و كان يصف لسان الدين بمقرّبى و جليسى، كما سبقت الإشارة إليه من كلام لسان الدين فيما خاطب به ابن أبى رمانة، و اللّه يسبل على الجميع رداء عفوه سبحانه.

و قد تقدم أنه شفع لابن الخطيب عند أهل الأندلس، و لذلك قال يخاطبهم: [الطويل]

سمىّ خليل اللّه أحييت مهجتى و عاجلنى منك الصّريخ على بعد

فإن عشت أبلغ فيك نفسى عذرها و إن لم أعش فاللّه يجزيك من بعدى

## ترجمة لسان الدين من إنشاء الأمير أبى الوليد إسماعيل بن الأحمر]

و قال الرئيس الأمير الأديب أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر فى حق ابن الخطيب ما صورته.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵۲

هو شاعر الدنيا، و علم المفرد و الثّنيا، و كاتب الأرض، إلى يوم العرض. لا يدافع مدحه فى الكتب، و لا يجنح فيه إلى العتب. آخر من تقدّم فى الماضى، و سيف مقوله ليس بالكهام إذ هو الماضى، و إلّا فانظر كلام الكتّاب الأول من العصبة، كيف كان فيهم بالإفادة صاحب القصبة، للبراعة، باليراعة. و به أسكت صائلهم، و ما حمدت بكرهم و أصائلهم، للجزالة المشربة بالحلاوة، الممكنة من مفاصل الطلاوة. و هو نفيس العدوتين، و رئيس الدولتين، بالاطلاع على العلوم العقلية، و الإمتاع بالفهوم النقلية، لكن صلّ لسانه فى الهجاء ألع، و نجاد نطاقه فى ذلك أنسع، حتى صدمنى، و على القول فيه أقدمنى؛ بسبب هجوه فى ابن عمى ملك الصقع الأندلسى، سلطان ذلك الوطن فى النفر الجنسى، المعظّم فى الملوك بالقول الجنى و الإنسى. ثم صفحت عنه صفحة القادر، الوارد من مياه الظفر غير القاذر؛ لأنّ مثلى لا يليق به إظهار العورات، و لا يجمل له تتبّع العثرات، اتّباعا للشرع فى تحريم الغيبة، و ضربا عن الكريهة و إثباتا لحظوظ النقيبة الرغيبة، فما ضره لو اشتغل بذنوبه، و تأسّف على ما شربه من ماء اللهو بذنوبه، و قد قال بعض الناس: من تعرض للأعراض، صار عرضه هدفا لسهام الأغراض؛ انتهى.

و مثل هذا فى لسان الدين لا يقدح، و ما زالت الأشراف تهجى و تمدح، و على تقدير صدور ما يخدش وجه جنابه الرفيع؛ فالأولى أن ينشد: [الكامل]

و إذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

## رد اعتراض أورده ابن الأحمر على لسان الدين]

و ممّن أثنى على لسان الدين بن الخطيب- رحمه اللّه تعالى!- بعض أكابر علماء تلمسان، و لم يحضرنى الآن اسمه، فى تأليف عرّف فيه بالشيخ العلّامة سيدى أبى عبد اللّه الشريف التلمسانى و ابنيه العالمين أبى يحيى و سيدى عبد اللّه، فقال بعد كلام فى حقّ الشريف ما نصّه: و كان علماء الأندلس أعرف الناس بقدره، و أكثرهم تعظيما له، حتى إنّ العالم الشهير لسان الدين بن الخطيب صاحب الأنباء العجيبة، و التآليف البديعة، كلّما ألّف تأليفا بعثه إليه، و عرضه عليه، و طلب أن يكتب عليه بخطّه، و كان الشيخ الإمام الصدر المفتى أبو سعيد بن لب شيخ علماء الأندلس و آخرهم كلّما أشكلت عليه مسألة كاتبه بها، و طلب منه بيان ما أشكل عليه، مقرّا له بالفضل؛ انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵۳

رجع:

و كتب لسان الدين بن الخطيب متمثّلا بشيخه الأوحد قاضى الجماعة أبى البركات بن الحاج البلفيقى رحمهما اللّه تعالى: [السريع]

أيتها النفس إليه اذهبى فحبّه المشهور من مذهبى

أيأسنى التوبة من حبّه طلوعه شمسا من المغرب

و يغلب على ظنى أنه خاطبه بذلك عند قدومه، أعنى لسان الدين، من المغرب إلى الأندلس، و اللّه تعالى أعلم.

## ثناء قاضى القضاة برهان الدين الباعونى على لسان الدين بن الخطيب اتهام لسان الدين بالإطناب]

و كان قاضى القضاة برهان الدين الباعونى الشامى، كثير الثناء على لسان الدين رحمه اللّه تعالى؛ لأنه تلقّى أخباره من قاضى القضاة ابن خلدون حسبما ذكرناه فى غير هذا الموضع، و لقد رأيت بخطّه على هامش بعض تآليف لسان الدين فى الإنشاء ما نصّه: هذا بليغ إلى الغاية، انتهى.

و كتب أثره بعض أكابر علماء المشرق ما نصّه: هذا خطّ العلّامة قاضى القضاة برهان الدين الباعونى، و هو شديد الاعتناء و المدح للمصنّف ابن الخطيب الأندلسى، معظّم له و لإنشائه، و هو خليق بالتعظيم، جدير بمزيد التمجيد و التكريم و كيف لا و هو شاعر مفلق،

و خطيب مصقع، و كاتب مترسل بليغ، لو لا ما فى إنشائه من الإكثار، الذى لا يكاد يخلو من عثار، و الإطناب، الذى يفضى إلى الاجتناب، و الإسهاب، الذى يقدّ الإهاب، و يورث الالتهاب؛ انتهى.

### الرد على هذا الاتهام]

قلت: و هذا الانتقاد غير مسلّم؛ فإنّ لسان الدين و إن أطنب و أسهب، فقد سلك من البلاغة أحسن مذهب، و يرحم اللّه تعالى العلامة البرهان الباعونى المذكور أعلاه؛ إذ كتب بخطّه فى آخر بعض تآليف لسان الدين فى الإنشاء ما صورته: قال كاتبه إبراهيم بن أحمد الباعونى لطف اللّه تعالى به: الحمد للّه على ما ألهم من البيان و علّم، و صلّى اللّه على سيدنا محمد و على آله و سلّم، وقفت على هذا الكتاب من أوّله إلى آخره، و عمت من بحر بلاغته فى زاخره، و عددته من مناقب مؤلفه و مفاخره، فإنه برّز فيه غاية التبريز، و أتى بما هو أحسن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵۴

من الذهب الإبريز، لا بل بما هو أبهى من الجواهر، و النجوم الزواهر، و عجبت من تلك الألفاظ، المشبهة لسحر الألحاظ، ورقة المعانى، المحكمة المبانى؛ انتهى.

فانظر- أيّدك اللّه تعالى!- بعين الإنصاف إلى كلام هذا الفاضل، المنصف الكامل، و قسه مع كلام ذلك المنتقد المتعصّب الناقص الخامل، مع أنّ الكلام الذى تعرّض له ذاك بالقدح، هو الذى تصدّى له الباعونى بالمدح، و كل إناء بالذى فيه ينضح، و إنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل، و الأمر أجلى من أن يقام عليه دليل و أوضح.

### بين لسان الدين و السلطان الغنى باللّه سلطانه]

رجع إلى ما كنّا بصدده:

و قال الوزير ابن عاصم عندما أجرى ذكر سلطان ابن الخطيب أمير المسلمين الغنى باللّه بعد كلام كثير ما صورة محلّ الحاجة منه: و كان هذا السلطان من نيل الأغراض على أكمل ما يكون عليه مثله ممن نزع غرقا فى قوس الخلافة، و حكى لى شيخنا القاضى أبو العباس الحسنى أنّ كبير ولده الأمير أبا الحجاج طلب من الشيخ ذى الوزارتين أبى عبد اللّه بن الخطيب أن يطلب من أبيه الغنى باللّه أن يبادر بإعذاره، إذ كان قد جاوز سنّ الإثغار، دون إعذار، لمكان ما لحق والده من التمحيص و غير ذلك من الحوادث المهمّة، فأسعده الشيخ بذلك، و قال للغنى باللّه: يا مولانا، إنّ سيدى يوسف وكّلنى على طلب إعذاره من مولانا نصره اللّه على ما يليق بك و به، فقال له الغنى باللّه: حسبى اللّه! و سكت سكتة لطيفة تشعر بفصل الكلام بعضه من بعض، ثم قال: و نعم الوكيل! فعدّها الأكياس من مدارك نبله، و محاسن قوله و فعله؛ انتهى.

قلت: هذا من السلطان فى حقّ لسان الدين غاية التبجيل، أعنى قوله «و نعم الوكيل» فأين هذا من سماع كلام أعدائه فيه بعد، حتى آل أمره إلى النحس بعد ذلك السعد؟ و سقاه دهره بعد الحلاوة ما مرّ، و لمن يكن قتله إلّا بتسبب السلطان المذكور كما مرّ: [الرجز]

ثلاثة ليس لها أمان البحر و السلطان و الزمان

و قال لسان الدين رحمه اللّه تعالى و لمّا قضى اللّه عزّ و جلّ بالإدالة، و رجعنا إلى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵۵

أوطاننا من العدوة، و اشتهر عنى ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة، و التّيه على السلطان و الدولة، و التّكبر على أعلى رتب الخدمة، و تطارحت على السلطان فى استنجاز وعد الرحلة، و رغبت فى تبرئة الذمة، و نفرت عن الأندلس بالجملة، خاطبى- يعنى أبا جعفر بن خاتمة- بعد صدر بلغ من حسن الإشارة، و براعة الاستهلال الغاية، بقوله: «و إلى هذا يا سيدى و محلّ تعظيمى و إجلالى، أمتع اللّه

تعالى الوجود بطول بقائكم! و ضاعف فى العزّ درجات ارتقائكم! فإنه من الأمر الذى لم يغب عن رأى العقول، و لا اختلف فيه أرباب المعقول، أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، و تاج مفرقها، و واسطة سلكها، و طراز ملكها، و قلادة نحرها، و فريدة دررها، و عقد جيدها المنصوص، و تمام زينتها على العموم و الخصوص، ثم أنتم مدار أفلاكها، و سرّ سياسة أملاكها، و ترجمان بيانها، و لسان إحسانها، و طبيب مارستانها، و الذى عليه عقد إدارتها، و به قوام إمارتها، و لديه يحلّ المشكل، و إليه يلجأ فى الأمر المعضل، فلا غرو أن تتقيّد بكم الأسماع و الأبصار، و تحدّق نحوكم الأذهان و الأفكار، و يزجر عنكم السانح و البارح، و يستنبأ ما تطرف عنه العين و تختلج الجوارح، استقراء لمرامكم، و استطلاعا لطالع اعتزامكم، و استكشافا عن مرامى سهامكم، لا- سيما مع إقامتكم على جناح خفوق، و ظهوركم فى ملتمع بروق، و اضطراب الظنون فيكم مع الغروب و الشروق، حتى تستقرّ بكم الديار، و يلقى عصاه التسيار، و له العذر فى ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل، و سرورها بلقائكم لم يكتمل، و لم يبرأ بعد جناحها المهيض، و لا- جمّ ماؤها المغيض، و لا تميّزت من داجيها لياليها البيض، و لا استوى نهارها، و لا تألّفت أنهارها، و لا اشتملت نعماؤها، و لا نسيت غمّاؤها، بل هى كالناقة، و الحديث العهد بالمكاره، يستشعر نفس العافية، و يتمسّح منكم باليد الشافية، فبحناكم عليها، و عظم حرمتكم على من لديها،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵۶

لا- تشوبوا لها عذب المجاج بالأجاج، و تفطموها عما عوّدت من طيب المزاج، فما لدائها و حياة قربكم غير طبّكم من علاج. و إنى ليخطر بخاطرى محبة فيكم، و عناية بما يعنيكم، ما نال جانبكم صانه اللّه تعالى بهذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد و كرم الوفاء، و أنّ الوطن إحدى المواطن الأظآر التى يحقّ لهنّ جميل الاحتفاء، و ما يتعلّق بكم من حرمة أولياء القرابة و أودّاء الصفاء، فيغلب على ظنى أنكم لحسن العهد أجنح، و بحقّ نفسكم عن حقّ أوليائكم أسمح، و للّتى هى أعظم قيمة من فضائلكم أوهب و أسجح، و هب أنّ الدّرّ لا- يحتاج فى الإثبات، إلى شهادة النّحور و اللبّات، و الياقوت غنى المكان، عن مظاهرة القلائد و التيجان، أليس أنه أعلى للعيان، و أبعد عن مكابرة البرهان، تألّقها فى تاج الملك أنوشروان؟

فالشمس و إن كانت أمّ الأنوار، و جلاء الأبصار، مهما أغمى مكانها من الأفق قيل: أليل هو أم نهار، و كما فى علمكم ما فارق ذوو الأرحام، و أولو الأحلام، مواطن استقرارهم، و أماكن قرارهم، إلّا برغمهم و اضطرارهم، و استبدال دار خير من دارهم؟، و متى توازن الأندلس بالمغرب، أو يعوّض عنها إلّا بمكة أو يثرب؟ ما تحت أديمها أشلاء أولياء و عبّاد، و ما فوقه مرابط جهاد، و معاقد ألوية فى سبيل اللّه و مضارب أوتاد، ثم يبوّأ ولده مبوّأ أجداده، و يجمع له بين طارفه و تلاده، أعيذ أنظاركم المسدّدة من رأى فائل، و سعى طويل لم يحل منه بطائل، فحسبكم من هذا الإياب السعيد، و العود الحميد»؛ و هى طويلة.

### جواب لسان الدين على أبى جعفر بن خاتمة]

قال لسان الدين رحمه اللّه تعالى: فأجبته بقولى: [السريع]

لم فى الهوى العذرىّ أو لا تلم فالعذل لا يدخل أسماعى

شأنك تعنيفى و شأنى الهوى كلّ امرئ فى شأنه ساعى

«أهلا بتحفة القادم، و ريحانة المنادم، و ذكر الهوى المتقادم، لا يصغّر اللّه مسراك! فما أسراك، لقد جبت إلىّ من همومى ليلا، و جست رجلا- و خيلا، و وفّيت من صاع الوفاء كيلا، و ظننت بى الأسف على ما فات، فأعملت الالتفات، لكيلا، فأقسم لو أنّ الأمر اليوم بيدى، أو كانت اللّمّة السوداء من عددى، ما أفلتّ أشراكى المنصوبة لأمثالك، حول المياه و بين المسالك، و لا علمت ما هنالك، لكنك طرقت حمى كسعته الغارة الشعواء، و غيّرت ربعة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵۷

الأنواء، فخمد بعد ارتجاجه، و سكت أذين دجاجه، و تلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه، و طال عهده بالزمن الأوّل، و هل عند رسم دارس من معوّل؟، و حيّا اللّه ندبا إلى زيارتى ندبك، و بآدابه الحكمية أدّبك: [الوافر]

فكان و قد أفاد بكّ الأمانى كمن أهدى الشفاء إلى العليل

و هى شيمة بوركت من شيمة، و هبة اللّه تعالى قبله من لدن المشيمة، و من مثله فى صلة رعى، و فضل سعى، و قول وعى: [مجزوء الخفيف]

قسما بالكواكب ال زّهر و الزهر عاتمه

إنما الفضل ملّة ختمت بابن خاتمه

كسانى حلّة فضلة، و قد ذهب زمان التجمّل، و حمّلنى شكره، و كتدى واه عن التحمّل، و نظرنى بالعين الكليلة عن العيب، فهلا أجاد التأمّل، و استطلع طلع نثّى، و والى فى مبرك المعجزة حتّى؟ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّى [سورة يوسف، الآية: ۸۶]: [الوافر]

و لو ترك القطا ليلا لناما و ما حال شمل وتده مفروق، و قاعدته فروق، و صواع بنى أبيه مسروق، و قلب قرحه من عضّة الدهر دام، و جمرة حسرته ذات احتدام، هذا و قد صارت الصغرى، التى كانت الكبرى، لمشيب لم يرع أن هجم لمّا نجم، ثم تهلّل عارضه و انسجم: [الكامل]

لا تجمعى هجرا علىّ و غربة فالهجر فى تلف الغريب سريع

نظرت فإذا النفس فريسة ظفر و ناب، و المال أكيلة انتهاب، و العمر رهن ذهاب، و اليد صفر من كل اكتساب، و سوق المعاد مترامية، و اللّه سريع الحساب: [الوافر]

و لو نعطى الخيار لما افترقنا و لكن لا خيار مع الزمان

وهب أنّ العمر جديد، و ظلّ الأمن مديد، و رأى الاغتباط بالوطن سديد، فما الحجّة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵۸

لنفسى إذا مرّت بمطارح جفوتها، و ملاعب هفوتها، و مثاقف قناتها، و مظاهر عزّاها و مناتها، و الزمان ولود، و زناد الكون غير صلود: [الكامل]

و إذا امرؤ لدغته أفعى مرّة تركته حين يجرّ حبل يفرق

ثم إن المرغّب قد ذهب، و الدهر قد استرجع ما وهب، و العارض قد اشتهب، و آراء الاكتساب مرجوحة مرفوضة، و أسماؤه على الجوار مخفوضة، و النّيّة مع اللّه على الزّهد فيما بأيدى الناس معقودة، و التوبة بفضل اللّه عزّ و جلّ منقودة، و المعاملة سامريّة، و دروع الصبر سابريّة، و الاقتصاد قد قرّت العين بصحبته، و اللّه قد عوّض حبّ الدنيا بمحبّته، فإذا راجعها مثلى من بعد الفراق، و قد رقى لدغتها ألف راق، و جمعتنى بها الحجرة، ما الذى تكون الأجرة؟ جل شانى، و إن رضى الوامق و سخط الشانى، إنى إلى اللّه تعالى مهاجر، و للعرض الأدنى هاجر، و لأظعان السّرى زاجر، لنجد إن شاء اللّه تعالى و حاجر، لكن دعانى للهوى، إلى هذا المولى المنعم هوى، خلعت نعلى الوجود و ما خلعته، و شوقى أمرنى فأطعته، و غالب و اللّه صبرى فما استطعته، و الحال أغلب، و عسى أن لا يخيب المطلب، فإن يسّر رضاه فأمر كمل، و راحل احتمل، و حاد أشجى الناقة و الجمل، و إن كان خلاف ذلك فالزمان جمّ العلائق، و التسليم بمقامى لائق: [البسيط]

ما بين غمضة عين و انتباهتها يصرّف الأمر من حال إلى حال

و أما تفضيله هذا الوطن ليمن طيره، و عموم خيره، و بركة جهاده، و عمران رباه و وهاده، بأشلاء عبّاده و زهّاده، حتى لا يفضله إلّا أحد الحرمين، فحقّ برىء من المين، لكننى للحرمين جنحت، و فى جوّ الشوق إليهما سنحت، فقد أفضت إلى طريق قصدى محجّته، و نصرتنى و المنّة للّه تعالى حجّته، و قصد سيدى أسنى قصد، توخّاه الحمد و الشكر، و معروف عرف به النّكر، و الآمال من فضل اللّه

بعد تمتار، و اللّه تعالى يخلق ما يشاء و يختار، و دعاؤه بظهر الغيب مدد، و عدّة و عدد، و برّه حالى الظّعن و الإقامة معتمل و معتمد، و مجال المعرفة بفضله لا يحصره أمد، و السلام»؛ انتهى.

و من خط ابن الصباغ ما صورته: يكفى ابن خاتمة الغاية التى سلمها له إمام الطريقة، و واحدها الفذ على الحقيقة، حيث قال: [مجزوء الخفيف]

إنما الفضل ملّة ختمت بابن خاتمه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۵۹

و من نظمه و قد تخلّى عن الكتابة و طلب منه أن يعود فأبى و أنشد: [الوافر]

تقضّى فى الكتابة لى زمان كشأن العبد ينتظر الكتابه

فمنّ اللّه من عتقى بما لا يطيق الشكر أن يملا كتابه

و قالوا هل تعود فقلت كلا و هل حرّ يعود إلى الكتابه

فانظر حسن هذه التورية العجيبة، انتهى.

## من أبى جعفر بن خاتمة إلى ابن جزى]

و لابن خاتمة يخاطب ابن جزى: يا أخى الذى سما ودّه أن يجازى، و سيدى الذى علا مجده عن أن يوازى، وصل اللّه تعالى لك أسباب الاعتلاء و الاعتزاز! و كافأ ما لك من الاختصاص بالفضائل و الامتياز! أما إنه لو وسع التخلّف عن جواب أخ أعز، و لم يجب التكلّف بإجابة من أبان فأعجز، لغطيت عجزى عن عين تعجيزك، و لما تعاطيت المثول بين يدى مناهزك أو مجيزك، لكنه فى حكم الودّ المكنون المكنوز، ممّا لا يحلّ و لا يجوز، فلكم الفضل فى الإغضاء عن عاجز، دعاه حكم التكلّف إلى القيام قيام مناجز، و إن لم يكن ذلك عند الإنصاف، و حميد الأوصاف، من السائغ الجائز، فعن جهد ما بلغ وليك إلى هذه الأحواز، و لم يحصل الحقيقة إلّا على المجاز. و أما ما ذهبتم إليه من تخميس القصيدة التى أعجزت، و بلغت من البلاغة الغاية التى عزت مناهضتها و أعوزت، فلم أكن لأستهدف ثانيا لمضاضة الإعجاز، و أسجل على نفسى بالإفلاس و الإعواز؛ انتهى.

و كتب قبلها قصيدة زائية أجابه بها عن قصيدة زائية، التزم فيها ابن جزى ترك الراء؛ لأنه كان ألثغ يبدلها غينا، رحم اللّه تعالى الجميع!.

## ترجمة أبى جعفر بن خاتمة من إنشاء لسان الدين]

و قال لسان الدين فى ترجمة ابن خاتمة المذكور: إنه الصدر المتفنن المشارك، القوى الإدراك، السديد النظر، الثاقب الذهن، الكثير الاجتهاد، الموفور الأدوات، المعين الطبع، الجيد القريحة، الذى هو حسنة من حسنات الأندلس، أحمد بن على بن خاتمة، من أهل ألمرية. إلى أن قال: و ممّا خاطبنى به بعد إلمام الركاب السلطانى ببلده و أنا صحبته، و لقائه إياى بما يلقى به مثله من تأنيس و برّ، و تودّد، و تردّد: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶۰

يا من حصلت على الكمال بما رأت عيناى منه من الجمال الرائع

قمر يروق و فى عطافى برده ما شئت من كرم و مجد بارع

أشكو إليك من الزمان تحاملا فى فضّ شمل لى بقربك جامع

هجم البعاد عليه ضنّا باللّقا حتى تقلّص مثل برق لامع

فلو انني ذو مذهب لشفاعة ناديته: يا مالكي يا شافعي

«شكواى إلى سيدى و معظّمى- أقرّ اللّه تعالى بسنائه أعين المجد! و أدرّ بثنائه ألسن الحمد!- شكوى ظمآن صدّ عن القراح العذب لأوّل وروده، و الهيمان ردّ عن استرواح القرب لمعضل صدوده، من زمان هجم عليّ بإبعاده، على حين إسعاده، و دهمنى بفراقه، غبّ إنارة أفقى به و إشراقه، ثم لم يكفه ما اجترم فى ترويع خياله الزاهر، حتى حرم عن تشييع كماله الباهر، فقطع عن توفية حقّه، و منع من تأدية مستحقّه، لا جرم أنه أنف لشعاع ذكائه، من هذه المطالع النائية عن شريف الإنارة، و بخل بالإمتاع بذكائه، عن هذه المسامع النائية عن لطيف العبارة، فراجع أنظاره، و استرجع معاره، و إلّا فعهدى بغروب الشمس إلى الذلوع، و أنّ البدر يتصرّف بين الإقامة و الرجوع. فما بال هذا النّير الأسعد، غرب ثم لم يطلع من الغد، ما ذاك إلّا لعدوى الأيام و عدوانها، و شأنها فى تغطية إساءتها وجه إحسانها، و كما قيل:

عادت هيف إلى أديانها، أستغفر اللّه أن لا يعدّ ذلك من المغتفر، فى جانب ما أولت من الأثر، التى أزرى العيان فيها بالأثر، و أربى الخبر على الخبر، فقد سرّت متشوّفات الخواطر، و أقرّت مستشرفات النواظر، بما حوت من ذلكم الكمال الباهر، و الجمال الناضر، الذى قيّد خطى الأبصار، عن التشوّف و الاستبصار، و أخذ بأزمّة القلوب، عن سبيل كلّ مأمول و مرغوب، و أنّى للعين، بالتحوّل عن كمال الزّين؟ أو الطرف، بالتّنقل عن خلال الظرف؟ أو للسمع من مراد، بعد ذلكم الإصدار الأدبى و الإيراد، أو للقلب من مراد، غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم فى حلل و أبراد، و هل هو إلّا الحسن جمع فى نظام، و البدر طالع لتمام، و أنواع الفضل ضمّها جنس اتّفاق و التئام، فما ترعى العين منه فى غير مرعى خصيب،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶۱

و لا تستهدف الأذن بغير سهم فى حدق البلاغة مصيب، و لا تستطلع النفس سوى مطلع له فى الحسن و الإحسان أوفر نصيب. لقد أزرى بناظم حلاه فيما يتعاطاه التقصير، و انفسح مدى علاه بكل باع قصير، و سفه حلم القائل: إنّ الإنسان عالم صغير، شكرا للدهر على يد أسداها بقرب مزاره، و تحفة أهداها بمطلع أنواره، على تغاليه فى ادخاره، نفائسه و تحليه بنفائس ادّخاره، لا غرو أن يضيق عنّا نطاق الذكر، و لا يتّسع لنا سوار الشكر، فقد عمّت هذه الأقطار بما شاءت من تحف بين تحفّ و كرامة، و اجتنت أهلها ثمرة الرحلة فى ظل الإقامة، و جرى لهم الأمر فى ذلك مجرى الكرامة. ألا و إنّ مفاتحتى لسيدى و معظّمى- حرس اللّه تعالى مجده، و ضاعف سعده!- مفاتحة من ظفر من الدهر بمطلوبه، و جرى له القدر على وفق مرغوبه، فشرع له إلى أهله بابا، و رفع له من خجله جلبابا، فهو يكلف بالاقتحام، و يأنف من الإحجام، غير أنّ الحصر عن درج قصده يقيّده، و البصر يبهرج نقده فيقعده، فهو يقدّم رجلا و يؤخر أخرى، و يجدّد عزما ثم لا يتحرّى، فإن أبطأ خطابى فلواضح الأعذار، و مثلكم من قبل جليات الأقدار، و اللّه سبحانه يصل لكم عوائد الإسعاد و الإسعاف، و يحفظ بكم ما للمجد من جوانب و أكناف، إن شاء اللّه تعالى. و كتب فى عاشر ربيع الأول عام ثمانية و أربعين و سبعمائة»؛ انتهى.

## من أبى جعفر بن خاتمة إلى لسان الدين]

و من خاتمة رسالة من إنشاء ابن خاتمة المذكور: فلنصرف عنان البطالة عن الإطالة، و نسلّم على السيادة الطاهرة الأصالة، بأطيب تسليم، ختامه مسك و مزاجه من تسنيم.

و من نظم ابن خاتمة المذكور: [الطويل]

هو الدّهر لا يبقى على عائذ به فمن شاء عيشا يصطبر لنوائبه

فمن لم يصب فى نفسه فمصابه بفوت أمانيه و فقد حبائبه

و منه قوله: [الوافر]

ملاك الأمر تقوى اللّه، فاجعل تقاه عدّة لصلاح أمرك

و بادر نحو طاعته بعزم فما تدرى متى يقضى بعمرك

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶۲

و قال لسان الدين: و كتب إلىّ- يعنى ابن خاتمة المذكور- عقب انصرافه من غرناطة فى بعض قدماته عليها ما نصّه: «ممّا قلته بديهة عند الإشراف على جنابكم السعيد و دخوله مع النفر الذين أتحفتهم سيادتكم بالإشراف عليه، و الدخول إليه، و تنعيم الأبصار فى المحاسن المجموعة لديه، و إن كان يوما قد غابت شمسه، و لم يتّفق أن كمل أنسه، و أنشدته حينئذ بعض من حضر و لعلّه لم يبلغكم، و إن كان قد بلغكم ففضلكم يحملنى فى إعادة الحديث: [الطويل]

أقول و عين الدمع نصب عيوننا و لاح لبستان الوزارة جانب

أهذى سماء أم بناء سماؤه كواكب غضّت عن سناها الكواكب

تناظرت الأشكال منه تقابلا على السّعد وسطى عقده و الحبائب

و قد جرت الأمواه فيه مجرّة مذانبها شهب لهنّ ذوائب

و أشرف من علياه بهو تحفّه شماسى زجاج وشيها متناسب

يطلّ على ماء به الآس دائرا كما افترّ ثغر أو كما اخضرّ شارب

هنالك من شاء العلا من جلالة بها يزدهى بستانها و المراتب

و لما أحضر الطعام هنالك دعى شيخنا القاضى أبو البركات فاعتذر أنه صائم قد بيّته من الليل، فحضرنى أن قلت: [المتقارب]

دعونا الخطيب أبا البركات لأكل طعام الوزير الأجلّ

و قد ضمّنا فى نداه جنان به احتفل الحسن حتى كملّ

فأعرض عنّا لعذر الصّيام و ما كلّ عذر له مستقلّ

فإنّ الجنان محلّ الجزاء و ليس الجنان محلّ العمل

و عندما فرغنا من الطعام أنشدت الأبيات شيخنا أبا البركات، فقال لى: لو أنشدتنيها و أنتم بعد لم تفرغوا منه لأكلت معكم، برّا بهذه الأبيات، و الحوالة فى ذلك على اللّه تعالى، انتهى.

### من نظم ابن خاتمة]

و من نظم ابن خاتمة المذكور فى فرّان: [الرمل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶۳

ربّ فران جلا صفحته لهب الفرن جلاء العسجد

يضرم النار بأحشاء الورى مثل ما يضرم فى المستوقد

فكأنّ الوجه منه خبزة فوقها الشّعر كقدر أسود

### قصيدة من أحمد بن صفوان إلى لسان الدين ضمنها غرضا تعجل له قضاءه]

و قال لسان الدين رحمه اللّه تعالى: و لما قدمت مالقة آئبا من السفارة إلى ملك المغرب محفوفا بفضل اللّه تعالى و جميل صنعه، موفّى المآرب، مصحبا بالإعانة، لقينى على عادته مهنيا، يعنى أحمد بن صفوان أحد أعلام مالقة و بقية أدبائها و صدور كتّابها، و أنشدنى معيدا فى الودّ و مبديا، و ضمّن غرضا له تعجّل قضاءه و الحمد للّه تعالى: [الطويل]

قدمت بما سرّ النفوس اجتلاؤه فهنيت ما عمّ الجميع هناؤه

قدوما بخير وافر و عناية و عزّ مشيد بالمعالى بناؤه

و رفعة قدر لا يدانى محلّها رفيع و إن ضاهى السّماك اعتلاؤه

عنيت بأمر المسلمين فكلّهم بما يرتجيه قد توالى دعاؤه

بلغت الذى أمّلته من صلاحهم فأدركت مأمولا عظيما جزاؤه

فيا واحدا أغنت عن الجمع ذاته و قام بأعباء الأمور غناؤه

تشوّقك الملك الذى بك فخره و أنت حقيقا حسنه و بهاؤه

فلا زال مزدانا بحليك جوده و لا زال موفورا عليك اصطفاؤه

و خصّصت من ربّ العباد بنعمة ينيلكها تخصيصه و احتفاؤه

و عشت عزيزا فى النفوس محبّبا يلبّى بتبجيل و برّ نداؤه

و قد جاءنى داعى السرور مؤدّيا لحقّ هناء فرض عين أداؤه

و لى بعد هذا مأرب متوقّف على فضلك الرحب الجناب قضاؤه

هززت له عطف البطرنىّ راجيا له النجح فاستعصى و خاب رجاؤه

و لم يدر أنى من علاك لمنتض حساما كفيلا بالنجاح انتضاؤه

يصمم إن هزّته كفّى لمعضل فيكفى العنا تصميمه و مضاؤه

فحقّق له دامت سعودك حرمتى لديك يرحنى مطله و التواؤه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶۴

و شاركك محبّا خالصا لك حبّه قديما كريما عهده و وفاؤه

وصل بجزيل الرعى حبل ذمامه يصلك جزيلا شكره و ثناؤه

بقيت و صنع اللّه يدنى لك المنى و يوليك من مصنوعه ما تشاؤه

بحرمة من حقّت سيادته على بنى آدم و الخير منه ابتداؤه

### إجازة من ابن صفوان للسان الدين و ولده عبد اللّه]

و جمعت ديوان شعره أيام مقامى بمالقة عند توجّهى صحبة الركاب السلطانى إلى إصراخ الخضراء عام أربعة و أربعين و سبعمائة، و قدّمت صدره خطبة، و سمّيت الجزء ب «الدرر الفاخرة، و اللّجج الزاخرة»، و طلبت منه أن يجيزنى و ولدى عبد اللّه رواية ذلك عنه، فكتب بخطّه الرائق، بظهر المجموع ما نصّه: الحمد للّه مستحقّ الحمد، أجبت سؤال الفقيه الأجلّ الأفضل السرى الماجد الأوحد الأحفل الأديب البارع الطالع فى أفق المعرفة و النباهة، و الرفعة المكينة و الوجاهة، بأبهى المطالع، المصنّف الحافظ العلّامة الحائز فى فنّى النظم و النثر، و أسلوبى الكتابة و الشعر، رتبة الرياسة و الإمامة، محلىّ جيد العصر بتآليفه الباهرة الزّواء، و مجلّى محاسن بنيه الرائقة على منصة الإشارة و الأنباء أبى عبد اللّه بن الخطيب، و صل اللّه تعالى سعادته، و حرس مجادته، و سنّى من الخير الأوفر، و الصنع الأبهر، مقصده و إرادته، و بلّغه فى نجله الأسعد، و ابنه الراقى بمحتده الفاضل و منشئه الأطهر محلّ الفرقد، أفضل ما يؤمّل نحلته إياه من المكرمات و إفادته، و أجزت له و لابنه عبد اللّه المذكور، أبقاهما اللّه تعالى فى عزّة سنيّة الخلال، و عافية ممتدّة الأفياء وارفة الظلال، رواية جميع ما تقيّد فى الأوراق المكتتب على ظهر أوّل ورقة منها من نظمى و نثرى، و ما تولّيت إنشاءه، و اعتمدت بالارتجال و الرواية اختياره و انتقاءه، أيام عمرى، و جميع ما لى من تصنيف و تقييد، و مقطوعة و قصيد، و جميع ما أحمله من أشياخى رضى

اللّه تعالى عنهم من العلوم، و فنون المنثور و المنظوم، بأى وجه تأدّى ذلك إلىّ، و صحّ حملى له و ثبت إسناده لدىّ، إجازة تامة، فى ذلك كلّه عامّة، على سنن الإجازات الشرعى، و شرطها المأثور عند أهل الحديث المرعىّ، و اللّه ينفعنى و إياهما بالعلم و حمله، و ينظمنا جميعا فى سلك حزبه المفلح و أهله، و يفيض علينا من أنوار بركته

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶۵

و فضله. قال ذلك و كتبه بخطّ يده الفانية العبد الفقير إلى اللّه الغنى به، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان، ختم اللّه تعالى له بخير! حامدا اللّه تعالى، و مصليا و مسلما على نبيّه المصطفى الكريم، و على آله الطاهرين ذوى المنصب العظيم، و صحابته البررة أولى الأثرة و التقديم، فى سادس ربيع الآخر عام أربعة و أربعين و سبعمائة، و حسبنا اللّه و نعم الوكيل»؛ انتهى.

### من أبى جعفر العذرى إلى لسان الدين]

و كتب الفقيه أبو جعفر بن عبد الملك العذرى من أهل بلنسية إلى لسان الدين رحمه اللّه تعالى فى بعض الأغراض: [الكامل]

إنى بمجدك لم أزل مستيقنا أن لا يهدّم بالتغيّر ما بنى

إذ أنت أعظم ماجد يعزى له صفح و أكرم من عفا عمّن جنى

و كتب أيضا: [الكامل]

إن كان دهرى قد أساء و جارا فذمام مجدك لا يضيّع جارا

فلأنت أعظم ملجأ ينجى إذا ما الدهر أنجد موعدا و أغارا

### من لسان الدين إلى ابن نفيس]

و قال لسان الدين رحمه اللّه تعالى: خاطبت الشيخ الشريف الفاضل أبا عبد اللّه بن نفيس صحبة ثمن مسكن اشتريته منه، و كان قد أهدانى فرسا عتيقا: [البسيط]

جزيت يا ابن رسول اللّه أفضل ما جزى الإله شريف البيت يوم جزى

إن أعجز الشكر منّى منّة ضعفت عن بعض حقّك شكر اللّه ما عجزا

«سيدى، أبقى اللّه شرفك تشهد به الطباع، إذا بعدت المعاهد المقدّسة و الرّباع! و تعترف به الأبصار و الأسماع، و إن جحدت عارضها الإجماع، بأى لسان أثنى؟ أم أىّ الأفنان أهصر و أجنى؟ أم أىّ المقاصد الكريمة أعنى؟ أمطيت جوادك المبارك، و أسكنت دارك، و أوسعت مطلبى اصطبارك، و هضمت حقّك و بوّأت جوارك، و وصلت للغرباء إيثارك، أشهد بأنك الكريم ابن الكريم، لا أقف فى تعدادها عند حدّ، إلى خير جد، فإن أعان الدهر على مجازاه، و إن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶۶

ترفع كرمك عن موازاه، فحاجة نفس قضيت، و أحكام آمال أمضيت، و إن اتّصل العجز فعين على القذى أغضيت، و مناصل عزم ما انتضيت، و على كل حال فالثناء ذائع و الحمد شائع، و اللسان و الحمد للّه طائع، و اللّه مشتر ما أنت بائع، و قد وجهت من يحاول لسيدى ثمن ما اكتسبه مجده، و سفر عنه حمده، و العقيدة بعد التراضى، و كمال التقاضى، و حميد الصبر و سعة التغاضى، و كونه الخصم و القاضى، أنه هبة سوّغها إنعامه، و أكلة هاهنا مطعامه، نسأل اللّه تعالى أن يعلى ذكره، و يتولّى شكره، و ينمى ماله، و يرفع قدره، و الولد جاره الغريب الذى برز إلى مقارعة الأيام عن خبرة قاصرة، و تجربة غير منجدة على الدهر و ناصرة، قد جعلته وديعة فى كرم جواره، و وضعته فى حجر إيثاره، فإن زاغ فيده العليا فى تبصيره، و مؤاخذته بتقصيره، و من نبّه مثله نام، و من استنام إليه بمهمة أكرم بمن إليه استنام، و إن تشوّف سيدى لحال محبّه فمطلق للدنيا من عقال، و رافض أثقال، و مؤمّل اعتياض بخدمة اللّه تعالى و

انتقال»؛ انتهى.

### من لسان الدين إلى أبى القاسم بن رضوان]

و قال رحمه اللّه تعالى: مما خاطبت به صدر الفضلاء الفقيه المعظم أبا القاسم بن رضوان بما يظهر داعيته من فحواه: [الطويل]

مرضت فأيامى لديك مريضة و برؤك مقرون ببرء اعتلالها

فلا راع تلك الذات للضرّ رائع و لا و سمت بالسقم غرّ خلالها

«وردت على من فئتى التى إليها فى معرك الدهر أتحيّز، و بفضل فضلها فى الأقدار المشتركة أتميّز، سحاءة سرّت و ساءت، و بلغت من القصدين ما شاءت، أطلع بها سيدى صنيعة ودّه من شكواه على كلّ عابث فى السويداء، موجب اقتحام البيداء، مضرم نار الشفقة فى فؤاد لم يبق من صبره إلّا القليل، و لا من إفصاح لسانه إلّا الأنين و الأليل، و نوى مدت لغير ضرورة يرضاها الخليل، فلا تسأل عن ضنين تطرقت اليد إلى رأس ماله، أو عابد نوزع متقبل أعماله، أو آمل ضويق فى فذلكة آماله، لكننى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق، و عارضت القواعد الموحشة بالفروق، و رأيت الخطّ يبهر و الحمد للّه تعالى و يروق،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶۷

و اللفظ الحسن تومض فى حبره للمعنى الأصيل بروق، فقلت: ارتفع الوصب، و ردّ من الصحة المغتصب، و آلة الحسّ و الحركة هى العصب، و إذا أشرق سراج الإدراك دلّ على سلامة سليطه، و الروح خليط البدن و المرء بخليطه، و على ذلك فلا يقنع بليد احتياطى إلّا الشرح، ففيه يسكن الظمأ البرح، و عذرا عن التكليف فهو محلّ الاستقصاء و الاستفسار، و الإطناب و الإكثار، و زند القلق فى مثلها أورى، و الشفيق بسوء الظن مغرى، و سيدى هو العمدة التى سلمت لى الأيام فيها، و قالت: حسب آمالك و يكفيها، فكيف لا أشفق، و من أنفق من عينه فأنا من عينى لا أنفق، و اللّه لا يحبط سعيى فى سؤال عصمتها و لا يخفق، و يرشد إلى شكره على ما وهب منها و يوفق، و السلام الكريم على سيدى البر الوصول، الذى زكت منه الفروع لما طابت الأصول، و خلص من ودّه لابن الخطيب المحصول، و رحمة اللّه تعالى و بركاته».

### من ابن رضوان إلى لسان الدين]

قال: فراجعنى حفظ اللّه سيادته بما نصّه: [الطويل]

متى شئت ألفى من علائك كلّ ما ينيل من الآمال خير منالها

كبرء اعتلال من دعائك زارنى و عادات برّ لم ترم عن وصالها

«أبقى اللّه ذلك الجلال الأعلى متطولا بتأكيد البرّ، متفضّلا بموجبات الحمد و الشكر، وردتنى سحاءته المشتملة على معهود تشريفه، و فضله الغنى عن تعريفه، متحفيا فى السؤال، عن شرح الحال، و معلنا بما تحلى به من كرم الخلال، و الشرف العال، و المعظم على ما يسّر ذلك الجلال الوزارى الرياسى أجراه اللّه تعالى على أفضل ما عوّده، كما أعلى فى كلّ مكرمة يده، ذلك ببركة دعائه الصالح، و حبّه المخيّم بين الجوانح، و اللّه سبحانه المحمود على نعمه، و مواهب لطفه و كرمه، و هو سبحانه المسؤول أن يهيئ لسيدى قرار المخاطر، على ما يسرّه فى الباطن و الظاهر، بمنّ اللّه و فضله، و السلام الكريم على جلاله الأعلى و رحمة اللّه و بركاته، كتبه المعظم الشاكر الداعى الذاكر المحبّ ابن رضوان، وفّقه اللّه تعالى! فى ذى الحجة ختام عام واحد و ستين و سبعمائة»؛ انتهى.

### من لسان الدين إلى الشيخ الجنان]

و قال رحمه اللّه تعالى: و فاتحته- يعنى الشيخ الجنان- محرّكا قريحته و مستثيرا ما عنده، بقولى: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶۸

إن كانت الآداب أضحت جنّة فلقد غدا جنانها الجنان

أقلامه القضب اللّدان بدوحها و الزهر ما رقمته منه بنان

و ذكر فى البيتين سجعا بليغا،

### من الشيخ الجنان إلى لسان الدين]

ثم قال: فراجعنى الجنان بما نصّه: [السريع]

يا خاطب الآداب مهلا فقد ردّك عن خطبتها ابن الخطيب

هل غيره فى الأرض كفء لها و شرطها الكفاءة قول مصيب

أصبح للشرط بها معرسا فاستفت فى الفسخ فهل من مجيب

«أيها السيد الذى يتنافس فى لقائه و يتغالى، و يصادم بولائه صرف الزمان و يتعالى، و تستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه، و تقتنص شوارد العلوم بروايات كلامه فكيف بمداناة عيانه، جلوت علىّ من بنات فكرك عقائل نواهد، و أقمت بها على معارفك الجمّة دلائل و شواهد، و اقتنصت بشرك بديهتك من المعانى أوابد شوارد، و فجّرت من بلاغتك و براعتك حياضا عذبة الموارد، ثم كلفتنى من إجراء ظالعى فى ميدان ضليعها، مقابلة الشمس المنيرة بسراج عند طلوعها، فأخلدت إخلاد مهيض الجناح، و فررت فرار الأعزل عن شاكى السلاح، و علمت أننى إن أخذت نفسى بالمقابلة، و أدليت دلو قريحتى للمساجلة، كنت كمن كلف الأيام مراجعة أمسها، أو طلب ممّن علته السماء محاولة لمسها، و إن رضيت من القريحة بسجيّتها، و أظهرت القدر الذى كنت امتحت من ركيتها، أصبحت مسخرة للراوين و السامعين، و نبت عن أسمى دواوينهم كما تنبو عن الأشيب عيون العين، ثم إنّ أمرك يا سيدى لا يحلّ وثيق مبرمه، و لا يحلّ نسخ محكمه، فامتثلته امتثال من لم يجد فى نفسه حرجا من قضائك، و رجوت حسن تجاوزك و إغضائك، أبقاك اللّه تعالى قطبا لفلك المكارم و المآثر، و فصّا لخاتم المحامد و المفاخر، و السلام»؛ انتهى.

### ترجمة الشيخ أحمد بن محمد الجنان الأوسى]

و الجنان المذكور مغربى من مكناسة الزيتون، و هو الشيخ الفقيه العدل الأديب الأخبارى المشارك، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسى، الجنان، من أهل الظرف

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۶۹

و الانطباع و الفضيلة، كاتب عاقل ناظم ناثر مشارك فى فنون من العلم، له تصنيف حسن فى ثلاث مجلّدات سماه «المنهل المورود، فى شرح المقصد المحمود» شرح فيه وثائق أبى القاسم الجزيرى المالكى، فأربى على غيره بيانا و إفادة. قال فى «نفاضة الجراب»: و ناولنى إياه، و أذن لى فى حملى عنه، و أنشدنى كثيرا من شعره، فمن ذلك ما صدّر به رسالة يهنئ بها ناقها من مرض: [المديد]

البس الصحة بردا قشيبا و ارشف النعمة ثغرا شنيبا

و اقطف الآمال زهرا نضيرا و اعطف الإقبال غصنا رطيبا

إن يكن ساءك وعك تقضّى تجد الأجر عظيما رحيبا

فانتعش فى دهرنا ذا سرور يصبح الحاسد منه كئيبا

### أبيات رآها المؤلف على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التى بناها ابن تاشفين]

و قال أيضا لسان الدين فى النفاضة: قرأت بالدور الخشبى فى الدار التى نزلت بها بمكناسة الزيتون أبياتا منقّشة استحسنتها لسهولتها فأخبرنى أنها من نظمه، و هى: [المنسرح]

انظر إلى منزل متى نظرت عيناك يعجبك كلّ ما فيه

ينبئ عن رفعة لمالكه و عن ذكاء الحجا لبانيه

يناسب الوشى فى أسافله ما يرقم النقش فى أعاليه

كأنه روضة مدبّجة جاد لها وابل بما فيه

فأظهرت للعيون زخرفها و وافقتها على تجلّيه

فهو على بهجة تلوح به و رونق للجمال يبديه

يشهد للساكنين أنّ لهم من جنّة الخلد ما يحاكيه

قلت: قد تذكّرت هنا، و الشىء بالشىء يذكر، ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التى بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزيانى، و هى من بدائع الدنيا، و هو:

[الكامل]

انظر بعينك بهجتى و سنائى و بديع إتقانى و حسن بنائى



و بديع شكلى و اعتبر فيما ترى من نشأتى بل من تدفّق مائى

جسم لطيف ذائب سيلانه صاف كذوب الفضّة البيضاء

قد حفّ بى أزهار و شى نمّقت فغدت كمثل الروض غبّ سماء

### أبيات كتبت على القبة التى أنشأها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسنى]

و ما أنشده بعض أهل العصر فى المغرب بقصد أن يرسم فى الأستار المذهبة المحكمة الصنعة التى جعلها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسنى رحمه اللّه تعالى لكى يستر بها النواحى الأربع من القبة الكبيرة بالبديع، و تسمى هذه الستور عند أهل المغرب بالحائطى، ففى الجهة الأولى: [الكامل]

متّع جفونك من بديع لباسى و أدر على حسنى حميّا الكاس

هذى الرّبا و الروض من جرعائها ممّا اغتذى بالعارض البجّاس

أنّى لروض أن يروق بهاؤه مثلى و أن يجرى على مقياس

فالروض تغشاه السوام، و إنما تأوى إلى كنفى ظباء كناس

و على الجهة الثانية:

من كلّ حسنا كالقضيب إذا انثنى تزرى بغصن البانة الميّاس

و لقد نشرت على السّماك ذوائبى و نظرت من شزر إلى الكنّاس

و جررت ذيلى بالمجرّة عابثا فخرا بمخترعى أبى العباس

ما نيط مثلى فى القباب و لا ازدهت بفتى سواه مراتب و كراسى

و على الجهة الثالثة:

ملك تقاصرت الملوك لعزّه و رماهم بالذّلّ و الإتعاس

غيث المواهب بحر كلّ فضيلة ليث الحروب مسعّر الأوطاس

فرد المحاسن و المفاخر كلّها قطب الجمال أخو الندى و الباس

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۷۱

ملك إذا وافى البلاد تأرّجت منه الوهاد بعاطر الأنفاس

و على الجهة الرابعة:

و إذا تطلّع بدره من هالة يغشى سناه نواظر الجلّاس

أيامه غرر تجلّت كلّها أبهى من الأعياد و الأعراس

لا زال للمجد السنيّ يشيده و يقيم مبناه على الأساس

ما مال بالغصن النسيم و حببت درر الندى فى جيده الميّاس

### أبيات للفقيه أبى محمد المسفيومى المراكشى مما كتب على أحد مبانى الوزير عبد العزيز الفشتالى]

و ما أنشدنيه بعض العصريين من المغاربة لصاحبنا المرحوم الفقيه الكاتب المحقق أبى محمد الحسن بن أحمد المسفيومى المراكشى أحد مشاهير الكتّاب بباب أمير المؤمنين المنصور بالله أبى العباس الشريف الحسنى ملك المغرب، صبّ اللّه تعالى على الجميع أمطار الرضوان ممّا كتب فى بعض مبانى صاحبنا الوزير العلامة الأجلّ سيدى عبد العزيز الفشتالى رحمه اللّه تعالى! و هو: [الكامل]

أجل المعلّى من قداح سرورى و أدركؤوس الأنس دون شرور

خلعت على عطف البهاء محاسنى فكست به الآفاق ثوب حبور

و تناسق الوشى المفوّف حلّتى نسق الشذور على نحور الحور

شأو القصور قصورها عن رتبة لى بالسنا الممدود و المقصور

فى المبتنى المراكشى و أفقه أزرى على الزوراء و الخابور

أعلى مقامى البارع الأسمى الذى قد حاز سبق النظم و المنثور

فإذا أقلّ بنانه أقلامه نفثت عقود السحر بين سطور

عبد العزيز أخو الجلالة كاتب سرّ الخليفة أحمد المنصور

لا زال فى يمن و أمن ما شدت ورق بروض بالنّدى ممطور

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۷۲

### أبيات للوزير أبى فارس عبد العزيز الفشتالى تبت فى المبانى المنصورية بمراكش]

و بعضه كتبته بالمعنى من حفظى لطول العهد، و الغاية فى هذا الباب ما أنشدنيه لنفسه الوزير أبو فارس عبد العزيز الفشتالى المذكور، و هى جملة من قصائد كتبت فى المبانى الملوكية المنصورية بالحضرة المراكشية حاطها اللّه تعالى! فمنها ما كتب خارج القبة الخمسينية أى التى فيها خمسون ذراعا بالعمل، و ذلك قوله رحمه اللّه تعالى على لسان القبة: [الطويل]

سموت فخرّ البدر دونى و انحطّا و أصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا

و صغت من الإكليل تاجا لمفرقى و نيطت بى الجوزاء فى عنقى سمطا

و لاحت بأطواقى الثريّا كأنها نثير جمان قد تتبعته لقطا

و عدّيت عن زهر النجوم لأننى جعلت على كيوان رحلى منحطّا

و أجريت من فيض السماحة و الندى خليجا على نهر المجرّة قد غطّى

عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت إليه وفود البحر تغرق ما أنطى

فنضّض ما بين الغروس كأنه و قد رقرقت حصباؤه حيّة رقطا

حواليه من دوح الرياض خرائد و غيد تجرّ من خمائلها مرطا

إذا أرسلت لدن الفروع و فتّحت جنى الزهر لاح فى ذوائبها و خطا

يرنحها مرّ النسيم إذا سرى كما مال نشوان تشرّب إسفنطا

يشقّ رياضا جادها الجود و الندى سواء لديها الغيث أسكب أم أخطا

و سالت بسلسال اللّجين حياضه بحارا غدا عرض البسيط لها شطّا

تطلّع منها وسط وسطاه دمية هى الشمس لا تخشى كسوفا و لا غمطا

حكت و حباب الماء فى جنباتها سنا البدر حلّ من نجوم السما وسطا

إذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها على جسمها الفضّىّ نهرا بها لطّا

توسمت فيها من صفاء أديمها نقوشا كأنّ المسك ينقطها نقطا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۷۳

إذا اتّسقت بيض القباب قلادة فإنى لها فى الحسن درّتها الوسطى

تكنّفنى بيض الدّمى فكأنها عذارى نضت عنها القلائد و الريطا

قدود و لكن زانها الحسن عريها و أجمل فى تنعيمها النحت و الخرطا

نمت صعدا تيجانها فتكسّرت قوارير أفلاك السماح بها ضغطا

فيا لك شأوا بالسعادة آهلا بأكنافه رحل العلا و الهدى حطّا

و كعبة مجد شادها العزّ فانبرت تطوف بمغناها أمانى الورى شوطا

و مسرح غزلان الصّريم كناسها حنايا قباب لا الكثيب و لا السّقطا

فلكن به ما طاب لا الأثل و الخمطا و وسّدن فيه الوشى لا السّدر و الأرطى

تراه من المسك الفتيت مدبّرا إذا مازجته السّحب عاد بها خلطا

و إن باكرته نسمة لسرى بها إلى كل أنف عرف عنبره قسطا

أقرّت له الزهراء و الخلد و انتقت أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا

جناب رواق المجد فيه مطنّب على خير من يعزى لخير الورى سبطا

إمام يسير الدهر تحت لوائه و ترسى سفان للعلا حيثما وطّا

و فتّاح أقطار البلاد بفيلق يفلّق هامات العدا بالظّبا خبطا

تطلّع من خرصانه الشّهب فانثنت ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا

كتائب نصر إن جرت لملمّة جرت قبلها الأقدار تسبقها فرطا

إذا ما عقدن راية علويّة جعلن ضمان الفتح فى عقدها شرطا

فما للسما تلك الأهلّة إنما سنابكها أبقت مثالا بها خطّا

يطاوع أيدى المعلوات عنانها فيعتاض من فيض الزمان بها بسطا

يد لأمير المؤمنين بكفّها زمام يقود الفرس و الروم و القبطا

أدار جدارا للعلا و سرادقا يحوط جهات الأرض من رعيه حوطا

## أبيات للوزير الفشتالى مما كتب ببهو المبنى المنصورى بمرمر أسود فى أبيض]

و قوله ممّا كتب ببهوها بمرمر أسود فى أبيض: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۷۴

للّه بهو عزّ منه نظير لمّا زها كالروض و هو نضير

رصفت نقوش حلاه رصف قلائد قد نضدتها فى النحور الحور

فكأنها و التبر سال خلالها و شى و فضّة تربها كافور

و كأنّ أرض قراره ديباجة قد زان حسن طرازها تشجير

و إذا تصعّد ندّه نوءا ففى أنماطه نور به ممطور

شأو القصور قصورها عن وصفه سيّان فيه خورنق و سدير

فإذا أجلت اللحظ فى جنباته يرتدّ و هو بحسنه محسور

و كأنّ موج البركتين أمامه حركات سجف صافحته دبور

صفّت بصفّتها تماثل فضّة ملك النفوس بحسنها تصوير

فتدير من صفو الزلال معتّقا يسرى إلى الأرواح منه سرور

ما بين آساد يهيج زئيرها و أساود يسلى لهنّ صفير

و دحت من الأنهار أرض زجاجة و أظلّها فلك يضىء منير

راقت فمن حصبائها و فواقع تطفو عليها اللؤلؤ المنثور

يا حسنه من مصنع فبهاؤه باهى نجوم الأفق و هى تنور

و كأنما زهر الرياض بجنبه حيث التفتّ كواكب و بدور

و لدسته الأسمى تخيّر رصفه فخر الورى و إمامها المنصور

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص۱۷۴

ملك أناف على الفراقد رتبة و أقلّه فوق السّماك سرير

قطب الخلافة تاج مفرق دولة رميت بجحفلها اللّهام الكور

و جرى إلى أقصى العراق لرعبها جيش على جسر الفرات عبور

نجل النبىّ ابن الوصىّ سليل من حقن الدماء و عفّ و هو قدير

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۷۵

بحر الندى لكنه متموّج سيف العلا لكنه مطرور

طود يخفّ لحلمه و وقاره و لجيشه يوم النزال ثبير

دامت معاليه و دام و مجده طوق على جيد العلا مزرور

و تعاهدته عن الفتوح بشائر يغدو عليه بها المسا و بكور

ما دام منزل سعده يرتاده نصر يرفّ لواؤه المنشور

و مشت به مرحا جياد مسرّة و أدار كأس الأنس فيه سمير

### أبيات له كتبت بداخل القبة]

و قوله ممّا كتب بداخل القبّة المذكورة: [الوافر]

جمال بدائعى سحر العيانا و رونق منظرى بهر الجفونا

و قد حسنت نقوشى و استطارت سنا يعشى عيون الناظرينا

و أطلع سمكى الأعلى نجوما ثواقب لا تغور الدهر حينا

و جوّى من دخان النّدّ ألقى على أرضى الغياهب و الدّجونا

علوت دوائر الأفلاك سبعا لذاك الدهر ما ألفت سكونا

فصغت من الأهلّة و الحنايا أساور و الخلاخل و البرينا

تكنّفنى حياض مائحات أمامى و الشمال أو اليمينا

يقيّد حسنها الطرف انفساحا و يجرى الفلك فيها و السفينا

تدافع نهرها نحوى فلمّا تلاقى البحر فى جرى دفينا

ترى شهب السماء بهنّ غرقى فتحسبها بها الدّرّ المصونا

و قد نشر الحباب على سماها لآلىء تزدرى العقد الثمينا

فخرت و حقّ لى لما اجتبانى لمجلسه أمير المؤمنينا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۷۶

هو المنصور حائز خصل سبق و بانى المجد بنيانا مكينا

و ليث و غى إذا زأر امتعاضا يروع زئيره هندا و صينا

إذا أمّت كتائبه الأعادى بعثن برعبه جيشا كمينا

يدير عليهم من كلّ حرب تدقّهم رحى أو منجنونا

إمام بالمغارب لاح شمسا بها الشرق اكتسى نورا مبينا

بقيت بذى القصور الغرّ بدرا تلوح بأفقهنّ مدى السنينا

تحفّ بكم عواكف عند بابى ملائكة كرام كاتبونا

لكك البشرى أمير المؤمنين أد خلوها مع سلام آمنينا

### أبيات له فى بعض المبانى المنصورية]

و قوله فى بعض المبانى المنصورية: [الوافر]

معانى الحسن تظهر فى المغانى ظهور السحر فى حدق الحسان

مشابه فى صفات الحسن أضحت تمتّ بها المغانى للغوانى

بكلّ عمود صبح من لجين تكوّن فى استقامة خوط بان

مفصّلة القدود مثلّثات مواصلة العناق من التدانى

تردّت سابرىّ الحسن يزرى بحسن السابرىّ الخسروانى

و تعطو الخيزرانة من دماها بسالفة القطيع البرهمانى

لمجدك تنتمى لكن نماها إلى صنعاء ما صنع اليدان

يدين لك ابن ذى يزن و يعنو لها غمدان فى أرض اليمان

غدت حرما و لكن حلّ فيها لوفدكم الأمان مع الأمانى

مبان بالخلافة آهلات بها يتلو الهدى السّبع المثانى

هى الدنيا و ساكنها إمام لأهل الأرض من قاص و دانى

قصور ما لها فى الأرض شبه و ما فى المجد للمنصور ثانى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۷۷

### أبيات له مما كتب فى المصرية المطلة على الرياض]

و قوله رحمه اللّه تعالى ممّا كتب فى المصرية المطلّة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع المنصور، و كان أنشأها فى جمادى الأولى من عام خمسة و تسعين و سبعمائة: [الكامل]

باكر لدىّ من السرور كؤوسا و ارض النديم أهلّة و شموسا

و اعرج على غرفى المنيف سماؤها تلق الفراقد فى حماى جلوسا

و إذا طلعت بأوجها قمر العلا لا ترتضى غير النجوم جليسا

شرق القصور بريقها لمّا اجتلت منى على بسط الرياض عروسا

و اعتضت بالمنصور أحمد ضيغما وردا تحيّز من بديعى خيسا

ملك أرى كلّ الملوك ممالكا لعلاه و الدنيا عليه حبيسا

دامت وفود السعد و هى عواكف تصل المقيل لدىّ و التعريسا

و هناك يا شرف الخلافة دولة تلقى برايتها طلائع عيسى

و قوله من جملة قصيدة من نمط ما تقدّم لم أستحضر أولها: [الكامل]

سلبت تماثلها الحجا لمّا اغتدت تزهو بحسن طرازها تذهيبا

و لقد تشامخ فى العلو سماكها فجرى على الفلك المنير جنيبا

و سما إلى الشّهب الزواهر فاغتدى ال إكليل منها تاجها المعصوبا

هذا البديع يعزّ شبه بدائع أبدعتهنّ به فجاء غريبا

أضنى الغزالة حسنه حسدا لذا أبدى عليها للأصيل شحوبا

و انقضّت الزّهر المنيرة إذ رأت زهر الرياض به ينور عجيبا

شيدتهنّ مصانعا و صنائعا أنجزن وعدك للعلا المرقوبا

و جريت فى كلّ الفخار لغاية أدركتهنّ ما مسست لغوبا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۷۸

فانعم بملككك فيه دام مؤبّدا تجنى به فنن النعيم رطيبا

و إليكها عذراء فكر أهديت و جعلت مدحك مهرها الموهوبا

و نظمت من درر البلاغة عقدها فغدا يروق بجيدها ترتيبا

و رفعتها لمقامكم تمشى على اس تحيا فيزعجها الولا ترغيبا

فأتت على شرف لكم فتوقّفت لمّا رأت ذاك الجلال مهيبا
شفعت إليك بحبّ جدّك أحمد لتنيلها منك الرضا المرغوبا
دامت بك الدنيا يروق جمالها و إلى القيامة أمركم مرهوبا
و كلاكم اللّه العظيم كلاءة يرعى بها خلفا لكم و عقيبا

## من الوزير عبد العزيز الفشتالى إلى مؤلف هذا الكتاب]

و محاسن صاحبنا المذكور فى النظم و النثر يضيق عنها هذا التأليف، و كنت أثبتّ منها جملة فى غير هذا الموضع. و لما أحسّ بعزمى على الرحلة إلى الحجاز، و اقتضائى من سلطان المغرب فى وعده لى بها النّجاز، كتب إلىّ من حضرة مراكش و أنا حينئذ بفاس، ما صورته بعد سطر الافتتاح: [الكامل]

يا نسمة عطست بها أنف الصّبا فتضمّخت بعبيرها فنن الرّبا
هبّى على ساحات أحمد و اشرحى شوقى إلى لقياه شرحا مطنبا
وصفى له بالمنحنى من أضلعى قلبا على جمر الغضا متقلّبا
بان الأحبّة عنه، حىّ قد توى منهم، و آخر قد نأى و تغيّبا
فعساك تسعد يا زمان بقربهم فأقول أهلا باللقاء و مرحبا

«السيادة التى سوّاها اللّه من طينة الشرف و الحسب، و غرس دوحتها الطيبة بمعدن العلم الزاكى المحتد و النسب، سيادة العالم الذى تمشى تحت علم فتياه العلماء الأعلام، و تخضع لفصاحته و بلاغته صيارفة النثر و النظام، و حملة الأقلام، كلّما خطّ أو كتب، و إذ استطار بفكره الوقّاد سواجع السجع انثالت عليه من كلّ أوكارها و نسلت من كل حدب، و حكت بانسجامها السيل و القطر فى صبب، الفقيه العالم العلم، و المحصل الذى ساجلت العلماء

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۷۹

لتدرك فى مجال الإدراك شأوه فلم، سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفتيا، و مالك المملكة فى المنقول و المعقول من غير شرط و لا- ثنيا، أبو العباس سيدى أحمد بن محمد المقرى أبقاه اللّه تعالى للعلم يفتضّ أبكاره، و يجنى من روضه اليانع ثماره، سلام اللّه عليكم و رحمة اللّه تعالى و بركاته، كتبه المحبّ الشاكر عن ودّ راسخ العماد، ثابت الأوتاد مزهوّ الأغوار و الأنجاد، و لا جديد إلّا الشوق الذى تحنّ إلى لقياكم ركائبه و ترتاح، و تحوم على مورد الأنس بكم حوم ذات الجناح على العذب القراح، جمع اللّه تعالى الأرواح المؤتلفة على بساط السرور و أسرّة الهنا، و أتاح للنفوس من حسن محاضرتكم قطف المشتهى و هو غضّ الجنى. و قد اتّصل بالمحبّ الودود الرقيم الذى راقت من سواد النقش و بياض الطرس شياته، و أرانا معجز أحمد فبهرت آياته، و خبا سقط الزند لما أشرقت من سماء فكركم آياته، فأطربنا بتغريد طيور همزاته على أغصان ألفاته، و عوّذنا بالسبع المثانى بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته، ثم مررنا بتضاعيفه بسوق الرقيق، فرمنا السلوك على منحاها فعمّى علينا الطريق، و قلنا: واها على سوق ابن نباتة و كساد رقيقها، و استلاب البهجة عن نفيس دررها و أنيقها، لا كسوق نفق فيها سوق الغزل، و علا كعب الرامح و الأعزل، و تضافر على سحر النفوس و الألباب هاروت الجدّ و ماروت الهزل، و قد ألقينا السلاح و جنحنا للسلم، و تهيّأنا للسباحة فوقنا بساحل اليمّ، و سلمنا لمن استوت به سفينة البلاغة على الجودىّ، فأبنا و الحمد للّه على السلامة بالفهاهة و العى، و قلنا: مالنا و للإنشاء، فهو فضل اللّه يؤتيه من يشاء. و عذرا أيها الشيخ عن البيت الذى عطست به أنف الصّبا فقذفت به البديهة من الفم، و شرقت به صدر قناة القلم، كما شرقت صدر القناة من الدم. و أمّا ما تحمّل الرسول من كلام، فى صورة ملام، لا بل مدام، أترع به من سلاف المحبّة كأس و جام، فلا و ربّك ما هى إلّا نفحة نفحت، لا سموم لفحت، هززنا بها جذع أدبكم كى يتساقط علينا رطبا جنيّا، و يهمى ودقه على الرّبع المحيل من

أفكارنا و سميّا و وليّا، فجاد و أروى، و أجاد فيما روّى، و أحيا من القرائح ميتا كان حديثا يروى، و طرسا بين أنامل الأيام ينشر و يطوى، أحيا اللّه تعالى قلوبنا بمعرفته و نواسم رحمته، و عرج

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۸۰

بأرواحنا عند الممات إلى المحلّ الأخصّ بالمؤمن من حضرته. و أهدى السلام، المزرى بمسك الختام، إلى الفقيهين الأمجدين، الصدرين الأنجدين، الفذّين التوأمين، الفاضلين المجيدين، فارسى البراعة و اليراعة، و رئيسى الجماعة فى هذه الصناعة، رضيعى لبان الأدب و واسطتى عقده، و مجيلى قدحه المعلّى و موريى زنده، الممتعين بشميم عراره و رنده، الكارعين بالبحر الفيّاض من هزله و جدّه، الآتيين بالجنس و الفصل من رسمه وحده، الكاتب البارع أبى الحسن سيدى على بن أحمد الشامى، و الكاتب البليغ أبى عبد اللّه سيدى محمد بن على الوجدى، و أقرّ لهما الودّ المستحكم المعاقد، الصافى المناهل العذب الموارد، و إنى قائم بورد الثناء عليكم و عليهما لدى المقام العلى، الإمامىّ الناصرى، دام سلطانه، و تمهدت أوطاره و أوطانه! و ننهى إليكم أنّ الفقيه المحبّ الأستاذ سيدى محمد بن يوسف طلق اللسان بالشكر، صادح على أيك الثناء عن تلكم السيادة بما أوليتموه به من جزيل الإحسان، و قابلتموه به عند الورود و الصدر من البشر و الكرامة و جميل الامتنان، و السلام التامّ معاد عليكم، و رحمة اللّه تعالى و بركاته، و به وجب الكتب إليكم، و اللّه سبحانه يرعاكم، فى يوم الخميس موفى عشرين من محرم الحرام فاتح سبعة و عشرين و ألف، المحبّ للودود الشاكر عبد العزيز بن محمد الفشتالى لطف اللّه تعالى به، و خار له بمنّه و كرمه»؛ انتهى.

و من أراد شيئا من أخباره فعليه بكتابى الموسوم ب «روضة الآس، العاطر الأنفاس، فى ذكر من لقيته من أعلام مراكش و فاس»، و قد بلغتنى وفاته رحمه اللّه تعالى و أنا فى مصر بعد عام ثلاثين و ألف، رحمه اللّه تعالى! فلقد كان أوحد عصره، حتى إنّ سلطان المغرب كان يقول: إنّ الفشتالى نفتخر به على ملوك الأرض، و نبارى به لسان الدين بن الخطيب، رحم اللّه تعالى الجميع!.

و الشامى الذى أشار إليه هو من أعيان أهل فاس و ذوى البيوت بها، و جدّه قدم من الشام على حضرة فاس، فشهر بنوه بالنسبة إلى الشام، و قد بلغتنى وفاته أيضا بعد الثلاثين بعد الألف، و قد أجاب عن الأبيات البائية التى خاطبنى بها الوزير سيدى عبد العزيز الفشتالى المذكور رحم اللّه تعالى الجميع بقوله: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۸۱

نمّت نوافح عرف أنفاس الصّبا فنما بها روض الوداد و أخصبا

نثرت جواهر سلكها فتتوّج ال غصن النضير بدرّها و تعصّبا

و رمت محاجر منحنى ذاك الحمى فغدا بها خيف القلوب محصّبا

و روت أحاديث الغرام صحيحة فشفت فؤادا من بعادك موصبا

لا غرو أن طارت حشاشة لبّه طربا فما خلو الغرام كمن صبا

لا زلتم و الزهر ينشق عرفكم و الزّهر تحسد من كمالك منصبا

و لنمسك عنان البنان، و نرجع إلى ما كنّا بصدده من شأن لسان الدين بن الخطيب المريع منه بمزن البلاغة و الفصاحة جنان الجنان، فنقول و اللّه سبحانه ولى التوفيق و الإمداد، و ليس إلّا عليه الاعتماد:

### لابن الصباغ العقيلى فى لسان الدين و اختصاصه بابن الجياب]

و قال ابن الصباغ العقيلى: كان أبو الحسن بن الجياب رئيس كتّاب الأندلس و هم رؤساء غيرهم، و اختصّ به ذو الوزارتين أبو عبد اللّه بن الخطيب اختصاصا تامّا، و أورثه رتبة من بعده، و عهد بها إليه، مشيرا بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور عمره، و تدرب بذكائه حتى استحقّ أزمته فأنسى بحسن سياسته شيخه المذكور، و نال التى لا فوقها من الحظوة، و بعد الصيت و سعادة

البخت، اتّفق له يوما بعد ما عزم النصرانى على ورود البلد و ضاقت به الصدور، فأنشد ابن الجياب بديها بمحضر الكتّاب: [مجزوء الرجز]

هذا العدوّ قد طغى و قد تعدّى و بغى

## إجازة بين ابن الجياب و لسان الدين]

و قال لابن الخطيب: أجز أبا عبد اللّه، فأنشده بديها: [مجزوء الرجز]

و أظهر السلم و قد أسرّ حسوا فى ارتغا

فبلّغ الرحمن سى ف النصر فيه ما ابتغى

و ردّه ردّ ثمو د و الفصيل قد رغا

حتى يرى وليمة لكل مرهوب الثغا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۸۲

فقال الجياب: هكذا و إلّا فلا، و عجب الحاضرون من هذه البديهة، انتهى.

## من أبى يحيى البلوى للسان الدين]

و ممّا خوطب به لسان الدين قول الفقيه أبى يحيى البلوى المرى رحم اللّه الجميع: [الخفيف]

علّلونى و لو بوعد محال و صلونى و لو بطيف خيال

و اعلموا أننى أسير هواكم لست أنفكّ دائما عن عقال

فدموعى من بينكم فى انسكاب و فؤادى من هجركم فى اشتعال

يا أهيل الحمى كفانى غرامى لا تزيدوا حسبى بما قد جرى لى

من مجيرى من لحظ ريم ظلوم حلّل الهجر بعد طيب الوصال

ناعس الطرف أسهر الجفن منّى طال منه الجفا بطول الليالى

بابلىّ اللحاظ أصمى فؤادى و رماه من غنجه بنبال

و كسا الجسم من هواه نحولا قصده فى النوى بذاك انتحالى

ما ابتدى فى الوصال يوما بعطف مذ روى فى الغرام باب اشتغالى

ليس لى منه فى الهوى من مجير غير تاج العلا و قطب الكمال

علم الدين عزه و سناه ذروة المجد بدر أفق الجلال

هو غيث الندى و بحر العطايا هو شمس الهدى فريد المعالى

إن وشى فى الرقاع بالنقش قلنا صفحة الطّرس حلّيت باللآلى

أو دجا الخطب فهو فيه شهاب زانه الصبح فى ظلام الضلال

أو نبا الأمر فهو فى الأمر عضب صادق العزم عند ضيق المجال

لست تلقى مثاله فى زمان جلّ فى الدهر يا أخى عن مثال

قد نأى بى حبّى له عن ديارى لا لجدوى و لا لنيل نوال

لكن اشتقت أن أرى منه وجها نوره فاضح لنور الهلال

و كما همت فيه ألثم كفّا جاد لى بالنوال قبل السؤال

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۸۳

هاكها ابن الخطيب عذراء جاءت تلثم الأرض قبل شسع النعال

و توفّى حقّ الوزارة عمّن هو ملك لها على كلّ حال

## تهنئة من أبى يحيى البلوى للسان الدين فى إعذاره أولاده]

و من نظمه قوله يخاطبه مهنّئا فى إعذاره أولاده بعد نثر نصّه: يعتذر عن خدمة الإعذار، و يصل المدح و الثناء على بعد الدار، بتاريخ الوسط من شهر شعبان عام تسعة و أربعين و سبعمائة: [الكامل]

لا عذر لى عن خدمة الإعذار و لئن نأى وطنى و شطّ مزارى

أو عاقنى عنه الزمان و صرفه تقضى الأمانى عادة الإعصار

قد كنت أرغب أن أفوز بخدمتى و أحطّ رحلى عند باب الدار

بادى المسرّة بالصنيع و أهله متشمّرا فيه بفضل إزارى

من شاء أن يلقى الزمان و أهله و يرى جلالا شاع فى الأقطار

فليأت حىّ ابن الخطيب ملبيا فيفوز بالإعظام و الإكبار

كم ضمّ من صيد كرام قدرهم يسمو و يعلو فى ذوى الأقدار

إن جئت ناديه فنب عنى و قل نلت المنى بتلطّف و وقار

يا من له الشرف القديم و من له ال حسب الصميم العدّ يوم فخار

يهنيك ما قد نلت من أمل به فى الفرقدين النّيّرين لسارى

نجلاك قطبا كلّ مجد باذخ أملان مرجوّان فى الإعسار

عبد الإله و صنوه قمر العلا فرعان من أصل زكا و نجار

ناهيك من قمرين فى أفق العلا ينميهما نور من الأنوار

زاكى الأرومة معرق فى مجده جمّ الفضائل طيّب الأخبار

رقّت طبائعه وراق جماله فكأنما خلقا من الأزهار

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۸۴

و حلت شمائل حسنه فكأنما خلعت عليه رقّة الأسحار

فإذا تكلّم قلت طلّ ساقط أو وقع درّ من نحور جوارى

أوفتّ حبر المسك فى قرطاسه فالروض غبّ الواكف المدرار

تتبسّم الأقلام بين بنانه فتريك نظم الدّرّ فى الأمطار

فتخال من تلك البنان كمائما ظلّت تفتّح ناضر النّوّار

تلقّاه فيّاض الندى متهللا يلقاك بالبشرى و الاستبشار

بحر البلاغة قسّها و إيادها سحبانها حبر من الأحبار

إن ناظر العلماء فهو إمامهم شرف المعارف، واحد النّظّار

أربى على العلماء بالصيت الذى قد طار فى الآفاق كلّ مطار
ما ضرّه أن لم يجىء متقدّما بالسبق يعرف آخر المضمار
إن كان أخّره الزمان لحكمة ظهرت و ما خفيت كضوء نهار
الشمس تحجب و هى أعظم نيّر و ترى من الآفاق إثر درارى
يا ابن الخطيب خطبتها لعلاكم بكرا تزفّ لكم من الأفكار
جاءتك من خجل على قدم الحيا قد طيبت بثنائك المعطار
و أتت تؤدى بعض حقّ واجب عن نازح الأوطان و الأوطار
مدّت يد التطفيل نحو علاكم فتوشّحت من حليكم بنضار
فابذل لها فى النقد صفحك إنها تشكو من التقصير فى الأشعار
لا زلت فى دعة و عزّ دائم و مسرّة تترى مع الأعمار

## ترجمة أبى يحيى البلوى من إنشاء لسان الدين فى «الإحاطة»]

قال لسان الدين فى حق المذكور فى «الإحاطة»: هو محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى، من أبناء النعم و ذوى البيوتات، كثير السكون و الحياء، آل به ذلك أخيرا إلى لوثة لم يستفق منها، لطف اللّه به، حسن الخطّ، مطبوع الأدب، سيّال الطبع معينه. و ناب عن بعض القضاة، و هو الآن رهين ما ذكر، يتمنّى أهله موته، و اللّه ولى المعافاة.
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۸۵
و جرى ذكره فى «الإكليل» بما نصّه: من أولى الاتصال، بأولى الخلال البارعة و الخصال، خطّا رائقا، و نظما بمثله لائقا، و دعابة يسترها تجهّم، و سكونا فى طيّه إدراك و تفهّم، عنى بالدراية و التقييد، و مال فى النظم إلى بعض التوليد، و له أصالة نبتت فى السر و عروقها، و تألّقت فى سماء المجادة بروقها، و تصرّف بين النيابة فى الأحكام الشرعية، و بين الشهادات العلمية المرعية؛ انتهى.
و رأيت بخطّ أبى الحسن على بن لسان الدين على هامش هذا المحل من «الإحاطة» ما صورته: رحمة اللّه عليه! ما أعذب حلاوته، و أعظم مروءته، و أكرم أصالته، و بنو البلوى ذوو حسب، و أهل نعيم، و تربية ملوكية، حيّاهم اللّه و بيّاهم! قال ذلك حبيبهم و أخوهم على بن الخطيب، انتهى.

## من أبى عبد اللّه بن مرزوق إلى لسان الدين و منه إلى ابن مرزوق]

و قال لسان الدين رحمه اللّه تعالى عند ذكر الخطيب الرئيس أبى عبد اللّه محمد بن مرزوق التلمسانى ما صورته: و لمّا قدمت على مدينة فاس فى غرض الرسالة، خاطبنى بمنزل الشاطبى على مرحلة منها بما نصّه: [الكامل]
يا قادما وافى بكلّ نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح
هذى ذرا ملك الملوك فلذ بها تنل المنى و تفز بكلّ سماح
مغنى الإمام أبى عنان يمّمن تظفر ببحر فى العلا طفّاح
من قاس جود أبى عنان فى الندى بسواه قاس البحر بالضّحضاح
ملك يفيض على العفاة نواله قبل السؤال و قبل بسطة راح
فلجود كعب و ابن سعدى فى الندى ذكر محاه عن نداه ماحى
ما إن سمعت و لا رأيت بمثله من أريحىّ للندى مرتاح

بسط الأمان على الأنام فأصبحوا قد ألحفوا منه بظلّ جناح

و همى على العافين سيب نواله حتى حكى سحّ الغمام الساحى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۸۶

فنواله و جلاله و فعاله فاقت و أعيت ألسن المدّاح

و به الدّنا أضحت تروق و أصبحت كلّ المنى تنقاد بعد جماح

من كان ذا ترح فرؤية وجهه متلافة الأحزان و الأتراح

فانهض أبا عبد الإله تفز بما تبغيه من أمل و نيل نجاح

لا زلت ترتشف الأمانى راحة من راحة المولى بكلّ صباح

فالحمد للّه يا سيدى و أخى على نعمه التى لا تحصى، حمدا يؤمّ به جميعنا المقصد الأسنى، فيبلغ الأمد الأقصى، فطالما كان معظّم سيدى للأسى فى خبال، و للأسف بين اشتغال بال، و اشتعال بلبال. و لقدومكم على هذا المحل المولوى فى ارتقاب، و لمواعيدكم بذلك فى تحقّق وقوعه من غير شكّ و لا ارتياب، فها أنت تجتلى، من هذا المقام العلى، بتشيّعك وجوه المسرة صباحا، و تتلقّى أحاديث مكارمه و مواهبه مسندة صحاحا، بحول اللّه تعالى.

و لسيدى الفضل فى قبول مركوبه الواصل إليه بسرجه و لجامه، فهو من بعض ما لدى المعظم من إحسان مولاه و إنعامه. و لعمرى لقد كان وافدا على سيدى فى مستقرّه مع غيره، فالحمد للّه الذى يسّر فى إيصاله، على أفضل أحواله. فراجعته بما نصّه: [الكامل]

راحت تذكّرنى كؤوس الراح و القرب يخفض للجنوح جناحى

و سرت تدلّ على القبول كأنما دلّ النسيم على انبلاج صباح

حسناء قد غنيت بحسن صفاتها عن دملج و قلادة و وشاح

أمست تحضّ على اللّياذ بمن جرت بسعوده الأقلام فى الألواح

بخليفة اللّه المؤيّد فارس شمس المعالى الأزهر الوضّاح

ما شئت من شيم و من همم غدت كالزّهر أو كالزّهر فى الأدواح

فضل الملوك فليس يدرك شأوه أنّى يقاس الغمر بالضّحضاح؟

أسنى بنى عبّاسهم بلوائه ال منصور، أو بحسامه السفّاح

و غدت مغانى الملك لمّا حلّها تزرى ببدر هدى و بحر سماح

و حياة من أهداك تحفة قادم فى العرف منها راحة الأرواح

ما زلت أجعل ذكره و ثناءه روحى و ريحانى الأريج و راحى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۸۷

و لقد تمازج حبّه بجوارحى كتمازج الأجسام بالأرواح

و لو أننى أبصرت يوما فى يدى أمرى لطرت إليه دون جناح

فالآن ساعدنى الزمان و أيقنت من قربه نفسى بفوز قداحى

إيه أبا عبد الإله، و إنه لنداء ودّ فى علاك صراح

أما إذا استنجدتنى من بعد ما ركدت لما خبت الخطوب رياحى

فإليكها مهزولة و أنا امرؤ قرّرت عجزى و اطّرحت سلاحى

«سيدى أبقاك اللّه لعهد تحفظه، و ولاء بعين الوفاء تلحظه، وصلتنى رقعتك التى أبدعت، و بالحقّ من مولى الخليقة صدعت، و

ألفتنى و قد سطت بى الأوجال، حتى كادت تتلف الرّحال، و الحاجة إلى الغذاء قد شمّرت كشح البطين، و ثانية العجماوين قد توقع فوات وقتها، و إن كانت صلاتها صلاة الطّين، و الفكر قد غاض معينه، و ضعف و على اللّه جزاء المولى الذى يعينه، فغزتنى بكتيبة بيان أسدها هصور، و علمها منصور، و ألفاظها ليس فيها قصور، و معانيها عليها الحسن مقصور، و اعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول و منّة، و قول «لا أدرى» للعالم فكيف لغيره جنّة، لكنها بشّرتنى بما يقلّ لمؤديه بذل النفوس و إن جلّت، و أطلعتى من السراء على وجه تحسده الشمس إذا تجلّت، بما أعلمتنى به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيّده اللّه فى عبده، و صدق المخيلة فى كرم مجده. و هذا هو الجود المحض، و الفضل الذى شكره هو الفرض، و تلك الخلافة المولويّة تتّصف بصفات من يبدأ بالنوال، من قبل الضّراعة و السؤال، من غير اعتبار للأسباب، و لا مجازاة للأعمال. نسأل اللّه تعالى أن يبقى منها على الإسلام أوفى الظّلال، و يبلغها من فضله أقصى الآمال. و وصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهديّة، و التحفة الودّيّة، و قبلتها امتثالا، و استجليت منها عتقا و جمالا.

و سيدى فى الوقت أنسب لاتخاذ ذلك الجنس، و أقدر على الاستكثار من إناث البهم و الإنس، و أنا ضعيف القدرة، غير مستطيع على ذلك إلّا فى النّدرة، فلو رأى سيدى و رأيه سداد، و قصده فضل و وداد، أن ينقل القضيّة إلى باب العارية من باب الهبة، مع وجود الحقوق المترتّبة، لبسط خاطرى و جمعه، و عمل فى رفع المؤونة على شاكلة حالى معه، و قد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۸۸

استصحبت مركوبا يشقّ علىّ هجره، و يناسب مقامى شكله و نجره، و سيدى فى الإسعاف على اللّه أجره، و هذا أمر عرض، و فرض فرض، و على نظره المعوّل، و اعتماد إغضائه هو المعقول الأوّل، و السلام على سيدى من معظّم قدره، و ملتزم برّه، ابن الخطيب، فى ليلة الأحد السابع و العشرين لذى قعدة خمس و خمسين و سبعمائة، و السماء قد جادت بمطر سهرت منه الأجفان، و ظنّ أنه طوفان، و اللّحاق فى غدها بالباب المولوى مؤمل بحول اللّه»؛ انتهى.

### من أبى القاسم البرجى إلى لسان الدين، فى شفاعة]

و كتب القاضى أبو القاسم البرجى للسان الدين فى غرض الشفاعة لبعض قرابته قوله:

[المتقارب]

أيا سابقا فى مجال البراعه و فارس ميدان أهل اليراعه

و من بدره فى سماء المعالى يزين بوصف الكمال ارتفاعه

بما لك فى الفضل من حجّة و من إمرة فى ذويه مطاعه

قضاؤك فى معسر حلّ دين عليه فإرجاءه قد أضاعه

و قد كان يبغى لديكم شفيعا توسّط عندكم فى شفاعه

على أنه فى اقتضاء الوداد يوفّى موازينه أو صواعه

و ما هو فى سوق تقريظكم و نشر حلاكم بمزجى البضاعه

كتبت يا سيدى- أدام اللّه تعالى علاكم، و حرس مجدكم الطاهر و سناكم!- و أنا بين خجل مفحم، و عجل مقحم، أتذكّر تسويفى بلقائكم، حين سمح الدهر باقترابكم، فأحجم و أفكّر فى أن إحجامى عند ذلك بإرجائى، عسى أن يكون وفق رجائى، أفاتنى المقصود فأرى الحزم فى أن أقدم، و موقفها بين يديكم، فلان يطالبنى مطالبة الغريم، و أروم مطاله فلا يبرح و لا يريم، و الانقياد فى زمام طاعته ممّا توجبه المروّة بعد ما أوجبه الشارع إذ جعل له حظّا فى الأبوة، و قد أعلقته من ذمام علائكم بالحبل المتين، و أنزلته من حماكم بربوة ذات قرار و معين، فإن أعرتموه من لحظكم الجميل طرف اهتبال، و أقبلتموه من اعتنائكم الجزيل وجه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۸۹

إقبال، فقد عاد دهره بعد النفار مواتيا، و نزل على أهل المهلّب شاتيا، و مجدكم كفيل بتبليغ أمله، و توسيع جذله، و ذلكم يد على معظمكم شكرها، و على اللّه أجرها»؛ انتهى.

## ترجمة أبى القاسم محمد بن يحيى البرجى، عن «الإحاطة» للسان الدين]

و البرجى المذكور هو محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن على بن إبراهيم، الغسانى البرجى، يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة؛ قال فى «الإحاطة»: هو فاضل مجمع على فضله، صالح الأبوّة، طاهر النشأة، بادى الصيانة و العفة، طرف فى الخير و الحشمة، صدر فى الأدب، جمّ المشاركة، ثاقب الفهم، جميل العشرة، ممتع المجالسة، حسن الشّعر و الخطّ و الكتابة، فذّ فى الانطباع، صناع اليدين، محكم العمل الكثير من الآلات العلمية، و يجيد تفسير الكتب. رحل إلى العدوة و لقى جلّة، و توسّل إلى ملكها مجدّد الرسم، و مقام أولى الشهرة، و عامر دست الشعر و الكتابة، أمير المسلمين أبى عنان، فاشتمل عليه، و نوّه به، و ملأ بالخير يده، فاقتنى جدة و حظوة، و ذكرا و شهرة، و انقبض مع استرسال الملك لفضل عقله، حتى تشكى إلىّ سلطانه بثّ ذلك عند قدومى عليه، و آثر الراحة، و جهد فى التماس الرحلة الحجازية، و نبذ الكل، و قصر الخطوة، و سلا الحظوة، فأسعفه سلطانه بغرضه، و جعل حبل همّه على غاربه، و أصحبه إلى النبى الكريم صلوات اللّه عليه رسالة من إنشائه و قصيدة من نظمه، و كلاهما يعلن فى الخلفاء ببعد شأوه، و رسوخ قدم علمه، و عراقة البلاغة فى نسب خصله، و لمّا هلك و ولى ابنه ملكه و ضاعف له التنويه، فأجرى الخطّة على سبيل من السداد و النزاهة، ثم لمّا ولى السلطان أبو سالم عمّه أجراه على الرسم المذكور، و استجلى المشكلات بصدقه، و هو الآن بحاله الموصوفة مفخر من مفاخر ذلك الباب السلطانى على تعدّد مفاخره.

شعره- ثبت فى كتاب «نفاضة الجراب» من تأليفنا عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و ذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء ما نصّه: و تلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضى جملة السذاجة و كرم الخلق و طيب النفس و خدن العافية و ابن الصلاح و العبادة و نشأة القرآن، المتحيّز إلى حزب السلامة المنقبض عن الغمار، العزوف عن فضول القول و العمل جامع المحاسن، من عقل رصين و طلب ممتع و أدب نقاوة و يد صناع أبو القاسم بن أبى زكريا البرجى، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة: [البسيط]

أصغى إلى الوجد لمّا جدّ عاتبه صبّ له شغل عمّن يعاتبه



لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا فضلّ من ظلّ إرشادا يخاطبه

لو لا النّوى لم يبت حرّان مكتئبا يغالب الوجد كتما و هو غالبه

يستودع الليل أسرار الغرام و ما تمليه أشجانه فالدمع كاتبه

للّه عصر بشرقىّ الحمى سمحت بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه

يا جيرة أودعوا إذ ودّعوا حرقا يصلى بها من صميم القلب ذائبه

يا هل ترى تجمع الأيام فرقتنا كعهدنا أو يردّ القلب ساكبه

و يا أهيل ودادى، و النّوى قذف و القرب قد أبهمت دونى مذاهبه

هل ناقض العهد بعد البعد حافظه و صادع الشمل يوم الشّعب شاعبه

و يا ربوع الحمى لا زلت ناعمة يبكى عهودك مضنى الجسم شاحبه

يا من لقلب مع الأهواء منعطف فى كلّ أوب له شوق يجاذبه

يسمو إلى طلب الباقى بهمّته و النفس بالميل للفانى تطالبه

و فتنة المرء بالمألوف معضلة و الأنس بالإلف نحو الإلف جاذبه

أبكى لعهد الصّبا و الشّيب يضحك بى يا للرجال سبت جدّى ملاعبه

و لن ترى كالهوى أشجاه سالفه و لا كوعد المنى أحلاه كاذبه

و همّة المرء تغليه و ترخصه من عزّ نفسا لقد عزّت مطالبه

ما هان كسب المعالى أو تناولها بل هان فى ذاك ما يلقاه طالبه

لو لا سرى الفلك السامى لما ظهرت آثاره و لما لاحت كواكبه

فى ذمّة اللّه ركب للعلا ركبوا ظهر السّرى فأجابتهم نجائبه

يرمون عرض الفلا بالسير عن عرض طىّ السّجلّ إذا ما جدّ كاتبه

كأنهم فى فؤاد الليل سرّ هوى لو لا الضّرام لما خفّت جوانبه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۹۱

شدّوا على لهب الرّمضاء و طأتهم فغاص فى لجّة الظّلماء راسبه

و كلّفوا الليل من طول السّرى شططا فخلّفوه و قد شابت ذوائبه

حتى إذا أبصروا الأعلام مائلة بجانب الحرم المحمىّ جانبه

بحيث يأمن من مولاه خائفه من ذنبه و ينال القصد راغبه

فيها و فى طيبة الغرّاء لى أمل يصاحب القلب منه ما يصاحبه

لم أنس لا أنس أياما بظلّهما سقى ثراه عميم الغيث ساكبه

شوقى إليها و إن شطّ المزار بها شوق المقيم و قد سارت حبائبه

إن ردّها الدهر يوما بعد ما عبثت فى الشّمل منّا يداه لا نعاتبه

معاهد شرفت بالمصطفى فلها من فضله شرف تعلو مراتبه

محمد المجتبى الهادى الشفيع إلى ربّ العباد أمين الوحى عاقبه

أوفى الورى ذمما، أسماهم همما أعلاهم كرما، جلّت مناقبه

هو المكمّل فى خلق و فى خلق زكت حلاه كما طابت مناسبه

عناية قبل بدء الخلق سابقة من أجلها كان آتيه و ذاهبه

جاءت تبشّرنا الرّسل الكرام به كالصّبح تبدو تباشيرا كواكبه

أخباره سرّ علم الأولين وسل بدير تيماء ما أبداه راهبه

تطابق الكون فى البشرى بمولده و طبّق الأرض أعلاما تجاوبه

فالجنّ تهتف إعلانا هواتفه و الجنّ تقذف إحراقا ثواقبه

و لم تزل عصمة التأييد تكنفه حتى انجلى الحقّ و انزاحت شوائبه

سرى و جنح ظلام الليل منسدل و النّجم لا يهتدى فى الأفق ساربه

يسمو لكلّ سماء منه منفرد عن الأنام و جبرائيل صاحبه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۹۲

لمنتهى وقف الروح الأمين به و امتاز قربا فلا خلق يقاربه

لقاب قوسين أو أدنى فما علمت نفس بمقدار ما أولاه واهبه

أراه أسرار ما قد كان أودعه فى الخلق و الأمر باديه و غائبه

و آب و البدر فى بحر الدّجى غرق و الصّبح لمّا يؤب للشرق آيبه

فأشرقت بسناه الأرض و اتّبعت سبل النجاة بما أبدت مذاهبه

و أقبل الرشد و التاحت زواهره و أدبر الغىّ فانجابت غياهبه

و جاء بالذكر آيات مفصّلة يهدى بها من صراط اللّه لاحبه

نور من الحكم لا تخبو سواطعه بحر من العلم لا تفنى عجائبه

له مقام الرّضا المحمود شاهده فى موقف الحشر إذ نابت نوائبه

و الرّسل تحت لواء الحمد يقدمها محمد أحمد السامى مراتبه

له الشفاعات مقبولا و سائلها إذا دهى الأمر و اشتدّت مصاعبه

و الحوض يروى الصّدى من عذب مورده، لا يشتكى غلّة الظمآن شاربه

محامد المصطفى لا ينتهى أبدا تعدادها، هل يعدّ القطر حاسبه

فضل تكفّل بالدارين يوسعها نعمى و رحمى فلا فضل يناسبه

حسبى التوسّل منها بالذى سمحت به القوافى و جلّتها غرائبه

حيّاه من صلوات اللّه صوب حيا تحدى إلى قبره الزاكى نجائبه

و خلّد اللّه ملك المستعين به مؤيّد الأمر منصورا كتائبه

إمام عدل بتقوى اللّه مشتمل فى الأمر و النهى يرضيه يراقبه

مسدّد الحكم ميمون نقيبته مظفّر العزم صدق الرأى صائبه

مشمّر للتقى أذيال مجتهد جرّار أذيال سحب الجود ساحبه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ١٩٣

قد أوسعت أمل الراجى مكارمه و أحسبت رغبة العافى رغائبه

و فاز بالأمن محبورا مسالمه و باء بالخزى مقهورا محاربه

كم وافد آمل معهود نائله أثنى و أثنت بما أولى حقائبه

و مستجير بعزّ من مثابته عزّت مراميه و انقادت مآربه

و جاءه الدهر يسترضيه معتذرا مستغفرا من وقوع الذنب تائبه

لو لا الخليفة إبراهيم لانبهمت طرق المعالى و نال الملك غاصبه

سمت لنيل تراث المجد همّته و الملك ميراث مجد و هو غاصبه

ينميه للعزّ و العليا أبو حسن سمح الخلائق محمود ضرائبه

من آل يعقوب حسب الملك مفتخرا بباب عزّهم السامى تعاقبه

أطواد حلم رسا بالأرض محتده و زاحمت منكب الجوزا مناكبه

تحفّها من مرين أبحر زخرت أمواجها و غمام ثار صائبه

بكلّ نجم لدى الهيجاء ملتهب ينقضّ وسط سماء النّقع ثاقبه

أكفّهم فى دياجيها مطالعه و فى نحور أعاديهم مغاربه

يا خير من خلصت للّه نيّته فى الملك أو خطب العلياء خاطبه

جرّدت و الفتنة الشعواء ملبسة سيفا من العزم لا تنبو مضاربه

و خضتها غير هيّاب و لا وكل و قلّما أدرك المطلوب هائبه

صبرت نفسا لعقبى الصبر حامدة و الصبر مذ كان محمود عواقبه

فليهن دين الهدى إذ كنت ناصره أمن يواليه أو خوف يجانبه

لا زال ملكك و التأييد يخدمه تقضى بخفض مناويه قواضبه

و دمت فى نعم تضفو ملابسها فى ظلّ عزّ علا تصفو مشاربه

ثم الصلاة على خير البريّة ما سارت إليه بمشتاق ركائبه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۹۴

و من شعره ما قيّده لى بخطّه صاحب قلم الإنشاء بالحضرة المرينية الفقيه الرئيس الصدر المتفنّن أبو زيد بن خلدون: [الطويل]

صحا القلب عمّا تعلمين فأقلعا و عطّل من تلك المعاهد أربعا

و أصبح لا يلوى على حدّ منزل و لا يتبع الطرف الخليّ المودّعا

و أضحى من السّلوان فى حرز معقل بعيد عن الأيام أن يتضعضعا

يردّ الجفان النّجل عن شرفاته و إن لحظت عن كلّ أجيد أتلعا

عزيز على داعى الغرام انقياده و كان إذ ناداه للوجد أهطعا

أهاب به للشيب أنصح واعظ أصاخ له قلبا منيبا و مسمعا

و سافر فى أفق التفكّر و الحجا زواهره لا تبرح الدهر طلّعا

لعمرى لقد أنضيت عزمى تطلّبا و قضّيت عمرى رقبة و تطلّعا

و خضت عباب البحر أخضر مزبدا و دست أديم الأرض أغبر أسفعا

و قال حسبما قيّده المذكور: [المتقارب]

نهاه النّهى بعد طول التجارب و لاح له منهج الرشد لاحب

و خاطبه دهره ناصحا بألسنة الوعظ من كلّ جانب

فأضحى إلى نصحه واعيا و ألغى حديث الأمانى الكواذب

و أصبح لا تستبيه الغوانى و لا تزدريه حظوظ المناصب

ثم قال فى «الإحاطة» و إحسانه كثير فى النثر و النظم، و القصار و المطوّلات، و استعمل فى السّفارة إلى ملك مصر و ملك قشتالة، و هو الآن قاضى حضرة الملك، نسيج وحده فى السلامة و التخصّص و اجتناب فضول القول و العمل، كان اللّه له! انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۹۵

و كتب ابن المصنّف بهامش ترجمة المذكور من «الإحاطة» ما صورته: سيدى و شيخى علّامة المغرب اليوم، و حائز رتبه العليّة من خطابة و قضاء و علامة و هو أحقّ بها؛ لخلاله الحميدة، أبقاه اللّه تعالى! قاله محبّه على بن الخطيب؛ انتهى.

و كتب على القصيدة الميلادية المتقدّمة ما نصّه: رويتها عنه، و سمعتها من لفظه، و أجازنى إياها بتلمسان، انتهى.

و كتب على حاشية قصيدته «صحا القلب- إلى آخره» ما صورته: سمعتها من لفظ سيدى و شقيق روحى الإمام العلامة الرئيس أبى زيد بن خلدون بالأندلس أمتع اللّه به تعالى! قال ذلك أخوه على بن الخطيب، انتهى.

### من الوزير ابن زمرك إلى لسان الدين]

و قال فى «الإحاطة» فى ترجمة ابن زمرك ما صورته. و شعره مترام إلى هدف الإجادة، خفاجى النزعة، كلف بالمعانى البديعة و الألفاظ الصقيلة، غزير المادة. فمن ذلك ما خاطبنى به و هى من أول ما نظمه قصيدة مطلعها: [الطويل]

أما و انصداع النور من مطلع الفجر يقول فيها بعد أبيات:

لك اللّه من فذّ الجلالة أوحد تطاوعه الآمال فى النّهى و الأمر

لك القلم الأعلى الذى طال فخره على المرهفات البيض و الأسل السّمر

يقلّد أجياد الطروس تمائما بصنفى لآل من نظام و من نثر

تهيّبك القرطاس فاحمرّ إذ غدا يقلّ بحورا من أناملك العشر

كأنّ رياض الطّرس خدّ مورّد يطرّزه و شى العذار من الحبر

فشارة هذا الملك رائقة الحلى بألوية حمر و بالصّحف الحمر

و ما روضة غنّاء عاهدها الحيا تحوك بها وشى الربيع يد القطر

تغنّى قيان الطير فى جنباتها فيرقص غصن البان فى حلل خضر

تمدّ لأكواس العرار أناملا من السوسن الغضّ المختّم بالتبر

و يحرس خدّ الورد صارم نهرها و يمنع ثغر النّور بالذابل النضر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۹۶

يفاخر مرآها السماء محاسنا و تزرى نجوم الزّهر منها على الزّهر

إذا مسحت كفّ الصّبا جفن نورها تنفّس ثغر الزهر عن عنبر الشّحر

بأعطر من ريّا ثنائك فى السّرى و أبهر حسنا من شمائلك الغرّ

عجبت له يحكى خلال خميلة و تفرق منه الأسد فى موقف الذّعر

إذا أضرمت من بأسها الحرب جاحما تأجّج منه العضب فى لجّة البحر

و إن كلح الأبطال فى حومة الوغى ترقرق ماء البشر فى صفحة البدر

لك الحسب الوضّاح و السؤدد الذى يضيق نطاق الوصف فيه عن الحصر

تشرّف أفق أنت بدر كماله فغرناطة تختال تيها على مصر

تكلّل تاج الملك منك محاسنا و فاخرت الأملاك منك بنو نصر

بعزمة مضمون السعادة أوحد و غرّة وضّاح المكارم و النّجر

طوى الحيف منشور اللواء مؤيّدا فعزّ حمى الإسلام بالطّىّ و النشر

و مدّ ظلال الأمن إذ قصّر العدا فيتلى سناء الملك بالمدّ و القصر

إذا احتفل الإيوان يوم مشورة و تضطرب الآراء من كلّ ذى حجر

صدعت بفصل القول غير منازع و أطلعت آراء قبسن من الفجر

فإن تظفر الخيل المغيرة بالضحى فعن رأيك الميمون تظفر بالنصر

فلا زلت للعلياء تحمى ذمارها و تسحب أذيال الفخار على النسر

و للعلم فخر الدين و الفتك بالعدا بأوت به يا ابن الخطيب على الفخر

فيهنيك عيد الفطر من أنت عيده و يثنى بما أوليت من نعم غرّ

جبرت مهيضا من جناحى و رشته و سهّلت لى من جانب الزمن الوعر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۹۷

و بوّأتنى من ذروة العزّ معتلى و شرّفتنى من حيث أدرى و لا أدرى

و سوّغتنى الآمال عذبا مسلسلا و أسميت من ذكرى و رفّعت من قدرى

فدهرى عيد بالسرور و بالمنى و كلّ ليالى العمر لى ليلة القدر

فأصبحت مغبوطا على خير نعمة يقلّ لأدناها الكثير من الشكر

و هى طويلة، انتهى.

### تعليق للمؤلف على قصيدة ابن زمرك]

قلت: هذا الرئيس ابن زمرك صرّح هنا بأنه بجاه لسان الدين بن الخطيب أدرك من العزّ ما أدرك، ثم انقلب عليه مع الدهر و كفر نعمته و بها أشركك، و حرّك من دواعى قتله ما حرّك، و كم من صديق لك ضرّك، و عقّك بعد ما برّك، و ساءك إثر ما سرّك، و لذا رأيت بخطّ ابن لسان الدين على هامش قوله فى هذه القصيدة «و مدّ ظلال الأمن- إلخ» ما صورته: هذا مدحه لحاه اللّه، و على قوله «و بوّأتنى من ذورة العزّ- إلخ» ما مثاله: هكذا شهادتك لحقه، ثم تحوّلك عنه، و كفر نعمته، اغرب أخزاك اللّه! انتهى.

و كتب بهامش أول ترجمته من «الإحاطة» ما نصّه: أتبعه اللّه خزيا، و عامله بما يستحقّه! فبهذا ترجمة والدى مولاه الذى رفع من قدره فيه، و لم يقتله أحد غيره، و كفانا اللّه تعالى شرّ من أحسنّا إليه.

و كتب أيضا تحت هذا ما مثاله: هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتّاب ابن حداد بالبيازين، قتل أباه بيده، أوجعه ضربا فمات من ذلك، و هو أخسّ عباد اللّه تربية، و أحقرهم صورة، و أخملهم شكلا، استعمله أبى فى الكتابة السلطانية، فجنينا أيام تحوّلنا عن الأندلس منه كل شرّ، و هو كان السبب فى قتل أبى مصنّف هذا الكتاب الذى ربّاه و أدّبه و استخدمه، حسبما هو معروف، و كفانا اللّه شرّ من أحسنّا إليه و أساء إلينا؛ انتهى.

و قد ألممنا بترجمته فى هذا الكتاب فى باب تلامذة لسان الدين فلتراجع هنالك.

### من الوزير ابن زمرك إلى لسان الدين أيضا]

و ممّا كتب به ابن زمرك المذكور إلى لسان الدين بن الخطيب جوابا عن رسالة قوله:

[البسيط]

حيّت صباحا فأحيت ساكنى القصبه و استرجعت أنفسا بالشوق مغتصبه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص۱۹۷

قضى البيان لها أن لا نظير لها فأحرزت من معانى خصله قصبه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۱۹۸

ناجت طليح سرّى لا يستفيق لها هدّت جوارحه و استوهنت عصبه

فحرّكته على فتك الكلال به و أذهبت بسرور الملتقى نصبه

و أذكرت عهد مهديها على شحط فعاود القلب من تذكاره وصبه

ما كنت أسمح من دهرى بجوهره لو كان يسمح لى بالقلب من غصبه

سل أدمع الصّبّ من أعدى السحاب بها و قلبه بجمار الشوق من حصبه

فاللّه يحفظ مهديها و يشكره فوجهها بعصاب الحسن قد عصبه

من كان وارث آداب يشعشعها بالفرض إنى فى إرثى لها عصبه

هو الملاذ ملاذ الناس قاطبة سبحان من لغياث الخلق قد نصبه

و خاطبه كذلك بقوله: [الطويل]

يكلّفنى مولاى رجع جوابه و ما لتعاطى المعجزات و ما ليا

أجيبك للفضل الذى أنت أهله و أكتب ممّا قد أفدت الأماليا

فأنت الذى طوّقتنى كلّ منّة و أحسبت آمالى و أكسبت ماليا

و أنت الذى أعدى الزمان كماله و صيّرت أحرار الزمان مواليا

فلا زلت للفعل الجميل مواصلا و لا زلت للشكر الجزيل مواليا

و خاطبه كذلك بقوله: [الكامل]

طالعتها دون الصباح صباحا لمّا جلت غرر البيان صباحا

و لقد رأيت و ما رأيت كحسنها وجها أغرّ و مبسما وضّاحا

عذراء أرضعها البيان لبانه و أطال مغدى عندها و مراحا

فأتت كما شاءت و شاء نجيبها تذكى الحجا و تنعّم الأرواحا

لا بل كمثل الروض باكره الحيا و سقى به زهر الكمام ففاحا



و طوت بساط الشوق منى بعدما نشرت علىّ من القبول جناحا

## من مخاطبات ابن زمرک للسان الدين]

و خاطبه كذلك بقوله: [الطويل]

ذرونى فإنى بالعلاء خبير أسير فإنّ النّيّرات تسير

و كم بتّ أطوى الليل فى طلب العلا كأنى إلى نجم السماء سفير

بعزم إذا ما الليل مدّ رواقه يكرّ على ظلمائه فينير

أخو كلف بالمجد لا يستفزّه مهاد إذا جنّ الظلام و ثير

إذا ما طوى يوما على السّرّ كشحه فليس له حتى الممات نشور

و إنى و إن كنت الممنّع جاره لتسبى فؤادى أعين و ثغور

و ما تعترينى فترة فى مدى العلا إلى أن أرى لحظا عليه فتور

و فى السّرب من نجد تعلّقت ظبية تصول على ألبابنا و تغير

و تمنع ميسور الكلام أخا الهدى و تبخل حتى بالخيال يزور

أسكان نجد جادها و اكف الحيا هواكم بقلبى منجد و مغير

و يا سكنى بالأجرع الفرد من منى و أيسر حظّ من رضاك كثير

ذكرتك فوق البحر و البعد بيننا فمدّته من فيض الدّموع بحور

و أومض خفّاق الذؤابة بارق فطارت بقلبى أنّه و زفير

و يهفو فؤادى كلّما هبّت الصّبا أما لفؤادى فى هواك نصير

و و اللّه ما أدرى أذكرك هزّنى أم الكأس ما بين الخيام تدور

فمن مبلغ عنى النوى ما يسوءها و للبين حكم يعتدى و يجور

بأنّا غدا أو بعده سوف نلتقى و نمسى و منّا زائر و مزور

إلى كم أرى أكنى و وجدى مصرّح و أخفى اسم من أهواه و هو شهير

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۰۰

أ منجد آمالى، و مغلى كاسدى و مصدر جاهى، و الحديث كثير

أ أنسى، و لا أنسى، مجالسك التى بها تلتقينى نضرة و سرور

نزورك فى جنح الظلام و ننثنى و بين يدينا من حديثك نور

على أننى إن غبت عنك فلم تغب لطائف لم يحجب لهنّ سفور

نروح و نغدو كلّ يوم و عندها رواح علينا دائم و بكور

فظلّك فوقى حيثما كنت وارف و مورد آمالى لديك نمير

و عذرا فإنى إن أطلت فإنما قصارای من بعد البيان قصور

و كتب إليه خاتمة رسالة كذلك: [الطويل]

و حقّك ما استطعمت بعدك غمضة من النوم حتى آذن النجم بالغروب

و عارضت مسرى الريح قلت لعلّها تنمّ بريّا منك عاطرة الهبوب

إلى أن بدا وجه الصباح كأنه محيّاك إذ يجلو بغرّته الخطوب

فقلت لقلبى استشعر الأنس و ابتهج فإن تبعد الأجسام لم تبعد القلوب

و سر فى ضمان اللّه حيث توجّهت ركابك لا تخش الحوادث أن تنوب

قلت: هـذه غاية فى معناها، لو لا خروجها عن القواعد فى ترتيب قافيتها و مبناها، فانظر إلى تحوّله عن لسان الدين بعد هذه المدائح، و نسبته بعده القبائح، و الإنسان خوّان، إلّا النادر من الإخوان، و لا حول و لا قوّة إلّا باللّه.

## من ابن سلبطور إلى لسان الدين]

قال فى «الإحاطة» فى ترجمة ابن سلبطور ما نصّه: و ممّا خاطبنى به: [الرجز]

تاللّه ما أورى زناد القلق سوى بريق لاح لى بالأبرق

أيقنت بالحين فلو لا نفحة نجديّة منكم تلافت رمقى

لكنت أقضى بتلظّى زفرة و حسرة بين الضلوع تلتقى

فآه من هول النّوى و ما جنى على القلوب موقف التّفرّق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۰۱

يا حاكى الغصن انثنى متوّجا بالبدر تحت لمّة من غسق

اللّه فى نفس معنّى أقصدت من لاعج الشوق بما لم تطق

أتى على أكثرها برح الأسى دع ما مضى منها و أدرك ما بقى

و لو بإلمام خيال فى الكرى إن ساعد الجفن رقيب الأرق

فربّ زور من خيال زائر أقرّ عينىّ و إن لم يصدق

شقيت من برح الأسى لو أنّ من أصبح رقّى فى يديه معتقى
ففى معاناة الليالى عائق عن التصابى و فنون القلق
و فى ضمان ما يعانى المرء من نوائب الدهر مشيب المفرق
هذا لعمرى مع أنى لم أبت منها بشكوى روعة أو فرق
فقد أخذت من خطوب غدرها بابن الخطيب الأمن ممّا أتّقى
فخر الوزارة الذى ما مثله بدر علا من مغرب أو مشرق
و مذ أرانيه زمانى لم أبل من صرفه بمرعد أو مبرق
لا سيما منذ حططت فى حمى مقامه الأمنع رحل أينقى
أيقنت أنى فى رجائى لم أخب و أنّ مسعى بغيتى لم يخفق
ندب له فى كلّ حسن آية تناسبت فى الخلق أو فى الخلق
فى وجهه مسحة بشر إن بدت تبهرجت أنوار شمس الأفق
تعتبر الأبصار فى اللألاء ما عليه من نور السماح المشرق
كالدهر فى استينائه و بطشه كالسيف فى حدّ الظّبا و الرونق
إن بخل الغيث استهلّت يده بوابل من غيث جود غدق
و إن وشت صفحة طرس انجلى ليل دجاها عن سنى مؤتلق
بمثلها من حبرات أخجلت حواشى الروض خدود المهرق
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۰۲
ما راق فى الآذان أشناف سوى ملتقطات لفظه المفترق
تودّ أجياد الغوانى أن يرى حليّها من درّ ذاك المنطق
فسل به هل آده الأمر الذى حمّل فى شرخ الشباب المونق
إذا رأى الرأى فلا يخطئه يمن اختيار للطريق الأوفق
إيه أبا عبد الإله هاكها عذراء تحثو فى وجوه السّبق
خذها إليك بكر فكر يزدرى لديك بالأعشى لدى المحلّق
لا زلت مرهوب الجناب مرتجى موصول عزّ فى سعود ترتقى
مبلّغ الآمال فيما تبتغى مؤمّن الأغراض ممّا تتّقى

## ترجمة أبى عبد اللّه بن سلبطور، عن «الإحاطة» للسان الدين]

و ابن سلبطور هو: محمد بن محمد بن أحمد بن سلبطور، الهاشمى.
قال فى «الإحاطة» من أهل ألمرية، يكنى أبا عبد اللّه، من وجوه بلده و أعيانه، نشأ نبيه البيت ساحبا بنفسه و بماله ذيل الحظوة، متحلّيا بخصل من خطّ و أدب، وزيرا، متجنّدا، ظريفا، دربا على ركوب البحر و قيادة الأساطيل، ثم انحطّ فى هواه انحطاطا أضاع مروءته، و استهلك عقاره، و هدّ بيته، و ألجأه أخيرا إلى اللحاق بالعدوة فهلك بها.
و جرى ذكره فى «الإكليل» بما نصّه: مجموع شعر و خطّ، و ذكاء عن درجة الظّرفاء غير منحطّ، إلى مجادة أثيلة البيت، شهيرة الحى و الميت، نشأ فى حجر التّرف و النعمة، محفوفا بالمالية الجمّة، فلمّا عقل عن ذاته، و ترعرع بين لداته، أجرى خيول لذّاته، فلم يدع منها

ربعا إلّا أقفره، و لا عقارا إلّا عقره، حتى حطّ بساحلها، و استولى بسفر الإنفاق على جميع مراحلها، إلّا أنه خلص بنفس طيّبة، و سراوة سماؤها صيّبة، و تمتّع ما شاء من زير و بمّ، و تأنّس لم يعط القياد لهمّ، و فى عفو اللّه سعه، و ليس مع التوكل عليه ضعه.

شعره- من شعره قوله يمدح السلطان، و أنشدها أياه بالمضارب من وادى الغيران، عند قدومه ألمرية: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۰۳

أ ثغرك أم سمط من الدّرّ ينظم؟ و ريقك أم مسك به الراح تختم

و وجهك أم باد من الصبح نيّر؟ و فرعك أم داج من الليل مظلم

أعلّل منك الوجد و الليل ملتقى و هل ينفع التعليل و الخطب مؤلم

و أقنع من طيف الخيال بزورة لو أنّ جفونى بالمنام تنعم

ثم سرد لسان الدين القصيدة، و هى طويلة.

ثم قال: و من شعره مذيّلا على البيت الأخير حسبما نسب إليه ببلده: [البسيط]

نامت جفونك يا سؤلى و لم أنم ما ذاك إلّا لفرط الوجد و السّقم

أشكو إلى اللّه ما بى من محبّتكم فهو العليم بما ألقى من الألم

«إن كان سفك دمى أقصى مرادكم فما غلت نظرة منكم بسفك دمى»

و ممّا ينسب إليه كذلك: [السريع]

قف بى و ناد بين تلك الطّلول أين الألى كانوا عليها نزول

أين ليالينا بهم و المنى نجنيه غضّا بالرضا و القبول

لا حمّلوا بعض الذى حمّلوا يوم تولّت بالقباب الحمول

إن غبتم يا أهل نجد ففى قلبى أنتم و ضلوعى حلول

ثم قال: ناب فى القيادة البحرية عن خاله القائد أبى على الرّنداحى، و ولّى أسطول المركب برهة، و توفى بمراكش عام خمسة و خمسين و سبعمائة، رحمه اللّه تعالى! انتهى.

## من أبى عبد اللّه بن راجح التونسى إلى لسان الدين]

و قال لسان الدين: كتب إلىّ أبو عبد اللّه بن راجح التونسى بما يظهر من أبياته، و هى:

[الطويل]

أما و الذى لى فى حلاك من الحمد و مالك ملّاكى لدىّ من الرفد

لقد أشعرتنى النفس أنك معرض عن المسرف الآتى لفضلك يستجدى

فإن زلّة منى بدت لك جهرة فصفحا فما و اللّه أذنبت عن قصد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۰۴

فراجعته بقولى: [الطويل]

أجلّك عن عتب يغضّ من الودّ و أكرم وجه العذر منك عن الرّدّ

و لكننى أهدى إليك نصيحتى و إن كنت قد أهديتها ثم لم تجد

إذا مقول الإنسان جاوز حدّه تحوّلت الأغراض منه إلى الضّدّ

فأصبح منه الجدّ هزلا مذمّما و أصبح منه الهزل فى معرض الجدّ

فما اسطعت قبضا للعنان فإنه أحقّ السجايا بالعلاء و بالمجد

### ترجمة أبي عبد اللّه محمد بن علي بن راجح]

و قال في «الإحاطة» في حق ابن راجح المذكور ما محصّله: محمد بن علي بن الحسن بن راجح، الشريف الحسني باعترافه وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [سورة الإسراء، الآية:
١٥، سورة الزمر، الآية: ٧ و غيرها] تونسي، أبو عبد اللّه، يعرف بابن راجح، صاحب رواء و أبّهة، نظيف البزّة، فاره المركب، مطفّف مكيال الإطراء، جموح في إيجاب الحقوق، مترام إلى أقصى آماد التوغّل، سخيّ اللسان بالثناء ثرثاره، مرسل لعنانه في كلّ المحافل، متواضع متودّد فكه مطبوع حسن الخلق عذب الفكاهة، مخصوص حيث حلّ من الملوك و الأمراء بالأثرة، و ممّن دونهم بالمداخلة و الصّحبة، ينظم الشّعر، و يحاضر بالأبيات، و يقوم على تاريخ بلده، و يثابر على لقاء أهل المعرفة، و الأخذ عن أولى الرواية. قدم الأندلس عام خمسين و سبعمائة، مفلتا من الوقيعة بالسلطان أبي الحسن، فمهّد له سلطانها كنف برّه، و آواه إلى سعة رعيه، و تأكّدت بيني و بينه صحبة.

### من لسان الدين إلى ابن راجح (قصيدة)]

كتبت إليه أول قدومه بما نصّه أحذو حذو أبيات ذكر أنّ شيخنا أبا محمد الحضرمي خاطبه بها: [الطويل]

أمن جانب الغربيّ نفحة بارح سرت منه أرواح الجوى في الجوارح

قدحت بها زند الغرام و إنما تجافيت في دين السّلوّ لقادح

و ما هي إلّا نسمة حاجريّة رمى الشوق منها كلّ قلب بفادح

رجحنا لها من غير شكّ كأنها شمائل أخلاق الشريف ابن راجح

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٠٥

فتى هاشم سبقا إلى كلّ غاية و صبرا، مغار الفتل في كلّ فادح

أصيل العلا جمّ السيادة، ذكره طراز نضار في برود المدائح

و فرقان مجد يصدع الشّكّ نوره حبا اللّه منه كلّ صدر بشارح

و فارس ميدان البيان إذا انتضى صحائفه أنست مضاء الصفائح

رقيق كما راقتك نغمة ساجع و جزل كما راعتك صولة جارح

إذا ما احتبى مستحضرا في بلاغة و خوض خضمّ القول منه بسابح

و قد شرعت في مجمع الحفل نحوه أسنّة حرب للعيون اللوامح

فما ضعضعت منه لصولة صادع و لا ذهبت منه بحكمة ناصح

تذكّرت قسّا قائما في عكاظه و قد غصّ بالشّم الأنوف الجحاجح

ليهنك شمس الدين ما حزت من علا خواتمه موصولة بالفواتح

رعى اللّه ركبا أطلع الصبح مسفرا لمرآك من فوق الرّبا و البطائح

و للّه ما أهدته كوماء أوضعت برحلك في قفر عن الأنس نازح

أقول لقومي عندما حطّ كورها و ساعدها السّعدان وسط الأباطح

ذروها و أرض اللّه لا تعرضوا لها بمعرض سوء فهي ناقة صالح

إذا ما أردنا القول فيه فمن لنا بطوع القوافى و انبعاث القرائح

بقيت منى نفس و تحفة قادم و مورد ظمآن و كعبة مادح

و لا زلت تلقى البرّ و الرحب حيثما أرحت السّرى من كلّ غاد و رائح

## من ابن راجح إلى لسان الدين (قصيدة)]

فأجابنى بما نصّه: [الطويل]

أمن مطلع الأنوار لمحة لامح تعاد لمفؤود عن الحىّ نازح

و هل بالمنى من مورد الوصل يرتوى غليل عليل للتواصل جانح

فيا فيض عين الدمع ما لك و الحمى و رند الحمى و الشّيح شيح الأشايح

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۰۶

مرابع آرامى و مورد ناقتى فسقيا لها سقيا لناقة صالح

سقى اللّه ذاك الحىّ ودقا فإنه حمى لمحات العين عن لمح لامح

و أبدى لنا حور الخيام تزفّ فى حلى الحسن و الحسنى و حلى الملامح

ترى حىّ تلك الحور للحور مهيع يدلّ، و هل حسم لداء التبارح

و يا دوحة الريحان هل لى عودة لعفر عفار الأنس بين الأباطح

و هل أنت إلّا حلّة حاتميّة تغصّ نواديها بغاد ورائح

أقام بها الفخر الخطيب منابرا لترتيل آيات النّدى و المنائح

و شفّع بالإنجيل حمد مديحه و أوتر بالتوراة شفع المدائح

و فرّق بالفرقان كلّ فريقة نأت عن رشاد فيه محض النصائح

و هل هو إلّا للبريّة مرشد لكلّ هدى هاد لأرجح راجح

فبشرى لسان الدين ساد بك الورى و أورى الهدى للرّشد أوضح واضح

متى قلت لم تترك مقالا لقائل و إن لم تقل لم يغن مدح لمادح

فمن حام بالحىّ الذى أنت ربّه و عام ببحر من عطاياك طافح

يحقّ له أن يشفع الحمد بالثنا و يغدو بذاك البحر أسبح سابح

و يا فوز ملك دمت صدر صدوره و بشرى له قد راح أربح رابح

بآرائك اللاتى تدلّ على الهدى و تبدى لمن خصصت سبل المناجح

ملكت خصال السبق فى كلّ غاية و ملّكت ما ملّكت يا ابن الحجاجح

مطامح آمال لأشرف همّة أقلّ مراميها أجلّ المطامح

فدونكها يا مهدى المدح مدحة أجبت بها عن مدح أشرف مادح

تهنّيك بالعام الذى عمّ مدحه مواهب هاتيك البحار الطوافح

فخذها سمىّ الفخر يا خير مسبل على الخلق إغضاء ستور التسامح

و دم خاطب العليا بها خير خاطب و أتوق توّاق و أطمح طامح

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۰۷

ثم قال لسان الدين: توفى يوم الخميس ثالث شعبان سنة خمس و ستين و سبعمائة، و قد ناهز السبعين، و دفنّاه بروضتنا بباب إلبيرة، و أعفى شارب الشعر من ثانى مقصّه، عفا اللّه تعالى عنّا و عنه! انتهى.

قلت: رأيت بخطّ البدر البشتكى فى اختصاره لإحاطة لسان الدين و سمّاه ب «مركز الإحاطة» فى هذا المحلّ ما نصّه: قال كاتبه: لو وفّق اللّه تعالى هذا الرجل لم يجب عن مثل تلك الحائية بهذا الهذاء، و لعلّ ما فى كتاب أبى البركات الذى اسمه «شعر من لا شعر له» أنزل من هذه الطبقة؛ انتهى.

و قد أشار لسان الدين لهذا بقوله السابق: و أعفى شارب الشعر من ثانى مقصّه، فلله درّه من لوذعى زان خاتم البراعة بفصّه، فلكم له من عبارة و جيزة يقضى بها ما لم يستطع غيره أن يعبّر عنه بإطنابه، فعلى كل من يروم التعبير، عمّا فى الضمير، أن يتمسّك بأطنابه.

و قال ابن خاتمة: حدّثنى الشريف الأديب أبو عبد اللّه بن راجح التونسى مقدمه علينا بألمرية قال: سجن القاضى أبو عبد اللّه بن عبد السلام شابا و سيما لحقّ تعيّن عليه، فأنشدته مداعبا: [الوافر]

أقاضى المسلمين، حكمت حكما غدا وجه الزمان له عبوسا

سجنت على الدراهم ذا جمال و لم تسجنه إذ غصب النفوسا

فأجابنى بأن قال: إنما شكاه لى أرباب الدراهم، دون أرباب النفوس، انتهى.

رجع إلى ما خوطب به لسان الدين رحمه اللّه تعالى:

### من أبى عبد اللّه العشاب التونسى إلى لسان الدين فى بعض الأعياد]

و ممّا خاطبه به أبو عبد اللّه العشاب التونسى فى بعض الأعياد قوله: [الطويل]

بيمن أبى عبد الإله محمد تيمّن هذا القطر و انسجم القطر

أفاض علينا من جزيل عطائه بحورا تديم المدّ ليس له جزر

و آنسنا لمّا عدمنا مغانيا إذا ذكرت فى القلب ليس لها ذعر

هنيئا بعيد الفطر يا خير ماجد كريم به تسمو السيادة و الفخر

و دمت مدى الأيام فى ظلّ نعمة تطيع لك الدنيا و يعنو لك الدهر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۰۸

### من ابن عبد الملك المراكشى إلى لسان الدين]

و قال لسان الدين فى ترجمة ابن عبد الملك المراكشى ما صورته: و خاطبنى بقوله: [الوافر]

و ليت ولاية أحسنت فيها ليعلم أنها شرفت بقدرك

و كم وال أساء فقيل فيه دنىّ القدر ليس لها بمدرك

و قال أيضا يخاطبنى فى المعنى: [الوافر]

و ليت فقيل أحسن خير وال ففاق مدى مداركها بفضله

و كم وال أساء فقيل فيه دنا فمحا محاسنها بفعله

### ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك، الأنصارى، الأوسى، عن «الإحاطة» للسان الدين]

و فى «الإحاطة» ما محصّله أنّ المذكور محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصارى الأوسى، كان شديد الانقباض، محجوب المحاسن، تنبو العين عنه جهامة و وحشة ظاهرة و غرابة شكل، و فى طى ذلك أدب غضّ، و نفس حرّة، و حديث ممتع، و أبوّة كريمة، أحد الصابرين على الجهد، المستمسكين بأسباب الحشمة، الراضين بالخصاصة، و أبوه قاضى القضاة نسيج وحده الإمام العالم التاريخى المتبحّر فى الآداب، تقلّبت به أيدى الليالى بعد وفاته لتبعة سلّطت على نشبه، فاستقرّ بمالقة مقدورا عليه، لا يهتدى لمكان فضله إلّا من عثر عليه. و من شعره قوله: [السريع]

من لم يصن فى أمل وجهه عنك فصن وجهك عن ردّه

و اعرف له الفضل و عرّف له حيث أحلّ النفس من قصده

ثم قال: توفى فى ذى القعدة عام ثلاثة و أربعين و سبعمائة، انتهى.

## من أبى عبد اللّه محمد المكودى الفاسى إلى لسان الدين]

و ممّا مدح به لسان الدين قول أبى عبد اللّه محمد المكودى الفاسى رحمه اللّه تعالى:

[البسيط]

رحماك بى فلقد خلّدت فى خلدى هوى أكابد منه حرقة الكبد

حللت عقد سلوّى عن فؤادى إذ حللت منه محلّ الروح من جسدى

مرآك بدرى و ذكراك التذاذ فمى و دين حبّك إضمارى و معتقدى

و من جمالك نور لاح فى بصرى و من ودادك روح حلّ فى خلدى



لا تحسبنّ فؤادى عنك مصطبرا فقبل حبّك كان الصبر طوع يدى

و هاك جسمى قد أودى النّحول به فلو طلبت وجودا منه لم تجد

بما بطرفك من غنج و من حور و ما بثغرك من درّ و من برد

كن بين طرفى و قلبى منصفا فلقد حابيت بعضهما فاعدل و لا تحد

فقال لى: قد جعلت القلب لى وطنا و قد قضيت على الأجفان بالسّهد

و كيف تطلب عدلا و الهوى حكم و حكمه قطّ لم يعدل على أحد

من لى بأغيد لا يرثى لذى شجن و ليس يعرف ما يلقاه ذو كمد

ما كنت من قبل إذعانى لسطوته إخال أنّ الرشا يسطو على الأسد

إن جاء بالوعد لم تصدق مواعده فإن قنعت بزور الوعد لم يعد

شكوته علّتى منه فقال: ألا سر للطبيب فما برء الضنى بيدى

فقلت: إن شئت برئى أو شفا ألمى فبارتشاف لماك الكوثرىّ جد

و إن بخلت فلى مولى يجود على ضعفى و يبرئ ما أضنيت من جسدى

و خرج بعد هذا إلى مدح لسان الدين فأطال و أطاب، و كيف لا و قد ملأ من إحسانه الوطاب؟ رحم اللّه تعالى الجميع!

## من أبى عبد اللّه اليتيم إلى لسان الدين]

و قال لسان الدين: كتبت إلى عبد اللّه اليتيم أسأل منه ما أثبت فى كتاب «التاج» من شعره، فكتب إلىّ بهذه الأبيات: [البسيط]

أمّا الغرام فلم أخلل بمذهبه فلم حرمت فؤادى نيل مطلبه

يا معرضا عن فؤاد لم يزل كلفا بحبّه ذا حذار من تجنّبه

قطعت عنه الذى عوّدته فغدا و حظّه من رضاه برق خلّبه

أيام وصلك مبذول، و برّك بى مجدّد، قد صفا لى عذب مشربه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۱۰

و سمع ودّك عن إفك العواذل فى شغل و بدر الدجى ناس لمغربه

لا أنت تمنعنى نيل الرضا كرما و لا فؤادى بوان فى تطلّبه

للّه عرفك ما أذكى تنسّمه لو كنت تمنحنى استنشاق طيبه

أنت الحبيب الذى لم أتّخذ بدلا منه و حاشا لقلبى من تقلّبه

يا ابن الخطيب الذى قد فقت كلّ سنا أزال عن ناظرى إظلام غيهبه

محمد الحسن فى خلق و فى خلق أكملت باسمك معنى الحسن فازه به

حضرت أو غبت ما لى عن هواك غنى لا ينقص البدر حسنا فى تغيّبه

سيّان حال التدانى و البعاد، و هل لمبصر البدر نيل فى ترقّبه

يا من أحسن ظنّى فى رضاه و ما ينفكّ يهدى قبيحا من تغضّبه

إن كان ذنبى الهوى فالقلب منى لا يصغى لسمع ملام من مؤنّبه

### رسالة من لسان الدين إلى أبى عبد اللّه اليتيم جوابا عن قصيدته]

فأجبته بهذه الرسالة، و هى ظريفة فى معناها: «يا سيدى الذى إذا رفعت راية ثنائه تلقّيتها باليدين، و إذا قسمت سهام وداده على ذوى اعتقاده كنت صاحب الفريضة و الدين، دام بقاؤك لطرفة تبديها، و غريبة تردفها بأخرى تليها، و عقيلة بيان تجلّيها، و نفس أخذ الحزن بكظمها، و كلف الدهر بشت نظمها، تؤنسها و تسلّيها، لم أزل أشدّ على بدائعك يد الضنين، و أقتنى درر كلامك، و نفثات أقلامك، اقتناء الدرّ الثمين، و الأيام بلقائك تعد و لا تسعد، و فى هذه الأيام انثالت علىّ سماؤك بعد قحط، و تواترت لدىّ آلاؤك على شحط، و زارتنى من عقائل بيانك كلّ فاتنة الطرف، عاطرة العرف، رافلة فى حلل البيان و الظرف، لو ضربت بيوتها بالحجاز، لأقرّت لها العرب العاربة بالإعجاز، ما شئت من رصف المبنى، و مطاوعة اللفظ لغرض المعنى، و طيب الأسلوب، و التشبث بالقلوب، غير أنّ سيدى أفرط فى التنزّل، و خلط المخاطبة بالتغزل، و راجع الالتفات، و رام استدراك ما فات، و يرحم اللّه تعالى شاعر المعرّة فلقد أجاد فى قوله، و أنكر مناجاة الشوق بعد انصرام حوله: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۱۱

أبعد حول تناجى الشوق ناجية هلّا و نحن على عشر من العشر

«و لقد تجاوزت فى الأمد، و أنسيت أخبار صاحبك عبد الصمد، فأقسم بألفات القدور، و همزات الجفون السود، و حامل الأرواح مع الألواح، بالغدوّ و الرّواح، لو لا بعد مزارك، ما أمنت غائلة ما تحت إزارك، ثم إنى حقّقت الغرض، و بحثت عن المشكل الذى عرض، فقلت: للخواطر انتقال، و لكلّ مقام مقال، و تختلف الحوائج باختلاف الأوقات، ثم رفع اللبس خبر الثقات».

و منها- «و تعرفت ما كان من مراجعة سيدى لحرفة التكتيب و التعليم، و الحنين إلى العهد القديم، فسررت باستقامة حاله، و فضل ماله، و إن لاحظ اللاحظ، ما قال الجاحظ، فاعتراض لا يرد، و قياس لا يطّرد، حبّذا و اللّه عيش التأديب، فلا بالضّنك و لا بالجديب، معاهدة الإحسان، و مشاهدة الصور الحسان، يمينا إن المعلمين، لسادة المسلمين، و إنى لأنظر منهم كلّما خطرت على المكاتب، أمراء

فوق المراتب، من كل مسيطر الدرة، متقطّب الأسرّة، متنمّر للوارد تنمّر الهرّة، يغدو إلى مكتبه، كالأمير فى موكبه، حتى إذا استقلّ فى فرشه، و استوى على عرشه، و ترنّم بتلاوة قالونه و ورشه، أظهر للخلق احتقارا، و أزرى بالجبال وقارا، و رفعت إليه الخصوم، و وقف بين يديه الظالم و المظلوم، فتقول: كسرى فى إيوانه، و الرشيد فى أوانه، أو الحجّاج بين أعوانه، فإذا استولى على البدر السّرار، و تبيّن للشهر الغرار، تحرّك إلى الخرج، تحرّك العود إلى الفرج، أستغفر اللّه ممّا يشقّ على سيدى سماعه، و تشمئزّ من ذكره طباعه، شيم اللسان، خلط الإساءة بالإحسان، و الغفلة من صفات الإنسان، فأى عيش كهذا العيش و كيف حال أمير هذا الجيش؟ طاعة معروفة، و وجوه إليه مصروفة، فإن أشار بالإنصات، لتحقّق القصّات، فكأنما طمس على الأفواه، و لأم بين الشّفاه، و إن أمر بالإفصاح، و تلاوة الألواح، علا الضجيج و العجيج، و حفّ به كما حفّ بالبيت الحجيج، و كم بين ذلك من رشوة تدسّ، و غمزة لا تحسّ، و وعد يستنجز، و حاجة تستعجل و تحفز، هنأ اللّه سيدى ما خوّله، و أنساه بطيب أخراه أوّله، و قد بعثت بدعابتى هذه مع إجلال قدره، و الثقة بسعة صدره، فليتلقّها بيمينه، و يفسح لها فى المرتبة بينه و بين خدينه، و يفرغ لمراجعتها وقتا من أوقاته عملا بمقتضى دينه، و فضل يقينه، و السلام».

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۱۲

## بين أبى عبد السلام و أبى عبد اللّه اليتيم (مداعبة)]

ثم قال: و من المداعبة التى وقعت إليها الإشارة ما كتب به صديقه إليه أبو عبد السلام: [الوافر]

أبا عبد الإله نداء خلّ و فىّ جاء يمنحك النصيحه

إلى كم تألف الشبان غيّا و خذلانا، أما تخشى الفضيحه

فأجابه بقوله: [الوافر]

فديتك صاحب السّمة المليحه و من طابت أرومته الصريحه

و من قلبى وضعت له محلّا فما عنه يحلّ بأن أزيحه

نأيت فدمع عينى فى انسكاب و أكبادى لفرقتكم قريحه

و طرفى لا يتاح له رقاد و هل نوم لأجفان جريحه

و زاد تشوّقى أبيات شعر أتت منكم بألفاظ فصيحه

و لم تقصد بها جدا، و لكن قصدت بها مداعبة وقيحه

فقلت: أتألف الشبان غيّا و خذلانا، أما تخشى الفضيحه

ففيهم حرفتى و قوام عيشى و أحوالى بخلطتهم نجيحه

و أمرى فيهم أمر مطاع و أوجههم مصابيح صبيحه

و تعلم أننى رجل حصور و تعرف ذاك معرفة صحيحه

ثم قال لسان الدين- بعد إيراده ما مرّ- ما صورته: و لمّا اشتهر المشيب بعارضه و لمّته، و خفر الدهر صباه و أذمّته، أقلع و استرجع، و تألّم لما فرط و توجّع، و هو الآن من جلّة الخطباء طاهر العرض و الثوب، خالص من الشّوب، باد عليه قبول قابل التوب، و توفى فى أخريات صفر سنة خمسين و سبعمائة فى الطاعون، رحمه اللّه تعالى و غفر له! انتهى.

## ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن على العبدرى، المالقى، المعروف باليتيم]

و اليتيم المذكور هو أبو عبد اللّه محمد بن على العبدرى المالقى، و فى حقه يقول لسان

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۱۳

الدين فى «التاج» ما مثاله: هو مجموع أدوات حسان، من خط و نغمة لسان، أخلاقه روض تتضوّع نسماته، و بشره صبح تتألق قسماته، و لا تخفى سماته، يقرطس أغراض الدعابة و يصميها، و يفوّق سهام الفكاهة إلى مراميها، فكلما صدرت فى عصره قصيدة هازلة، أو أبيات منحطة عن الإجادة نازلة، خمّس أبياتها و ذيلها، و صرف معانيها و سيلها، و تركها سمر الندمان، و أضحوكة الأزمان، و هو الآن خطيب المسجد الأعلى بمالقة، متحلّ بوقار و سكينه، حالّ من أهلها بمكانة مكينة، لسهولة جانبه، و اتضاح مقاصده فى الخير و مذاهبه، و اشتغل لأوّل أمره بالتكتيب، و بلغ الغاية فى التعليم و الترتيب، و الشباب لم ينصل خضابه، و لا سلت للمشيب عضابه، و نفسه بالمحاسن كلفة صبّه، و شأنه كله هوى و محبه، و لذلك ما خاطبه بعض أودائه، و كلاهما رمى أخاه بدائه، حسما يأتى خلال هذا القول و فى أثنائه، انتهى.

و ذكر نحو ما تقدّم ذكره، سامح اللّه الجميع بفضله!

## من أبى عبد اللّه الكرسوطى للسان الدين]

و قال لسان الدين فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن الكرسوطى الفاسى نزيل مالقة ما صورته: و أنشدنى و أنا بمالقة أحاول لوث العمامة، و أستعين بالغير على الإحكام لها: [الكامل]

أ معمّما قمرا تكامل حسنه أربى على الشمس المنيرة فى البها

لا تلتمس ممّن لديك زيادة فالبدر لا يمتار من نور السّها

قال لسان الدين: و هو فقيه محدّث متكلّم، ألّف كتبا منها «الغرر، فى تكميل الطرر» طرر أبى إبراهيم الأعرج، ثم كتاب «الدّرر، فى اختصار الطّرر» المذكور، و تقييدان على الرسالة، كبير و صغير، و لخّص «التهذيب» لابن بشير، و حذف أسانيد المصنّفات الثلاثة، و التزم إسقاط التكرار، و استدرك الصّحاح الواقعة فى الترمذى على البخارى و مسلم، و قيّد على مختصر الطيطلى، و شرع فى تقييد على قواعد الإمام أبى الفضل عياض بن موسى برسم ولدى. و يصدر منه الشعر مصدّرا لا تكيفه منه العناية. و كانت له اليد الطولى فى عبارة الرؤيا، و مولده بفاس عام تسعين و ستمائة، انتهى ملخصا.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۱۴

## ترجمة أبى عبد اللّه الكرسوطى من أبى عمرو بن الزبير إلى لسان الدين]

و قال فى ترجمة أبى عمرو بن الزبير ما صورته: و ممّا خاطبنى به عند إيابى من العدوة فى غرض الرسالة قوله: [الوافر]

نوالى الشكر للرحمن فرضا على نعم كست طولا و عرضا

و كم للّه من لطف خفىّ لنا منه الذى قد شا و أمضى

بمقدمك السعيد أتت سعود ننال بها نعيم الدهر محضا

فيا بشرى لأندلس بما قد به والاك بارينا و أرضى

و يا للّه من سفر سعيد قد اقرضك المهيمن فيه قرضا

و رحت بنيّة أخلصت فيها فأبت بكلّ ما يبغى و يرضى

و ثبت لنصرة الإسلام لمّا إليك علمت أنّ الأمر أفضى

لقد أحييت بالتقوى رسوما كما أرضيت بالتمهيد أرضا

و قمت بسنّة المختار فينا تمهّد سنّة و تقيم فرضا

و رضت من العلوم الصّعب حتى جنيت ثمارها رطبا و غضّا
فرأيك راجح فيما تراه و عزمك من مواضى الهند أمضى
تدبّر أمر مولانا فيلقى ال مسىء لديك إشفاقا و إغضا
فأعقبنا شفاء و انبساطا و قد كانت قلوب الناس مرضى
و من أضحى على ظمإ و أمسى يرد إن شاء من نعماك حوضا
أبا عبد الإله إليك أشكو زمانى حين زاد الفقر عضّا
و من نعماك أستجدى لباسا تفيض به علىّ الجاه فيضا
بقيت مؤمّلا ترجى و تخشى و مثلك من إذا ما جاد أرضى

## ترجمة أبى عمرو محمد بن أحمد بن الزبير]

و أبو عمرو المذكور هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير، أبوه الأستاذ أبو جعفر بن
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۱۵
الزبير أستاذ الزمان شيخ أبى حيان و غيره. و قال فى «الإحاطة» فى حقّه: إنه فكه، حسن الحديث، ركض طرف الشبيبة فى ميدان الراحة، منكّبا على سنن أبيه و قومه، مع شفوف إدراك، و جودة حفظ، كانا يطمعان والده فى نجابته، فلم يعدم قادحا فى شرف فنال حظوة، و جرت عليه خطوب. ثم عاد إلى الأندلس، فتطور بها، و هو الآن قد نال منه الكبر يزجى لوقته بمالقة متعلّلا برمق من بعض الخدم المخزونية، استجاز له والده الطم و الرم من أهل المغرب و المشرق، و بضاعته فى الشعر مزجاة. ثم قال: مات تاسع المحرم عام خمسة و ستين و سبعمائة؛ انتهى.

## من ترجمة أبى يحيى محمد بن أحمد بن الأكحل]

و قال فى ترجمة أبى يحيى محمد بن أحمد بن محمد بن الأكحل ما صورته: شيخ هدورى الذقن، خدوع الظاهر، خلوب اللفظ، شديد الهوى إلى الصوفية، و الكلف بإطراء أهل الخير، من بيت صون و حشمة، متقدّم فى معرفة الأمور العلمية، خائض فى غمار التصوّف، و انتحال كيمياء السعادة، راكب متن دعوى عريضة فى مقام التوحيد، تكذّبها أحواله الراهنة، لمعاصاة خلقه على الرياضة، و استيلاء الشّره، و غلبة سلطان الشهوة، و المشاحة أيام الولاية، و السباب الشاهد بالشدّة، و الحلف المتصل بياض اليوم فى ثمن الخردلة باليمين التى فيها فساد الأنكحة، و الغضب الذى يقلب العين. خاطبنى بين يدى نكبته و لم أكن أظنّ الشّعر ممّا تلوكه جحفلته، و لكنه من أهل الكفاية: [الطويل]
رجوتك بعد اللّه يا خير منجد و أكرم مأمول و أعظم مرفد
و أفضل من أمّلت للحادث الذى فقدت به صبرى و ما ملكت يدى
و حاشا و كلّا أن يخيب مؤمّلى و قد علقت بابن الخطيب محمد
و ما أنا إلّا عبد نعمته التى عهدت بها يمنى و إنجاح مقصدى
و أشرف من حضّ الملوك على التّقى و أبدى لهم رشدا نصيحة مرشد
و ساس الرعايا الآن خير سياسة مباركة فى كلّ غيب و مشهد
و أعرض عن دنياه زهدا و إنها لمظهرة طوعا له عن تودّد
و ما هو إلّا الليث و الغيث إن أتى له خائف أو جاء مغناه مجتدى

و بحر علوم درّه كلماته إذا ردّدت فى الحفل أىّ تردّد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۱۶

صقيل مرائى الفكر ربّ لطائف محاسنها تجلى بحسن تعبّد

بديع عروج النفس للملإ الذى تجلّت له الأسرار فى كلّ مصعد

شفيق رفيق دائم الحلم راحم و رأى جميل للجميل معوّد

صفوح عن الجانى على حين قدرة مواصل تقوى اللّه فى اليوم و الغد

أيا سيدى يا عمدتى عند شدّتى و يا مشربى مهما ظمئت و موردى

حنانيك و الطف بى و كن لى راحما و رفقا على شيخ ضعيف منكّد

رجاك رجاء للذى أنت أهله و وافاك يهدى للثناء المجدّد

و أمّك مضطرّا لرحماك شاكيا بحال كحرّ الشمس حال توقّد

و عندى افتقار لا يزال مواصلا لأكرم مولى حاز أجرا و سيّد

ترفّق بأولاد صغار بكاؤهم يزيد لوقع الحادث المتزيّد

و ليس لهم إلّا إليك تطلّع إذا مسّهم ضرّ أليم التعهّد

أنلهم أيا مولاى نظرة مشفق وجد بالرضا و انظر لشمل مبدّد

و عامل أخا الكرب الشديد برحمة و أسعف بغفران الذنوب و أسعد

و لا ننظرن إلّا لفضلك، لا إلى جريمة شيخ عن محلّك مبعد

و إن كنت قد أذنبت إنى تائب فعوّد لى الفعل الجميل و جدّد

بقيت بخير لا يزال و عزة و عيش هنىء كيف شئت و أسعد

و سخّرك الرحمن للعبد؛ إنه لمثن وداع للمحلّ المجدّد

ثم قال: و هو الآن من مسطرى الأعمال على تهوّر و اقتحام كبرة، من خطّ لا نهاية وراءه فى الركاكة، كما قال المعرى: [الوافر]

تمشّت فوقه حمر المنايا و لكن بعد ما مسخت نمالا

## من أبى عبد اللّه محمد بن على بن عياش إلى لسان الدين]

و قال فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن على بن عياش بن مشرف الأمى: إنه من أهل الأصالة و الحسب، ظهرت منه على حداثة السّنّ أبيات، و نسب إليه شعر توسّل به، و تصرّف فى الإشراف، فحمدت سيرته، و كتب إلى بقوله: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۱۷

سفرت شموس اليمن و الإقبال و بدت بدور السعد ذات كمال

لقدوم سيّدنا الوزير محمد أعزز به من سيّد مفضال

قمر تجلّى بين زهر تجتلى يهدى لفعل الخير لا الإضلال

سر آمنا لا تكترث، فلأنت فى حفظ الإله الواحد المتعالى

برّا و بحرا لا تخاف ملمّة و عدوّ ذاتك خلف ظهرك صالى

لا يستقرّ له قرار بعدكم ممّا يحلّ به من الأوجال

و الآن ترجع سالما و مبشّرا ببلوغ كلّ مسرّة و منال

و هى طويلة، نمطها متخلّف عن الإجادة، و هى من مثله ممّا يستظرف؛ انتهى.

### من محمد بن محمد الوادى آشى إلى لسان الدين]

و قال فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن محمد العراقى الوادى آشى: فاضل الأبوة، بادى الاستقامة، حسن الأخلاق، تولّى أعمالا، كتب إلىّ و قد أبى عملا عرض عليه بقوله: [الطويل]

أ أصمت ألفا ثم أنطق بالخلف و أفقد إلفا ثم آنس بالجلف

و أمسك دهرى ثم أفطر علقما و يمحق بدرى ثم ألحق بالخسف

و عزّكم لا كنت بالذلّ عاملا و لو أنّ ضعفى ينتهى بى إلى الحتف

فإن تعملونى فى تصرّف عزة و عدل و إلّا فاحسموا علّة الصّرف

بقيت و سحب العفو منكم تظلّنى و حظّ ثنائى دائما ثانى العطف

### من أبى محمد عبد اللّه بن إبراهيم الأزدى إلى لسان الدين و من شعر أبى محمد الأزدى]

و قال فى ترجمة أبى محمد عبد اللّه بن إبراهيم الأزدى ما صورته: و خاطبنى لما وليت خطّة الإنشاء و غيرها فى أواخر عام تسعة و أربعين و سبعمائة بما نصّه: [الطويل]

حشاشة نفس أعلنت لمذيبها بتذكار أيام الوصال و طيبها

و نادته رحمى أختها نفس مدنف تموت إذا لم تحيها بوجيبها

فداو بقرب منك لاعج وجدها و فيض أماقيها و طول نحيبها

و قد بلغت حدّا به صحّ فى الهوى و أحكامه ثوب الضنى فى نصيبها



و هل يتداوى داء نفس تعيسة إذا كان يوما داؤها من طبيبها

لعلّ أوار الوجد تخمد ناره فيبرد عنها ما بها من لهيبها

إليك حداها الشوق يا بدرها الذى يعزّ عليها منه طول مغيبها

سلكت بها سبل الهوى فهى تبتغى لقاك و تبغى غفلة من رقيبها

أجبها بإبقاء عليها فإنها ستفنى إذا لم تكن بمجيبها

و مل نحوها بالودّ فهى قد اذعنت كما تذعن الأقلام لابن خطيبها

وحيد الزمان الماهر الباهر الحلى و جهبذ آداب العلا و أديبها

إمام معاليها، و بحر علومها و بدر دياجيها، و صدر شعوبها

مصرّفها كيف انثنت و معيدها و مبدئها حيث انتهت و مصيبها

و رافع أعلام البلاغة و الذى أتى ناثرا أو ناظما بعجيبها

و حامل رايات الرياسة رفعة قضى المجد تخصيصا له بوجوبها

من الغرّ ممّن أوجبت لشبابها معاليهم الفضل العظيم و شيبها

من ابناء أرباب الزمان الألى بها سما فخرهم بين الورى بركوبها

خلال ابن عبد اللّه طود الحجا أبى محمد باد حسنها من ضروبها

أجاد و أجدى فاسل عن ذكر طيّىء و حاتمها زهوا به و حبيبها

ففى كلّ ما يبدى محمد عبرة محاسنها تنبى بسرّ غيوبها

تجيب القوافى إن دعا ببعيدها و تنقاد طوعا إن دعا بقريبها

تخيّر أخلاق الكرام فلم يكن بها و لها يرضى بغير رحيبها

تقدّم فى دار الخلافة حاجبا لينجدها فى سلمها و حروبها

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۱۹

و قام لها فى ساحة العزّ كاتبا بمحضرها أسرارها و مغيبها

فأبدى من أنواع الفضائل أوجها تقرّ لها بالحسن عين لبيبها

هنيئا به يمنا بأسعد ماثل لغرناطة قاض بصرف خطوبها

فللسعد تأثير يجىء إذا جرى به قدر كالريح عند هبوبها

أموقد نار الفكر يقدح زندها فيسبى به الألباب سحر نسيبها

حدانى إليك الحبّ قدما و مال بى حديث لآمال خلت عن غريبها

فقدّمتها نظما قوافى قصرت لديك بذاوى فكرتى و رطيبها

و كنت كمن وافى لدى الدار بالحصى يرفّع منها ساهيا عن عيوبها

فصلها و خذ بالعفو فيها فلم أصل لأبلغ منها فاغتفر من ذنوبها

و صاحب هـذا النظم من أهل بلش، و له اقتـدار على النظم و النثر؛ قال فى «الإحاطـة» ما محصّـله: و ممّا وقع له أثناء مقامات و أغراض تشهد باقتداره مهملا: [المتقارب]

رعى اللّه عهدا حوى ما حوى لأهل الوداد و أهل الهوى

أراهم أمورا حلا وردها و أعطاهم السؤل كلّا سوى

و لمّا حلا الوصل صالوا له و راموه مأوى و ماء روى

و أوردهم سرّ أسرارهم و ردّ إلى كلّ داء دوا

و ما أمل طال إلّا و هى و ما آمل صال إلّا هوى

و قال معجمة: [الخفيف]

بثّ بينى يبثّنى فيض جفنى شغفى شفّنى فشبت بينى

فتنتنى بغنج ظبى تجنّى تبتغى نقض نيّتى بتجنّى

بزّة زيّنت قضيب تثنّى قضيت بغيتى ففزت بفنّ

خفت تشتيت بنيتى فجفتنى ثقة تنثنى فخيّب ظنّى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۲۰

و قال كلمة و كلمة: [الخفيف]

الهوى شفّنى و أهمل جفنى أدمعا تنثنى دما بتثنى

أحور شبّ حرّ بثّى لمّا نقض العهد بين طول تجنى

حاكم يتّقى و لا ذنب إلّا شغف لم يخب لمسعاه ظنى

ما له ينقض العهود فيشجى و لها ينثنى مسهّد جفن

لم يجز وصله فبتّ محالا يقتضى حلّ بغيتى كلّ فنّ

و قال يرثى ديكا فقده، و يصف الوجد الذى وجده، و يبكى عدم أذانه، إلى غير ذلك من مستظرف شانه: [البسيط]

أودى به الحتف لمّا جاءه الأجل ديكا فلا عوض منه و لا بدل

قد كان لى أمل فى أن يعيش فلم يثبت مع الحتف فى بقياه لى أمل

فقدته فلعمرى إنها عظة و بالمواعظ تذرى دمعها المقل

ما كان أبدع مرآه و منظره وصفا به كلّ حين يضرب المثل

كأنّ مطرف وشى فوق ملبسه عليه من كلّ حسن باهر حلل

كأنّ إكليل كسرى فوق مفرقه و تاجه فهو عالى الشّكل محتفل

موقّت لم يكن يعزى له خطأ فيما يرتّب من ورد و لا خلل

كأنّ زرقال فيما مرّ علّمه علم المواقيت ممّا رتّب الأول

يرحّل الليل، يحيى بالصراخ فما يصدّه كلل عنه و لا ملل

رأيته قد وهت منه القوى فهوى للأرض فعلا يريه الشارب الثّمل

لو يفتدى بديوك الأرض قلّ له ذاك الفداء و لكن فاجأ الأجل

قالوا الدواء فلم يغن الدواء و لم ينفعه من ذاك ما قالوا و ما فعلوا

أمّلت فيه ثوابا أجر محتسب إن نلت ذلك صحّ القول و العمل

و أمره السلطان أبو عبد اللّه سادس الملوك النّصريين، و قد نظر إلى شلير و قد تردّى بالثلج

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۲۱

و تعمّم، و كمل ما أراد من بزّته و تمّم، أن ينظم فى وصفه، فقال بديها: [الطويل]

و شيخ جليل القدر قد طال عمره و ما عنده علم بطول و لا قصر

عليه لباس أبيض باهر السّنا و ليس بثوب أحكمته يد البشر

فطورا تراه كلّه كاسيا به و كسوته فيها لأهل النّهى عبر

و طورا تراه عاريا ليس يكتسى بحرّ و لا بد من الشمس و القمر

و كم مرّت الأيام و هو كما ترى على حاله لم يشك ضعفا و لا كبر

و ذاك شلير شيخ غرناطة التى لبهجتها فى الأرض ذكر قد اشتهر

بها ملك سامى المراقى، أطاعه كبار ملوك الأرض فى حالة الصّغر

تولّاه ربّ العرش منه بعصمة تقيه مدى الأيام من كلّ ضرر

و توفى المذكور فى بلده بلش فى طاعون عام خمسين و سبعمائة، انتهى.

## من لسان الدين إلى أبى قاسم بن رضوان، النجارى]

و قال فى «الإحاطة» فى ترجمة صاحب القلم الأعلى بالمغرب أبى القاسم بن رضوان النجارى ما صورته: و لمّا ولى الإنشاء بباب ملك المغرب ظهر لسلطاننا بعض قصور فى المراجعات، فكتبت إليه: [الطويل]

أبا قاسم، لا زلت للفضل قاسما بميزان عدل ينصر الحقّ من نصر

مدادك و هو المسك طيبا و منظرا و إلّا سواد القلب و الفود و البصر

عهدناه فى كلّ المعارف مطنبا فما باله فى حرمة الودّ مختصر
أظنّك فى ليل الوصال انتخبته إلينا، و ذاك الليل يوصف بالقصر
أردنا بك العذر الذى أنت أهله و مثلك لا يرمى بعىّ و لا حصر

## من ابن رضوان إلى لسان الدين]

فراجعنى، و لا أدرى أهى من نظمه أم نظم غيره: [الطويل]
حقيق أبا عبد الإله بك الذى لمذهبه فى البرّ يتّضح الأثر
و إنّ الذى نبّهت منى لم يكن نؤوما و حاشا الودّ أن أغمط الأثر
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٢٢
و ربّ اختصار لم يشن نظم ناظم و ربّ اقتصار لم يعب نثر من نثر
و عذرك عنى من محاسنك التى نظام حلاها فى الممادح ما انتثر
و من عرف الوصف المناسب منصفا تأتّى له نهج من العذر ما دثر

## ترجمة أبى القاسم بن رضوان]

و هو عبد اللّه بن يوسف بن رضوان النجارى، من أهل مالقة، صاحب العلامة العلمية، و القلم الأعلى بالمغرب، قرأ على جماعة منهم بتونس قاضى الجماعة ابن عبد السلام. قال فى «التاج» فيه أيام لم يفهق حوضه، و لا أزهر روضه، ما نصّه:
أديب أحسن ما شاء، و منح قليبه فملأ الدلو و بلّ الرّشاء، و عانى على حداثته الشعر و الإنشاء، و له ببلده بيت معمور بفضل و أمانة، و مجد و ديانة، و نشأ هذا الفاضل على أتمّ العفاف و الصّون، فما مال إلى فساد بعد الكون، و له خطّ بارع، و فهم إلى الغوامض مسارع، و قد أثبتّ من كلامه، و نفثات أقلامه، كلّ محكم العقود، زار بابنة العنقود، فمن ذلك قوله: [الطويل]
لعلّكما أن ترعيا لى مسائلا فباللّه عوجا بالرّكاب وسائلا
و منها:
لقد خان دهرى إذ نأى بمطالبى و ظلّ بما أبغى من القرب ماطلا
عتبت عليه فاغتدى لى عاتبا و قال: أصخ لى لا تكن قطّ عاذلا
أتعتبنى أن قد أفدتك موقفا لدى أعظم الأملاك حلما و نائلا
مليك حباه اللّه بالخلق الرّضا و أعلى له فى المكرمات المنازلا
و هى طويلة.
و من نظم ابن رضوان المذكور: [الطويل]
تبرّأت من حولى إليك و أيقنت برحماك آمالى أصحّ يقين
فلا أرهب الأيام إذ كنت ملجأ و حسبى يقينى باليقين يقينى
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٢٣
و كلفه أبو عنان وصف صيد من غدير فقال من أبيات: [الكامل]
و لربّ يوم فى حماك شهدته و السّرح ناشرة عليك ظلالها
حيث الغدير يريك من صفحاته درعا تجيد به الرياح صقالها

و المنشآت به تدير حبائلا للصيد فى حيل تدير حبالها

و تريك إذ يلقى بها اليمّ الذى أخفت جوانحه و غاب خلالها

فحسبتها زردا و أنّ عواليا تركت به عند الطعان نصالها

و قال فيه أيضا: [الكامل]

أبصرت فى يوم الغدير عجائبا جاءت بآيات العجائب مبصره

سمكا لدى شبك فقل ليل بدت فيه الزواهر للنواظر نيّره

فكأنّ ذا زرد تضاعف نسجه و كأنّ تلك أسنّة متكسّره

و ممّا نظمه عن أمر الخلافة المستعينة ليكتب فى طرّة قبّة رياض الغزلان من حضرته: [البسيط]

هذا محلّ المنى بالأمن معمور من حلّه فهو بالآمال مجبور

مأوى النعيم به ما شئت من ترف تهوى محاسنه الولدان و الحور

و يطلع الروض منه مصنعا عجبا يضاحك النّور من لألائه النّور

و يسطع الزهر من أرجائه أرجا ينافح الندّ نشر منه منشور

مغنى السرور سقاه اللّه ما حملت غرّ الغمام و حلّته الأزاهير

انظر إلى الروض تنظر كلّ معجبة ممّا ارتضاه لرأى العين تحبير

مرّ النسيم به يبغى القرى فقرى دراهم النور تبديد و تنثير

و هامت الشمس فى حسن الظلال به ففرّقت فوقها منه دنانير

و الدوح ناعمة تهتزّ من طرب همسا، و صوت غناء الطير مجهور

كأنما الطير فى أفنانها صدحت بشكر مالكها، و الفضل مشكور



و النهر شقّ بساط الروض تحسبه سيفا و لكنه فى السلم مشهور

ينساب للّجّة الخضراء أزرقه كاليم جدّ انسياب و هو مذعور

هذى مصانع مولانا التى جمعت شمل السرور، و أمر السعد مأمور

و هذه القبّة الغرّاء ما نظرت لشكلها العين إلّا عزّ تنظير

و لا يصوّرها فى الفهم ذو فكر إلّا و منه لكلّ الحسن تصوير

و لا يرام بحصر وصف ما جمعت من المحاسن إلّا صدّ تقصير

فيها المقاصير تحميها مهابته للّه ما جمعت تلك المقاصير

كأنها الأفق تبدو النيرات به و يستقيم بها فى السعد تسيير

و ينشأ المزن فى أرجائه و له من عنبر الشّحر إنشاء و تسخير

و ينهمى القطر منه و هو منسكب ماء من الورد يذكو منه تقطير

و تخفق الريح منه و هى ناسمة ممّا أهبّ به مسك و كافور

و يشرق الصبح منه و هو من غرر غرّ تلألأ منهنّ الأسارير

و تطلع الشمس فيه من سنا ملك تبسّم الدهر منه و هو مسرور

للّه منه إمام عادل بهرت أوصافه فهى للأمداح تحبير

غيث السماح و ليث البأس فالق به محيى الهدى و هو للعادين تتبير

قل للمبارى و إن لم تلقه أبدا و ربّ فرض محال و هو تقدير

فخر الأنام أحلّ الفخر منزله فكلّ مدح على علياه مقصور

إذا أبو سالم مولى الملوك بدا بدرا تضىء بمرآه الدياجير

فأىّ خطب يخاف الدهر آمله و أىّ سؤل له فى النيل تعذير

بشراك بشراك يا نجل الخلافة ما خوّلت من نيلها و الضدّ مقهور

لك الخلود بعزّ الملك فى نعم لا يعترى صفوها فى الدهر تكدير

فانعم هنيئا بلذّات مواصلة لا تأتليهنّ إلمام و تكرير

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٢٥

لا زلت تلقى المنى فى غبطة أبدا ما دام اللّه تهليل و تكبير

و قال و كتب به على قلم فضة: [الطويل]

إذا شهدت بالنصر خطّيّة القنا فملّكت أمر الفتح من غير ما شرط

كفى شاهدا منى بفضلك ناطقا لسانى مهما أفصحت ألسن الخطّى

و قال و كتب به على سكين: [الطويل]

أروح بأمر المستعين و أغتدى لإذهاب طغيان اليراع الرواقم

و يفعل فى الأقلام حدّى مصلحا كفعل ظبا أسيافه فى الأقالم

قال: و مما كتب به على قصيدة عيدية: [البسيط]

لمّا رأيت هدايا العيد أعظمها هدية الطيب فى حسن و تعجيب

و لم أجد فى ضروب العاطرات شذى يحكى ثناءك فى نشر و فى طيب

أهديت نحوك منه كلّ ذى أرج أنفاسه بين تشريق و تغريب

و فى القبول منال السعد فالق به تلق الأمانى بتأهيل و ترحيب

و قال فى رجل يلقب بالبعير: [الطويل]

و ذى لقب عنّت له عند صحبه مآرب لم يسعد عليهنّ مسعد

دعوه بعيرا فاستشاط فقال مه أبا أحمد، و ارتدّ عنهم يهدهد

فقلت له عد نحوهم لتعود من مرامك بالمطلوب توفى و تحمد

فقال و قد غصّ الفضاء بصوته و قد هدرت منه الشقاشق تزبد

لئن عدت نادونى بعيرا كمثله فقلت له لا تخش فالعود أحمد

و قال: [الخفيف]

و بخيل لمّا دعوه لسكنى منزل بالجنان ضنّ بذلك

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٢٦

قال لى مخزن بدارى فيه كلّ مالى فلست للدار تارك

قلت وفّقت للصواب فحاذر قول خلّ مرغّب فى انتقالك

لا تعرّج على الجنان بسكنى و لتكن ساكنا بمخزن مالك

و قال رحمه اللّه تعالى فى مركب: [الكامل]

يا ربّ منشأة عجبت لشأنها و قد احتوت فى البحر أعجب شان

سكنت بجنبيها عصابة شدّة حلّت محلّ الروح فى الجثمان

فتحرّكت بإرادة مع أنها فى جنسها ليست من الحيوان

و جرت كما قد شاءه سكّانها فعلمت أن السّرّ فى السّكّان

و قال رحمه اللّه تعالى: [الوافر]

و ذى خدع دعوه لاشتغال و ما عرفوه غثّا من سمين

فأظهر زهده و غنى بمال و جيش الحرص منه فى كمين

و أقسم لا فعلت يمين خبّ فيا عجبا لحلّاف مهين

يغرّ بيسره و يمين حنث ليأكل باليسار و باليمين

و هو الآن بحاله الموصوفة؛ انتهى.

## بين أبى بكر عبد الرحمن بن عبد الملك و لسان الدين بن الخطيب]

و قال لسان الدين رحمه اللّه تعالى: خاطبنى أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الملك مستدعيا إلى إعذار ولده بقوله: [البسيط]

أريد من سيدى الأعلى تكلّفه إلى الوصول إلى دارى صباح غد

يزيدنى شرفا منه و يبصر لى صناعة القاطع الحجّام فى ولدى

فأجبته: [البسيط]

يا سيدى الأوحد الأسمى و معتمدى و ذا الوسيلة من أهلى و من بلدى



دعوت فى يوم الاثنين الصّحاب ضحى و فيه ما ليس فى سبت و لا أحد

يوم السلام على المولى و خدمته فاصفح و إن عثرت رجلى فخذ بيدى

و العذر أوضح من نار على علم فعدّ إن غبت عن لوم و عن فند

بقيت فى ظلّ عيش لا نفاد له مصاحبا غير محصور إلى أمد

## ترجمة أبى بكر عبد الرحمن بن عبد الملك]

و أبو بكر المذكور أصله من باغة، و نشأ بلوشة، و هو محسوب من الغرناطيين.

و فى «التاج» فى حقه ما صورته: مادح هاجى، مداهن مداجى، أخبث من نظر من طرف خفى، و أعذر من تلبّس بشعار و فى، إلى مكيدة مبثوثة الحبائل، و إغراء يقطع بين الشعوب و القبائل، من شيوخ طريقة العمل، المتقلّبين من أحوالها بين الصّحو و الثمل، المتعلّلين برسومها حين اختلط المرعىّ بالهمل. و هو ناظم أرجاز، و مستعمل حقيقة و مجاز، نظم مختصر السيرة، فى الألفاظ اليسيرة، و نظم رجزا فى الزّجر و الفال، نبّه به تلك الطريقة بعد الإغفال؛ انتهى.

قال: و من شعره: [الكامل]

إنّ الولاية رفعة لكنها أبدا إذا حقّقتها تتنقّل

فانظر فضائل من مضى من أهلها تجد الفضائل كلّها لا تعزل

توفى بالطاعون بغرناطة عام خمسين و سبعمائة؛ انتهى.

### من أبى سلطان عبد العزيز بن على بن يشت الغرناطى إلى لسان الدين]

و قال فى ترجمة أبى سلطان عبد العزيز بن على الغرناطى بن يشت ما صورته: و ممّا خاطبنى به قوله: [البسيط]

أطلت عتب زمان قلّ من أملى و سمته الذّمّ فى حلّ و مرتحل

عاتبته ليلين العتب جانبه فما تراجع عن مطل و لا بخل

فعدت أمنحه العتبى ليشفق لى فقال لى إنّ سمعى عنك فى شغل

فالعتب عندى كالعتبى فلست أرى أصغى لمدحك إذ لم أصغ للعذل



فقلت للنفس كفّى عن معاتبة لا تنقضى و جواب صيغ من وجل

من يعتلق فى الدّنا بابن الخطيب فقد سما عن الذّلّ و استولى على الجذل

قالت فمن لى بتقريبى لخدمته فقد أجاب قريبا من جوابك لى

فقال للناس كفّوا عن محادثتى فليس ينفعكم حولى و لا حيلى

قد اشتغلت عن الدنيا بآخرتى و كان ما كان من أيامى الأول

و قد رعيت و ما أهملت من منح فكيف يختلط المرعىّ بالهمل

و لست أرجع للدنيا و زخرفها من بعد شيب غدا فى الرأس مشتعل

أ لست تبصر أطمارى و بعدى عن نيل الحظوظ و إغذاذى إلى أجلى

فقلت ذلك قول صحّ مجمله لكنّ من شأنه التفصيل للجمل

ما أنت جالب أمر تستعين به على المظالم فى حال و مقتبل

و لا تحلّ حراما أو تحرّم ما أحلّ ربّك فى قول و لا عمل

و لا تبع آجل الدنيا بعاجلها كما الولاة تبيع اليمّ بالوشل

و أين عنك الرشا إن ظلت تطلبها هذا لعمرى أمر غير منفعل

هل أنت تطلب إلّا أن تعود إلى كتب المقام الرفيع القدر فى الدول

فما لأوحد هذا الكون قاطبة و أسمح الخلق من حاف و منتعل

لم يلتفت نحو ما تبغيه من وطر و لم يسدّ الذى قد بان من خلل

إن لم تقع نظرة منه عليك فما يصفو لديك الذى أمّلت من أمل

فدونك السّيّد الأعلى فمطلبكم قد نيط منه بفضل غير منفصل

فقد خبرت بنى الدنيا بأجمعهم من عالم و حكيم عارف و ولى

فما رأيت له فى الناس من شبه قلّ النظير له عندى فلا تسل

و قد قصدتك يا أسمى الورى هممما و ليس لى عن حمى علياك من حول



فما سواك لما أمّلت من أمل و ليس لى عنك من زيغ و لا ميل

فانظر لحالى قد رقّ الحسود لها و احسم زمانة ما قد ساء من علل

و دم لنا ولدين اللّه ترفعه ما أعقبت بكر الإصباح بالأصل

لا زلت معتليا عن كلّ حادثة كما علت ملّة الإسلام فى الملل

انتهى.

### ترجمة أبى سلطان بن يشت]

و المذكور هو عبد العزيز بن على بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يشت، من غرناطة، يكنى أبا سلطان؛ قال فى «الإحاطة» فى حقّه: فاضل حيّ حسن الصورة، بادى الحشمة، فاضل البيت سريّه، كتب فى ديوان الأعمال فأتقن، و ترقّى إلى الكتابة السلطانية، و سفر فى بعض الأغراض الغربية، و لازم الشيخ أبا بكر عتيق بن مقدم من مشيخة الصوفية بالحضرة فظهرت عليه آثار ذلك فى نظمه و مقاصده. فمن نظمه ما أنشده ليلة الميلاد المعظم: [الكامل]

القلب يعشق و المدامع تنطق برح الخفاء فكلّ عضو منطق

إن كنت أكتم ما أكنّ من الجوى فشحوب لونى فى الغرام مصدّق

و تذلّلى عند اللّقا و تملّقى إنّ المحبّ إذا دنا يتملّق

فلكم سترت عن الوجود محبتى و الدمع يفضح ما يسرّ المنطق

و لكم أموّه بالطلول و بالكنى و أخوض بحر الكتم و هو الأليق

ظهر الحبيب فلست أبصر غيره فبكلّ مرئىّ أرى متحقق

ما فى الوجود تكثّر لمكثّر إنّ المكثر بالأباطل يعلق

فمتى نظرت فأنت موضع نظرتى و متى نطقت فما بغيرك أنطق

يا سائلى عن بعض كنه صفاته كلّ اللسان و كلّ عنه المنطق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٣٠

فاسلك مقامات الرجال محقّقا إنّ المحقق شأوه لا يلحق

مزّق حجاب الوهم لا تحفل به فالوهم يستر ما العقول تحقق

و اخلص إذا شئت الوصول و لا تسل فالعجز عن طلب المعارف موبق

إن التحلّى فى التخلّى فاقتصد ذاك الجناب، فبابه لا يغلق

و لتقتبس نار الكليم و لا تخف و الغ السوى إن كنت منها تفرق

و متى تجلّى فيك سرّ جماله و صعقت خوفا فالمكلّم يصعق

دع رتبة التقليد عنك و لا تته تلق الذى قيّدت و هو المطلق

و اقطع حبال علائق و عوائق إنّ العوائق بالمكاره تطرق

جرّد حسام النفس عن جفن الهوى إنّ العوائد بالتجرّد تخرق

فإذا فهمت السّرّ منك فلا تبح فالسيف من بثّ الحقائق أصدق

بالذوق لا بالعلم يدرك علمنا سرّ بمكنون الكتاب مصدّق

و بما أتى عن خير من وطئ الثرى سرّ الوجود و غيثه المتدفّق

خير الورى و ابن الذبيحين الذى أنواره فى هديها تتألّق

من أخبر الأنباء قبل ببعثه و لنصّه سرّ الكتاب يصدق

رفعت له الحجب التى لم ترتفع إلّا إليه فكلّ ستر يخرق

ورقى مقاما قصّرت عن كنهه رتب الوجود و كعّ عنه السّبق

وطئ البساط تدلّلا و جرى إلى أمد تناهى ما إليه مسبق

إنسان عين الكون مبلغ سرّه قطب الجمال و غيثه المتدفّق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۳۱

سرّ الوجود و نكتة الدهر الذى كلّ الوجود بجوده يتعلّق

من جاء بالآيات يسطع نورها و الذكر فهو عن الهوى لا ينطق

يا سيد الأرسال غير مدافع و أجلّهم سبقا و إن هم أعنقوا

بالفقر جئتك موئلى لا بالغنى فالذلّ و الإذعان عندك ينفق

فاجبر كسير جرائر و جرائم فالقلب من عظم الخطايا يقلق

أرجوك يا غوث الأنام فلا تدع باب الرضا دونى يسدّ و يغلق

حاشاك تطرد من أتاك مؤمّلا فلأنت لى منى أحنّ و أرفق

و محبتى تقضى بأنك منقذى ممّا أخاف فما بغيرك أعلق

يا هل تساعدنى الأمانى و المنى و أحلّ حيث سنا الرسالة يشرق

إن كان تثبطنى القضا بمقيّد فعنان عزمى نحو مجدك مطلق

و لئن ثوى شخص بأقصى مغرب فتشوّقى منى إليك يشرّق

فعليك يا أسنى الوجود تحيّة من طيب نفحتها البسيطة تعبق

و على صحابتك الذين تأنّقوا رتب الكمال و مثلهم يتأنّق

و على الألى آووك فى أوطانهم نالوا بذلك رتبة لا تلحق

أعظم بأنصار النبىّ و حزبه و بمن أتى بعباءة يتعلّق

من مثل سعد أو كقيس نجله عرف السيادة من حماهم ينشق

أكرم بهم و بمن أتى من سرّهم عزّ النظير فمجدهم لا يلحق

من مثل نصر أو بنيه ملوكنا كلّ الأنام لعزّهم يتملّق

بمحمد نجل الخليفة يوسف عزّ الهدى فحماه ما إن يطرق

مولى الملوك و تاج مفرق عزّهم و أجلّ من تحدى إليه الأينق

ملك يرى أنّ التقدّم مغنم مهما تعرّض موكب أو فيلق

تروى أحاديث الوغى عن بأسه فالسيف يسند و العوالى تطلق

ملك البسالة و المكارم و النّهى فعداته منه تغصّ و تشرق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۳۲

ملئت قلوب عداه منه مهابة فمغرّب من خوفه و مشرّق

مولاى يا أسمى الملوك و من غدت عين الزمان إلى سناه تحدّق

لا تقطعوا عنّى الذى عوّدتم فالعبد من قطع العوائد يشفق

لا تحرمونى مطلبى فمحبّتى تقضى لسعيى أنه لا يخفق

فانعم بردّى فى بساطك كاتبا و أعد لما قد كنت فهو الأليق

فاسلم أمير المسلمين لأمّة أفواههم ما إن بغيرك تنطق

و اهنأ بها من ليلة نبويّة جاءت بأكرم من به يتعلّق

صلّى عليه اللّه ما هبّت صبا و اهتزّ غصن فى الحديثة مورق

ثم قال: و هو الآن بحالته الموصوفة؛ انتهى.

## من أبى الحسن النباهى إلى لسان الدين]

و ممّا خوطب به لسان الدين رحمه اللّه تعالى ما حكاه فى «الإحاطة» فى ترجمة القاضى أبى الحسن النباهى، إذ قال ما نصّه: و خاطبنى بسبتة و أنا يومئذ بسلا بقوله: يا أيتها الآية البالغة و قد طمست الأعلام، و الغرّة الواضحة و قد تنكّرت الأيام، و البقيّة الصالحة و قد ذهب الكرام، أبقاكم اللّه تعالى البقاء الجميل، و أبلغكم غاية المراد و منتهى التأميل، أبى اللّه أن يتمكّن المقام بالأندلس بعدكم، و أن يكون سكون النفس إلّا عندكم، سرّ من الكون غريب، و معنى فى التشاكل عجيب، أختصر لكم الكلام، فأقول بعد التحيّة و السلام: تفاقمت الحوادث، و تعاظمت الخطوب الكوارث، و استأسدت الذئاب الأخابث، و نكث الأكثر من ولد سام و حام و يافث، فلم يبق إلّا كاشح باحث، أو مكافح عابث، و يا ليت شعرى من الثالث؟ فحينئذ وجهت وجهى للفاطر الباعث، و نجوت بنفسى لكن منجى الحارث، و قد عبرت البحر كسير الجناح، دامى الجراح، و إنى لأرجو اللّه سبحانه بحسن نيّتكم أن يكون الفرج قريبا، و الصنع عجيبا، فعمادى أعان اللّه على القيام بواجبه، هو الركن الذى ما زلت أميل على جوانبه، و لا تزيد فى الأيام إلّا بصيرة فى الإقرار بفضله و الاعتداد به، و قد وصلنى خطاب سيدى الذى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۳۳

جلّى الشكوك بنور يقينه، و نصح النصح اللائق بعلمه و دينه، و كأنه نظر إلى الغيب من وراء حجاب، فأشار بما أشار به على سارية عمر بن الخطاب، و من العجب أنى عملت بمقتضى إشارته، قبل بلوغ إضبارته، فلّله ما تضمّنه مكتوبكم الكريم من الدّرّ، و حرّره من الكلام الحرّ، و ايم اللّه لو تجسم لكان ملكا، و لو تنسّم لكان مسكا، و لو قبس لكان شهابا، و لو لبس لكان شبابا، فحلّ منى علم اللّه تعالى محل البرء من المريض، و أعاد الأنس بما تضمّنه من التعريض، و الكلم المزرية بقطع الروض الأريض، فقبلته عن راحتكم، و تخيلت أنه مقيم بساحتكم، ثم وردت معينه الأصفى، و كلت من بركات مواعظه بالمكيال الأوفى، و ليست بأول أياديكم، و إحالتكم على اللّه فهو الذى يجازيكم، و بالجملة فالأمور بيد الأقدار، لا إلى المراد و الاختيار: [الطويل]

و ما كلّ ما ترجو النفوس بنافع و لا كلّ ما تخشى النفوس بضرّار

انتهى.

## ترجمة القاضى أبى الحسن النباهى]

قلت: أين هذا الكتاب من الذى قدّمناه عنه فى الباب الثانى، حين أظلم بينه و بين لسان الدين الجوّ و عطفه إلى مهاجاته ثانى، و سفر فى أمره إلى العدوة، و اجتهد فى ضرره بعد أن كان له به القدوة، و قد قابله لسان الدين بما أذهب عن جفنه الوسن، و ألّف فيه كما سبق «خلع الرسن». على أنه عرّف به فى «الإحاطة» أحسن تعريف، و شرّفه بحلاه أجمل تشريف، إذ قال ما ملخّصه: على بن عبد اللّه بن محمد بن محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن محمد بن الحسن، الجذامى، المالقى، أبو الحسن، و يعرف بالنباهى، هذا الفاضل قريع بيت مجادة و جلالة، و بقية تعين و أصالة، عفّ النشأة، طاهر الثوب، مؤثر للوقار و الحشمة، خاطب للشيخوخة، مستعجل للشيبة، ظاهر الحياء، متحرّك مع السكون، بعيد الغور، مرهف الجوانب مع الانكماش، مقتصد فى الملبس و الآلة، متظاهر بالسذاجة، برىء من

النوک و الغفلة، يقظ للمعاريض، مهتد إلى الملاحن، طرف فى الجود، حافظ مقيّد طلعة إخبارى، قائم على تاريخ بلده، شرع فى تكميل ما صنّف فيه، ملازم للتقييد و التطريف، منقر عن الإجادات

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۳۴

و الفوائد، استفدت منه فى هذا الغرض و غيره كثيرا، حسن الخطّ، ناظم ناثر، نثره يشف على نظمه، ذاكر للكثير، استظهر محفوظات منها «النوادر» للقالى، و ناهيک به محفوظا مهجورا، و مسلكا غفلا، فما ظنّک بسواه، نشأ ببلدة حرّ الطعمة، فاضل الأبوّة، و قرأ به، ثم ولى القضاء بملتماس ثم ببلش و عملها، فسيح الخطّة، مطلق الجراية، بعيد المدى فى باب النزاهة، ماضيا غير هيوب حتى أربى فى الزمن القريب على المحتنكين، و غبّر فى وجوه أهل الدربة، و جرت أحكامه مستندة إلى الفتيا، جارية على المسائل المشهورة، ثم نقل منها إلى النظر فى أمور الحلّ و العقد بمالقة مضافة إليه الخطط النبيهة، و صدر له منشور من إملائى، إلى أن قال فى ترجمة نظمه: قال نظمت سمح اللّه تعالى لى قطعتين موطئا فيهما على البيتين المشهورين:

إحداهما: [الطويل]

بنفسى من غزلان حزوى غزالة جمال محيّاها عن النّسک زاجر

تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها و لو أنه النّسر الذى هو طائر

معطّرة الأنفاس رائقة الحلى هواها بقلبى فى المهامه سائر

«إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحبّ: ميعاد السّلوّ المقابر»

و الأخرى: [الطويل]

و قائلة لمّا رأت شيب لمّتى لئن ملت عن سلمى فعذرک ظاهر

زمان التّصابى قد مضى لسبيله و هل لک بعد الشّيب فى الحبّ عاذر

فقلت لها: كلّا و إن تلف الفتى فما لهواها عند مثلى آخر

«سيبقى لها فى مضمر القلب و الحشا سريرة ودّ يوم تبلى السرائر»

و كتب على مثال النعل الكريم، و أهداه لمزمع سفر: [الطويل]

فديتک لا يهدى إليک أجلّ من حديث نبىّ اللّه خاتم رسله

و من ذلک الباب المثال الذى أتى به الأثر المأثور فى شأن نعله

و من فضله مهما يكن عند حامل له نال ما يهواه ساعة حمله

و لا سيما إن كان ذا سفر به فقد ظفرت يمناه بالأمن كلّه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۳۵

فدونک منه أيها العلم الرّضا مثالا كريما لا نظير لمثله

و قال مراجعا عن أبيات يظهر منها غرضها: [الطويل]

إذا كنت بالقصد الصحيح لنا تهوى فسلّم لنا فى حكمنا ودع الشكوى

و لا تتّبع أهواء نفسک و التفت لنا حيث كنّا فى الرخاء و فى اللّأوا

و كم من محبّ فى رضانا و حبّنا محا كلّ ما يبدو سوانا له محوا

رآنا عيانا عين معنى وجوده فعاج عن الشكوى و فوّض فى البلوى

و قال تحكّم كيف شئت بما ترى رضيت بما تقضى و همت بما تهوى

فحلّ لدينا بالخلوص و بالرضا محلّ اختصاص نال منه المنى صفوا

فإن كنت ترجو فى الصبابة و الهوى لحاقا بهم فاسلك طريقهم الأضوا

و مت فى سبيل الحب إن كنت مخلصا لنا فى الهوى تحيا حياة أولى التقوى

هنالك تؤتى ما تريد و تقتضى ديونك منّا دون مطل و لا دعوى

و تشرب من عين اليقين و تغتذى بخمر الصفا الصرف الزلال لكى تروى

و قال: [البسيط]

لا تلجأنّ لمخلوق من الناس من يافث كان أصلا أو من الياس

وثق بربك لا تيأس تجد عجبا فلا أضرّ على عبد من الياس

و قال: [الطويل]

فديتك لا تصحب لئيما، و لا تكن معينا له إنّ اللئيم خؤون

فلا عهد يرعى، لا، و لا نعمة يرى و لا سرّ خلّ عن عداه يصون

و قال يخاطب أبا القاسم عبد اللّه بن يوسف بن رضوان: [الطويل]



لكك اللّه قلبى فى هواك رهين و روحى عنى إن رحلت ظعين

ملكت بحكم الفضل كلّى خالصا و ملككك للحرّ الصريح يزين

فهب لى من نطقى بمقدار ما به يترجم سرّ فى الفؤاد دفين

فقد شملتنا من رضاك ملابس و سحّ لدينا من نداك معين

أعنت على الدهر الغشوم و لم تزل بدنياك فى الأمر المهمّ تعين

و قصّر من لم تعلم النفس أنه خذول إذا خان الزمان يخون

و إنى بحمد اللّه عنه لفى غنى و حسبى صبر عن سواك يصون

أبى لى مجد عن كرام ورثته وقوفا بباب للكريم يهين

و نفس سمت فوق السّماكين همّة و ما كلّ نفس بالهوان تدين

و لمّا رأت عينى محيّاك أقسمت بأنك للفعل الجميل ضمين

و عاد لها الأنس الذى كان قد مضى بريّة إذ شرخ الشباب خدين

بحيث نشأنا لابسين حلى التّقى و كلّ بكلّ عند ذاك ضنين

أما وسنا تلك الليالى و طيبها و وجد غرامى، و الحديث شجون

و فتيان صدق كالشّموس و كالحيا حديثهم ما شئت عنه يكون

لئن نزحت تلك الديار فوجدنا عليها له بين الضّلوع أنين

إذا مرّ حين زاده الشوق جدّة و ليس بعاب للربوع حنين

و أنّى بمسلاها و للبين لذعة أقل أذاها للسليم جنون

لقد عبثت أيدى الزمان بجمعنا و حان افتراق لم نخله يحين

و بعد التقينا فى محلّ تغرّب و كلّ الذى دون الفراق يهون

فقابلت بالفضل الذى أنت أهله و ما لك فى حسن الصنيع قرين

و غبت و ما غابت مكارمك التى على شكرها الربّ العظيم يعين

يمينا لقد أوليتنا منك نعمة تلذّ بها عند العيان عيون

و يقصر عنها الوصف إذ هى كلّها لها وجه حرّ بالحياء مصون

و لمّا قدمت الآن زاد سرورنا و مقدمك الأسنى بذاك قمين

لأنك أنت الروح منّا و كلّنا جسوم، فعند البعد كيف نكون

و لو كان قدر الحبّ فيك لقاؤنا إليك لكنّا باللّزوم ندين

و لكن قصدنا راحة المجد جهدنا فراحته شمل الجميع تصون

هنيئا هنيئا أيها العلم الرضا بما لك فى طىّ القلوب كمين

لك الحسن و الإحسان و العلم و التّقى فحبّك دنيا للمحبّ و دين

و كم لك فى باب الخلافة من يد أقرّت لها بالصّدق منك مرين

و قامت عليها للملوك أدلّة فأنت لديها ما حييت مكين

فلا وجه إلّا و هو بالبشر مشرق و لا نطق إلّا عن علاك مبين

بقيت لربع الفضل تحمى ذماره صحيحا كما قد صحّ منك يقين

و دونك يا قطب المعالى بنيّة من الفكر عن حال المحبّ تبين

أتتك ابن رضوان تمتّ بودّها و ما لسوى الإغضاء منك ركون

فخلّ انتقاد البحث عن هفواتها و مهّد لها بالسّمح حيث تكون

و خذها على علّاتها فحديثها حديث غريب قد عراه سكون

و هو بحاله الموصوفة؛ انتهى باختصار.

### [بين لسان الدين و أبى الحسن بن الجياب]

و لمّا كتب لسان الدين إلى شيخه الرئيس الكاتب أبى الحسن الجياب قصيدة أولها:

[الطويل]

أ مستخرجا كنز العقيق بآماقى أناشدك الرحمن فى الرّمق الباقى

فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى عليك و ضاقت عن زفيرى أطواقى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۳۸

و هى طويلة، أجابه عنها بقوله: [الطويل]

سقانى فأهلا بالمدامة و الساقى سلافا بها قام السرور على ساق

و لا نقل إلّا من بدائع حكمة و لا كأس إلّا من سطور و أوراق

فقد أنشأت لى نشوة بعد نشوة تمدّ بروحانية ذات أذواق

فمن خطّها الفانى متاع لناظرى و سمعى و حظّ الروح من خطّها الباقى

أعادت شبابى بعد سبعين حجّة فأثوابه قد جدّدت بعد إخلاق

و ما كنت يوما للمدامة صاحبا و لا قبلتها قطّ نشأة أخلاقى

و لا خالطت لحمى و لا مازجت دمى كفى شرّها مولاى فالفضل للواقى

و هذا على عهد الشباب فكيف لى بها بعد ماء للشبيبة مهراق

تبصّر فحكما القهوتين تخالفا فكم بين إثبات لعقل و إزهاق

و شتّان ما بين المدامة فاعتبر فكم بين إنجاح لسعى و إخفاق

فتلك تهادى بين ظلم و ظلمة و هذى تهادى بين عدل و إشراق

أيا علم الإحسان غير منازع شهادة إجماع عليها و إصفاق

فضائلك الحسنى علىّ تواترت بمنهمر من سحب فكرك غيداق

خزائن آداب بعثت بدرّها إلىّ و لم تمنن بخشية إنفاق

و لا مثل بكر حرّة عربيّة زكية أخلاق كريمة أعراق

فأقسم ما البيض الحسان تبرّجت تناجيك سرّا بين وحى و إطراق

بدور بدت من أفق أطواقها على رياض شدت فى قطبها ذات أطواق

فناظر منها الأقحوان ثغورها و قابل منها نرجس سحر أحداق

و ناسب منها الورد خدّا مورّدا سقاه الشباب النّضر بورك من ساق!

و ألبسن من صنعاء وشيا منمنما و حلّين من درّ نفائس أعلاق

بأحلى لأفواه، و أبهى لأعين و أحيى لألباب، و أشهى لعشّاق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۳۹

رأيت بها شهب السماء تنزّلت إلىّ تحيّينى تحيّة مشتاق

ألا إنّ هذا السحر لا سحر بابل فقد سحرت قلبى المعنّى فمن راق

لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد أبرّ بأحباب و أوفى بميثاق

تقاضى ديون الشعر منى متبّها رويدك لا تعجل علىّ بإرهاق

فلو نشر الصادان من ملحديهما لإنصاف هذا الدّين لاذا بإملاق

فخذ بزمام الرّفق شيخا تقاصرت خطاه و عاهده بمعهود إشفاق

فلا زلت تحيى للمكارم رسمها و قدرك فى أهل العلا و النّهى راقى

قال: و كتبت إليه فى غرض العتاب قصيدة أولها: [الطويل]

أدرنا وضوء الأفق قد صدع الفضا مدامة عتب بيننا نقلها الرضا

فللّه عينا من رآنا و للحيا جنى بآفاق البشاشة أومضا

نفرّ إلى عدل الزمان الذى أتى و نبرأ من جور الزمان الذى مضى

و نأسو كلوم اللغط باللفظ عاجلا كذا قدح الصهباء داوى و أمرضا

فراجعنى عنها بهذه القصيدة: [الطويل]

ألا حبّذا ذاك العتاب الذى مضى و إن جرّه واش بزور تمضمضا

أغارت له خيل فما ذعرت حمّى و لكنها كانت طلائع للرضا

تألّق منه بارق صاب مزنه على معهد الحبّ الصميم فروّضا

تلألأ نورا للصداقة حافظا و إن ظنّ سيفا للقطيعة منتضى

فإن سوّد الشيطان منه صحيفة أتى ملك الرّحمى عليها فبيّضا

و ما كان حبّ أحكم الصدق عهده ليرمى بوسواس الوشاة فيرفضا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۴۰

أعيذ ودادا زاكى القصد وافيا تخلّص من أدرانه فتمحّضا

و نيّة صدق فى رضا اللّه أخلصت سناها بآفاق البسيطة قد أضا

من الآفك الساعى ليخفى نورها أ يخفى شعاع الشمس قد ملأ الفضا

و كيف يحلّ المبطلون بإفكهم معاقد حبّ أحكمتها يد القضا

تعرّض يبغى هدمها فكأنه لتشييد مبناها الوثيق تعرّضا

و حرّض فى تنفيره فكأنما على البرّ و التسكين و الحبّ حرّضا

و أوقد نارا فهو يصلى جحيمها يقلّب منها القلب فى موقد الغضا

أيا واحدى المعدود بالألف وحده و يا ولدى البرّ الزكى إن ارتضى

بعثت من الدّرّ النفيس قلائدا على ما ارتضى حكم المحبة و اقتضى

نتيجة آداب و طبع مهذّب أطال مداه فى البيان و أعرضا

و لا مثل بكر باكرتنى آنفا كزورة خلّ بعد ما كان أعرضا

هى الروضة الغنّاء أينع زهرها تناظر حسنا مذهّبا و مفضّضا

أو الغادة الحسناء راقت فينقضى مدى العمر فى وصفى لها و هو ما انقضى

تطابق منها شعرها و جبينها فذا الليل مسودّا و ذا الصبح أبيضا

أو الشّهب منها زينة و هداية و رجم لشيطان إذا هو قيّضا

أتت ببديع الشّعر طورا مصرّحا بآياتك الحسنى، و طورا معرّضا

و مهّدت الأعذار دون جناية و لو أنك الجانى لكنت المغمّضا

لك اللّه من برّ وفىّ و صاحب محضت له صدق الضمير فأمحضا

لسانك فى شكرى مفيض تفضّلا فيا حسن ما أهدى و أسدى و أقرضا

و قلبك فاضت فيه أنوار خلّتى فألقى يدى تسليمه لى مفوّضا

و قصدك مشكور و عهدك ثابت و فضلك منشور و فعلك مرتضى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص ۲۴۰

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۴۱

فهل مع هذا ريبة فى مودّة بحال؟ و إن رابت فما أنا معرضا

فثق بولائى إننى لك مخلص هوى ثابتا يبقى فليس له انقضا

عليك سلام اللّه ما هبّت الصّبا و ما بارق جنح الدجنّة أومضا

و قال لسان الدين: من غريب ما خاطبنى به قوله: [الرجز]

أقسم بالقيسين و النابغتين و شاعرى طيىء المولّدين

و بابن حجر و زهير و ابنه و الأعشيين بعد ثم الأعميين

ثمّ بعشّاق الثريّا و الرق يات و عزّة و ميّ و بثين

و بأبى الشيص و دعبل و من كشاعرى خزامة المخضرمين

و ولد المعتزّ و الرضيّ و السّ ريّ ثم حسن و ابن الحسين

و اختم بقسّ و بسحبان و إن أوجب حقّ أن يكونا أوّلين

و حلبتى نثرهم و نظمهم فى مشرقى أقطارهم و المغربين

إنّ الخطيب ابن الخطيب سابق بنثره و نظمه للحلبتين

راقتنى الصحيفة الحسنا التى شاهدت فيها المكرمات رأى عين

تجمع من براعة المعنى إلى براعة الألفاظ كلتا الحسنيين

أشهد أنك الذى سبقت فى طريقى الآداب أقصى الأمدين

شعر حوى جزالة و رقّة تصاغ منه حلّة للشّعريين

رسائل أزهارها منثورة سرور قلب و متاع ناظرين

يا أحوذيّا يا نسيج وحده شهادة تنزهت عن قول مين

بقيت فى مواهب اللّه التى تقرّ عينيك و تملأ اليدين

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۴۲

### [من سعيد بن محمد الغرناطى إلى لسان الدين على ظهر كتاب استعاره منه]

و حكى لسان الدين أن سعيد بن محمد الغرناطى الغسانى استعار منه كتابا، فأرسله إليه، و على ظهره هذه الأبيات: [السريع]

هذا كتاب كلّه معجم أفحمنى معناه إفحاما

أعجمه منشئه أوّلا و زاده الناسخ إعجاما

أسقط من إجماله جملة و زاد فى التفصيل أقساما

و غيّر الألفاظ عن وضعها و صيّر الإيجاد إعداما

فليس فى إصلاحه حيلة ترجى، و لو قوبل أعواما

و لم أقف على جواب لسان الدين له عنها، و اللّه تعالى أعلم.

و ولد سعيد المذكور سنة ۶۹۹.

### [بين أبى الحسن على بن محمد بن البناء الوادى آشى و لسان الدين]

و ممّا خوطب به لسان الدين لمّا تقلّد الكتابة العليا قول أبى الحسن على بن محمد بن على بن البناء الوادى آشى رحمه اللّه تعالى: [البسيط]

هو العلاء جرى باليمن طائره فكان منك على الآمال ناصره

و لو جرى بك ممتدّا إلى أمد لأعجز الشمس ما آبت عساكره

لقد حباه منيع العزّ خالقه بفاضل منك لا تحصى مآثره

فليزه فخرا فما خلق يعارضه و لا علاء مدى الدنيا يفاخره

للّه أوصافك الحسنى لقد عجزت من كلّ ذى لسن عنها خواطره

هيهات ليس عجيبا عجز ذى لسن عن وصف بحر رمى بالدّرّ زاخره

هل أنت إلّا الخطيب بن الخطيب و من زانت حلى الدين و الدنيا مفاخره

فإن يقصّر عن الأوصاف ذو أدب فما بدا منك فى التقصير عاذره

يا ابن الكرام الألى ما شبّ طفلهم إلّا و للمجد قد شدّت مآزره

مهلا عليك فما العلياء قافية و لا العلاء بسجع أنت ناثره

و لا المكارم طرسا أنت راقمه و لا المناقب طبّا أنت ماهره

ما ذا على سابق يسرى إلى سنن إن كان فى رفقه خلّ يسايره

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۴۳

سر حيث شئت من العلياء متّئدا فما أمامك سبّاق تحاذره

أنت الإمام لأهل الفخر إن فخروا أنت الجواد الذى عزّت أوافره

ما بعد ما حزته من عزّة و علا شأو يطارد فيه المجد كابره

نادت بك الدولة النصرىّ محتدها نداء مستنجد أزرا يوازره

حلّيتها برداء البرّ مرتديا و صبح يمنك فجر السّعد سافره

فالملك يرفل فى أبراده مرحا قد عمّت الأرض إشراقا بشائره

فاهنأ بها نعمة ما إن يقوم لها من اللسان ببعض الحقّ شاكره

و ليهنها أنها ألقت مقالدها إلى زكىّ زكت منه عناصره

فإنه بدر تمّ فى مطالعها قد طبّق الأرض بالأنوار نائره

و قال لسان الدين: و أهدى إلىّ قباقب خشب جوز و كتب معها: [الخفيف]

هاكها ضمّرا مطايا حسانا نشأت فى الرياض قضبا لدانا

و ثوت بين روضة و غدير مرضعات من النّمير لبانا

لابسات من الظلال برودا دونها القضب رقّة و ليانا

ثم لمّا أراد إكرامها اللّه و سنّى لها المنى و الأمانا

قصدت بابك العلىّ ابتدارا و رجت فى قبولك الإحسانا

قال: فأجبته: [الخفيف]

قد قبلنا جيادك الدّهم لمّا أن بلونا منها العتاق الحسانا

أقبلت خلف كلّ حجر تبيع خلعت وصفها عليه عيانا

فعنينا برعيها و فسحنا فى ربوع العلا لها ميدانا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۴۴

و أردنا امتطاءها فاتّخذنا من شراك الأديم فيها عنانا

قدمت قبلها كتيبة سحر من كتاب سبت به الأذهانا

مثل ما تجنب الجيوش المذاكى عدّة للقاء مهما كانا

لم يرق مقتلى و لا راق قلبى كعلاها براعة و بيانا

من يكن مهديا فمثلك يهدى لم أجد للثّنا عليك لسانا

و قال لسان الدين: و من أبدع ما هزّ به إلى إقامة سوقه، و رعى حقوقه، قوله: [البسيط]

يا معدن الفضل موروثا و مكتسبا و كلّ مجد إلى عليائه انتسبا

بباب مجدكم الأسمى أخو أدب مستصرخ بكم يستنجد الأدبا
ذلّ الزمان له طورا فبلّغه من بعض آماله فوق الذى طلبا
و الآن أركبه من كلّ نائبة صعب الأعنّة لا يألو به نصبا
فحمّلته دواعى حبّكم و كفى بذاك شافع صدق يبلغ الأربا
فهل سرى نسمة من جاهكم فبها خليفة اللّه فينا يمطر الذهبا

## [ترجمة أبى الحسن على بن محمد بن البناء]

و قال لسان الدين فى «الإكليل» فى حقّ المذكور ما صورته: فاضل يروقك و قاره، و صقر بعد مطاره. قدم من بلده يروم اللحاق بكتّاب الإنشاء و توسل بنظم أنيق، و نسيب فى نسب الإجادة عريق، تعرب براعته عن لسان ذليق، و طبع طليق، و ذكاء بالأثرة خليق، و بينما هو يلحم فى ذلك الغرض و يسدى، و يعيد و يبدى، و قد كادت وسائله أن تنجح، و ليل رجائه أن يصبح، اغتاله الحمام، و خانته الأيام، و البقاء اللّه تعالى و الدوام. توفى بالطاعون فى عام واحد و خمسين و سبعمائة و سنّه دون الثلاثين، رحمه اللّه تعالى! انتهى.

## [من لسان الدين إلى سلطان تونس]

و لمّا خوطب لسان الدين من سلطان تونس بما لم يحضرنى الآن أجاب عنه بما نصّه:
«المقام الإمامى الإبراهيمى المولوى المستنصرى الحفصى، الذى كرم فرعا و أصلا، و شرف جنسا و فصلا، و تملّى فى رعاية المجد، من لدن المهد، كرما و خصلا، و صرفت متجرّدة الأقلام، إلى مثابة خلافته المنصورة الأعلام، وجوه عبارة الكلام، فاتّخذ من مقام إبراهيم
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٤٥
مصلّى، مقام مولانا أمير المؤمنين الخليفة الإمام أبى إسحاق بن مولانا أبى يحيى أبى بكر بن الخلفاء الراشدين، أبقاه اللّه تعالى تهوى إليه الأفئدة كلّما انتشت بذكره! و تتنافس الألسنة فى إحراز غاية حمده و شكره! و تتكفّل الأقدار بإنفاذ نهيه و أمره! و تغرى عوامل عوامله بحذف زيد عدوّه و عمره! و يتبرّع أسمر الليل و أبيض النهار بإعمال بيضه و سمره! و لا زال حسامه الماضى يغنى يومه فى النصر عن شهره، و الروض يحييه بمباسم زهره، و يرفع إليه رقع الحمد ببنان قضبه الناشئة من معصم نهره، و ولى الدنيا و الآخرة يمتعنا بهما بعد الإعانة على مهره، يقبّل بساطه المعوّد الاستلام بصفحات الخدود، الرافع عماده ظلّ العدل الممدود، عبد مقامه المحمود، و وارد غمر إنعامه غير المنزور و لا المثمود، المثنى على نعمه العميمة، و منحه الجسيمة، ثناء الروض المجود، على العهود، ابن الخطيب، من باب المولى الموجب حقّه، المتأكّد الفروض، الثابت العهود، المعتدّ منه بالودّ الجامع الرسوم و الحدود، و الفضل المتوارث عن الآباء و الجدود، يسلم على مثابتها سلام متلو على مثلها إن وجد المثل فى الثانى.
و يعوّد كمالها بالسبع المثانى، و يدعو اللّه تعالى لسلطانها بتشييد المبانى، و تيسير الأمانى، و ينهى إلى علوم تلك الخلافة الفاروقية المقدّسة بما يناسب التوحيد، المستولية من مدارك الآمال على الأمد البعيد، أنّ مخاطبتها المولوية تاهت على الملوك فارعة العلا، مزعفرة الحلل و الحلى، ذهبية المجلى، تفيد العزّ المكين، و الدنيا و الدّين، و ترعى فى الآباء و البنين، على مرّ السنين صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النّاظِرِينَ [سورة البقرة، الآية: ٦٩]، قد حملت من مدحها الكريم ما أخفى للملوك من قرة عين، و درّة زين، جبين الشرف الوضّاح، و مستوجب الحقّ على مثله من الخلق بالنسب الصّراح، و الغرر و الأوضاح، و الأرج الفوّاح، فاقتنى درّه النفيس، و وجد المروع فى جانب الخلافة التنفيس، و قراه لما قراه التعظيم و التقديس، و قال يا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ [سورة النمل، الآية: ٢٩] و إن لم يكن بلقيس، أعلى اللّه تعالى تلك اليد مطوّقة الأيادى، و مخجلة الغمائم و الغوادى، و أبقاها عامرة النوادى، غالبة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۴۶

الأعادى، و جعل سيفها السفّاح و رأيها الرشيد و علمها الهادى، و وصل ما ألطف به رعيها من أشتات برّ بلغت، و موارد فضل سوّغت، أمدّتها سعادة المولى بمدد لم يضر معه البحر الهائل، و لا العدوّ الغائل، و أقام أودها عند الشدائد الفلك المائل، لا بل الملك الذى له إلى اللّه الوسائل، و حسب الجفن رسالتكم الكريمة لحظا فصان و أكرم، و عوذة فتعوّذ بها و تحرّم، و تولى المملوك تنفيق عروضها بانشراح صدره، و على قدره، فوقعت الموقع الذى لم يقعه سواها، فأمّا الخيل فأكرم مثواها، و جعلت جنان الصون مأواها، و لو كسيت الربيع المزهر حللا، و أوردت فى نهر المجرّة علّا و نهلا، و قلّدت النجوم العواتم صحلا، و مسحت أعطافها بمنديل النسيم، و ألحفت بأردية الصباح الوسيم، و افترشت لمرابطها الحشايا، و أقضمت حبات القلوب بالعشايا، لكان بعض ما يجب، لحقّها الذى لا يجحد و لا يحتجب، و ما عداها من الرقيق و القيان، رعاة ذلك الفريق تكفّله الاستحسان، و أطنب الاعتقاد و إن قصر اللسان، تولّى اللّه تعالى تلك الخلافة بالشكر الذى يحسب العطاء، و الحفظ الذى يسبل الغطاء، و الصنع الذى ييسّر من مطا الأمطل الامتطاء، و أمّا ما يختصّ بالمملوك فقد خصّه بقبوله تبرّكا بتلك المقاصد التى سدّدها الدّين، و عدّدها الفضل المبين، و أنشد الخلافة التى راق من مجدها الجبين:

[الكامل]

قلّدتنى بفرائد أخرجتها من بحر جودك و هو ملتطم الثّبج

و رعيت نسبتها فإنّ سبيكة ممّا يلائم لونها قطع السّبج

و المملوك بهذا الباب النصرى أعزّه اللّه تعالى على قدم خدمة، و قائم بشكر منّه لكم و نعمة، و حاضر فى جملة الأولياء بدعائه و حبّه، و متوسّل فى دوام بقاء أيامكم و نصر أعلامكم إلى ربّه، و إن بعد بجسمه فلم يبعد بقلبه، و السلام الكريم، الطيب البرّ العميم، يخصّها دائما متصلا، و رحمة اللّه تعالى و بركاته»؛ انتهى.

## [من أبى الحسن على بن يحيى الفزارى المالقى المعروف بابن البرزى، إلى لسان الدين]

و ممّا خوطب به لسان الدين قول أبى الحسن على بن يحيى الفزارى المالقى المعروف بابن البرزى، و كان ممن يمدح الملوك و الكبراء: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۴۷

لبابك أمّ الآملون و يمّموا و فى ساحتى رحماك حطّوا و خيّموا

و من راحتى كفّيك جدواك تنهمى فتروى عطاش من نداك و تنعم

و أنت لما راموه كعبة حجّهم إذا شاهدوا مرآك لبّوا و أحرموا

يطوفون سبعا حول بابك عندما يلوح لهم ذاك المقام المعظّم

فيمناك يمن للرعايا و منّة و يسراك يسر للعفاة و مغنم

و لقياك بشر للنفوس و جنّة ترنّ بها ورق المنى و ترنّم

فيا واحد الأزمان علما و منصبا و يا من به الدنيا تروق و تبسم

و من وجهه كالبدر يشرق نوره و من جوده كالغيث بل هو أكرم

و من ذكره كالمسك فضّ ختامه و كالشمس نورا بشره المتوسّم

لقد حزت فضل السبق غير منازع فأنت على أهل السباق مقدّم

حويت من العلياء كلّ كريمة بها الروض يندى و الرّبا تتبسّم

و باهيت أقلام الفئام براعة فلا قلم إلّا يراعك يخدم

إذا فاخر الأمجاد يوما فإنما لمجدك فى حال الفخار يسلّم

و إن سكتوا كنت البليغ لديهم تعبّر عن سرّ العلا و تترجم

و منها:

فيا صاحبى نجواى عوجا برامة على ربعه حيث النّدى و التّكرّم

و قولا له عبد ببابك يرتجى قضاء لبانات لديك تتمّم

فليس له إلّا علاك وسيلة و لا شىء أسمى من علاك و أعظم

فجد بالذى يرجوه منك فما له كعقد ثمين من ثنائك ينظم

بقيت و نجم السّعد عندك طالع يضىء له بدر و تشرق أنجم

توفى المذكور بالطاعون عام خمسين و سبعمائة، انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢۴٨

## [من أبى القاسم قاسم بن محمد الحرالى المالقى إلى لسان الدين و ترجمته]

و ممّا خوطب به قول أبى القاسم قاسم بن محمد الحرالى المالقى القاضى قبل وفاته:

[الطويل]

عليك قصرت المدح يا خير ماجد و أفضل موصوف بكلّ المحامد

و يا كهف ملهوف و ملجأ خائف و مورد جود قد كفى كلّ وارد

لقد شهرت بالمجد منك شمائل محاسنها أزكى و أعدل شاهد

و كلّ الذى يبدو من الفضل بعض ما حبيت به، أعظم بها من مشاهد

إذا أمّلت منك المكارم ألفيت تنادى هلمّوا فزتم بالمساعد

عطاؤكم جزل فمن أمّل الغنى فمثلكم يبغى فيا سعد قاصد

وراثة مجد كابرا بعد كابر و أصل زكىّ الفرع عذب الموارد

و توفى المذكور بالطاعون عام خمسين و سبعمائة. و فى حقه يقول فى «الإكليل»: مشمّر فى الطلب عن ساق، مثابر على اللحاق، بدرجات الحذّاق، منتحل للعربية، جادّ فى إحصاء خلافها، و معاطاة سلافها، و ربما شرست فى المذاكرة أخلاقه، إذا بهرجت أعلاقه، و نوزع تمسّكه بالحجّة و اعتلاقه.

و قال لسان الدين فى ترجمة شعر المذكور: إنه ضعيف مهزول، انتهى.

## [من أبى الحجاج يوسف بن موسى الجذامى الرندى، إلى لسان الدين]

و ممّا خوطب به قول أبى الحجاج يوسف بن موسى الجذامى المنتشاقرى من أهل رندة، و نصّه: [الطويل]

حباك فؤادى نيل بشرى و أحياكا وحيد بآداب نفائس حيّاكا

بدائع أبداها بديع زمانه فطاب بها يا عاطر الروض ريّاكا

أ مهديها أودعت قلبى علاقة و إن لم يزل مغرى قديما بعلياكا

إذا ما أشار العصر نحو فريده فإياك يعنى بالإشارة إياكا

لأتحفنى لقياك أسنى مؤمّلى و هل تحفة فى الدهر إلّا بلقياكا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۴۹

و أعقبت إتحافى فرائدك التى وجوب ثناها يا لسانى أعياكا

و وصل هذا النظم بنثر صورته: «خصصتنى أيها المخصوص بمآثر أعيا عدّها و حصرها، و مكارم طيّب أرواح الأزاهر عطرها، و سارت الركبان بثنائها، و شملت الخواطر محبّة علائها، بفرائدك الأنيقة، و فوائدك المزرية جمالا على أزهار الحديقة، و معارفك التى زكت حقّا و حقيقة، و هدت الضالّ عن سبيل الأدب مهيعه و طريقه، و سبق تحفتك أعلى التحف عندى و هو مأمول لقائك، و التمتّع بالتماح سناك الباهر و سنائك، على حين امتدّت لذلكم اللقاء أشواقى، و عظم من فوت استنارتى بنور محيّاك إشفاقى، و تردّد لهجى بما يبلغنى من معاليك و معانيك، و ما شاده فكرك الوقّاد من مبانيك، و ما أهلّت به بلاغتك من دارسه، و ما أضفيت على الزمان من رائق ملابسه، و ما جمعت من أشتاته، و أحييت من أمواته، و أيقظت من سناته، و ما جاد به الزمان من حسناته. فلترداد هذه المحاسن من أنبائك، و تصرّف الألسنة بثنائك، علقت النفس من هواها بأشدّ علاقة، و جنحت إلى لقائك جنوح والهة مشتاقة، و الحوادث الجارية تصرفها، و العوائق الحادثة كلّما عطفت أملها إليه لا تتحفها به و لا تعطفها، إلى أن ساعد الوقت، و أسعد البخت، بلقائكم فى هذه السفرة الجهادية، و جاد إسعاف الإسعاد من أمنيتى بأسنى هديّة، فلقيتكم لقيا خجل، و لمحت أنواركم لمحة على وجل، و محبتى فى محاسنكم الرائقة، و معاليكم الفائقة، على ما يعلمه ربّنا عزّ و جلّ، و تذكرت عند لقائكم المأمول، إنشاء قائل يقول: [البسيط]

كانت مساءلة الركبان تخبر عن محمد بن الخطيب أطيب الخبر

حتى التقينا فلا و اللّه ما سمعت أذنى بأحسن ممّا قد رأى بصرى

«قسم لعمرى أقوله و أعتقده، و أعتدّه و أعتمده، فلقد بهرت منك المحاسن، وفقت من يحاسن، و قصّر عن شأوك كلّ بليغ لسن، و سبقت فطنتك النارية النّورية بلاغة كلّ فطن، و شهد لك الزمان أنك وحيده، و رئيس عصبته الأدبية و فريده، فبورك لك فيما أنلت من الفضائل، و أوتيت من آيات المعارف التى بها نور الغزالة ضائل، و لا زلت ترقى فى مراتب المعالى، موقّى صروف الأيام و الليالى»؛ انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۵۰

## [من لسان الدين إلى أبى الحجاج الجذامى]

و هذا الخطاب جواب من المذكور لكلام خاطبه به لسان الدين نصّه: [الطويل]

حمدت على فرط المشقّة رحلة أتاحت لعينىّ اجتلاء محيّاكا

و قد كنت بالتذكار فى البعد قانعا و بالريح أن هبّت بعاطر ريّاكا

فحلّت لى النّعمى بما أنعمت به علىّ فحيّاها الإله و حيّاكا

«أيها الصدر الذى بمخاطبته يباهى و يتشرّف، و العلم الذى بالإضافة إليه يتعرّف، و الروض الذى لم يزل على البعد بأزهاره الغضّة يتحف. دمت تتزاحم على موارد ثنائك الألسن، و يروى الرواة من أنبائك ما يصحّ و يحسن، طالما مالت إليك النفوس منّا و جنحت، و زجرت الطائر الميمون من رقاعك كلّما سنحت. فالآن اتّضح البيان، و صدّق الأثر العيان، و لقد كنّا للمقام بهذه الرّحال نرتمض، و يجنّ الظلام فلا نغتمض، هذا يقلقه إصفار كيسه، و هذا يتوجّع لبعد أنيسه، و هذا تروّعه الأهوال، و تضجره بتقلّباتها الأحوال. فمن أنّة لا تنفع، و شكوى إلى اللّه تعالى ترفع. فلمّا ورد بقدومك البشير، و أشار إلى ثنيّة طلوعك المشير، تشوفت النفوس الصّديّة إلى جلائها و صقالها، و العقول إلى حلّ عقالها، و الأنفس المفحمة إلى فصل مقالها، ثم إنّ الدهر راجع التفاته، و استدرك ما فاته، فلم

يسمح من لقائك إلّا بلمحة، و لا بعث من نسيم روضك بغير نفحة، فما زاد أن هيّج الأشواق فالتهبت، و شنّ غاراتها على الجوانح فانتهبت، و أعلّ القلوب و أمرضها، و رمى ثغرة الصبر فأصاب غرضها، فإن رأيت أن تنفّس عن نفس شدّ الشوق مخنّقها، و كدّر مشارب أنسها و أذهب رونقها، و تتحف من آدابك بدرر تقتنى، و روضة طيبة الجنى، فليس ببدع من شيمك، و لا شاذّة فى باب كرمك. و لو لا شاغل لا يبرح، و عوائق أكثرها لا يشرح، لنافست هذه السّحاءة فى القدوم عليك، و المثول بين يديك، فتشوّقى إلى اجتلاء أنوارك شديد، و تشيّعى إلى إبلاء الزمان جديد»؛ انتهى.

## [ترجمة أبى الحجاج الجذامى]

و وصف لسان الدين فى «التاج المحلّى» أبا الحجاج المذكور بما صورته: حسنة الدهر الكثير العيوب، و توبة الزمان الجمّ الذنوب، ما شئت من أدب يتألّق، و فضل تتعطّر به النسمات و تتخلّق، و نفس كريمة الشمائل و الضرائب، و قريحة يقذف بحرها بدرر الغرائب، إلى خشية

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۵۱

للّه تعالى تحول بين القلوب و قرارها، و تثنى النفوس عن اغترارها، و لسان يبوح بأشواقه، و جفن يسخو بدرر آماقه، و حرص على لقاء كل ذى علم و أدب، و من يمتّ إلى أهل الديانة و العبادة بسبب، سبق بقطره الحلبة، و فرع من الأدب الهضبة، و رفع الراية، و بلغ فى الإحسان الغاية، فطارت قصائده كلّ المطار، و تغنّى بها راكب الفلك و حادى القطار، و تقلّد خطّة القضاء ببلده، و انتهت إليه رياسة الأحكام بين أهله و ولده، فوضحت المذاهب بفضل مذهبه، و حسن مقصده. و له شيمة فى الوفاء تعلّم منها الأس، و مؤانسة عذبة لا تستطيعها الأكؤس، و قد أثبتّ من كلامه ما تتحلى به مراتب المهارق، و يجعل طيبه فوق المفارق.

و كنت أتشوّق إلى لقائه، فلقيته بالمحلّة من جبل الفتح لقيا لم تبلّ صدا، و لا شفت كمدا، و تعذّر بعد ذلك لقاؤه، فخاطبته بهذه الرقعة:

حمدت على فرط المشقة رحلة فذكر لسان الدين ما قدّمنا إلى آخره.

و قد أورد جملة من مطولاته و غيرها و مؤلّفاته، و لنلخّص بعض ذلك فنقول:

و من شعر أبى الحجاج المذكور يمدح الجهة الكريمة النبوية، مصدّرا بالنسيب لبسط الخواطر النفسانية، قوله: [الكامل]

لما تناهى الصّبّ فى تشويقه درر الدموع اعتاضها بعقيقه

متلهّف و فؤاده متلهّب كيف البقا بعد احتدام حريقه

متموّج بحر الدموع بخدّه أنّى خلاص يرتجى لغريقه

متجرع صاب النوى من هاجر ما إن يحنّ للاعجات مشوقه

يسبى الخواطر حسنه ببديعه يصبى النفوس جماله بأنيقه

قيد النواظر إذ يلوح لرامق لا تنثنى الأحداق عن تحديقه

للبدر لمحته كبشر ضيائه للمسك نفحته كنشر فتيقه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۵۲

سكرت خواطر لامحيه كأنهم شربوا من الصهباء كأس رحيقه

عطشوا لثغر لا سبيل لريقه إلّا كلمحهم للمع بريقه

ما ضرّ مولى عاشقوه عبيده لو رقّ إشفاقا لحال رقيقه

عنه اصطبارى ما أنا بمطيعه مثل السّلوّ و لا أنا بمطيقه

سجع الحمام يشوق ترجيع الهوى فأثار شجو مشوقه بمشوقه

و بكت هديلا راعها تفريقه و يحقّ أن يبكى أخو تفريقه

و بكاء أمثالى أحقّ لأننى لم أقض للمولى أكيد حقوقه

و غفلت فى زمن الشباب المنقضى أقبح بنسخ بروره بعقوقه

و بدا المشيب و فيه زجر ذوى النّهى لو كنت مزدجرا لشيم بروقه

حسبى ندامة آسف ممّا جنى يصل النشيج لوزره بشهيقه

و يروم ما خرم الهوى زمن الصّبا و يروم من مولاه رتق فتوقه

و يردّد الشكوى لديه تذلّلا علّ الرضا يحييه درك لحوقه

فيصحّ من سكر التصابى سكره نسخا لحكم صبوحه و غبوقه

لو كنت يممت التّقى و صحبته و سلكت إيثارا سواء طريقه

لأفدت منه فوائدا و فرائدا عرضت تسام لرائج فى سوقه

للّه أرباب القلوب فإنهم من حزب من نال الرّضا و فريقه

قاموا و قد نام الأنام فنورهم هتك الدّجى بضيائه و شروقه

و تأنّسوا بحبيبهم فلهم به بشر لصدق الفضل فى تحقيقه

قصّرت عنهم عندما سبقوا المدى و لسابق فضل على مسبوقه

لو لا رجاء تلمّح من نورهم يحيى الفؤاد بسيره و طروقه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٥٣

و تأرّج يستاف من أرواحهم سبب انتعاش الروح طيب خلوقه

لعنيت من جرّا جرائرى التى من خوفها قلبى حليف خفوقه

و معى رجاء توسّل أعددته ذخرا لصدمات الزمان و ضيقه

حبّى و مدحى أحمد الهادى الذى فوز الأنام يصحّ فى تصديقه

أسمى الورى فى منصب و بمنسب من هاشم زاكى النّجار عريقه

الحقّ أظهره عقيب خفائه و الدّين نظّمه لدى تفريقه

و نفى هداه ضلالة من جائر مستوثق بيغوثه و يعوقه

سبحان مرسله إلينا رحمة يهدى و يهدى الفضل من توفيقه

و المعجزات بدت بصدق رسوله و حقيقه بالمأثرات خليقه

كالظّبى فى تكليمه و الجذع فى تحنينه و البدر فى تشقيقه

و النار إذ خمدت بنور ولادة و أجاج ماء قد حلا من ريقه

و الزاد قلّ فزاد من بركاته فكفى الجيوش بتمره و سويقه

و نبوع ماء الكفّ من آياته و سلام أحجار بدت بطريقه

و النخل لمّا أن دعاه مشى له ذا سرعة بعذوقه و عروقه

و الأرض عاينها و قد زويت له فقريب ما فيها رأى كسحيقه

و كذا ذراع الشاة قد نطقت له نطق اللسان فصيحه و ذليقه

و رمى عداه بكفّ حصبا فانثنت هربا كمذعور الجنان فروقه

و عليه آيات الكتاب تنزّلت تتلى بعلو جنابه و بسوقه

و أذيق من كأس المحبة صرفها سبحان ساقيه بها و مذيقه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۵۴

حاز السّناء و ناله بعروجه جاز السماء طباقها بخروقه

و لكم له من آية من ربّه و عناية و رعاية بحقوقه

يا خيرة الأرسال عند إلهه يا محرز العليا على مخلوقه

علّقت آمالى بجاهك عدّة و القصد ليس يخيب فى تعليقه

و علقت من حبل اعتمادى عمدة لتمسّكى بقويّه و وثيقه

و لئن غدوت أخيذ ذنبى إننى أرجو بقصدك أن أرى كطليقه

و كساد سوقى مذ لجأت لبابكم يقضى حصول نفوذه و نفوقه

و يحنّ قلبى و هو فى تغريبه لمزاره لرباك فى تشريقه

و تزيد لوعته متى حثّ السّرى حاد حدا بجماله و بنوقه

و أرى قشيب العمر أمسى باليا و مرور دهرى جدّ فى تمزيقه

و أخاف أن أقضى و لم أقض المنى بنفوذ سهم منيّتى و مروقه

فمتى أحطّ على اللوى رحلى و قد بلغت ركابى للحمى و عقيقه

و أمرّغ الخدين فى ترب غدا كالمسك فى أرج شذا منشوقه

و أعيد إنشائى و إنشادى الثنا ببديع نظم قريحتى و رقيقه

حتّى أميل العاشقين تطرّبا كالغصن مرّ صبا على ممشوقه

و تحيّة التسليم أبلغ شافع و ثنا المديح حديثه و عتيقه

و لذى الفخار و ذى الحلى و وزيره صدّيقه و أخى الهدى فاروقه

منى السلام عليهم كالزّهر فى تأليفها و الزّهر فى تأنيقه

و قال: [الطويل]

هواكم بقلبى ما لأحكامه نسخ و من أجله جفنى بمدمعه يسخو

و من نشأتى ما إن صحت منه نشوتى سواء به عصر المشيب أو الشّرخ

عليه حياتى مذ تمادت و ميتتى و بعثى إذا بالصّور ينّفق النفخ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۵۵

ولى خلد أضحى يبيض غرامه و لا شرك يدنى إليه و لا فخّ

قتلت سلوّى حين أحييت لوعتى و ما اجتيح بالإقرار فى حالتى لطخ

و أغدو إلى سعدى بكرخ علاقتى و قصدى قصدى ليس سعدى و لا الكرخ

و ناصح كتمى إذ زكت بيّناته يجول عليه من دموع الأسى نضخ

و أرجو بتحقيقى هواكم بأن أفى فعهد و لا نقض و عقد و لا فسخ

و ما الحبّ إلّا ما استقلّ ثبوته لمبناه رصّ فى الجوانح أو رسخ

إذا مسلك لم يستقم بطريقه سلكت اعتدالا مثل ما يسلك الرخّ

بدا لضميرى من سناكم تلمّح فبخّ لعقل لم يطر عندها بخّ

على عود ذاك اللّمح ما زلت نادبا كما تندب الورقاء فارقها الفرخ

يدى بأياديكم و قلبى شاغل فمن فكرتى نسج و من أنملى نسخ

و قال: [الطويل]

إليك تحنّ النّجب و النّجباء فهم وهى فى أشواقهم شركاء

تخبّ بركّاب تحبّ وصولها لأرض بها باد سنا و سناء

فأنفاسها ما إن ثنى صعداؤها و أنفسهم من فوقها سعداء

هم عالجوا إذ عجّل السير داءهم و أشباه مثلى مدنفون بطاء

فعدت و دونى للحبيب ترحّلوا و ما قاعد و الراحلون سواء

له و عليه حبّ قلبى و أدمعى و قد صحّ لى حبّ و سحّ بكاء

بطيبة هل أرضى و تبدو سماؤها؟ و أن تك أرضا فالحبيب سماء

شذا نفحها و اللّمح منها كأنه ذكاء عبير و الضّياء ذكاء

فيا حاديا غنّى و للرّكب حاديا عنائى بعد البعد عنك عناء

بسلع فسل عمّا أقاسى من الهوى و سل بقباء إذ يلوح قباء

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۵۶

و فى عالج منّى بقلبى لاعج فهل لى علاج عنده و شفاء

و فى الرقمتين أرقم الشوق لاذع و درياقه أن لو يباح لقاء

أماكن تمكين و أرض بها الرضا و أرجاء فيها للمشوق رجاء

و قال: [الكامل]

أدب الفتى فى أن يرى متيقّظا لأوامر من ربّه و نواه

فإذا تمسّك بالهوى يهوى به و الحبل منه لمن تيقّن واه

و قال: [المنسرح]

يا من بدنياه ظلّ فى لجج حقّق بأنّ النجاة فى الشاطى

تطمع فى إرثك الفلاح و قد أضعت ما قبله من اشراط

كن حذرا فى الذى طمعت به من حجب نقص و حجب إسقاط

و قال: [الطويل]

ترى شعروا أنى غبطت نسيمة ذكت بتلاقى الروض غبّ الغمائم

كما قابلت زهر الرياض و قبّلت ثغور أقاحيه بلا لوم لائم

و قال: [الكامل]

ورد المشيب مبيّضا بوروده ما كان من شعر الشبيبة حالكا

يا ليته لو كان بيّض بالتّقى ما سوّدته مآثم من حالكا

إنّ المشيب غدا رداء للردى فإذا علاك أجدّ فى ترحالكا

و قال: [الخفيف]

لوعة الحبّ فى فؤادى تعاصت أن تداوى و لو أتى ألف راق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۵۷

كيف يبرا من علّة و عليها زائد علّة النوى و الفراق

فانسكاب الدموع جار فجار و التهاب الضلوع راق فراق

و من غرائب الاتفاق أنه قال: كنت جالسا بين يدى الخطيب أبى القاسم التاكرونى صبيحة يوم بمسجد مالقة، فقال لنا فى أثناء حديثه: رأيت البارحة فى عالم النوم كأنّ أبا عبد اللّه الجليانى يأتينى ببيتى شعر فى يده، و هما: [الخفيف]

كلّ علم يكون للمرء شغلا بسوى الحق قادح فى رشاده

فإذا كان فيه للّه حظّ فهو ممّا يعدّه لمعاده

قال: فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الأديب أبو عبد اللّه الحليانى، و البيتان معه، فعرضهما على الشيخ، فأخبره أنه صنعهما البارحة، فقال له كلّ من فى المجلس: أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك، فكان هذا من العجائب.

و لأبى الحجاج المذكور تآليف، منها كتاب «ملاذ المستعين، فى بعض خصائص سيد المرسلين» أربعون حديثا، و كتاب «تخصيص القرب، و تحصيل الأرب» و «قبول الرأى الرشيد، فى تخميس الوتريات النبوية لابن رشيد» و «انتشاق النسمات النجدية، و اتّساق النزعات الجدية» و «غرر الأمانى المسفرات، فى نظم المكفّرات» و «النفحات الرّندية، و اللمحات الزّندية» مجموع شعره، و «حقائق بركات المنام، فى مرأى المصطفى خير الأنام» و «الاستشفاء بالعدة، و الاستشفاع بالعمدة، فى تخميس البردة» و «توجّع الراثى، فى تنوّع المراثى» و «اعتلاق السائل، بأفضل الوسائل» و «لمح البهيج، و نفح الأريج» فى ترجيز كلام الشيخ أبى مدين من عبارات حكمية و إشارات صوفية، و كتاب «تجريد رؤوس مسائل البيان و التحصيل، لتيسير البلوغ لمطالعتها و التوصيل» و فهرسة روايته، و رجز ذكر مشايخ أبى عمر الطنجى، و كتاب «أرج الأرجاء، فى مزج الخوف و الرجاء» أربعون حديثا فى الرجاء و الخوف.

و كان رحمه اللّه تعالى حيّا حين ألّف لسان الدين «الإحاطة» رحم اللّه تعالى الجميع!.

و رأيت على ظهر أوّل ورقة من «الريحانة» بخطّ الإمام الكبير الشهير الشيخ إبراهيم الباعونى الدمشقى رحمه اللّه تعالى ما نصّه: قال كاتبه إبراهيم بن أحمد الباعونى- غفر اللّه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۵۸

ذنوبه، و ستر عيوبه، و بلّغه من فضله مطلوبه!- صاحب كتاب الريحانة، آية من آيات اللّه سبحانه، لوجه أدبه طلاقه، و للسانه ذلاقه، و للقلوب به علاقة، و فى خطّه غلاقة، يعرفها من عرف اصطلاحه بمطالعته، و ينفتح له باب فهمها بتكرير مراجعته، فليتأمّل الناظر إليه، و المقبل عليه، ما فيه من الجواهر، و النجوم الزواهر، بل الآيات البواهر، و ليسبّح اللّه تعالى تعجبا من قدرته جلّ و علا، و مواهبه التى عذب ماؤها النّمير و حلا، و ليقل عند تأمّل درّه النظيم ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [سورة الحديد، الآية: ۲۱] انتهى.

و قوله رحمه اللّه تعالى «و فى خطّه غلاقة» ليس المراد به إلّا صعوبة الخطّ المغربى على أهل المشرق حسبما يعلم ممّا بعده، و إلّا فإنّ خطّ لسان الدين رحمه اللّه تعالى محمود عند المغاربة، و لنقتصر من هذا الغرض على ما ذكر، فإن تتبعه يطول؛ إذ هو بحر لا ساحل له.

## [ثناء ابن عاصم على لسان الدين]

و كان لسان الدين رحمه اللّه تعالى مؤثرا لقضاء حاجة من أمّله، و قصد بابه و أمّ له، سواء كان من أودّائه، أو من أعدائه، و قد ذكر

الوزير الرئيس الكاتب أبو يحيى بن عاصم رحمه اللّه تعالى عنه فى ذلك حكاية فى أثناء كلام رأيت أن أذكر جملته لما اشتمل عليه من الفائدة، و هو أنه ذكر فى ترجمة شموس العصر من ملوك بنى نصر من كتابه المسمّى ب «الروض الأريض» فى اسم السلطان الذى كان ابن الخطيب وزيره، و هو الغنى بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر الخزرجى، بعد كلام ما صورته: كان قد جرى عليه التمحيص الذى أزعجه عن وطنه إلى الدار البيضاء بالمغرب من إيالة بنى مرين، فأفادته الحنكة و التجربة هذه السيرة التى وقف شيوخنا على حقيقتها، و انتهجوا واضح طريقتها، و بلغتنا منقولة بألسنة صدقهم، معبرا عنها فى عرف التخاطب بالعادة، فلم يكن الوزير الكيّس و الرئيس الجهبذ يجريان من الاستقامة على قانون، و لا يطّردان من الصواب على أسلوب، إلّا بالمحافظة على ما رسم من القواعد، و المطابقة لما ثبت من العوائد، و كان ذوو النبل من هذه الطبقة و أولو الحذق من أرباب هذه المهن السياسية يتعجّبون من صحة اختياره لما رسم، و جودة تمييزه لما قصد، و يرون المفسدة فى الخروج عنها ضربة لازب، و أنّ الاستمرار على مراسمها آكد واجب، فيتحرّونها بالالتزام كما تتحرّى السنن، و يتوخّونها بالإقامة كما تتوخّى الفرائض، و سواء تبادر لهم معناها ففهموه، أو خفى عليهم وجه رسمها فجهلوه، حدثنى شيخنا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۵۹

القاضى أبو العباس أحمد بن أبى القاسم الحسنى أن الرئيس أبا عبد اللّه بن زمرك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبى عبد اللّه بن الخطيب يستأذنه فى جملة مسائل ممّا يتوقّف عادة على إذن الوزير، و كان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبى عبد اللّه بن زمرك، قال الشريف: فأمضاها كلّها له، ما عدا واحدة منها تضمّنت نقض عادة مستمرّة، فقال له ذو الوزارتين بن الخطيب: لا، و اللّه يا رئيس أبا عبد اللّه لا آذن فى هذا، لأنّا ما استقمنا فى هذه الدار إلّا بحفظ العوائد.

ثم قال صاحب الروض: فلما تأذّن اللّه تعالى للدولة بالاضطراب، و استحكم الوهن بتمكّن الأسباب، عدل عن تلك القواعد الراسخة، و استخفّ بتلك القوانين الثابتة، فنشأ من المفاسد ما أعوز رفعه، و تعذّر و تره و شفعه، و استحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه، و تعذر فيه الدواء الذى يرجى نفعه، و كان قد صحبه من الجد ما سنّى آماله، و أنجح بإذن اللّه تعالى أقواله و أفعاله، فكان يجرى الأمر على رسم من السياسة واضح، و نظر من الآراء السديدة راجح، ثم يحفّه من الجد سياج لا يفارقه إلى تمام الغاية المطلوبة من حصوله، و تمكن مقتضى الإرادة السلطانية من فروعه و أصوله؛ انتهى كلام ابن عاصم.

## [ترجمة الوزير أبى يحيى محمد بن محمد بن عاصم]

و إذ جرى ذكره فلا بأس أن نلمع بشىء من أحواله؛ لأنّ أهل الأندلس كانوا يسمّونه ابن الخطيب الثانى، فنقول:

هو الإمام العلامة الوزير الرئيس الكاتب الجليل البليغ الخطيب الجامع الكامل الشاعر المفلق الناثر الحجّة، خاتمة رؤساء الأندلس بالاستحقاق، و مالك خدم البراعة بالاسترقاق، أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم، القيسى، الأندلسى، الغرناطى، قاضى الجماعة بها، كان- رحمه اللّه تعالى!- من أكابر فقهائها و علمائها و رؤسائها، أخذ عن الإمام المحقّق أبى الحسن بن سمعت، و الإمام القاضى أبى القاسم بن سراج، و الشيخ الراوية أبى عبد اللّه المنثورى، و الإمام أبى عبد اللّه البيانى، و غيرهم، و من تآليفه شرح تحفة والده، و ذكر فيه أنه ولى القضاء سنة ثمان و ثلاثين و ثمانمائة، و منها كتاب «جنة الرضا، فى التسليم لما قدر اللّه تعالى و قضى» و كتاب «الروض الأريض، فى تراجم ذوى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۶۰

السيوف و الأقلام و القريض» كأنه ذيّل به إحاطة لسان الدين بن الخطيب، و له غير ذلك، و قد أطلت الكلام فى ترجمته من كتابى «أزهار الرياض، فى أخبار عياض، و ما يناسبها ممّا يحصل للنفس به ارتياح و للعقل ارتياض».

و وصفه ابن فرج السبتى بأنه الأستاذ العلم الصدر المفتى القاضى رئيس الكتّاب، و معدن السماحة، و منبع الآداب؛ انتهى.

و قد تقدّم بعض كلامه فيما مرّ، و من بديع نثره الذى يسلك به نهج ابن الخطيب رحمه اللّه تعالى قوله من كلام جلبت جملته فى «أزهار الرياض»، و اقتصرت هنا على قوله بعد الحمدلة الطويلة ما صورته: أمّا بعد، فإن اللّه على كل شىء قدير، و إنه بعباده لخبير بصير، و هو لمن أهل نيّته، و أخلص طويّته، نعم المولى و نعم النصير، بيده الرفع و الخفض، و البسط و القبض، و الرشد و الغى، و النشر و الطّى، و المنح و المنع، و الضرّ و النفع، و البطء و العجل، و الرزق و الأجل، و المسرّة و المساءة، و الإحسان و الإساءة، و الإدراك و الفوت، و الحياة و الموت، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، و هو الفاعل على الحقيقة و تعالى اللّه عمّا يقول الآفكون، و هو الكفيل بأن يظهر دينه على الدين كلّه و لو كره المشركون، و إن فى أحوال الوقت الداهية لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد، و عبرة لمن يفهم قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ [سورة الحج، الآية: ۱۸] و إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ [سورة المائدة، الآية: ۱] بينما الدسوت عامرة، و الولاة آمرة، و الفئة مجموعة، و الدعوة مسموعة، و الإمرة مطاعة، و الأجوبة سمعا و طاعة، و إذا بالنعمة قد كفرت، و الذمة قد خفرت، إلى أن قال:

و السعيد من اتّعظ بغيره، و لا يزيد المؤمن عمره إلّا خيرا جعلنا اللّه تعالى ممّن قضى عمره بخيره، و بينما الفرقة حاصلة، و القطيعة فاصلة، و المضرّة واصلة، و الحبل فى انبتات و الوطن فى شتات، و الخلاف يمنع رعى متات، و القلوب شتى من قوم أشتات، و الطاغية يتمطّى لقصم الوطن و قضمه، و يلحظه لحظ الخائف على هضمه، و الأخذ بكظمه، و يتوقّع الحسرة أن يأذن اللّه بجمع شمله و نظمه، على رغم الشيطان و رغمه، و إذا بالقلوب قد ائتلفت، و المتنافرة قد اجتمعت بعد ما اختلفت، و الأفئدة بالألفة قد اقتربت إلى اللّه تعالى و ازدلفت، و المتضرّعة إلى اللّه تعالى قد ابتهلت، فى إصلاح الحالة التى سلفت، فألقت الحرب أوزارها، و أدنت

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۶۱

الفرقة النافرة مزارها، و جلت الألفة الدينية أنوارها، و أوضحت العصمة الشرعية آثارها، و رفعت الوحشة الناشبة أظفارها أعذارها، و أرضت الخلافة الفلانية أنصارها، و غضت الفئة المتعرّضة أبصارها، و يصلح اللّه تعالى أسرارها، فجمعت الأوطان بالطاعة، و التزمت نصيحة الدين بأقصى الاستطاعة، و تسابقت إلى لزوم السّنّة و الجماعة، و ألقت إلى الإمامة الفلانية يد التسليم و الضراعة، فتقبّلت فيئاتهم، و أحمدت جيئاتهم، و أسعدت آمالهم، و ارتضيت أعمالهم، و كملت مطالبهم، و تمّت مآربهم، و قضيت حاجاتهم، و استمعت مناجاتهم، و ألسنتهم بالدعاء قد انطلقت، و وجهتهم فى الخلوص قد صدقت، و قلوبهم على جمع الكلمة قد اتّفقت، و أكفّهم بهذه الإمامة الفلانية قد اعتقلت، و كانت الإدالة فى الوقت على عدوّ الدين قد ظهرت و برقت، إلى أن قال: و كفّت القدرة القاهرة، و العزّة الباهرة، من عدوان الطاغية غوائل، بإعزاز دين اللّه الموعود بظهوره على الدين كلّه فواتح و أوائل، و معلوم بالضرورة أنّ اللّه تعالى لطيف بعباده حسبما شهد بذلك برهان الوجود، (و إن تعدّوا نعمة اللّه لا تحصوها) دليل على ما سوّغ من الكرم و الجود؛ انتهى المقصود منه، و هو كلام بليغ، و من أراد جملته فعليه بأزهار الرياض.

و من نظم ابن عاصم المذكور قوله مخاطبا شيخه قاضى الجماعة أبا القاسم بن سراج، و قد طلب الاجتماع به زمن فتنة، فظنّ أنه يستخبره عن سرّ من أسرار السلطان، فأعدّه معتذرا، و لم يصدق الظنّ: [الطويل]

فديتك لا تسأل عن السّرّ كاتبا فتلقاه فى حال من الرشد عاطل

و تضطرّه إمّا لحالة خائن أمانته أو خائض فى الأباطل

فلا فرق عندى بين قاض و كاتب و شى ذا بسرّ أو قضى ذا بباطل

و من بديع ما نظم فى مدح الرئيس أبى يحيى بن عاصم المذكور قول العلامة ابن الأزرق رحمه اللّه تعالى: [الكامل]

خضعت لمعطفه الغصون الميّس ورنا فهام بمقلتيه النرجس

ذو مبسم زهر الرّبا فى كسبه متنافس عن طيبه متنفس

و مورّد من ورده أو ناره يتنعم القلب العميد و ييأس

فالورد فيه من دموعى يرتوى و النار فيه من ضلوعى تقبس

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۶۲

كملت محاسنه فقدّ ناظر و لواحظ نجل و ثغر ألعس

صعب التعطّف بالغرام حبيته فالحبّ يحبى و التعطّف يحبس

غرس التشوّق ثم أغرى الوجد بى فالوجد يغرى و التشوّق يغرس

ما كنت أشقى لو حللت بجنّة من وصله تحيا لديها الأنفس

ألحاظه و رضابه و عذاره حور بها أو كوثر أو سندس

و ليال أنس قد أمنت بهنّ من واش ينمّ و من رقيب يحرس

أطلعت شمس الراح فيها فاهتدى عاش إلينا فى الدّجى و مغلّس

صفراء كالعقيان فى الألوان لل ندمان كالشّهبان منها أكؤس

صبّت شقيقا فاستحالت نرجسا فى مزجها فمورّد و مورّس

و حبابها يغنى بأسنى جوهر أنفى لغمّ المعدمين و أنفس

يجلى بها للغمّ منها حندسا قمر عليه من الذؤابة حندس

حتى إذا عمشت مراة البدر من صبح بدا تلقاه إذ يتنفّس

ناديته وسنا الصباح محصحص ينجاب عنه من الظلام معسعس

يا مطلع الأنوار زهرا يجتنى و مشعشع الصهباء نارا تلمس

بك مجلس الأنس اطمأنّ و بابن عا صم اطمأنّ من الرياسة مجلس

بدر بأنوار الهدى متطلّع غيث بأشتات الندى متبجّس

حامى فلم نرتع لخطب يعترى و وفى فلم نحفل بدهر يبخس

شيم مهذّبة و علم راسخ و مكارم هتن و مجد أقعس

لو كان شخصا ذكره لبدا على أعطافه من كلّ حمد ملبس

ذاكم أبو يحيى به تحمى العلا و به خلال الفخر طرّا تحرس

بيت على عمد الفخار مطنّب مجد على متن السّماك مؤسّس

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۶۳

خيّم و عرّس فى حماه فكم حوى فيه المراد مخيّم و معرّس

إنّا لنغدو هيّما فينيلنا ريّا و يوحشنا النوى فيؤنّس

حتى أقمنا و الأمانى منهضا ت و ابتسمنا و الزمان معبّس

لم نذر قبل يراعه و بنانه أنّ الذوابل بالغمائم تبجس

هنّ اليراع بها يؤمّن خائف و يحاط مذعور و يغنى مفلس

مهما انبرت فهى السهام يرى لها وقع لأغراض البيان مقرطس

يشفى بمأمله الشكىّ المعترى يحيى بمأمنه الحمام المؤيس

فتقصّ حين تشقّ منها ألسن و تسير حين تقطّ منها أرؤس

من كلّ وشّاء بأسرار النّهى درب بإظهار السرائر يهجس

قد جمّع الأضداد فى حركاته فلذا اطّراد فخاره لا يعكس

عطشان ذو ريّ، يبيس مثمر، غضبان ذو صفح، فصيح أخرس

للّه من تلك اليراع جواذب للسحر منك كأنها المغنيطس

رضنا شماس القول فى أوصافها فهى التى راضت لنا ما يشمس

و إليكها حللا تشابه نسجها مثلى يفضّلها و مثلك يلبس

و اهنأ بعيد باسم متهلّل وافاك و مثلك يلبس

و اهنأ بعيد باسم متهلّل وافاك يجهر بالسرور و يهمس

و احبس لواء الفخر موقوفا فإنّ الحمد موقوف عليك محبّس

قلت: و عندى الآن شكّ فى صاحب هذه القصيدة، هل هو قاضى الجماعة بغرناطة محمد بن الأزرق أو ابن الأزرق الثانى القائل فيما يكتب على السيف: [البسيط]

إن عمّت الأفق من نقع الوغى سحب فشم بها بارقا من لمع إيماضى

و إن نوت حركات النصر أرض عدا فليس للفتح إلّا فعلى الماضى

و اللّه سبحانه أعلم.

و من إنشاء الرئيس ابن عاصم المذكور ما كتب به يخاطب الكاتب أبا القاسم بن طركاط،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۶۴

و هو: «القضاء- حفظ اللّه تعالى كمالك، و أنجح آمالك!- إذا لم يحطه العدل من كلا جانبيه سبيل معوجّ، و مذهب لا يوافق عليه مناظر و لا ينصره محتجّ، كما أنه إذا حاطه العدل جادة للنجاة، و سبب فى حصول رحمة اللّه تعالى المرتجاة، و سوق لنفاق بضاعة العبد المزجاة، و أجمل العدل ما تحلّى به فى نفسه الحكم، و جرى على مقتضى ما شهدت به الآراء المشهورة و الحكم، حتى يكون عن البغى رادعا، و بالقسط صادعا، و لأنف الأنفة من الإذعان للحقّ جادعا، و أنت أجلّك اللّه تعالى على سعة اطّلاعك، و شدّة ساعد قيامك بالطريقة و اضطلاعك، ممّن لا- يتبّه على ما ينبغى، و لا- يردّ على طلبته من الإنصاف المبتغى، فلك فى الطريقة القاضوية التبريز، و أنت إذا كان غيرك الشبه الذهب الإبريز، و لعلمية عدلك التوشية بالنزاهة و التطريز، و ليتنى كنت لمظهرك الحكمى حاضرا، و لإعلام القضاة بآرائك المرتضاة محاضرا، و الوازع قد تمرّس بالخصوم، و جعل المتصدى للإذن فى محلّ المخصوم، و أنت حفظك اللّه تعالى قد قمت من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم، و مثلت من سعة المنزل فى الفضل و الطول كالشهر المصوم، و الباب قد سدّ، و داعى الشفاعة قد ردّ، و الميقات للإذن قد حدّ، و مطلب الأجرة المتعارفة قد بلغ الأشدّ، حتى إذا قضى الواجب، و أذن فى دخول الخصمين الحاجب، و أولج السابقين إلى الحدّ الذى لا يعدونه، و حفز إيماؤه من تعدّاه أو وقف دونه، و قد حصل باللحظ و اللفظ التساوى، و أنتج المطالب الأربعة هذا اللازم المساوى، و مجلسك قد رجح وقاره برضوى، و مجتلاك قد فضح نوره البدر الأضوا، و قد امتزت عن سواك من القضاة بمراسم لا- تليق بجملتهم معارفها، و تخصّصت عنهم بملابس تعجّ عجيجا من جذامهم مطارفها، بحيث تحدّ لخلع النعلين حدّا لا- يتجاز طواه، و تسدّ فى بعض الأوقات الباب سدّا لا- ترقع بالمحاجر كواه، و تفصل بين الخصمين أحيانا بالنيّة دون الكلام و لكل امرئ ما نواه. و هذه أعانك اللّه تعالى مكملات من العدل فى الحكم وقف عياض دون تحقيق مناطها، و أعيت ابن رشد فلم يهتد بيانه و لا تحصيله لاستنباطها، فما بال النازحة عنك حسّا و معنى، النازلة من تقاضى دينك بمنزلة الممطول المعنّى، المعتقلة من ملكة رقّك بحيث

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۶۵

أقصاها لاعج الشوق، المعذبة من الصبابة فيك بما شبّ عمره عن الطّوق، تتنفّس الصعداء ممّا تشاهده منك من مبتدعات الجور، و

تردّد البكاء على ضياع ما استعار الحسن لصفاتها من النجد و الغور، و تقضى العجب ممّا تسمع من عدلك الذى لم تجتل لمحة من نوره، و من حلمك الذى أشقاها فلم تحضر لدكة طوره، و تستصوب أنظار النحاة فى منع التهيئة و القطع فى العامل، و تستجلب اصطلاح العروضيين فى المديد و البسيط دون الطويل و الكامل، فهلا راجعت فيها النظر، و أنجزت لها الوعد المنتظر، و كففت من عيونها دموعا مستهلّة، و اجتليت من جبينها الوضّاح ما أخجل بدورا مشرقة و أهلّة، و لم تحوجها إلى أن ينطق قرينها الروحانى بالشعر على لسانها و لسانك، و لم تضطرّها فى هذه المعاملة إلى ما لا ترتضيه من كفر إحسانك، و العذر أظهر، و البرهان أبهر، و خلافك فى العالم أشهر، و أنت إن لم يكن ما يعصم اللّه تعالى منه لمقتضى الطبيعة أقهر. و قد أدرجت لك فى طى هذا ما يصل إلى يدك، و تلهج به فى يومك و غدك، منتظرة منك إطفاء الجوى بالجواب، و محو ما سبق من الخطإ بالخطاب، إن شاء اللّه تعالى، و اللّه تعالى يصل سعادته، و يحفظ مجادته، و معاد السلام من الشاكر الذاكر ابن عاصم وفقه اللّه تعالى فى أوائل ذى الحجة عام خمسة و أربعين و ثمانمائة، انتهى، و هو ممّا لم أذكره فى «أزهار الرياض».

### [ظهير بتعيين ابن عاصم للقضاء]

و لنذكر هنا الظهير الذى جلبته فيها بتقديم المذكور للنظر فى أمور الفقهاء و غيرهم، و نصّه: هذا ظهير كريم إليه انتهت الظهائر شرفا عليّا، و به تقرّرت المآثر برهانا جليّا، و راقت المفاخر قلائد و حليّا، و تميّزت الأكابر الذين افتخرت بهم الأقلام و المحابر، اختصاصا مولويّا. فهو و إن تكاثرت المرسومات و تعدّدت، و توالت المنشورات و تجدّدت، أكرم مرسوم تمم فى الاعتقاد نظرا خطيرا، و أحكم فى التفويض أمرا كبيرا، و أبرم فى الاختصاص عزما أبيّا.

اعتمد بمسطوره العزيز، و اختصّ بمنشوره الذى تلقّاه اليمن بالتعزيز، من لم يزل بالتعظيم حقيقا، و بالإكبار خليقا، و بالإجلال حريّا. فهو شهير لم يزل فى الشهرة سابقا، هاد لم يزل بالهدى ناطقا، بليغ لم يزل بالبلاغة دريّا. عظيم لم يزل فى النفوس معظّما، علم لم يزل فى الأعلام مقدّما، كريم لم يزل فى الكرام سنيّا. اشتملت منه محافل الملك على العقد الثمين، و حلّت

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۶۶

به المشورة فى الكنف المحوط و الحرم الأمين، فكان فى مشكاة الأمور هاديا، و فى ميدان المراشد جريّا. فإلى مقاماته تبلغ مقامات الإخلاص، و إلى مرتبته تنتهى مراتب الاختصاص، فيمن حاز خصلا، و زيّن حفلا، و شرّف نديّا. و استكمل همما، و استعمل قلما، و استخدم مشرفيّا. فللّه ما أعلى قدر هذا الشرف، الجامع بين المتلد و المطرف، السابق فى الفضل أمدا قصيّا. الحالّ من الاصطفاء مظهرا، الفارع من العلاء منبرا، الصاعد من العزّ كرسيّا. حاز الفضل إرثا و تعصيبا، و استوفى الكمال حقّا و نصيبا، ثناء أرجه كالروض لو لم يكن الروض ذابلا و هديّا. نوره كالبدر لو لم يكن البدر آفلا، و مجد علوه كالسّها لو لم يكن السّها خفيّا. فما أشرف الملك الذى اصطفاه، و كمل له حقّ التقريب و وفاه، و أحلّه قرارة التمكين، و منّ باختصاصه بالمكان المكين، فسبق فى ميدان التفويض و سما، و رأى من الأنظار الحميدة ما رأى، صادعا بالحقّ إماما علما، موضحا من الدين نهجا أمما، هاديا من الواجب صراطا سويّا. بانيا المجد صرحا مشيّدا، مشهرا للعدل قولا مؤيّدا، مبرما للخير سببا قويّا. فاللّه تعالى يصل لمقام هذا الملك الذى طلع فى سمائه بدرا دونه البدور، و صدرا تلوذ به الصدور، سعدا لا تمطله الأيام فى تقاضيه، و نصرا يمضى به نصل الجهاد فلا يزال ماضيه، على الفتح مبتيّا. و يوالى له عزّا يذود عن حرم الدين و يمنحه تأييدا يصبح فى أعناق الكفر حديث سيفه قطعيّا. أمر به مرسوما عزيزا لا تبلغ المرسومات إلى مداه، و لا يبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه، عبد اللّه أمير المسلمين محمد الغالب بالله أيّد اللّه تعالى مقامه، و نصر أعلامه، و شكك إنعامه، و يسّر مرامه، لإمام الأئمة و علم الأعلام، و عماد ذوى العقول و الأحلام، و بركة حملة السيوف و الأقلام، و قدوة رجال الدين و علماء الإسلام، الشيخ الفقيه أبى يحيى ابن كبير العلماء، شهير العظماء، حجة الأكابر و الأعيان، مصباح البلاغة و البيان، قاضى القضاة و إمامهم، أوحد الجلّة و طود شمامهم، الشيخ الفقيه أبى بكر بن عاصم أبقاه اللّه تعالى، و مناطق الشكر له فصيحة اللسان، و

مواهب الملك به معهودة الإحسان، و قلائد الأيادى منه متقلّدة بجيد كلّ إنسان، قد تقرّر و المفاخر لا تنسب إلّا لبنيها، و الفضائل لا تعتبر إلّا بمن يشيد أركانها و يبنيها، و الكمال لا يصفى شربه، إلّا لمن يؤمّن سربه، أنّ هذا العلم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۶۷

الكبير، الذى لا يفى بوصفه التعبير، علم بآثاره يقتدى، و بأنظاره يهتدى، و بإشارته يستشهد، و بإدارته يسترشد، إذ لا أمد علو إلّا و قد تخطاه، و لا مركب فضل إلّا و قد تمطّاه، و لا شارقة هدى إلّا و قد جلاها، و لا لبّة فخر إلّا و قد حلّاها، و لا نعمة إلّا و قد أسداها، و لا سومة إلّا و قد أبداها، لما له فى دار الملك من الخصوصية العظمى، و المكانة التى تسوغ النعمى، و الرتب التى تسمو العيون إلى مرتقاها، و تستقبلها النفوس بالتعظيم و تتلقّاها، حيث سرّ الملك مكتوم، و قرطاسه مختوم، و أمره محتوم، و الأقلام قد روضت الطروس و هى ذاوية، و قسّمت الأرزاق و هى طاوية، شقّت ألسنتها فنطقت، و قطّت أرجلها فسبقت، و يبست فأثمرت إنعاما، و نكست فأظهرت قواما، و خطّت فأعطت، و كتبت فوهبت، و مشقت فرفقت، و أبرمت فأنعمت، فكم يسرت الجبر، و عقرت الهزبر، و شنّفت المسامع، و كيفت المطامع، و أقلّت فيما ارتفع من المواضع، و أحلّت لما امتنع من المراضع، فهى تنجز النعم، و تحجز النقم، و تبثّ المذاهب، و تحثّ المواهب، و تروض المراد، و تنهض المراد، و تحرس الأكناف، و تغرس الأشراف، مصيخة لنداء هذا العماد الأعلى، طامحة لمكانه الذى سما و استعلى، فيما يملى عليها من البيان الذى يقرّ له بالتفضيل، الملك الضّليل، و يشهد له بالإحسان، لسان حسان، و يحكم له ببرى القوس، حبيب بن أوس، و يهيم بما من الأساليب عنده، شاعر كندة، و يستمطر سحبه الثّرّة، فصيح المعرّة، إلى منشور تزيل الفقر فقره، و تدرّ الرزق درره، لو أنهى إلى قس إياد لشكر فى الصنيعة أياديه، و استمطر سحبه و غواديه، أو بلغ إلى سحبان لسحره، و ما فارقه عشيته و لا سحره، و لو رآه الصابى لأبدى إليه من صبوته ما أبدى، أو سمعه ابن عباد لكان له عبدا، أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائعه، و استنزر بضائعه، أو أتحف به البستى لاتّخذه بستانا، أو عرض على عبد الحميد لأحمد من صوبه هتّانا، فأعظم به من عال لا ترقى ثنيته، و لا تحاز مزيته، و لا يرجم أفقه، و لا يكتم حقّه، و لا ينام له عن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۶۸

اكتساب الحمد ناظر، و لا ينقاس به فى الفضل مناظر، و هل تقاس الأجادل بالبغاث، أو الحقائق بالأضغاث؟ ألا و إنّ بيته هو البيت الذى طلع فى أفقه كلّ كوكب وقّاد، ممّن وشج به للعلوم اتّقاء و اتّقاد، و ترامى به للمدارك ذكاء و انتقاد، فأعظم بهم أعلاما و صدورا، و أهلة و بدورا، خلدت ذكرهم الدواوين المسطّرة، و سرت فى محامدهم الأنفاس المعطّرة، إلى أن نشأ فى سمائهم هذا الأوحد، الذى شهرة فضله لا تجحد، فكان قمرهم الأزهر، و نيّرهم الأظهر، و وسيطة عقدهم الأنفس، و نتيجة مجدهم الأقعس، فأبعد فى المناقب آماده، و رفع الفخر و أقام عماده، و بنى على تلك الأساس المشيدة، و جرى لإدراك تلك الغايات البعيدة، فسبق و جلّى، و شنّف بذكره المسامع و حلّى، و رفع المشكل ببيانه، و حرّر الملتبس ببرهانه، إلى أن أحلّه قضاء الجماعة ذروة أفقه الأصعد، و بوّأه عزيز ذلك المقعد، فشرّف الخطّة، و أخذ على الأيدى المشتطّة، لا يراقب إلّا ربّه، و لا يضمر إلّا العدل و حبه، و المجلس السلطانى أسماه اللّه تعالى يختصّه بنفسه، و يفرغ عليه من حلل الاصطفاء و لبسه، و يستمطر فوائده، و يجرّب بأنظاره حقوق الملك و عوائده، فكان بين يديه حكما مقسطا، و مقسما لحظوظ الإنعام مقسّطا، إلى أن خصّه بالكتابة المولوية، و رأى له ذلك حقّ الأولوية، إذ كان والده المقدّس نعّم اللّه تعالى ثراه، و منحه السعادة فى أخراه، مشرّف ذلك الديوان، و معلى ذلك الإيوان، يحبّر رقاع الملك فتروق، و تلوح كالشمس عند الشروق، فحلّ ابنه هذا الكبير شرفا، الشهير سلفا، مرتبته التى سمت، و افترّت به عن السعد و ابتسمت، فسحبت به للشرف مطارف، و أحرزت به من الفخر التالد و الطارف، فهو اليوم فى وجهها غرّه، و فى عينها قرّة، و للّه هو فى ملاحظة الحقائق و رعيها، و سمع الحجج و وعيها، فلقد فضل بذلك أهل الاختصاص، و سبقهم فى تبيين ما يشكل منها و ما يعتاص، إذ المشكلة معه جلية الأغراض، و الآراء لديه آمنة من مأخذ الاعتراض، فكم رتبة عمرها بذويها، فأكسبها تشريفا و تنويها، و على ذلك فأعلام قضاة الوطن، و من عبر منهم و قطن، مع أقدارهم السامية، و معاليهم التى هى للزّهر مسامية، إنما رقتهم وساطته التى أحسنت، و زيّنت بهم

المجالس و حسّنت، فيه أمضوا أحكامهم، و أعملوا فى الأباطيل احتكامهم، و كتبوا الرسوم، و كتبوا الخصوم، و حلّوا دست القضاء،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۶۹

و سلّوا سيف المضاء، و فى زمانه تخرّجوا، و فى بستانه تأرّجوا، و من خلقه اكتسبوا، و إلى طرقه انتسبوا، و على موارده حاموا، و حول فوائده قاموا، و بتعريفه عرفوا، و بتشريفه شرفوا، و بصفاته كلفوا، و بعرفاته وقفوا، فأمنوا مع انسكاب سحب إفادته من الجدب، و قاموا بذلك الفرض بسبب ذلك النّدب، و هل العلماء و إن عمّت فوائدهم، و انتظمت بجياد الأذهان فرائدهم، إلّا من أنواره مستمدّون، و إلى الاستفادة من أنظاره ممتدّون، و ببركاته معتدّون، و بأسبابه مشتدّون، فيه اجتنيت من أفنان المنابر ثمراتهم، و تأرّجت فى روضات المعارف زهراتهم، و به عمروا الحلق، و ائتلق من أنوارهم ما ائتلق، إذ كلّ من اصطناعه محسوب، و إلى بركته منسوب، فهو بدرهم الأهدى، و غيثهم الأجدى، و عقدهم المقتنى، و روضهم المجتنى، و بدر منازلهم، و صدر محافلهم. و على ما أعلى المقام المولوى من مكانه، و قضى به من استمكانه، و اعتمد من إبرامه، و أبرم من اعتماده، و مهد من إكرامه، و كرم من مهاده، و اختصّ من علاه، و أعلى من اختصاصه، و استخلص من حلاه، و حلا من استخلاصه، و وفى من تكرّمه، و كرم من وفائه، و اصطفى من مجده، و مجد من اصطفائه، و قدم من براعته، و حكم من يراعته، و شقق من كتابته، و أنطق من خطابته، و سجل من أنظاره، و عجل من اختياره، فذكا ذكره، وسطا سطره، و أمعن معناه، و أغنى مغناه، أشار أيّده اللّه تعالى باستئناف خصوصيّته و تجديدها، و إثبات مقاماته و تحديدها، لتعرف تلك الحدود فلا تتخطّى، و تكبر تلك المراتب فلا تستعطى، فأصدر له شكر اللّه تعالى إصداره، و عمر بالنصر داره، هذا المنشور الذى تأرّج بمحامده نشره، و تضمّن من مناقبه البديع فراق طيّه و نشره، و غدا و فرائد المآثر لديه موجدة مكونه، و أصبح للمفاخر مالكا لما أتى به مدونه، و خصّه فيه بالنظر المطلق الشروط، الملازم للتفويض ملازمة الشرط للمشروط، المستكمل الفروع و الأصول، المستوفى الأجناس و الفصول، فى الأمور التى تختصّ بأعلام القضاة الأكابر، و كتّاب القضاة ذوى الأقلام و المحابر، و شيوخ العلم و خطباء المنابر، و سائر أرباب الأقلام القاطن منهم و العابر، بالحضرة العلية، و جميع البلاد النّصرية، تولّى اللّه تعالى جميع ذلك بمعهود ستره، و وصل لديه ما تعوّد من شفع اللطف و وتره، يحوط مراتبهم التى قطفت من روضاتها ثمرات الحكم و جنيت، و يراعى أمورهم التى أقيمت على العوائد و بنيت، و حقوقهم التى حفظت لهم فى المجالس السلطانية و رعيت، و يحلّ كلّ واحد منهم فى منزلته التى تليق، و مرتبته التى هو بها خليق، على ما يقتضى ما يعلم من

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷۰

أدواتهم، و يخبر من تباين ذواتهم، و يرشّح كلّ واحد إلى ما استحقّه، و يؤتى كلّ ذى حقّ حقّه، اعتمادا على أغراضه التى عدلت، و صدحت على أفنائها من الأفواه طيور الشكر و هدلت، و استنادا فى ذلك إلى آرائه، و تفويضا له فى هذا الشأن بين خلصاء الملك و ظهرائه، و ذلك على مقتضى ما كان عليه أعلام الرياسة الذين سبقوا، و انتهضوا بهممهم و استبقوا، كالشيخ الرئيس الصالح أبى الحسن بن الجيّاب، و الشيخ ذوى الوزارتين أبى عبد اللّه بن الخطيب، رحمهما اللّه تعالى! فليقم أبقاه اللّه تعالى بهذه الأعمال التى سمت و اعتزّت، و مالت بها أعطاف العدل و اهتزّت، و سار بها الخبر حثيث السّرى، و صار بها الحقّ مشدود العرى، و على جميع القضاة الأمضياء، و العلماء الأرضياء، و الخطباء الأولياء، و المقرئين الأزكياء، و حملة الأقلام الأحظياء، أن يعتمدوا هذا الولى العماد فى كلّ ما يرجع إلى عوائدهم، و يختصّ فى دار الملك من مرتّباتهم و فوائدهم، و ما يتعلّق بولاياتهم و أمنياتهم، و يليق بمقاصدهم و نيّاتهم، فهو الذى يسوّغهم المشارب، و يبلغهم المآرب، و يستقبل العلى بالعلى، و العاطل بالحلى، و المشكل بالجلى، و المفرق بالتاج، و المقدمة بالإنتاج، و على ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرّهم على ولاياتهم و أبقاهم، و لقاهم من حفظ المراتب ما رقّاهم، فليجروا على ما هم بسبيله، و ليهتدوا بمرشد هذا الاعتناء و دليله، و كتب فى صفر عام سبعة و خمسين و ثمانمائة، انتهى.

قلت: و إنما أتيت به لوجوه: أحدها، ما يتعلّق بلسان الدين إذ وقعت الإشارة إلى مرتبته فى آخره، و الثانى ما اشتمل عليه من الإنشاء الغريب، و الثالث معرفة حال الرئيس أبى يحيى بن عاصم و تمكّنه من الرياسة؛ لأنّا بنينا هذا الكتاب على ذكر ما يناسبه من أنباء أهل

المغرب، لكون أهل هذه البلاد المشرقية ليس لهم بها عناية، و الرابع أنّ بعض أكابر شيوخنا ممّن ألّف فى طبقات المالكية لما عرّف بأبى يحيى ذكره فى نحو أسطر عشرة، و قال: هذا الذى حضرنى من التعريف به، و الخامس أن ابن عاصم المذكور كما قاله الوادى آشى و غيره كان يدعى فى الأندلس بابن الخطيب الثانى، و يعنون بذلك البلاغة و البراعة و الرياسة و السياسة.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص ۲۷۰

ع إلى أخبار لسان الدين فنقول:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷۱

و أمّا ما كتب التأليف باسم لسان الدين رحمه اللّه تعالى، فقد قال فى الإحاطة لما أجرى ذكر ذلك ما صورته: و أمّا ما رفع إلىّ من الموضوعات العلمية، و الوسائل الأدبية، و الرسائل الإخوانية، لمّا أقامنى الملك صنما يعتمد، و خيالا إليه يستند، صادرة عن الأعلام، و حمله الأقلام، و رؤساء النّثار و النظام، فجمّ يضيق عنه الإحصاء، و يعجز عن ضمّ نشره الاستقصاء، و ربما تضمّن هذا الكتاب كتاب «الإحاطة» منه كثيرا، و منظوما أثيرا، و درّا نثيرا، جرى فى أثناء الأسماء، و انتمى إلى الإجادة أكرم الانتماء، غفر اللّه تعالى لى و لقائله، فما كان أولانى و إياه بستر زوره، و إغراء الإضراب بغروره فأهون بما لا ينفع، و إن ارتفع الكلم الطّيّب لا يرفع، اللهمّ تجاوز عنّا بفضلك و كرمك، انتهى.

و قد تقدّم فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن الكرسوطى الفاسى نزيل مالقة و صاحب التآليف العديدة أنه ألّف تقييدا على قواعد الإمام القاضى أبى الفضل عياض رحمه اللّه تعالى برسم ولد لسان الدين ابن الخطيب رحمه اللّه تعالى، و كذلك غير واحد من أهل عصره، قصدوه بالنظم و النثر، و هى سنّة اللّه سبحانه و تعالى فى عباده، إذ السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق فيها، و اللّه- سبحانه و تعالى- وليّ المكافأة، لا إله غيره، و لا مأمول سواه؛ انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷۲

## الباب الخامس [من القسم الثانى] فى إيراد جملة من نثر لسان الدين

### اشارة

فى إيراد جملة من نثره الذى عبق أريج البلاغة من نفحاته، و نظمه الذى تألّق نور البراعة من لمحاته و صفحاته، و ما يتصل به من أزجاله و موشّحاته، و مناسبات رائقة فى فنون الأدب و مصطلحاته.

اعلم- سلك اللّه تعالى بى و بك أوضح محجّه، و جعلنا ممّن انتحى صوب الصواب و نهجه!- أنّ هذا الباب، هو المقصود بتأليف هذا الكتاب، و غيره كالتّبع له، وها أنا أذكر ما حضرنى الآن من بنات أفكار لسان الدين التى هى بالمحاسن متقنعة، و للبدائع منتعلة، فأقول:

### [وصف نثر لسان الدين تحميد من إنشاء لسان الدين]

أمّا نثره فهو البحر الزخار، بل الدرّ الذى به الافتخار، و ناهيك أنّ كتبه الآن فى المغرب قبلة أرباب الإنشاء التى إليها يصلّون، و سوق دررهم النفيسة التى يزينون بها صدور طروسهم و يحلون، و خصوصا كتابه «ريحانة الكتّاب، و نجعة المنتاب» فإنه، و إن تعدّدت مجلّداته، على فنّ الإنشاء و الكتابة مقصور، و قد اشتمل على السلطانيات و غيرها و مخاطباته لأهل المشرق و المغرب على لسان ملوك الأندلس الذين علم بلاغتهم منصور، و قد تركت نسختى منه فى المغرب، و لو حضرتنى لكفتنى عن هذه الفوائد التى أتعبت خاطرى فى جمعها من مقيداتى التى صحبتها معى، و هى قليلة.

و قد مرّ فى هذا الكتاب جملة من نثره و نظمه، و الذى نجلبه هنا زيادة على ما سبق.

و قال رحمه اللّه تعالى فى «الإحاطة» عند ترجمة نثره ما صورته: و أمّا النثر فبحر زاخر، و مدى طوله مستأخر، و إنك لم يفخر عليك كفاحر، و قد مرّ منه فى تضاعيف هذا الديوان كثير، و نحن نجلب منه ما يشير إليه مشير؛ انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷۳

فمن ذلك قوله فى غرض التحميد ممّا افتتح به الكتاب فى التاريخ المتضمّن دولة بنى نصر: «الحمد للّه الذى جعل الأزمنة كالأفلاك، و دول الأملاك كأنجم الأحلاك، تطلعها من المشارق نيّرة، و تلعب بها مستقيمة أو متحيّرة، ثم تذهب بها غائرة متغيّرة، السائق عجل، و طبع الوجود مرتجل، و الحيّ من الموت وجل، و الدهر لا- معتذر و لا- خجل، بينما ترى الدّست عظيم الزحام، و الموكب شديد الالتحام، و الوزعة تشير، و الأبواب يقرعها البشير، و السرور قد شمل الأهل و العشير، و الأطراف تلثمها الأشراف، و الطاعة يشهرها الاعتراف، و الأموال يحوطها العدل أو يبيحها الإسراف، و الرايات تعقد، و الأعطيات تنقد، إذ رأيت الأبواب مهجورة، و الدسوت لا مؤمّلة و لا مزورة، و الحركات قد سكنت، و أيدى الإدالة قد تمكّنت، فكأنما لم يسمر سامر، و لا نهى ناه و لا أمر آمر، ما أشبه الليلة بالبارحة، و الغادية بالرائحة، إنما مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ [سورة الكهف، الآية: ۴۵].

## [من نثره فى الحض فى الجهاد]

و من نثره قوله فى استدعاء إمداد و حضّ على الجهاد: «أيها الناس، رحمكم اللّه تعالى، إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدوّ قصمه اللّه تعالى ساحتهم، و رام الكفر خذله اللّه تعالى استباحتهم، و زحفت أحزاب الطواغيت إليهم، و مدّ الصليب ذراعيه عليهم، و أيديكم بعزّة اللّه تعالى أقوى، و أنتم المؤمنون أهل البرّ و التقوى، و هو دينكم فانصروه، و جواركم الغريب فلا- تحقروه، و سبيل الرشد قد وضح فلتبصروه، الجهاد الجهاد فقد تعين، الجار الجار فقد قرّر الشرع حقّه و بيّن، اللّه اللّه فى الإسلام، اللّه اللّه فى أمّة محمد عليه الصلاة و السلام، اللّه اللّه فى المساجد المعمورة بذكر اللّه، اللّه اللّه فى وطن الجهاد فى سبيل اللّه، قد استغاث بكم الدين فأغيثوه، قد تأكّد عهد اللّه و حاشاكم أن تنكثوه، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة أعانكم اللّه تعالى عند الشدائد، جدّدوا عوائد الخير يصل اللّه تعالى لكم جميل العوائد، صلوا رحم الكلمة، و آسوا بأنفسكم و أموالكم تلك الطوائف المسلمة، كتاب اللّه بين أيديكم، و ألسنة الآيات تناديكم، و سنّة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قائمة فيكم، و اللّه سبحانه يقول فيها يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ [سورة الصف، الآية: ۱۰] و ممّا صحّ عنه قوله «من اغبرّت قدماه فى سبيل اللّه حرّمهما اللّه على النار» «لا يجتمع غبار فى سبيل اللّه و دخان جهنّم» «من جهّز غازيا فى سبيل اللّه فقد غزا» أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷۴

احفظوا وجوهكم مع اللّه تعالى يوم يسألكم عن عباده، جاهدوا فى اللّه بالألسن و الأقوال حق جهاده: [الكامل]

ما ذا يكون جوابكم لنبيّكم و طريق هذا العذر غير ممهّد

إن قال لم فرطّتم فى أمّتى و تركتموهم للعدوّ المعتدى

تاللّه لو أنّ العقوبة لم تخف لكفى الحيا من وجه ذاك السيّد

اللهمّ اعطف علينا قلوب العباد، اللهمّ بثّ لنا الحميّة فى البلاد، اللهمّ دافع عن الحريم و الضعيف و الأولاد، اللهمّ انصرنا على أعدائك، بأحبابك و أوليائك، يا خير الناصرين، اللهمّ أفرغ علينا صبرا و ثبّت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين، و صلّى اللّه على سيّدنا محمد و على آله و صحبه و سلّم تسليما كثيرا»؛ انتهى.

## [من إنشائه فى ذكر أولية شريف فاس]

و من ذلك قوله فى صداق أمره السلطان بإنشائه لكبير الشرفاء بفاس فى فصل منه تضمّن ذكر أوليّتهم و استيطانهم لتلك المدينة ما صورته: «فضرب بفاس- عمرها اللّه تعالى!- حلته، و أورث منها بالبقعة الزكية الرفيعة سراته و جلّته، فتبوؤوا من ذلك الغور، المعشب الروض الأرج النّور، هالة سعد، و أفق برق و رعد، و دست وعيد و وعد، يتناقلون رتب الشرف الصريح كابرا عن كابر، و يروى مسلسل المجد عن بيتهم الرفيع الجد كلّ حريص على عوالى المعالى مثابر: [البسيط]

فالكفّ عن صلة، و الأذن عن حسن و العين عن قرّة، و القلب عن جابر

حيث الأنوف الشّمّ و الوجوه الغرّ، و العزّة القعساء و النسب الحرّ، و الفواطم فى صدف الصون من لدن الكون كأنهنّ الدّرّ، آل رسول اللّه و نعم الآل، و الموارد الصادقة إذا كذب الآل، و من إذا لم يصلّ عليهم فى الصلاة حبطت منها الأعمال، طلبة الراكب، و نشدة الطالب، و سراة لؤى بن غالب، و ملتقى نور اللّه تعالى ما بين فاطمة الزهراء و على بن أبى طالب»؛ انتهى، و هو طويل لم يحضرنى منه الآن سوى ما ذكرته.

و من ذلك قوله رحمه اللّه تعالى: كتبت إلى بعض السادة الفضلاء، و قد بلغنى مرضه أيام

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷۵

كان الانزعاج عن الأندلس إلى الإيالة المرينية: وردت علىّ من فئتى التى إليها فى معركة الدهر أتحيّز، و بفصل فضلها فى الأقدار المشتركة أتميّز، سحاءة سرّت و ساءت، و بلغت من القصدين ما شاءت، أطلع بها صنيعة ودّه من شكواه على كلّ عابث فى السويداء، موجب اقتحام البيداء، مضرم نار الشفقة فى فؤاد لم يبق من صبره إلّا القليل، و لا من إفصاح لسانه إلّا الأنين و الأليل، و نوى مدّت لغير ضرورة يرضاها الخليل، فلا- تسأل عن ضنين تطرّقت اليد إلى رأس ماله، أو عابد نوزع فى تقبّل أعماله، أو آمل ضويق فى فذلكة آماله، لكنى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق، و عارضت القواعد الموحشة بالفروق، و رأيت الخطّ يبهر و الحمد للّه تعالى و يروق، و اللفظ الحسن تومض فى حبره للمعنى الأصيل بروق، فقلت:

ارتفع الوصب، و ردّ من الصحة المغتصب، و آلة الحسّ و الحركة هى العصب، و إذا أشرق سراج الإدراك دلّ على سلامة سليطه، و الروح خليط البدن و المرء بخليطه، و على ذلك فتليد احتياطى لا يقنعه إلّا الشرح، فبه يسكن الظمأ البرح، و عذرا عن التكليف فهو محلّ الاستقصاء و الاستفسار، و الإطناب و الإكثار، و زند القلق فى مثلها أورى، و الشفيق بسوء الظن مغرى، و السلام».

## [من إنشاء لسان الدين فى ترجمة أبى عبد اللّه الشديد و كتب له و قد ولى الحسبة]

و من نثر لسان الدين ما ذكره فى «الإحاطة» فى ترجمة أبى عبد اللّه الشّديد و هو محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصارى الجيانى الأصل ثم المالقى، إذ قال ما صورته:

جملة جمال من خطّ حسن و اضطلاع بحمل كتاب اللّه، بلبل دوح السبع المثانى، و ماشطة عروس أبى الفرج بن الجوزى، و آية صقعه، و نسيج وحده، فى حسن الصوت و طيب النغمة، اقتحم لذلك دسوت الملوك، و جرّ أذيال الشهرة عذب الفكاهة، ظريف المجالسة، قادرا على المحاكاة، متسوّرا حمى الوقار، ملبيا داعى الانبساط، قلّد شهادة الديوان بمالقة فكان مغار حبل الأمانة، شامخ مارن النزاهة، لوحا للألقاب، و عزّزت ولايته ببعض الألقاب النبيهة، و هو الآن الناظر فى أمور الحسبة ببلده، و لذلك خاطبته برقعة أداعبه بها و أشير إلى أضداده بما نصّه: [السريع]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷۶

يا أيها المحتسب الجزل و من لديه الجدّ و الهزل

يهنيك و الشكر لمولى الورى ولاية ليس لها عزل

كتبت أيها المحتسب، المنتمى إلى النزاهة المنتسب، أهنّيك ببلوغ تمنّيك، و أحذّرك من طمع نفس بالغرور تمنّيك، فكأننى بك و قد طافت بركابك الباعة، و لزم أمرك السمع و الطاعة، و ارتفعت فى مصانعتك الطمّاعة، و أخذت أهل الرّيب بغتة كما تقوم الساعة، و نهضت تقعد و تقيم، و سطوتك الريح العقيم، و بين يديك القسطاس المستقيم، و لا بدّ من شرك ينصب، و جماعة على ذى جاه تعصب، و دالّة يمتّ بها الجناب الأخصب، فإن غت طرفك، أمنت على الولاية صرفك، و إن ملأت ظرفك، رحلت عنها حرفك، و إن كففت فيها كفّك، حفّك العزّ فيمن حفّك، فكن لقالى المجنة قاليا، و لحوت السلّة ساليا، و أبد لدقيق الحوّارى زهد حوارىّ، و ازهد فيما بأيدى الناس من العوارى، و سر فى اجتناب الحلواء، على السبيل السواء، و ارفض فى الشّواء، دواعى الأهواء، و كن على الهرّاس و صاحب ثريد الرأس شديد المراس، و ثب على طبيخ الأعراس ليثا مرهوب الافتراس، و أدّب أطفال الفسوق فى السوق، سيما من كان قبل البلوغ و البسوق، و صمّم على استخراج الحقوق، و الناس أصناف فمنهم خسيس يطمع منك فى أكلة، و مستعد عليك بوكزة أو ركلة، و حاسد فى مطيّة تركب، و عطيّة تسكب، فاخفض للحاسد جناحك، و سدّد إلى حربه رماحك، و أشبع الخسيس منهم مرقة فإنه حنق، و دسّ له فيها عظما لعلّه يختنق، و احفر لشرّيرهم حفرة عميقة، فإنه العدوّ حقيقة، حتى إذا حصل، و علمت أنّ وقت الانتصار قد اتّصل، فأوقع و أوجع و لا ترجع، و أولياءه من الشياطين فأفجع، و الحقّ أقوى، و أن تعفو أقرب للتقوى، سدّدك اللّه تعالى إلى غرض التوفيق، و أعلقك من الحقّ بالسبب الوثيق، و جعل قدومك مقرونا برخص اللحم و الزيت و الدقيق»؛ انتهى.

### [مما كتب به لسان الدين إلى على بن بدر الدين بن موسى بن عبد الحق من مدينة سلا]

و ممّا كتب به لسان الدين إلى على بن بدر الدين الطوسى بن موسى بن حوّ بن عبد اللّه بن عبد الحقّ من مدينة سلا ما نصّه:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷۷

يا جملة الفضل و الوفاء ما بمعاليك من خفاء

عندى بالودّ فيك عقد صحّفه الدّهر باكتفاء

ما كنت أقضى حلاك حقّا لو جئت مدحا بكلّ فاء

فأول وجه القبول عذرى و حسبك الشكّ فى صفاء

سيدى الذى هو فصل جنسه، و مزية يومه على أمسه، فإن افتخر الدين من أبيك ببدره افتخر منك بشمسه، رحلت على المنشإ و القرارة، و محلّ الصّبوة و الفرارة، فلم تتعلّق نفسى بذخيرة، و لا عهد جيرة خيرة، كتعلّقها بتلك الذات التى لطفت لطافة الراح، و اشتملت بالمجد الصّراح، شفقة أن تصيبها معرة، و اللّه تعالى يقيها، و يحفظها و يبقيها، إذ الفضائل فى الأزمان الرذلة غوائل، و الضدّ عن ضدّه منحرف بالطبع و مائل، فلمّا تعرّفت خلاص سيدى من ذلك الوطن، و إلقاءه وراء الفرضة بالعطن، لم تبق لى تعلّة، و لا أحرضتنى له علّة، و لا أوتى جمعى من قلّة، فكتبت أهنئ نفسى الثانية بعد هناء نفسى الأولى، و أعترف للزمان باليد الطّولى، فالحمد للّه الذى جمع الشمل بعد شتاته، و أحيا الأنس بعد مماته، سبحانه لا مبدّل لكلماته. و إياه أسأل أن يجعل العصمة حظّ سيدى و نصيبه، فلا يستطيع حادث أن يصيبه، و أنا أخرج له بثّ كمين، و نصح أنابه قمين، بعد أن أسبر غوره، و أخبر طوره، و أرصد دوره، فإن كان له فى التشريق أمل، و فى ركب الحجاز ناقة و جمل، و الرأى فيه قد نجحت منه نيّة و عمل، فقد غنى عن عرف البقرات، بأزكى الثمرات، و أطفأ هذه الجمرات، برمى الجمرات، و تأنّس بوصل السّرى و وصال السراة، و أنابه إن رضينى أرضى مرافق، و لواء عزى به خافق، و إن كان على السكون بناؤه، و انصرف إلى الإقامة اعتناؤه، فأمر له ما بعده، و اللّه يحفظ من الغير سعده، و الحقّ أن تحذف الأبهة و تختصر، و يحفظ اللسان و يغضّ البصر، و ينخرط فى الغمار، و يخلّى عن المضمار، و يجعل من المحظور مداخلة من لا خلاق له، ممّن لا يقبل اللّه تعالى قوله و لا عمله، فلا يكتم سرّا، و لا يتطوق من الرجولة زرّا، و يرفض زمام السلامة، و ترك العلامة على النجاة علامة. و أما حالى فكما علمتم ملازم كنّ، و مهبط تجربة و سن،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷۸

أزجى الأيام، و أروم بعد التفرّق الالتئام، خالى اليد، ملىء القلب و الخلد، بفضل الواحد الصّمد، عامل على الرّحلة الحجازية التى أختارها لكم و لنفسى، و أصل فى التماس الإعانة عليها يومى بأمسى، أوجب ما قرّرته لكم ما أنتم أعلم به من ودّ قرّرته الأيام و الشهور، و الخلوص المشهور، و ما أطلت فى شىء عند قدومى على هذا الباب الكريم إطالتى فيما يختصّ بكم من موالاته، و بذل مجهود القول و العمل فى مرضاته. و أما ذكركم فى هذه الأوضاع فهو ممّا يقرّ عين المجادة، و الوظيفة التى ينافس فيها أولو السيادة، و اللّه يصل بقاءكم، و ييسّر لقاءكم، و السلام»؛ انتهى.

و من نثر لسان الدين ما أثبته فى «الإحاطة» فى ترجمة ابن خلدون صاحب التاريخ الذى تكرّر نقلنا منه فى هذا التأليف.

## [ترجمة ابن خلدون من إنشاء لسان الدين]

و لنذكر الترجمة بجملتها فنقول: قال رحمه اللّه تعالى فى «الإحاطة» ما نصّه:

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى، من ذرية عثمان أخى كريب المذكور فى نبهاء ثوّار الأندلس، و ينسب سلفهم إلى وائل بن حجر، و حاله عند القدوم على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم معروفة. انتقل سلفه من مدينة إشبيلية عن نباهة و تعيّن عند الحادثة بها أو قبل ذلك، فاستقرّ بتونس منهم ثانى المحمدين محمد بن الحسن، و تناسلوا على حشمة و سراوة و رسوم حسنة، و تصرّف جدّ المترجم به فى القيادة. و أما المترجم به فهو رجل فاضل، حسن الخلق، جمّ الفضائل، باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، و قور المجلس، خاصىّ الزى، عالى الهمّة، عزوف عن الضيم، صعب المقادة، قوى الجأش، طامح لقنن الرياسة، خاطب للحظّ، متقدّم فى فنون عقلية و نقلية، متعدّد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصوّر، بارع الخطّ، مغرى بالتجلّة، جواد حسن العشرة، مبذول المشاركة، مقيم لرسم التّعين، عاكف على رعى خلال الأصالة، مفخر من مفاخر التّخوم المغربية. قرأ القرآن ببلده على المكتّب ابن برال، و العربية على المقرئ الزواوى و غيره، و تأدّب بأبيه، و أخذ عن المحدّث أبى عبد اللّه بن جابر الوادى آشى. و حضر مجلس القاضى أبى عبد اللّه بن عبد السلام، و روى عن الحافظ أبى عبد اللّه السطى، و الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى، و لازم العالم الشهير أبا عبد اللّه الآبلى و انتفع به. انصرف من إفريقية منشئه بعد أن تعلّق بالخدمة السلطانية على الحداثة، و إقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة، عام ثلاثة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۷۹

و خمسين و سبعمائة، و عرف فضله، و خطبه السلطان منفّق سوق العلم و الأدب أبو عنان فارس بن على بن عثمان، و استحضره بمجلس المذاكرة، فعرف حقّه، و أوجب فضله، و استعمله على الكتابة أوائل عام ستة و خمسين، ثم عظم عليه حمل الخاصّة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التأنى، و شفوفه بثقوب الفهم و جودة الإدراك، فأغروا به السلطان إغراء عضّده ما جبل عليه عهدئذ من إغفال التحفّظ ممّا يريب لديه، فأصابته شدّة تخلّصه منها أجله، كانت مغربة فى جفاء ذلك الملك و هناة جواره، و إحدى العواذل لأولى الهوى فى القول بفضله و عدم الخشوع و إهمال التوسّل و إبادة المكسوب فى سبيل النفقة و الإرضاخ على زمن المحنة و جار المنزل الخشن، إلى أن أفضى الأمر إلى السعيد ولده، فأعتبه قيّم الملك لحينه، و أعاده إلى رسمه، و دالت الدولة إلى السلطان أبى سالم، و كان له به الاتّصال قبل تسوّغ المحنة بما أكد حظوته، فقلّده ديوان الإنشاء مطلق الجرايات، محرّر السّهام، نبيه الرّتبة، إلى آخر أيامه.

و لمّا ألقت الدولة مقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد اللّه مدبّر الأمر، و له إليه وسيلة، و فى حليه شركة، و عنده حقّ، رابه تقصيره عمّا ارتمى إليه أمله، فساء ما بينهما بما آل إلى انفصاله عن الباب المرينى. و ورد على الأندلس فى أوّل ربيع الأوّل عام أربعة و ستين و سبعمائة، و اهتزّ له السلطان، و أركب خاصّيته لتلقّيه، و أكرم وفادته، و خلع عليه و أجلسه بمجلسه. و لم يدّخر عنه برّا و مؤاكلة و

مراكبة و مطايبة و فكاهة».

و خاطبنى لما حلّ بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرنى الآن، فأجبته عنها بقولى: [الطويل]

حللت حلول الغيث فى البلد المحل على الطائر الميمون و الرحب و السّهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه من الشيخ و الطفل المهدّإ و الكهل

لقد نشأت عندى للقياك غبطة تنسّى اغتباطى بالشيبة و الأهل

أقسمت بمن حجّت قريش لبيته، و قبر صرفت أزمّة الأحياء لميته، و نور ضربت الأمثال بمشكاته و زيته، لو خيرت أيها الحبيب الذى زيارته الأمنية، السنية، و العارفة، الوارفة،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨٠

و اللطيفة، المطيفة، بين رجع الشباب يقطر ماء، و يرفّ نماء، و يغازل عيون الكواكب، فضلا عن الكواعب، إشارة و إيماء، بحيث لا الوخط يلمّ بسياج لمّته، أو يقدح ذبالة فى ظلمته، أو يقوم حواريّه فى ملّته، من الأحابش و أمّته، و زمانه روح وراح، و مغدى فى النعيم و مراح، و قصف صراح، ورقى و جراح، و انتحاب و اقتراح، و صدور ما بها إلّا انشراح، و مسرّات تردفها أفراح، و بين قدومك خليع الرّسن، ممتّعا و الحمد للّه باليقظة و الوسن، محكما فى نسك الجنيد أو فتك الحسن، ممتعا بظرف المعارف، مالئا أكفّ الصيارف، ماحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف، لما اخترت الشّباب و إن راقنى زمنه، و أعيانى ثمنه، و أجدّت سحائب دمعى دمنه، فالحمد للّه الذى رقى جنون اغترابى، و ملّكنى أزمة آرابى، و غبطنى بمائى و ترابى، و مألف أترابى، و قد أغصّنى بلذيذ شرابى، و وقّع على سطوره المعتبرة إضرابى، و عجّلت هذه مغبّطة بمناخ المطيّة، و منتهى الطّيّة، و ملتقى السعود غير البطيّة، و تهنّى الآمال الوثيرة الوطيّة، فما شئت من نفوس عاطشة إلى ريّك، متجمّلة بزيّك، عاقلة خطى مهريّك، و مولى مكارمه نشيدة أمثالك، و مظانّ مثالك، و سيصدق الخبر ما هنالك، و يسع فضل مجدك فى التخلّف عن الإصحار، لا بل اللقاء من وراء البحار، و السلام».

و لمّا استقرّ بالحضرة جرت بينى و بينه مكاتبات أقطعها الظرف جانبه، و أوضح الأدب مذاهبه، فمن ذلك ما خاطبته به و قد تسرّى جارية رومية اسمها هند صبيحة الابتناء بها: [السريع]

أوصيك بالشيخ أبى بكره لا تأمنن فى حالة مكره

و اجتنب الشّكّ إذا جئته جنّبك الرحمن ما تكره

سيدى لا- زلت تتّصف بالوالج، بين الخلاخل و الدمالج، و تركض فوقها ركض الهمالج. أخبرنى كيف كانت الحال، و هل حطّت بالقاع من خير البقاع الرّحال، و أحكم بمرود المراودة الاكتحال، و ارتفع بالسّقيا الإمحال، و صحّ الانتحال، و حصحص الحقّ و ذهب المحال، و قد طولعت بكلّ بشرى و بشر، و زفّت هند منك إلى بشر، فللّه من عشيّة، تمتّعت من الربيع بفرش موشيّة، و أبدلت منها أى آساد وحشية، و قد أقبل ظبى الكناس، من

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٢٨١

الدّيماس، و مطوق الحمام، من الحمّام، و قد حسّنت الوجه الجميل التّطرية، و أزيلت عن الفرع الأثيث الإبرية، و صقلت الخدود فكأنها الأمرية، و سلّط الدّلك على الجلود، و أغريت النّورة بالشّعر المولود، و عادت الأعضاء يزلق عنها اللّمس، و لا تنالها البنان الخمس، و السّحنة يجول فى صفحتها الفضّيّة ماء النعيم، و المسواك يلبى من ثنيّة التنعيم، و القلب يرمى من الكفّ الرقيم بالمقعد المقيم، و ينظر إلى نجوم الوشوم فيقول: إنى سقيم، و قد تفتّح ورد الخفر، و حكم لزنجى الظّفيرة بالظّفر، و اتّصف أمير الحسن بالصّدود المغتفر، و رشّ بماء الطيب، ثم أعلق بباله دخان العود الرطيب. و أقبلت الغادة، يهديها اليمن و تزفّها السعادة، فهى تمشى على استحيا، و قد ذاع طيب الريّا وراق حسن المحيّا، حتى إذ نزع الخفّ، و قبّلت الأكفّ، و صخب المزمار و تجاوب الدّفّ، و ذاع الأرج، و ارتفع الحرج، و تجوّز اللوا و المنعرج، و نزل على بشر بزيارة هند الفرج، اهتزّت الأرض و ربت، و عوصيت الطّباع البشرية

فأبت، و للّه درّ القائل: [المتقارب]

و مرّت فقالت: متى نلتقى؟ فهشّ اشتياقا إليها الخبيث

و كاد يمزّق سربال فقلت: إليك يساق الحديث

فلمّا انسدل جنح الظلام، و انتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة السلام، و خاطت خيوط المنام عيون الأنام، تأتّى دنوّ الجلسة، و مسارقة الخلسة، ثم عضّة النهد، و قبلة الفم و الخدّ، و إرسال اليد من النّجد إلى الوهد، و كانت الإمالة القليلة قبل المدّ، ثم الإفاضة فيما يغبط و يرغب، ثم الإماطة لما يشوّش و يشغب، ثم إعمال المسير، إلى السرير: [الطويل]

و صرنا إلى الحسنى، و رقّ كلامنا و رضت فذلّت صعبة أىّ إذلال

و هذا بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغيد من حسن السيرة، ثم شرع فى التكة، و نزع الشّكة، و تهيئة الأرض العزاز عمل السكة، ثم كان الوحى و الاستعجال، و حمى الوطيس و المجال، و علا الجزء الخفيف، و تضافرت الخصور الهيف، و تشاطر الطّبع العفيف، و تواتر التقبيل، و كان الأخذ الوبيل، و امتاز الأنوك من النبيل، و منها جائر و على اللّه قصد السبيل، فيا



لها من نعم متداركة، و نفوس فى سبيل القحة متهالكة، و نفس يقطّع حروف الحلق، و سبحان الذى يزيد فى الخلق، و عظمت الممانعة، و كثرت باليد المصانعة، و طال التراوغ و التّزاور، و شكى التحاور، و هنالك تختلف الأحوال، و تعظم الأهوال، و تخسر أو تربح الأموال، فمن عصا تنقلب ثعبانا مبينا، و نونة تصير تنّينا، و بطل لم يهمله المعترك الهائل، و الوهم الزائل، و لا حال بينه و بين قرنه الحائل، فتعدّى فتكة السّليك إلى فتكة البرّاض، و تقلّد مذهب الأزارقة من الخوارج فى الاعتراض، ثم شق الصفّ، و قد خضّب الكفّ، بعد أن كان يصيب البوسى بطعنته، و يبوء بمقت اللّه و لعنته: [الطويل]

طعنت ابن عبد اللّه طعنة ثائر لها نفذ لو لا الشعاع أضاءها

و هناك هدأ القتال، و سكن الخبال، و وقع المتوقّع فاستراح البال، و تشوّف إلى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمبال، و كثر السؤال عن المبال، بما بال، و جعل الجريح يقول و قد نظر إلى دمه، يسيل على قدمه: [البسيط]

إنى له عن دمى المسفوك معتذر أقول حمّلته فى سفكه تعبا

و من سنان عاد عنانا، و شجاع صار جبانا، كلّما شابته شائبة ريبة، أدخل يده فى جيبه، فانحجرت الحيّة، و ماتت الغريزة الحيّة، و هناك يزيغ البصر، و يخذل المنتصر، و يسلم الأسر، و يغلب الحصر، و يجفّ اللعاب، و يظهر العاب، و يخفق الفؤاد، و يكبو الجواد، و يسيل العرق، و يشتدّ الكرب و الأرق، و ينشأ فى محلّ الأمن الفرق، و يدرك فرعون الغرق، و يقوى اللّجاج و يعظم الخرق، فلا تزيد الحال إلّا شدّة، و لا تعرف تلك الجائحة المؤمنة إلّا ردّة: [الطويل]

إذا لم يكن عون من اللّه للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى بطول اللبث، و هو من الخبث، يؤمّل الكرّة، ليزيل المعرّة، و يستنصر الخيال، و يعمل باليد الاحتيال: [الرجز]



إنك لا تشكو إلى مصمّت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

و معتذر بمرض أصابه، جرّعه أوصابه، و وجع طرقه، جلب أرقه، و خطيب أرتج عليه أحيانا، فقال: سيحدث اللّه بعد عسر يسرا و بعد عىّ بيانا، اللهمّ إنّا نعوذ بك من فضائح الفروج إذا استغلقت أقفالها، و لم تتّسم بالنجيع أغفالها، و من معرّات الأقذار، و النكول عن الأبكار، و من النزول عن البطون و السّرر، و الجوارح الحسنة الغرر، قبل ثقب الدّرر، و لا تجعلنا ممن يستحيى من البكر بالغداة، و تعلم منه كلال الأداة، و هو مجال فضحت فيه رجال، و فراش شكيت فيه أوجال، و أعملت رويّة و ارتجال، فمن قائل: [السريع]

أرفعه طورا على إصبعى و رأسه مضطرب أسفله

كالحنش المقتول يلقى على عود لكى يطرح فى مزبله

و قائل: [السريع]

عدمت من أيرى قوى حسّه يا حسرة المرء على نفسه!

تراه قد مال على أصله كحائط خرّ على أسّه

و قائل: [الطويل]

أ يحسدنى إبليس داءين أصبحا برجلى و رأسى دمّلا و زكاما

فليتهما كانا به و أزيده رخاوة أير لا يطيق قياما

إذا نهضت للنيك أزباب معشر توسّد إحدى خصيتيه و ناما

و قائل: [الطويل]

أقول لأيرى و هو يرقب فتكة به: خبت من أير و عالتك داهيه

إذا لم يكن للأير بخت تعذّرت عليه وجوه النيك من كلّ ناحيه

و قائل: [الطويل]

تعقّف فوق الخصيتين كأنه رشاء إلى جنب الركيّة ملتفّ

كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه إلى أبويه ثم يدركه الضّعف

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۸۴

و قائل: [الطويل]

تكرّش أيرى بعد ما كان أملسا و كان غنيّا من قواه فأفلسا

و صار جوابى للمها إن مررن بى «مضى الوصل إلّا منية تبعث الأسى»

و قائل: [الطويل]

بنفسى من حيّيته فاستخفّ بى و لم يخطر الهجران يوما على بالى

و قابلنى بالغور و النّجد بعد ما حططت به رحلى و جرّدت سربالى

و ما أرتجى من موسر فوق تكة عرضت له شيئا من الحشف البالى

هموم لا- تزال تبكى، و علل الدهر تشكى، و أحاديث تقصّ و تحكى، فإن كنت أعزّك اللّه سبحانه من النمط الأوّل، و لم تقل: [الطويل]

و هل عند رسم دارس من معوّل فقد جنيت الثمر، و استطبت السّمر، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة، و اخرج على قومك فى ثياب الزينة، و استبشر بالوفود، و عرّف المسمع عازفة الجود، و تبجّح بصلابة العود، و إنجاز الوعود، و اجن رمّان النهود، من أغصان القدود، و اقطف ببنان اللثم أقاح الثغور و ورد الخدود، و إن كانت الأخرى فأخف الكمد، و ارض الثمد، و انتظر الأمد، و أكذب التوسّم، و استعمل التّبسّم، و استكتم النّسوة، و أفض فيهنّ الرشوة، و تقلّد المغالطة و ارتكب، وجىء على قميصه بدم كذب، و استنجد الرحمن، و استعن على أمرك بالكتمان: [الكامل]

لا تظهرنّ لعاذل أو عاذر حاليك فى الضرّاء و السرّاء

فلرحمة المتفجّعين حرارة فى القلب مثل شماتة الأعداء

و انتشق الأرج، و ارتقب الفرج، فكم غمام طما وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى [سورة الأنفال، الآية: ۱۷] و املك بعدها عنان نفسك حتى تمكّنك الفرصة، و ترفع إليك القصّة، و لا- تسرع إلى عمل لا تفىء منه بتمام، و خذ عن إمام، و للّه درّ الحارث بن

هشام: [الكامل]

اللّه يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهرى بأشقر مزبد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۸۵

و علمت أنى إن أقاتل دونهم أقتل، و لم يضرر عدوّى مشهدى

ففررت منهم و الأحبّة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

و اللّبانات تلين و تجمح، و المآرب تدنو و تنزح، و تحرن ثم تسمح، و كم من شجاع خام، و يقظ نام، و دليل أخطأ الطريق، و أضلّ الفريق، و اللّه عزّ و جلّ يجعلها خلّة موصولة، و شملا أكنافه بالخير مشمولة، و بنية أركانها لركائب اليمن مأمولة، حتى تكثر خدم سيدى و جواريه، و أسرته و سراريه، و تضفو عليه نعم باريه، ما طورد قنيص، و اقتحم عيص، و أدرك مرام عويص، و أعطى زاهد و حرم حريص، و السلام.

تواليفه- شرح البردة شرحا بديعا دلّ به على انفساخ ذرعه، و تفنّن إدراكه، و غزارة حفظه، و لخّص كثيرا من كتب ابن رشد، و علّق للسلطان أيام نظره فى العقليات تقييدا فى المنطق، و لخّص محصّل الإمام فخر الدين الرازى، و به داعبته أول لقيه، فقلت له: لى عليك مطالبة فإنك لخّصت «محصّلى». و ألّف كتابا فى الحساب، و شرع فى هذه الأيام فى شرح الرجز الصادر عنى فى أصول الفقه بشىء لا غاية فوقه فى الكمال.

و أمّا نثره و سلطانياته السجعية فخلج بلاغة، و رياض فنون، و معادن إبداع، يفرغ عنها يراعه الجرىء، شبيهة البداءات بالخواتم، فى نداوة الحروف، و قرب العهد بحرية المداد، و نفوذ أمر القريحة، و استرسال الطبع.

و أمّا نظمه فنهض لهذا العهد قدما فى ميدان الشعر، و نقده باعتبار أساليبه فانثال عليه جوّه، و هان عليه صعبه، فأتى منه بكل غريبة.

خاطب السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم عام اثنين و ستين و سبعمائة بقصيدة طويلة أولها: [الكامل]

أسرفن فى هجرى و فى تعذيبى و أطلن موقف عبرتى و نحيبى

و أبين يوم البين وقفة ساعة لوداع مشغوف الفؤاد كئيب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۸۶

للّه عهد الظاعنين و غادروا قلبى رهين صبابة و وجيب

غربت ركائبهم و دمعى سافح فشرقت بعدهم بماء غروبى

يا ناقعا بالعتب غلّة شوقهم رحماك فى عذلى و فى تأنيبى

يستعذب الصّبّ الملام و إننى ماء الملام لدىّ غير شريب

ما هاجنى طرب و لا اعتاد الجوى لو لا تذكّر منزل و حبيب

أهفو إلى الأطلال كانت مطلعا للبدر منهم أو كناس ربيب

عبثت بها أيدى البلى و تردّدت فى عطفها للدهر آى خطوب

تبلى معاهدها و إنّ عهودها ليجدّها وصفى و حسن نسيبى

و إذا الديار تعرّضت لمتيّم هزّنة ذكراها إلى التّشبيب

إيه على الصبر الجميل فإنه ألوى بدين فؤادى المنهوب

لم أنسها و الدهر يثنى صرفه و يغضّ طرفى حاسد و رقيب

و الدار مونقة محاسنها بما لبست من الأيام كلّ قشيب

يا سائق الأظعان تعتسف الفلا و تواصل الإسآد بالتأويب

متهافتا عن رحل كلّ مذلّل نشوان من أين و مسّ لغوب

تتجاذب النفحات فضل ردائه فى ملتقاها من صبا و جنوب

إن هام من ظمإ الصبابة صحبه نهلوا بمورد دمعه المسكوب

أو تعترض مسراهم سدف الدّجى صدعوا الدجى بغرامه المشبوب

فى كلّ شعب منية من دونها هجر الأمانى أو لقاء شعوب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۸۷

هلّا عطفت صدورهنّ إلى التى فيها لبانة أعين و قلوب

فتؤمّ من أكناف يثرب مأمنا يكفيك ما تخشاه من تثريب

حيث النبوّة آيها مجلوّة تتلو من الآثار كلّ غريب

سرّ غريب لم يحجّبه الثرى ما كان سرّ اللّه بالمحجوب

و منها بعد تعديد معجزاته صلى اللّه عليه و سلم:

يا سيد الرّسل الكرام ضراعة نقضى منى نفسى و تذهب حوبى

عاقت ذنوبى عن جنابك و المنى فيها تعلّلنى بكلّ كذوب

لا كالألى صرفوا العزائم للتّقى فاستأثروا منها بخير نصيب

لم يخلصوا للّه حتى فرّقوا فى اللّه بين مضاجع و جنوب

هب لى شفاعتك التى أرجو بها صفحا جميلا عن قبيح ذنوبى

إنّ النجاة و إن أتيحت لامرىء فبفضل جاهك ليس بالتّسبيب

إنى دعوتك واثقا بإجابتى يا خير مدعوّ و خير مجيب

قصّرت فى مدحى فإن يك طيّبا فبما لذكرك من أريج الطّيب

ما ذا عسى يبغى المطيل و قد حوى فى مدحك القرآن كلّ مطيب

يا هل تبلّغنى الليالى زورة تدنى إلىّ الفوز بالمرغوب

أمحو خطيئاتى بإخلاصى بها و أحطّ أوزارى و إصر ذنوبى

فى فتية هجروا المنى و تعوّدوا إنضاء كلّ نجيبة و نجيب

يطوى صحائف ليلهم فوق الفلا ما شئت من خبب و من تقريب

إن رنّم الحادى بذكرك ردّدوا أنفاس مشتاق إليك طروب

أو غرّد الرّكب الجلى بطيبة حنّوا لمغناها حنين النّيب

ورثوا اعتساف البيد عن آبائهم إرث الخلافة فى بنى يعقوب

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۸۸

الطاعنون الخيل و هى عوابس يغشى مثار النّقع كلّ سبيب

و الواهبون المقربات هواتنا من كلّ خوّار العنان لعوب

و المانعون الجار حتى عرضهم فى منتدى الأعداء غير معيب

تخشى بوادرهم و يرجى حلمهم و العزّ شيمة مرتجى و مهيب

و منها:

سائل به طامی العباب و قد سری تزجی بریح العزم ذات هبوب

تهدیه شهب أسنّة و عزائم یصدعن لیل الحادث المرهوب

حتی انجلت ظلم الضّلال بسعیه وسطا الهدی بفریقها المغلوب

یا ابن الألی شادوا الخلافة بالتّقی و استأثروک بتاجها المعصوب

جمعوا بحفظ الدین آی مناقب کرموا بها فی مشهد و مغیب

للّه مجدک طارفا أو تالدا فلقد شهدنا منه کلّ عجیب

کم رهبة أو رغبة لک و العلا تقتاد بالترغیب و الترهیب

لا زلت مسرورا بأشرف دولة یبدو الهدی من أفقها المرقوب

تحیی المعالی غادیا أو رائحا و جدید سعدک ضامن المطلوب

و قال من قصیدة خاطبه بها عند وصول هدیّة ملک السودان إلیه و فیها الزرافة: [الکامل]

قدحت ید الأشواق من زندی و هفت بقلبی زفرة الوجد

و نبذت سلوانی علی ثقة بالقرب فاستبدلت بالبعد

و لربّ وصل کنت آمله فاعتضت منه مؤلم الصّدّ

لا عهد عند الصبر أطلبه إنّ الغرام أضاع من عهدی

یلحی العذول فما أعنّفه و أقول ضلّ فأبتغی رشدی

و أعارض النّفحات أسألها برد الجوی فتزید فی الوقد

نفح الطیب من غصن الأندلس الرطیب، ج۷، ص: ۲۸۹

تهدی الغرام إلی مسالکها لتعلّلی بضعیف ما تهدی

یا سائق الوجناء معتسفا طیّ الفلاة لطیّة الوجد

أرح الرکاب ففی الصّبا نبأ یغنی عن المستنّة الجرد

وسل الربوع برامة خبرا عن ساکنی نجد و عن نجد

ما لی تلام علی الهوی خلقی و هی التی تأبی سوی الحمد

لأبیت إلّا الرشد مذ وضحت بالمستعین معالم الرشد

نعم الخلیفة فی هدی و تقی و بناء عزّ شامخ الطّود

نجل السّراة الغرّ شأنهم کسب العلا بمواهب الوجد

و منها:

للّه منّی إذ تأوّبنی ذکراه و هو بشاهق فرد

شهم یفلّ بواترا قضبا و جموع أقیال أولی أید

أوریت زند العزم فی طلبی و قضیت حقّ المجد من قصدی

و وردت عن ظمإ مناهله فرویت من عزّ و من رفد

هی جنّة المأوی لمن کلفت آماله بمطالب المجد

لو لم أعلّ بورد کوثرها ما قلت هذی جنّة الخلد

من مبلغ قومی و دونهم قذف النوی و تنوفة البعد

أنى أنفت على رجائهم و ملكت عزّ جميعهم وحدى

و منها:

و رقيمة الأعطاف حالية موشيّة بوشائع البرد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹۰

وحشيّة الأنساب ما أنست فى موحش البيداء بالقرد

تسمو بجيد بالغ صعدا شرف السّروح بغير ما جهد

طالت رؤوس الشامخات به و لربما قصرت عن الوهد

قطعت إليك تنائفا وصلت إسآدها بالنصّ و الوخد

تحدى على استصعابها ذللا و تبيت طوع القنّ و القدّ

بسعودك اللائى ضمنّ لنا طول الحياة بعيشة رغد

جاءتك فى وفد الأحابش لا يرجون غيرك مكرم الوفد

وافوك أنضاء تقلّبهم أيدى السّرى بالغور و النّجد

كالطيف يستقرى مضاجعه أو كالحسام يسلّ من غمد

يثنون بالحسنى التى سبقت من غير إنكار و لا حجد

و يرون لحظك من وفادتهم فخرا على الأتراك و الهند

يا مستعينا جلّ فى شرف عن رتبة المنصور و المهدى

جازاك ربّك عن خليقته خير الجزاء فنعم ما تسدى

و بقيت للدنيا و ساكنها فى عزّة أبدا و فى سعد

و قال يخاطب عمر بن عبد اللّه مدبّر ملك المغرب: [الكامل]

يا سيد الفضلاء دعوة مشفق نادى لشكوى البثّ خير سميع

ما لى و للإقصاء بعد تعلّة بالقرب كنت لها أجلّ شفيع

و أرى الليالى رنّقت لى صافيا منها فأصبح فى الأجاج شروعى

و لقد خلصت إليك بالقرب التى ليس الزمان لشملها بصدوع

و وثقت منك بأىّ وعد صادق أنى المصون و أنت غير مضيع

و سما بنفسى للخليفة طاعة دون الأنام هواك قبل نزوع

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹۱

حتى انتحانى الكاشحون بسعيهم فصددتهم عنّى و كنت منيعى

رغمت أنوفهم بنجح وسائلى و تقطّعت أنفاسهم بصنيعى

و بغوا بما نقموا على خلائقى حسدا فرامونى بكل شنيع

لا تطمعنّهم ببذل فى التى قد صنتها عنهم بفضل قنوعى

أنّى أضام و فى يدى القلم الذى ما كان طيّعه لهم بمطيع

ولى الخصائص ليس تأبى رتبة حسبى بعلمى ذاك من تفريعى

قسما بمجدك و هو خير أليّة أعتدّها لفؤادى المصدوع

إنى لتصطحب الهموم بمضجعى فتحول ما بينى و بين هجوعى

عطفا علىّ بوحدتى عن معشر نفث الإباء صدودهم فى روعى

أغدو إذا باكرتهم متجلّدا و أروح أعثر فى فضول دموعى

حيران أوجس عند نفسى خيفة فتسرّ فى الأوهام كلّ مروع

أطوى على الزفرات قلبا آده حمل الهموم تجول بين ضلوعى

و لقد أقول لصرف دهر رابنى بحوادث جاءت على تنويع

مهلا عليك فليس خطبك ضائرى فلقد لبست له أجنّ دروع

إنى ظفرت بعصمة من أوحد بذّ الجميع بفضله المجموع

و قال يخاطب بعض الوزراء فى حال وحشة: [الطويل]

هنيئا بصوم لا عداه قبول و بشرى بعيد أنت فيه منيل

و هنّيتها من عزّة و سعادة تتابع أعوام بها و فصول

سقى اللّه دهرا أنت إنسان عينه و لا مسّ ربعا فى حماك محول

فعصرك ما بين الليالى مواسم لها غرر وضّاحة و حجول

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹۲

و جانبك المأمول للجود مشرع يحوم عليه عالم و جهول

عساك و إن ضنّ الزمان منوّلى فرسم الأمانى من سواك محيل

أجرنى و ليس الدهر لى بمسالم إذا لم يكن لى فى ذراك مقيل

و أوليتنى الحسنى بما أنا آمل فمثلك يولى راجيا و ينيل

و و اللّه ما رمت الترحّل عن قلى و لا سخط للعيش فهو جزيل

و لا رغبة فى هذه الدار إنها لظلّ على هذا الأنام ظليل

و لكن نأى بالشعب عنى حبائب دعاهنّ خطب للفراق طويل

يهيج بهنّ الوجد أنى نازح و أنّ فؤادى حيث هنّ حلول

عزيز عليهنّ الذى قد لقيته و أنّ اغترابى فى البلاد يطول

توارت بأنبائى البقاع كأننى تخطّفت أو غالت ركابى غول

ذكرتك يا مغنى الأحبّة و الهوى فطارت بقلبى أنّة و عويل

و حيّيت عن شوق رباك كأنما يمثّل لى نؤى بها و طلول

أحبابنا و العهد بينى و بينكم كريم، و ما عهد الكريم يحول

إذا أنا لم ترض الحمول مدامعى فلا قرّبتنى للّقاء حمول

إلام مقامى حيث لم ترد العلا مرادى و لم تعط القياد ذلول

أجاذب فضل العمر يوما و ليلة و ساء صباح بينها و أصيل

و يذهب فيما بين يأس و مطمع زمان بنيل المكرمات بخيل

تعلّلنى منه أمان خوادع و يؤيسنى ليّان منه مطول

أما لليال لا تردّ خطوبها ففى كبدى من وقعهنّ فلول

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹۳

يروّعنى من صرفها كلّ حادث تكاد له صمّ الجبال تزول

أدارى على رغم العدا لا لريبة يصانع واش خوفها و عذول

و أغدو بأشجانى عليلا كأنما تجود بنفسى زفرة و غليل

و إنى و إن أصبحت فى دار غربة تحيل الليالى سلوتى و تزيل

و صدّتنى الأيام عن خير منزل عهدت به أن لا يضام نزيل

لأعلم أنّ الخير و الشّرّ ينتهى مداه و أنّ اللّه سوف يديل

و أنى عزيز بابن ماساى مكثر و إن هان أنصار و بان خليل

و قال يمدح: [الكامل]

هل غير بابك للغريب مؤمّل أو عن جنابك للأمانى معدل

هى همّة بعثت إليك على النّوى عزما كما شحذ الحسام الصّيقل

متبوّأ الدنيا و منتجع المنى و الغيث حيث العارض المتهلّل

حيث القصور الزاهرات منيفة تعنى بها زهر النجوم و تحفل

حيث الخيام البيض ترفع للعلا و المكرمات طرافها المتهدّل

حيث الحمى للعزّ دون مجاله ظلّ أقاءته الوشيج الذّبّل

حيث الكرام ينوب عن نار القرى عرف الكباء بحيّهم و المندل

حيث الجياد أملّهنّ بنو الوغى ممّا أطالوا فى المغار و أوغلوا

حيث الوجوه الغرّ قنّعها الحيا و البشر فوق جبينها يتهلّل

حيث الملوك الصّيد و النفر الألى عزّ الجوار لديهم و المنزل

و أنشد السلطان أبا عبد اللّه بن أبى الحجاج لأول قدومه ليلة الميلاد الكريم عام أربعة و ستين و سبعمائة هذه القصيدة: [البسيط]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹۴

حيّ المعاهد كانت قبل تحيينى بواكف الدمع يرويها و يظمينى

إنّ الألى نزحت دارى و دارهم تحمّلوا القلب فى آثارهم دونى

وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم فيهم و أسأل رسما لا يناجينى

أمثل الربع من شوق و ألثمه و كيف و الفكر يدينه و يقصينى

و ينهب الوجد منى كلّ لؤلؤة ما زال جفنى عليها غير مأمون

سقت جفونى مغانى الرّبع بعدهم فالدمع وقف على أطلاله الجون

قد كان للقلب عن داعى الهوى شغل لو أنّ قلبى إلى السّلوان يدعونى

أحبابنا، هل لعهد الوصل مدّكر منكم و هل نسمة منكم تحيّينى

ما لى و للطّيف لا يعتاد زائره و للنسيم عليلا لا يداوينى

يا أهل نجد، و ما نجد و ساكنها حسنا سوى جنّة الفردوس و العين

أعندكم أننى ما مرّ ذكركم إلّا انثنيت كأنّ الراح تثنينى

أصبو إلى البرق من أنحاء أرضكم شوقا، و لولاكم ما كان يصبينى

يا نازحا و المنى تدنيه من خلدى حتى لأحسبه قربا يناجينى

أسلى هواك فؤادى عن سواك و ما سواك يوما بحال عنك يسلينى

ترى الليالى أنستك أدّكارى يا من لم يكن ذكره الأيام تنسينى

و منها:

أبعد مرّ الثلاثين التى ذهبت أولى الشباب بإحسانى و تحسينى

أضعت فيها نفيسا ما وردت به إلّا سراب غرور لا يروّينى

وا حسرتا من أمان كلّها خدع تريش غيّى و مرّ الدهر يبرينى

و منها فى وصف المشور المبنى لهذا العهد:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹۵

يا مصنعا شيّدت منه السعود حمى لا يطرق الدهر مبناه بتوهين

صرح يحار لديه الطّرف مفتتنا فيما يروقك من شكل و تكوين

بعدا لإيوان كسرى إنّ مشورك ال سامى لأعظم من تلك الأواوين

ودع دمشق و مغناها فقصرك ذا «أشهى إلى القلب من أبواب جيرون»

و منها فى التعريض بالوزير الذى كان انصرافه بسببه:

من مبلغ عنى الصّحب الألى جهلوا ودّى وضاع حماهم إذ أضاعونى

أنى أويت من العليا إلى حرم كادت مغانيه بالبشرى تحيّينى

و أننى ظاعن لم ألق بعدهم دهرا أشاكى و لا خصما يشاكينى

لا كالتى أخفرت عهدى ليالى إذ أقلّب الطّرف بين الخوف و الهون

سقيا ورعيا لأيامى التى ظفرت يداى منها بحظّ غير مغبون

أرتاد منها مليّا لا يماطلنى وعدا و أرجو كريما لا يعنّينى

و منها:

و هاك منها قواف طيّها حكم مثل الأزاهر فى طىّ الرياحين

تلوح إن جليت درّا، و إن تليت تثنى عليك بأنفاس البساتين

عانيت منها بجهدى كلّ شاردة لو لا سعودك ما كانت تواتينى

يمانع الفكر عنها ما تقسّمه من كلّ حزن بطىّ الصدر مكنون

لكن بسعدك ذلّت لى شواردها فرضت منها بتحبير و تزيين

بقيت دهرك فى أمن و فى دعة و دام ملكك فى نصر و تمكين

و هو الآن بحالته الموصوفة من الوجاهة و الحظوة قد استعمل فى السفارة إلى ملك قشتالة فراقه و عرف حقّه.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹۶

مولده بتونس بلده فى شهر رمضان عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة؛ انتهى كلام لسان الدين فى حقّ ابن خلدون.

### [تعليق للمؤلف على ترجمة لسان الدين لابن خلدون]

قلت: هذا كلام لسان الدين فى حقّ المذكور فى مبادئ أمره و أواسطه، فكيف لو رأى تاريخه الكبير الذى نقلنا منه فى مواضع و سمّاه

«ديوان العبر، و كتاب المبتدإ و الخبر، فى تاريخ العرب و العجم و البربر، و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» و رأيته بفاس و عليه خطّه فى ثمانى مجلّدات كبار جدّا، و قد عرّف فى آخره بنفسه، و أطال، و ذكر أنه لما كان بالأندلس و حظى عند السلطان أبى عبد اللّه شمّ من وزيره ابن الخطيب رائحة الانقباض، فقوض الرحال، و لم يرض من الإقامة بحال، و لعب بكرته صوالجة الأقدار، حتى حلّ بالقاهرة المعزّية و اتّخذها خير دار، و تولّى بها قضاء القضاة و حصلت له أمور، رحمه اللّه تعالى!.

و كان- أعنى الولى ابن خلدون- كثير الثناء على لسان الدين بن الخطيب رحمه اللّه تعالى!.

### [من كلام الشيخ إبراهيم الباعونى فى حق لسان الدين]

و لقد رأيت بخطّ العالم الشهير الشيخ إبراهيم الباعونى الشامى فيما يتعلّق بابن خلدون ما نصّ محل الحاجة منه: تقلّبت به الأحوال حتى قدم إلى الديار المصرية، و ولى بها قضاء قضاة المالكية، فى الدولة الشريفة الظاهرية، و صحبته- رحمه اللّه تعالى!- فى سنة ۸۰۳ عند قدومه إلى الشام صحبة الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق فى فتنة تمرلنك عليه من اللّه تعالى ما يستحقّه، و أكرمه تمرلنك غاية الإكرام، و أعاده إلى الديار المصرية، و كنت أكثر الاجتماع به بالقاهرة المحروسة للمودّة الحاصلة بينى و بينه، و كان يكثر من ذكر لسان الدين بن الخطيب، و يورد من نظمه و نثره ما يشنف به الأسماع، و ينعقد على استحسانه الإجماع، و تتقاصر عن إدراكه الأطماع، فرحمة اللّه تعالى عليهما، و أزكى تحياته تهدى إليهما! و لقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان، و له من النظم و النثر ما يزرى بعقود الجمان، مع الهمّة العلية، و التبحّر فى العلوم النقلية و العقلية، و كانت وفاته بالقاهرة المعزية سنة ۸۰۷، سقى اللّه تعالى عهده! و وطّأ فى الفردوس مهده! قاله و كتبه الفقير إلى اللّه تعالى إبراهيم بن أحمد الباعونى الشافعى، غفر اللّه تعالى له زلله، و أصلح خلله! انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹۷

### [ترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى، من إنشاء لسان الدين]

و من نثر لسان الدين ما ذكره فى «الإحاطة» فى ترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى من بنى الترجمان، و لنذكر الترجمة بجملتها لاشتمالها على ما ذكر و غيره فى حقّ المذكور بعد قوله «إنه من بنى الترجمان» ما صورته: «عزف عنهم و انقطع إلى لقاء الصالحين، و صحبة الفقراء المتجرّدين، و كان نسيج وحده فى طلاقة اللسان، حافظا لكل غريبة من غرائب الصوفية، يتكلّم فى مشكلاتهم، حفظ «منازل السائرين» للهروى، و تائية ابن الفارض، مليح الملبس، مترفّع عن الكدية، حسن الحديث، صاحب شهرة، و مع ذلك فمغضوض منه، محمول عليه، لما جبل عليه من رفض الاصطلاح، و اطّراح التغافل، مولع بالنقد، و المخالفة فى كل ما يطرق سمعه، مرشحا ذلك بالجدل المبرم، ذاهبا أقصى مذاهب القحة، كثير الفلتات، نالته بسبب هذه البلية محن، و وسم بالرهق فى دينه مع صحّة العقل، و هو الآن عامر الرباط المنسوب إلى اللّجام على رسم الشياخة، عديم التابع، مهجور الفناء. قيّد الكثير من الأجزاء، منها فى نسبة الذنب إلى الذاكر، جزء نبيل غريب المأخذ، و منها فيما أشكل من كتاب أبى محمد بن الشيخ، و صنّف كتابا كبير الحجم فى الاعتقادات جلب فيه كثيرا من الحكايات، رأيت عليه بخطّ شيخنا أبى عبد اللّه المقرى ما يدلّ على استحسانه. و من البرسام الذى يجرى على لسانه، بين الجد و القحة و الجهالة و المجانة، قوله لبعض خدام باب السلطان و قد ضويق فى شىء أضجره منقولا من خطّه، بعد ردّ كثير منه للإعراب، ما نصّه: اللّه نور السماوات من غير نار و لا غيرها، و السلطان ظلّ له و سراجه فى الأرض، و لكل منهما فراش ممّا يليق به و يتهافت عليه، فهو تعالى محرق فراشه بذاته، مغرفهم بصفاته و سراجه، و ظلّه هو السلطان محرق فراشه بناره، مغرقهم بزيته و نواله، ففراش اللّه تعالى ينقسم إلى حافّين و مسبّحين و مستغفرين و أمناء و شاخصين، و فراش السلطان ينقسمون إلى أقسام لا يشذّ أحدهم عنها، و هم وزغة ابن وزغة، و كلب ابن كلب، و كلب مطلقا، و عار ابن عار، و ملعون ابن ملعون، و قطّ، فأما

الوزغة فهو المغرق فى زيت نواله المشغول بذلك عمّا يليق بصاحب النعمة من النصح و بذل الجهد، و الكلب ابن الكلب هو الكيّس المتحرّز فى تهافته من إحراق و إغراق يعطى بعض الحقّ و يأخذ بعضه، و أمّا الكلب مطلقا فهو المواجه و هو المشرد للسفهاء عن الباب المعظم القليل النعمة، و أما العار ابن العار فهو المتعاطى فى تهافته ما فوق الطوق، و لهذا امتاز هذا الاسم بالرياسة عند العامة إذا مرّ بهم جلف أو متعاظم يقولون: هذا العار ابن العار، يحسب نفسه رئيسا، و ذلك لقرب المناسبة؛ فهو موضوع لبعض

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹۸

الرياسة، كما أنّ الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة، و أما الملعون ابن الملعون فهو المغالط المعاند المشارك لربّه المنعم عليه فى كبريائه و سلطانه، و أما القطّ فهو الفقير مثلى المستغنى عنه لكونه لا تختصّ به رتبة، فتارة فى حجر الملك، و تارة فى السنداس، و تارة فى أعلى الرتب، و تارة محسن، و تارة مسىء، تغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة، إذ هو من الطّوّافين، متطيّر بقتله و إهانته، تيّاه فى بعض الأحايين بعزّة يجدها من حرمة أبقاها له الشارع، و كل ذلك لا يخفى.

و أمّا الفراش المحرق فهو عند الدول نوعان: تارة يكون ظاهرا و حصته مسح المصباح و تصفية زيته، و إصلاح فتيله و ستر دخانه و مسايسة ما يكون من المطلوب منه، و وجود هذا شديد الملازمة ظاهرا، و أمّا المحرق الباطن فهو المشار إليه فى دولته بالصلاح و الزهد و الورع فيعظّمه الخلق و يترك لما هو بسبيله، فيكون وسيلة بينهم و بين ربّهم و خليفته الذى هو مصباحهم، فإذا أراد اللّه تعالى إهلاك المروءة و إطفاء مصباحها تولّى ذلك أهل البطالة و الجهالة، و كان الأمر كما رأيتم، و الكل فراش متهافت، و كلّ يعمل على شاكلته».

قال الوزير لسان الدين: و طلب منى الكتب عليه بمثل ذلك فكتبت ببعض أوراقه إثارة لضجره، و استدعاء لفكاهة انزعاجه، ما نصّه: «وقفت من الكتاب المنسوب لصاحبنا أبى زكريا البرغواطى على برسام محموم، و اختلاط مذموم، و انتساب زنج فى روم، و كان حقّه أن يتهيّب طريقا لم يسلكها، و يتجنّب عقيلة لم يملكها، إذ المذكور لم يتلقّ شيئا من علم الأصول، و لا نظر من الإعراب فى فصل من الفصول، إنما هى قحة و خلاف، و تهاون بالمعارف و استخفاف، غير أنه يحفظ فى طريق القوم كلّ نادرة، و فيه رجولية ظاهرة، و عنده طلاقة لسان، و كفاية قلّما تتأتّى لإنسان. فإلى اللّه نضرع أن يعرّفنا مقادير الأشياء، و يجعلنا بمعزل عن الأغبياء. و قد قلت مرتجلا من أوّل نظرة، و اجتزاء بقليل من كثرة: [الخفيف]

كلّ جار لغاية مرجوّة فهو عندى لم يعد حقّ الفتوّة

و أراك اقتحمت ليلا بهيما مولجا منك ناقة فى كوّه

لا اتّباعا و لا اختراعا أتتنا إذ نظرنا عروسك المجلوّه

كلّ ما قلته فقد قاله النا س مقالا آياته متلوّه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۲۹۹

لم تزد غير أن أبحت حمى الإع راب فى كلّ لفظة مقروّه

نسأل اللّه فكرة تلزم العق ل إلى حشمة تحوط المروّه

و عزيز علىّ أن كنت يحيى ثم لم تأخذ الكتاب بقوّة

### [من لسان الدين إلى السلطان بن يغمراسن]

و من بديع نثر لسان الدين رحمه اللّه تعالى ما كتبه لسلطان تلمسان إثر قصيدة سينية حازت قصب السبق، و لنثبت الكلّ هنا فنقول: قال الإمام الحافظ أبو عبد اللّه التنيسى نزيل تلمسان رحمه اللّه تعالى، عند ما جرى ذكر أمير المسلمين السلطان أبى حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان رحمه اللّه تعالى، ما صورته: و كان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد اللّه بن الخطيب كثيرا ما يوجّه

إليه بالأمداح، و من أحسن ما وجّه له قصيدة سينية فائقة، و ذلك عند ما أحسّ بتغيّر سلطانه عليه، فجعلها مقدّمة بين يدى نجواه، لتمهد له مثواه، و تحصل له المستقرّ، إذ ألجأه الأمر إلى المفرّ، فلم تساعده الأيام، كما هو شأنها فى أكثر الأعلام، و هى هذه: [الكامل]

أطلعن فى سدف الفروع شموسا ضحك الظلام لها و كان عبوسا

و عطفن قضبا للقدود نواعما بوّئن أدواح النعيم غروسا

و عدلن عن جهر السلام مخافة ال واشى فجئن بلفظه مهموسا

و سفرن من دهش الوداع و قوم هنّ إلى الترحّل قد أناخوا العيسا

و خلسن من خلل الحجال إشارة فتركن كلّ حجالها مخلوسا

لم أنسها من وحشة و الحىّ قد زجر الحمول و آثر التغليسا

لا الملتقى من بعدها كتب و لا عوج الركائب تسأم التجنيسا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰۰

فوقفت وقفة هائم برحاؤه وقفت عليه و حبّست تحبيسا

و دعوت عينى عاتبا و عيونها بعصا النوى قد بجّست تبجيسا

نافست يا عينىّ درّ دموعهم فعرضت درّا للدموع نفيسا

ما للحمى بعد الأحبّة موحشا و لكم تراءى آهلا مأنوسا

و لسربه حول الخميلة نافرا عمّن يحسّ به و كان أنيسا

و لظلّه المورود غمر قليبه لا يقتضى وردا و لا تعريسا

حيّيته فأجابنى رجع الصدى لا فرق بينهما إذا ما قيسا

ما إن يزيد على الإعادة صوته حرفا فيشفى بالمزيد نسيسا

نضب المعين و قلّص الظلّ الذى ظلنا عكوفا عنده و جلوسا

نتواعد الرّجعى و نغتنم اللقا و ندير من شكوى الغرام كؤوسا

فإذا سألت فلا تسائل مخبرا و إذا سمعت فلا تحسّ حسيسا

عهدى به و الدهر يتحف بالمنى و قد اقتضت نعماه أن لا بوسا

و العيش غضّ الرّيع و الدنيا قد اج تليت بمغناه علىّ عروسا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص ۳۰۰

أ ترى يعيد الدهر عهدا للصّبا درست مغانى الأنس فيه دروسا

أوطان أوطار تعوّض أفقها من رونق البشر البهىّ عبوسا

هيهات لا تغنى لعلّ و لا عسى فى مثلها إلّا لآية عيسى

و الدهر فى دست القضاء مدرّس فإذا قضى يستأنف التدريسا

تفننّ فى جمل الورى أبحاثه لا سيما فى باب نعم وبيسا

و سجيّة الإنسان ليس بناصل من صبغها حتى يرى مرموسا

يغترّ مهما ساعدت آماله فإذا عراه الخطب كان يؤوسا

فلو أن نفسا مكّنت من رشدها يوما و قدّسها الهدى تقديسا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰۱

لم تستفزّ رسوخها النعمى و لا هلعت إذا كشرت إليها البوسا

قل للزمان إليك عن متذمّم بضمان عزّ لم يكن ليخيسا

فإذا استحرّ جلاده فأنا الذى اس تغشيت من سرد اليقين لبوسا

و إذا طغى فرعونه فأنا الذى من ضرّه و أذاه عذت بموسى

أنا ذا أبو مثواه من يحمى الحمى ليثا و يعلم بالزئير الخيسا

بحمى أبى حمو حططت ركائبى لمّا اختبرت الليث و العرّيسا

أسد الهياج إذا خطا قدما سطا فتخلّف الأسد الهزبر فريسا

بدر الهدى يأبى الضلال ضياؤه أبدا فيجلو الظلمة الحنديسا

جبل الوقار رسا و أشرف و اعتلى و سما فطأطات الجبال رؤوسا

غيث النوال إذا الغمام حلوبة مثلت بأيدى الحالبين بسوسا

تلقاه يوم الأنس روضا ناعما و تراه بأسا فى الهياج بئيسا

كم غمرة جلّى و كم خطب كفى إن أوطأ الجرد العتاق و طيسا

كم حكمة أبدى و كم قصد هدى للسالكين أبان منه دريسا

أعلى بنى زيان و القد الذى لبس الكمال فزيّن الملبوسا

جمع الندى و البأس و الشّيم العلا و السؤدد المتواتر القدموسا

و الحلم ليس يباين الخلق الرضى و العلم ليس يعارض الناموسا

و السعد يغنى حكمه عن نصبة تستخبر التربيع و التسديسا

كم راض صعبا لا يراض معاصيا كم خاض بحرا لا يخاض ضروسا

بلغ التى لا فوقها متمهّلا و علا السّها و استسفل البرجيسا

يا خير من خفقت عليه سحابة للنصر تمطره أجشّ بجيسا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰۲

و أجلّ من حملته صهوة سابح إن كرّ ضعضع كرّه الكردوسا

قسما بمن رفع السماء بغير ما عمد و رفّع فوقها إدريسا

و دحا البسيطة فوق لجّ مزيد ما إن يزال على القرار حبيسا

حتى يهيب بأهله الوعد الذى حشر الرئيس إليه و المرؤوسا

ما أنت إلّا ذخر دهرك دمت فى ال صون الحريز ممتّعا محروسا

لو ساومته الأرض فيك بما حوت لرآك مستاما بها مبخوسا

حلف البرور بها أليّة صادق و يمين من عقد اليمين غموسا

من قاس ذاتك بالذوات فإنه جهل الوزان و أخطأ التقييسا

لا تستوى الأعيان فضل مزيّة و طبيعة فطر الإله وسوسا

لعناية التخصيص سرّ غامض من قبل ذرء الخلق خصّ نفوسا

من أنكر الفضل الذى أوتيته جحد العيان و أنكر المحسوسا

من دان بالإخلاص فيك فعقده لا يقبل التمويه و التّلبيسا

و المنتمى العلويّ عيصك لم تكن لترى دخيلا فى بنيه دسيسا

بيت البتول و منبت الشرف الذى تحمى الملائك روحه المغروسا

أمّا سياستك التى أحكمتها و رميت بالتقصير أسطاليسا

فلو أنّ كسرى الفرس أبصر بعضها ما كان يطمع أن يعدّى سوسا

لو سار عدلك فى السنين لما اشتكت بخسا، و لم يك بعضهنّ كبيسا

و لو الجوارى الخنّس انتسبت إلى إقدام عزمك ما خنسن خنوسا

قدت الصعاب فكلّ صعب سامح لك بالقياد و كان قبل شموسا

تلقى الليوث و للقتام غمامة قدح الصفيح وميضها المقبوسا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰۳

و كأنها تحت الدروع أراقم ينظرن من خلل المغافر شوسا

ما لابن مامة فى القديم و حاتم ضرب الزمان بجودهم ناقوسا

من جاء منهم مثل جودك كلّما حسبوا المكارم كسوة أو كيسا

أنت الذى فتك السفين و أهله إذ أوسعت سبل الخلاص طموسا

أنت الذى أمددت ثغر اللّه بالص دقات تبلس كرّة إبليسا

و أعنت أندلسا بكلّ سبيكة موسومة لا تعرف التّدنيسا

و شحنته بالبر فى سبل الرضا و البرّ قارب قاعها القاموسا

إن لم تجرّ بها الخميس فطالما جهّزت فيها للنّوال خميسا

و ملأت أيديها و قد كادت على حكم القضاء تشافه التفليسا

صدّقت للآمال صنعة جابر و كفيتها التشميع و التشميسا

و الحلّ و التقطير و التصعيد و ال تخمير و التصويل و التكليسا

فسكبت من آمالها مالا، و من أوراقها ورقا، و كنّ طروسا

بهتوا فلمّا استخبروا لم ينكروا وزنا و لا لونا و لا ملموسا

و تدير من قلب السّطور سبائكا منها و من طبع الحروف فلوسا

و نحوت نحو الفضل تعضد منه بال مسموع ما ألفيت منه مقيسا

و جبرت بعد الكسر قومك جاهدا تغنى العديم و تطلق المحبوسا

و نشرت راية عزّهم من بعد ما دال الزمان فسامها تنكيسا

أحكمت حيلة برئهم بلطافة قد أعجزت فى الطبّ جالينوسا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰۴

و فللت من حدّ الزمان و إنه أوحى و أمضى من غرار الموسى

و شحذت حدّا كان قبل مثلّما و نعشت جدّا كان قبل تعيسا

لم ترج إلّا اللّه جلّ جلاله فى شدّة تكفى و جرح يوسى

قدّمت صبحا فاستضأت بنوره و وجدت عند الشدّة التنفيسا

ما أنت إلّا والج متيقّن بالنّجح تعمر ممرعا و يبيسا

و مناجز جعل الأريكة صهوة عربيّة و المتّكا القربوسا

ما إن تبايع أو تشارى واثقا بالربح إلّا المالك القدّوسا

و العزم يفترع النجوم بناؤه مهما أقام على التّقى تأسيسا

و مقام صبرك و اتّكالك مذكر بحديثه الشبلىّ أو طاوسا

و من ارتضاه اللّه وفّق سعيه فرأى العظيم من الحظوظ خسيسا

ما ازددت بالتمحيص إلّا جدّة و نضوت من خلع الزمان لبيسا

و لطالما طرق الخسوف أهلّة و لطالما اعترض الكسوف شموسا

ثم انجلت نسماتها عن مشرق للسّعد ليس بحاذر تتعيسا

خذها إليك على النوى سيّئة ترضى الطّباق و تشكر التجنيسا

إن طوولت بالدّرّ من حول الطّلى يوما تشكّت حظّها الموكوسا

لولاك ما أصغت لخطبة خاطب و لعّنست فى بيتها تعنيسا

قصدت سليمان الزمان و قاربت فى الخطو تحسب نفسها بلقيسا

لى فيك ودّ لم أكن من بعد ما أعطيت صفقة عهده لأخيسا

كم لى بصحة عقده من شاهد لا يحذر التجريح و التدليسا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰۵

يقفو الشهادة باليمين، و إنه لمؤمّن من أن يعدّ قسيسا

لا يستقرّ قرار أفكارى إلى أن أستقرّ لدى علاك جليسا

و أرى تجاهك مستقيم السير لل قصد الذى أعملته معكوسا

هى دين أيامى فإن سمحت به لم يبق من شىء عليه يوسى

لا زال صنع اللّه محبوبا إلى مثواك يهدى البشر و التأنيسا

متتابعا كتتابع الأيام لا يذر التعاقب جمعة و خميسا

فلو انصفتك إيالة الملك التى رضت الزمان لها و كان شريسا

قرنت بذكرك و الدعاء لك الذى تختاره التسبيح و التقديسا

القلب أنت لها رئيس حياتها لم تعتبر مهما صلحت رئيسا

ثم قال الحافظ التنيسى رحمه اللّه تعالى بعد سرد هذه القصيدة ما معناه: إن لسان الدين بن الخطيب حذا فى هذه القصيدة السينية حذو أبى تمام فى قصيدته التى أولها:

[الكامل]

أقشيب ربعهم أراك دريسا تقرى ضيوفك لوعة و رسيسا

و اختلس كثيرا من ألفاظها و معانيها، انتهى.

و وصل لسان الدين هذه القصيدة بنثر بديع نصّه: «هذه القصيدة- أبقى اللّه تعالى أيام المثابة المولوية الموسوية ممتعة بالشمل المجموع، و الثناء المسموع، و الملك المنصور الجموع!- نفثة من باح بسرّ هواه، و لبّى دعوة الشوق العابث بلبّه و قد ظفر بمن يهدى خبر حواه إلى محلّ هواه، و يختلس بعث تحيّته، إلى مثير أريحيته، و هى بالنسبة إلى ما يعتقد من ذلك الكمال، الشاذّ عن الآمال، عنوان من كتاب، و ذواق من أوقار ذات أقتاب، و إلّا فمن يقوم بحقّ تلك المثابة لسانه، أو يكافىء إحسانها إحسانه، أو يستقلّ

بوصفها يراعه، أو تنهض بأيسر وظيفها ذراعه؟ و لا مكابرة بعد الاعتراف، و البحر لا ينفد بالاغتراف، لا سيما و ذاتكم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰۶

اليوم و اللّه تعالى يبقيها، و من المكاره يقيها، و فى معارج القرب من حضرة القدس يرقيها، ياقوتة اختارها و اعتبرها، ثم ابتلاها بالتمحيص فى سبيل التخصيص و اختبرها، و سبيكة أخلصها و سخّرها، فخلصها لتسخيره من الشّوب، و أبرزها من لباب الذوب، و قصرت عن هذه الأثمان، و سرّ بصدق دعواه البهرمان، ليفاضل بين الجهام و الصّيّب، و يميز اللّه الخبيث من الطّيّب، فأراكم أن لا جدوى للعديد و لا للعدّة، و عرّفكم بنفسه فى حال الشدّة، ثم فسح لكم بعد ذلك فى المدّة، لتعرفوه إذا دال الرخاء، و هبّت بعد تلك الزعازع الريح الرّخاء، و ملأكم من التجارب، و أوردكم من ألطافه أعذب المشارب، و نقلكم بين إمرار الزمان و إحلائه، و لم يسلبكم إلّا حقيرا عند أوليائه، و أعادكم المعاد المطهر، و ألبسكم من أثواب اختصاصه المعلم المشهّر، فأنتم اليوم بعين العناية، بالإفصاح و الكناية، قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف بالجناية، فإن كان الملك اليوم علما يدرس، و قوانين فى قوّة الحفظ تغرس، و بضاعة برصد التجارب تحرس، فأنتم مالك دار هجرته المحسوبة، و أصمعىّ شعوبه المنسوبة، إلى ما حزتم من أشتات الكمال، المربية على الآمال، فالبيت علوى المنتسب، و الملك بين الموروث و المكتسب، و الجود يعترف به الوجود، و الدين يشهد به الركوع و السجود، و البأس تعرفه التّهائم و النّجود، و الخلق يحسده الروض المجود، و الشعر يغترف من عذب نمير، و يصدق من قال: بدىء بأمير و ختم بأمير، و إنّ مملوككم حوم من بابكم على العذب البرود، فعاقه الدهر عن الورود، و استقبل أفقه ليحقّق الرّصد، و لكنه أخطأ القصد، و من أخطأ الغرض أعاد، و رجا من الزمان الإسعاد، فربما خبىء نصيب، أو كان مع الخواطىء سهم مصيب، و كان يؤمل صحبة ركاب الحجاز، فانتقلت الحقيقة منه إلى المجاز، و قطعت القواطع التى لم ينلها الحساب، و منعت الموانع التى خلص منها إلى الفتنة الانتساب، و من طلب الأيام أن تجرى على اقتراحه، وجب العمل على اطّراحه، فإنما هى البحر الزاخر، الذى لا يدرك منه الآخر، و الرياح متغايرة، و السفينة الحائرة، فتارة يتعذّر من المرسى الصرف،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰۷

و تارة تقطع المسافة البعيدة قبل أن يرتدّ الطّرف، هذا إن سالمها عطبها، و أعفى من الوقود حطبها، و لقد علم اللّه جلّ جلاله أنّ لقاء ذلك المقام الكريم عند الملوك تمام المطلوب، ممّن يجبر كسر القلوب، فإنه ممّا انعقد على كماله الإجماع، و صحّ فى عوالى معاليه السّماع، و ارتفعت فى وجود مثاله الأطماع، أخلاقا هذّبها الكرم الوضّاح، و سجية كلف بها الكمال الفضاح، و حرصا على الذكر الجميل و ما يتنافس فيه إلّا من سمت همته، و كرمت ذممه، و ألفت الخلد رممه، إذ الوجود سراب، و ما فوق التراب تراب، و لا يبقى إلّا عمل راق، أو ذكر بالجميل يسطّر فى أوراق، حسبما قلت من قصيدة كتبتها على ظهر مكتوب موضوع أشار به من كانت له طاعة، فوفت بمقترحه استطاعة: [الكامل]

يمضى الزمان و كلّ فان ذاهب إلّا جميل الذكر فهو الباقى

لم يبق من إيوان كسرى بعد ذا ك الحفل إلّا الذكر فى الأوراق

هل كان للسفاح و المنصور و ال مهدىّ من ذكر على الإطلاق

أو للرشيد و للأمين و صنوه لو لا شباة يراعة الورّاق

رجع التراب إلى التراب بما اقتضت فى كلّ خلق حكمة الخلاق

إلّا الثناء الخالد العطر الشّذى يهدى حديث مكارم الأخلاق

و الرغبة من مقامكم الرفيع الجناب، أن يمكنها من حسن المثاب، فتحظى بحلول ساحته، ثم بلثم راحته، ثم بالإصغاء، و لا مزيد للابتغاء، إلى أن ترتفع الوساطة، و تغنى عن التركيب البساطة، و ينسى الأثر بالعين، و يحسن الدهر قضاء الدين، و نسأل الذى أغرى بها القريحة، و لم يجعل الباعث إلّا المحبة الصريحة، أن يبقى تلك المثابة زينا للزمان، و ذخرا مكنوفا باليمن و الأمان، مظلّلا برحمة

الرحمن، بفضله و كرمه؛ انتهى.

### [من إنشاء لسان الدين ما كتب به إلى شيخه أبى عبد اللّه بن مرزوق]

و ممّا كتب به لسان الدين رحمه اللّه تعالى إلى الشيخ الرئيس الخطيب شيخه أبى عبد اللّه بن مرزوق رحمه اللّه تعالى حين كانت أزمّة أمر المغرب بيده أيام السلطان أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى رحم اللّه تعالى الجميع! ما صورته:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰۸

«سيدى بل مالكى بل شافعى، و منتشلى من الهفوة و رافعى، عاصمى عند تجويد حروف الصنائع و نافعى، الذى بجاهه أجزلت المنازل قراى، و فضلت أولاى و المنّة للّه تعالى أخراى، و أصبحت و قول أبى الحسن هجّيراى: [الطويل]

علقت بحبل من حبال محمد أمنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهرى بظلّ جناحه فعينى ترى دهرى و ليس يرانى

فلو تسأل الأيام ما اسمى ما درت و أين مكانى ما عرفن مكانى

وصلت مكناسة حرسها اللّه تعالى حدانى حدو نداك، سحائب لو لا الخصال المبرة قلت بذاك، و كان الوطن لاغتباطه بجوارى، أو ما رآه من انتياب زوّارى، أوغر إلى بهت يقطع الطريق، و أطلع يده على التفريق، و أشرق القوافل مع كثرة الماء بالريق، فلم يسع إلّا المقام أياما قعودا فى البر و قياما، و اختيارا لضروب الأنس و اعتياما، و رأيت بلدة معارفها أعلام، و هواؤها برد و سلام، و محاسنها تعمل فيها ألسنة و أقلام، فحيّا اللّه تعالى سيدى فلكم من فضل أفاد، و أنس أحياه و قد باد، و حفظ منه على الأيام الذخر و العتاد، كما ملكه زمام الكمال فاقتاد، و أنا أتطارح عليه فى صلات تفقّده، و موالاة يده، بأن يسهمنى فى فرض مخاطبته مهما خاطب معتبرا بهذه الجهات، و يصحبنى من مناصحته بكؤوس مسرّة يعمل فيها هاك و هات، فالعزّ بعزّه معقود، و السعد بوجوده موجود، و منهل السرور بسروره مورود، و اللّه عزّ و جلّ يبقيه بقاء الدهر، و يجعل حبّه وظيفة السّرّ و حمده وظيفة الجهر، و يحفظ على الأيام من زمنه زمن الزهر، و يصل لنا تحت إيالته العام بالعام و الشهر بالشهر، آمين آمين»؛ انتهى.

### [من إنشائه تهنئة إلى أبى عبد اللّه بن أبى القاسم بن أبى مدين]

و مما خاطب به لسان الدين رحمه اللّه تعالى صاحب الأشغال بالمغرب أبا عبد اللّه بن أبى القاسم بن أبى مدين يهنيه بتقلّد المنصب من رسالة قوله: [المتقارب]

تعود الأمانىّ بعد انصراف و يعتدل الشىء بعد انحراف

فإن كان دهرك يوما جنى فقد جاء ذا خجل و اعتراف

طلع البشير أبقاك اللّه تعالى بقبول الخلافة المرينية، و الإمامة النسيّة، خصّها اللّه تعالى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۰۹

ببلوغ الأمنية، على تلك الذات التى طابت أرومتها و زكت، و تأوّهت العلياء لتذكر عهدها و بكت، و كاد السرور يتقطع لو لا أنها تركت منك الوارث الذى تركت، فلو لا العذر الذى تأكّدت ضرورته، و المانع الذى ربما تقرّرت لديكم صورته، لكنت أول مشافه بالهناء، و مصارف لهذا الاعتناء، الوثيق البناء، بنقود الحمد للّه و الثناء، و هى طويلة.

### [من إنشائه ما كتب به إلى قاضى الجماعة، و قد نالته مشقة]

و ممّا خاطب به رحمه اللّه تعالى قاضى الجماعة و قد نالته مشقّة جرّها غلط الخدّام السوء و اشتراك الأسماء، أعتبه عندها السلطان و

خلع عليه و أشاد بقدره بما نصّه: [الطويل]

تعرّفت أمرا ساءنى ثم سرّنى و فى صحّة الأيام لا بدّ من مرض

تعمّدك المحبوب بالذات بعد ما جرى ضدّه، و اللّه يكفيه بالعرض

«فى مثلها سيدى يحمد الاختصار، و تقصر الأنصار، و تصرف الأبصار، إذ لم يتعيّن ظالم، و لم يتبيّن يقظ و لا حالم، و إنما هى هدية أجر، و حقيقة وصل أعقبت مجاز هجر، و جرح جبار، و أمر ليس به اعتبار، و وقيعة لم يكن فيها إلّا غبار، و عثرة القدم لا تنكر، و اللّه سبحانه يحمد فى كلّ حال و يشكر، و إذا كان اعتقاد الخلافة لم يشبه شائب، و حسن الولاية لم يعبه عائب، و الرعى دائب، و الجانى تائب، فما هو إلّا الدهر الحسود، لمن يسود، خمش بيد ثم سترها، و رمى عن قوس ما أصلحها- و الحمد للّه- و لا أوترها، إنما باء بشينه، و جنى من مزيد العناية محنة عينه، و لا اعتراض على قدر، أعقب بحظ معتذر، و ورد نغّص بكدر، ثم أنس بإكرام صدر، و حسبنا أن نحمد الدفاع من اللّه تعالى و الذبّ، و لا نقول مع الكظم إلّا ما يرضى الربّ، و إذا سابق أولياء سيدى فى مضمار، و حماية ذمار، و استباق إلى برّ و ابتدار، بجهد اقتدار، فأنا و لا فخر متناول القصبة، و صاحب الدّين من بين العصبة، لما بلوت من برّ أوجبه الحسب، و الفضل الموروث و المكتسب، و نصح وضح منه المذهب، و تنفيق راق منه الرداء المذهب، هذا مجمل و بيانه إلى وقت الحاجة مؤخر، و نبذة شره لتعجيلها يراع مسخّر، و اللّه سبحانه يعلم ما أنطوى عليه لسيدى من إيجاب الحق، و السير من إجلاله على أوضح الطرق، و السلام»؛ انتهى.

## [و كتب إلى بعض الفضلاء]

و قال رحمه اللّه تعالى: خاطبت بعض الفضلاء بقولى ممّا يظهر من الجملة غرضه:

[الطويل]



تعرّفت قرب الدار ممّن أحبّه فكنت أجدّ السير لو لا ضروره

لأتلو من آى المحامد سورة و أبصر من شخص المحاسن صوره

كنت أبقاك اللّه تعالى لاغتباطى بولائك، و سرورى بلقائك، أودّ أن أطوى إليك هذه المرحلة، و أجدّد العهد بلقياك المؤمّلة، فمنع مانع، و ما ندرى فى الآتى ما اللّه صانع، و على كل حال فشأنى قد وضح منه سبيل مسلوك، و علمه مالك و مملوك، و اعتقادى أكثر ممّا تسعه العبارة، و الألفاظ المستعارة، و موصّلها ينوب عنى فى شكر تلك الذات المستكملة شروط الوزارة، المتّصفة بالعفاف و الطهارة، و السلام.

## [و كتب إلى السلطان أبى عبد اللّه بن نصر، و قد عاد ولده من الأندلس]

و قال سامحه اللّه تعالى يخاطب السلطان أبا عبد اللّه بن نصر جبره اللّه تعالى عند وصول ولده من الأندلس: [الكامل]

الدهر أضيق فسحة من أن يرى بالحزن و الكمد المضاعف يقطع

و إذا قطعت زمانه فى كربة ضيعت فى الأوهام ما لا يرجع

فاقنع بما أعطاك ربّك و اغتنم منه السرور و خلّ ما لا ينفع

مولاى الذى له المنن، و الخلق الجميل و الخلق الحسن، و المجد الذى وضح منه السّنن، كتبه عبدك مهنّئا بنعم اللّه تعالى التى أفاضها عليك، و جلبها إليك، من اجتماع شملك، بنجلك، و قضاء دينك، من قرّة عينك، إلى ما تقدّم من إفلاتك، و سلامة ذاتك، و تمزّق أعدائك، و انفرادك بأودّائك، و الزمن ساعة فى القصر، لا بل كلمح البصر، و كأنى بالبساط قد طوى، و التراب على الكلّ قد

سوى، فلا تبقى غبطة و لا حسرة، و لا كربة و لا يسرة، و إذا نظرت ما كنت فيه تجدك لا تنال منه إلّا أكلة و فراشا، و كنّا و رياشا، مع توقّع الوقائع، و ارتقاب الفجائع، و دعاء المظلوم و صداع الجائع، فقد حصل ما كان عليه التعب، و أمن الرهب، و وضح الأمر و المذهب، و القدرة باقية، و الأدعية واقية، و ما تدرى ما تحكم به الأقدار، و يتمخّض عنه الليل و النهار، و أنت اليوم على زمانك بالخيار، فإن اعتبرت الحال

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۱۱

و اجتنبت المحال، لم يخف عليك أنك اليوم خير منك أمس، من غير شكّ و لا لبس، و كان من أملى التوجّه إلى رؤية ولدكم و لكن عارضتنى موانع، و لا ندرى فى الآتى ما اللّه تعالى صانع، فاستنبت هذه فى تقبيل قدمه، و الهناء بمقدمه، و السلام.

## [و كتب إلى محمد بن نوار، و قد أعرس ببنت مزوار الدار السلطانية]

و قال رحمه اللّه تعالى: قلت أخاطب محمد بن نوار و قد أعرس ببنت مزوار الدار السلطانية، و هو معروف بالوسامة و حسن الصورة: [مخلع البسيط]

إن كنت فى العرس ذا قصور فلا حضور و لا دخاله

ينوب نظمى مناب تيس و النثر عن قفّة النخاله

هنّأكم اللّه سبحانه دعاء و خبرا، و ألبسكم من السرور حبرا، و عوّذكم بالخمس، حتى من عين الشمس، فلعمرى لقد حصلت النسبة، و رضيت هذه المعيشة الحسبة، و من يكن المزوار ذواقه، كيف لا يشقّ البدر أطواقه، و ينشر القبول عليه رواقه، و أنتم أيضا بركان جمال، و بقية رأس مال، و يمين فى الانطباع و شمال، بمنزلكم اليوم بدر و هلال، و لعقد التوفيق بفضل اللّه تعالى استقلال، فأنا أهنّيكم بتسنّى أمانيكم، و السلام.

## [و كتب إلى عامر بن محمد بن على الهنتانى]

و قال رحمه اللّه تعالى مخاطبا عميد مراكش المتميز بالرأى و السياسة و الهمّة و إفاضة العدل و كفّ اليد و التجافى عن مال الجباية عامر بن محمد بن على الهنتانى: [الطويل]

تقول لى الأظعان و الشوق فى الحشا له الحكم يمضى بين ناه و آمر

إذا جبل التوحيد أصبحت فارعا فخيّم قرار العين فى دار عامر

وزر تربة المعلوم إنّ مزارها هو الحجّ يقضى نحوه كلّ ضامر

ستلقى بمثوى عامر بن محمد ثغور الأمانى من ثنايا البشائر

و للّه ما تبلوه من سعد وجهه و للّه ما تلقاه من يمن طائر

و تستعمل الأمثال فى الدهر منكما بخير مزور أو بأغبط زائر

لم يكن همى أبقاك اللّه تعالى مع فراغ البال، و إسعاف الآمال، و مساعدة الأيام و الليال، إذ الشمل جميع، و الزمان كلّه ربيع، و الدهر مطيع سميع، إلّا زيارتك فى جبلك الذى يعصم من الطوفان، و يواصل أمنه بين النوم و الأجفان، و أن أرى الأفق الذى طلعت منه الهداية،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۱۲

و كانت إليه العودة و منه البداية، فلمّا حمّ الواقع، و عجز عن خرق الدولة الأندلسية الراقع، و أصبحت ديار الأندلس و هى البلاقع و حسنت من استدعائك إياى المواقع، و قوى العزم و إن لم يكن ضعيفا، و عرضت على نفسى السفر بسببك فألفيته خفيفا، و التمست

الإذن حتى لا نرى فى قبلة السداد تحريفا، و استقبلتك بصدر مشروح، و زند للعزم مقدوح، و اللّه سبحانه يحقّق السول، و يسهل بمثوى الأماثل المثول، و يهيئ من قبل هنتاتة القبول، بفضله.

### [من إنشائه فى وصف البلاد الأندلسية (مقامة)]

و للسان الدين بن الخطيب مقامة عظيمة بديعة وصف بها بلاد الأندلس و العدوة، و أتى فيها من دلائل براعته بالعجب العجاب، و قد تركتها مع كتبى بالمغرب، و لم يحضرنى منها الآن إلّا قوله فى وصف مدينة سبتة ما صورته: «قلت فمدينة سبتة، قال: عروس المجلى، و ثنية الصباح الأجلى، تبرّجت تبرج العقيلة، و نظرت وجهها من البحر فى المرآة الصقيلة، و اختصّ ميزان حسناتها بالأعمال الثقيلة، و إذا قامت بيض أسوارها، و كان جبل بنيونش شمّامة أزهارها، و المنارة منارة أنوارها، كيف لا ترغب النفوس فى جوارها، و تهيم الخواطر بين أنجادها و أغوارها؟ إلى المنيا الفلكية، و المراقى الفلكية، و الذكية الزكية، غير المنزورة و لا البكية، ذات الوقود الجزل، المعدّ للأزل، و القصور المقصورة على الجدّ و الهزل، و الوجوه الزّهر السّحن، المضنون بها عن المحن، دار الناشبة، و الحامية المفرمة للحرب المناشبة، و الأسطول المرهوب، المحذور، الألهوب، و السلاح المكتوب المحسوب، و الأثر المعروف المنسوب، كرسى الأمراء و الأشراف، و الوسيطة، لخامس أقاليم البسيطة، فلا خطّ لها فى الانحراف، بصرة علوم اللسان، و صنعاء الحلل الحسان، و ثمرة امتثال قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ [سورة النحل، الآية: ۹۰] الأمينة على الاختزان، القويمة المكيال و الميزان، محشر أنواع الحيتان، و محطّ قوافل العصير و الحرير و الكتّان، و كفاها السكنى ببنيونش فى فصول الأزمان، و وجود المساكن النبيهة بأرخص الأثمان، و المدفن المرحوم، غير المزحوم، و خزانة كتب العلوم، و الآثار المنبئة عن أصالة الحلوم، إلّا أنها فاغرة أفواه الجنوب، للغيث المصبوب، عرضة للرياح ذات الهبوب، عديمة الحرث فقيرة من الحبوب، ثغر تنبو فيه المضاجع بالجنوب، و ناهيك بحسنه تعدّ من الذنوب، فأحوال أهلها رقيقة، و تكلّفهم ظاهر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۱۳

مهما ظهرت وليمة أو عقيقة، و اقتصادهم لا تلتبس منه طريقة، و أنساب نفقاتهم فى تقدير الأرزاق عريقة، فهم يمصّون البلالة مصّ المحاجم، و يجعلون الخبز فى الولائم بعدد الجماجم، و فتنتهم ببلدهم فتنة الواجم بالبشير الهاجم، و راعى الجديب بالمطر الساجم، فلا يفضّلون على مدينتهم مدينة، الشكّ عندى فى مكة و المدينة»؛ انتهى.

### [كلام له مرسل فى وصف البلاد و وصف مكناسة الزيتون]

و قد سلك فى هذه المقامة وصف بلدان المغرب بالسجع و التقفية، و وفّاها من المدح و ضدّه أكمل توفية، و عكس هذه الطريقة فى «نفاضة الجراب» فوصف فيها الأماكن بكلام مرسل جزل غير مسجع، مع كونه أقطع من السيف إذا بان عنه القراب.

فمن ذلك قوله حين أجرى ذكر مدينة «مكناسة الزيتون»: و أطلّت مدينة مكناسة فى مظهر النّجد، رافلة فى حلل الدوح، مبتسمة عن شنب المياه العذبة، سافرة عن أجمل المراد، قد أحكم وضعها الذى أخرج المرعى، قيد النص و فذلكة الحسن، فنزلنا بها منزلا لا تستطيع العين أن تخلفه حسنا و وضعا، من بلد دارت به المداسر المغلّة، و التفّت بسوره الزياتين المفيدة، وراق بخارجه للسلطان المستخلص الذى يسمو إليه الطرف، و رحب ساحة و التفاف شجرة و نباهة بنية و إشراف ربوة، و مثلت بإزائها الزاوية القدمى المعدة للوارد، ذات البركة النامية، و المئذنة السامية، و المرافق المتيسّرة، يصاقبها الخان البديع المنصب الحصين الغلق الخاصّ بالسابلة و الجوّابة فى الأرض يبتغون من فضل اللّه تعالى، تقابلها غربا الزاوية الحديثة المربية برونق الشبيبة و مزية الجدة و الانفساح و تفنّن الاحتفال، إلى أن قال: و بداخلها مدارس ثلاث لبثّ العلم، كلفت بها الملوك الجلّة الهمم، و أخذها التنجيد، فجاءت فائقة الحسن، ما شئت من أبواب نحاسية، و برك فياضة تقذف فيها ضافى الماء أعناق أسدية، و فيها خزائن الكتب و الجراية الدارة على العلماء و

المتعلمين، و تفضل هذه المدينة كثيرا من لداتها بصحة الهواء و تبحّر أصناف الفواكه و تعمير الخزائن و مداومة البر لجوار ترابها سليما من الفساد معافى من العفن، إذ تقام ساحات منازلها غالبا على أطباق الآلاف من الأقوات تتناقلها المواريث و يصحبها التعمير و تتجافى عنها الأرض، و محاسن هذه البلدة المباركة جمّة، قال ابن عبدون من أهلها و للّه درّه: [الكامل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۱۴

إن تفتخر فاس بما فى طيّها و بأنها فى زيّها حسناء

يكفيك من مكناسة أرجاؤها و الأطيبان: هواؤها و الماء

و يسامتها شرقا جبل زرهون، المنبجس العيون، الظاهر البركة، المتزاحم العمران، الكثير الزياتين و الأشجار، قد جلّله سكرا و رزقا حسنا، فهو عنصر الخير، و مادة المجبى، و فى المدينة دور نبيهة، و بنى أصيلة، و اللّه سبحانه ولى من اشتملت عليه بقدرته، و فيها أقول:

[الكامل]

بالحسن من مكناسة الزيتون قد صحّ عذر الناظر المفتون

فضل الهواء و صحة الماء الذى يجرى بها و سلامة المخزون

سحّت عليها كلّ عين ثرّة للمزن هامية الغمام هتون

فاحمرّ خدّ الورد بين أباطح و افترّ ثغر الزهر بين غصون

و لقد كفاها شاهدا مهما ادّعت قصب السباق القرب من زرهون

جبل تضاحكت البروق بجوّه فبكت عذاب عيونه بعيون

و كأنما هو بربرىّ وافد فى لوحه و التين و الزيتون

حيّيت من بلد خصيب أرضه مثوى أمان أو مناخ أمون

وضعت إليك من الإله عناية تكسوك ثوبى أمنة و سكون

## [المؤلف يدخل مكناسة و يصفها]

و قد وصفها فى مقامة البلدان على منوال السجع فقال: مكناسة مدينة أصيلة، و شعب للمحاسن و فضيلة، فضّلها اللّه تعالى و رعاها، و أخرج منها ماءها و مرعاها، فجانبها مريع، و خيرها سريع، و وضعها له فى قنة الفضائل تفريع، اعتدل فيها الزمان، و انسدل الأمان، و فاقت الفواكه فواكهها و لا سيما الرمان، و حفظ أقواتها الاختزان، و لطفت فيها الأوانى و الكيزان، و دنا من الحضرة جوارها، فكثر قصّادها من الوزراء و زوّارها، و بها المدارس و الفقهاء، و لقصبتها الأبهة و المقاصير و الأبهاء.

و يعنى بالحضرة مدينة فاس المحروسة، لأنها إذ ذاك كرسىّ الخلافة، و مكناسة مقرّ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۱۵

الوزارة، و أهل المغرب يعبرون عن المدينة التى فيها كرسى الخلافة بالحضرة.

قلت: دخلت مكناسة هذه مرارا عديدة، و قد أبلى الدهر محاسنها التى كانت فى زمان لسان الدين بن الخطيب جديدة، و استولى عليها الخراب، و تكدر منها بالفتن الشراب، و عاث فى ظاهرها الأعراب، و فى باطنها سماسرة الفتنة العائقة عن كثير من الآراب، حتى صار أهلها حزبين، لبس كثير من أهلها ثياب البعد عنها و البين، و اللّه تعالى يجبر حالها، و يعقب بالخصب إمحالها، و يرحم اللّه تعالى ابن جابر إذ قال: [الكامل]

لا تنكرنّ الحسن من مكناسة فالحسن لم يبرح بها معروفا

و لئن نحت أيدى الزمان رسومها فلربما أبقت هناك حروفا

على أنّ ضواحيها كانت فى زمان لسان الدين مأوى للمحاربين و اللصوص، و مثوى للأعراب الذين أعضل داؤهم بأقطار المغرب على العموم و الخصوص، و لذلك يقول لسان الدين رحمه اللّه تعالى: [الكامل]

مكناسة حشرت بها زمر العدا فمدى بريد فيه ألف مريد

من واصل للجوع لا لرياضة أو لابس للصوف غير مريد

فإذا سلكت طريقها متصوّفا فانو السلوك بها على التجريد

## [شىء عن السلطان أبى الحسن المرينى]

و ما أشار إليه رحمه اللّه تعالى فيما سبق من ذكر الزاوية القدمى و الجديدة أشار به إلى زاويتين بناهما السلطان أبو الحسن المرينى الكثير الآثار بالمغرب الأقصى و الأوسط و الأندلس، و كان بنى الزاوية القدمى فى زمان أبيه السلطان أبى سعيد و الجديدة حين تولّى الخلافة، و له فى هذه المدينة غير الزاويتين المذكورتين عدّة آثار كثيرة جميلة من القناطر و السقايات و غيرها، و من أجلّ مآثره بها المدرسة الجديدة، و كان قدّم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة، و لما أخبر السلطان بتمام بنائها جاء إليها من فاس ليراها، فقعد على كرسىّ من كراسى الوضوء حول صهريجها، و جىء بالرسوم المتضمّنة للتنفيذات اللازمة فيها، فغرّقها فى الصهريج قبل أن يطالع ما فيها، و أنشد: [الرجز]

لا بأس بالغالى إذا قيل حسن ليس لما قرّت به العين ثمن

و هذا السلطان أبو الحسن أشهر ملوك بنى مرين، و أبعدهم صيتا، و كان قد ملك

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣١۶

رحمه اللّه تعالى المغرب بأسره و بعض الأندلس، و امتدّ ملكه إلى طرابلس الغرب، ثم حصلت له الهزيمة الشنعاء قرب القيروان حين قاتل أعراب إفريقية، فغدره بنو عبد الوادّ الذين أخذ من يدهم ملك تلمسان، و انتهزوا الفرصة فيه، و هربوا إلى الأعراب عند المصافّة، فاختلّ مصافه، و هزم أقبح هزيمة، و رجع إلى تونس مغلوبا، و ركب البحر فى أساطيله، و كانت نحو الستمائة من السفن، فقضى اللّه تعالى أن غرقت جميعا، و نجا على لوح، و هلك من كان معه من أعلام المغرب، و هم نحو أربعمائة عالم، منهم السطى شارح الحوفى، و ابن الصباغ الذى أملى فى مجلس درسه بمكناسة على حديث «يا أبا عمير، ما فعل النّغير» أربعمائة فائدة.

قال الأستاذ أبو عبد اللّه بن غازى رحمه اللّه تعالى: حدّثنى بعض أعيان الأصحاب أنه بلغه أن الفقيه ابن الصباغ المذكور سمع بمنصورة تلمسان المحروسة ينشد كالمعاتب لنفسه:

[الكامل]

يا قلب، كيف وقعت فى أشراكهم و لقد عهدتك تحذر الأشراكا

أرضا بذلّ فى هوّى و صبابة؟ هذا لعمر اللّه قد أشقاكا

و مات رحمه اللّه تعالى غريقا فى أسطول السلطان أبى الحسن المرينى على ساحل تدلس هو و الفقيه السطى و الأستاذ الزواوى و غير واحد فى نكبة السلطان أبى الحسن المعروفة.

## [نظم لابن الصباغ يحصر فيه علاقات المجاز]

و من نظم ابن الصّباغ المذكور فى العلاقات المعتبرة فى المجاز و فى المرجحات له قوله رحمه اللّه تعالى: [الكامل]

يا سائلا حصر العلاقات التى وضع المجاز بها يسوغ و يجمل

خذها مرتّبة و كلّ مقابل حكم المقابل فيه حقّا يحمل

عن ذكر ملزوم يعوّض لازم و كذا بعلّته يعاض معلّل

و عن المعمّم يستعاض مخصّص و كذاك عن جزء ينوب المكمل

و عن المحلّ ينوب ما قد حلّه و الحذف للتخفيف ممّا يسهل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۱۷

و عن المضاف إليه ناب مضافه و الضدّ عن أضداده مستعمل

و الشبه فى صفة تبين و صورة و من المقيّد مطلق قد يبدل

و الشيء يسمى باسم ما قد كانه و كذاك يسمى بالبديل المبدل

وضع المجاور فى مكانة جاره و بهذه حكم التعاكس يكمل

و اجعل مكان الشيء آلته، وجيء بمنكّر قصد العموم فيحصل

و معرّف عن مطلق و به انتهت و لجلّها حكم التداخل يشمل

و بكثرة و بلاغة و لزومه لحقيقة رجحانه يتحصّل

انتهى كلام شيخ شيوخنا الإمام أبى عبد اللّه محمد بن غازى رحمه اللّه تعالى!.

و قد حكى ابن غازى المذكور عن شيخه القورى عن شيخه ابن جابر أنّ ابن الصباغ المذكور اعترض على القاضى ابن عبد السلام التونسى، قال: لما لقى ابن الصباغ بتونس اعترض عليه ابن الصباغ أربع عشرة مسألة لم ينفصل عن واحدة منها، بل أقرّ بالخطإ فيها، إذ ليس ينبغى اتّصاف بالكمال، إلّا لربى الكبير المتعال؛ انتهى.

## [حكاية عن رجل عائن]

و ذكر الشيخ أبو عبد اللّه الأبّى رحمه اللّه تعالى فى «شرح مسلم» عند تكلّمه على أحاديث العين ما معناه أنّ رجلا كان بتلك الديار معروفا بإصابة العين، فسأل منه بعض الموتورين للسلطان أبى الحسن أن يصيب أساطيله بالعين، و كانت كثيرة نحو الستمائة، فنظر إليها الرجل العائن، فكان غرقها بقدرة اللّه الذى يفعل ما يشاء، و نجا السلطان بنفسه، و جرت عليه محن، و استولى ولده السلطان أبو عنان فارس على ملكه، و كان خلّفه بتلمسان، و لم يزل فى اضطراب حتى ذهب إلى سجلماسة، و منها خلص إلى جبل هنتانة قرب مراكش، فذهب إلى حربه ابنه السلطان أبو عنان فارس بجيوشه، و أناخ على الجبل بكلكله، و لم تخفر أهل هنتانة جواره لديهم، و لا كبيراهم عامر بن محمد و أخوه، و صبروا على الحصار، و خراب الديار، و حرق الأماكن، حتى مات هناك رحمه اللّه تعالى و نقل بعد إلى شالة سلا مدفن أسلافه، و من أراد الوقوف على أخباره فعليه بكتاب الخطيب ابن مرزوق الذى ألّفه فيه و سمّاه «المسند الصحيح الحسن، من أحاديث السلطان أبى الحسن».

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۱۸

## [زيارة لسان الدين لقبر السلطان أبى الحسن، و قصيدة له فيه]

و لمّا ذهب لسان الدين بن الخطيب إلى عامر بن محمد بجبله المشهور زار محل وفاة السلطان المذكور، و قد ألمّ بذكر ذلك فى «نفاضة الجراب» إذ قال: و شاهدت بجبل هنتانة محلّ وفاة السلطان المقدّس أمير المسلمين أبى الحسن رحمه اللّه تعالى! حيث أصابه طارق الأجل، الذى فصل الخطّة، و أصمت الدعوة، و رفع المنازعة، و عاينته مرفّعا عن الابتذال بالسكنى مفترشا بالحصباء، مقصودا بالابتهال و الدعاء، فلم أبرح يوم زيارة محلّ وفاته أن قلت: [الكامل]

يا حسنها من أربع و ديار أضحت لباغى الأمن دار قرار

و جبال عزّ لا تذلّ أنوفها إلّا لعزّ الواحد القهّار

و مقرّ توحيد و أسّ خلافة آثارها تنبى عن الأخبار

ما كنت أحسب أنّ أنهار الندى تجرى بها فى جملة الأنهار

ما كنت أحسب أنّ أنوار الحجا تلتاح فى قنن و فى أحجار

مجّت جوانبها البرود، و إن تكن شبّت بها الأعداء جذوة نار

هدّت بناها فى سبيل وفائها فكأنها صرعى بغير عقار

لما توعّدها على المجد العدا رضيت بعيث النار لا بالعار

عمرت بجلّة عامر و أعزّها عبد العزيز بمرهف بتّار

فرسا رهان أحرزا قصب الندى و البأس فى طلق و فى مضمار

ورثا عن النّدب الكبير أبيهما محض الوفاء و رفعة المقدار

و كذا الفروع تطول و هى شبيهة بالأصل فى ورق و فى أثمار

أزرت وجوه الصّيد من هنتانة فى جوّها بمطالع الأقمار

للّه أىّ قبيلة تركت لها ال نظراء دعوى الفخر يوم فخار

نصرت أمير المسلمين و ملكه قد أسلمته عزائم الأنصار

وارت عليّا عندما ذهب الردى و الروع بالأسماع و الأبصار

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣١٩

و تخاذل الجيش اللّهام و أصبح ال أبطال بين تقاعد و فرار

كفرت صنائعه فيمّم دارها مستظهرا منها بعزّ جوار

و أقام بين ظهورها لا يتّقى وقع الرّدى و قد ارتمى بشرار

فكأنها الأنصار لمّا أن سمت فيما تقدّم غربة المختار

لمّا غدا لحظا و هم أجفانه نابت شفارهم عن الأشفار

حتى دعاه اللّه بين بيوتهم فأجاب ممتثلا لأمر البارى

لو كان يمنع من قضاء اللّه ما خلصت إليه نوافذ الأقدار

قد كان يأمل أن يكافىء بعض ما أولوه لو لا قاطع الأعمار

ما كان يقنعه لو امتدّ المدى إلّا القيام بحقّها من دار

فيعيد ذاك الماء ذائب فضّة و يعيد ذاك التّرب ذوب نضار

حتى تفوز على النوى أوطانها من ملكه بجلائل الأوطار

حتى يلوح على وجوه وجوههم أثر العناية ساطع الأنوار

و يسوّغ الأمل القصىّ كرامها من غير ما ثنيا و لا استعصار

ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجى عن درهم فيهم و لا دينار

أو أن يتوّج أو يقلّد هامها و نحورها بأهلّة و درارى

حقّ على المولى ابنه إيثار ما بذلوه من نصر و من إيثار

فلمثلها ذخر الجزاء، و مثله من لا يضيع صنائع الأحرار
و هو الذى يقضى الديون و برّه يرضيه فى علن و فى إسرار
حتى تحجّ محلّة رفعوا بها علم الوفاء لأعين النّظّار
فيصير منها البيت بيتا ثانيا للطائفين إليه أىّ بدار
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۲۰
تغنى قلوب القوم عن هدى به و دموعهم تكفى لرمى جمار
حيّيت من دار تكفّل سعيها ال محمود بالزّلفى و عقبى الدار
وضفت عليك من الإله عناية ما كرّ ليل فيك إثر نهار
و يعنى بالمولى ابنه السلطان أبا سالم ابن السلطان أبى الحسن.

## [من كلام للسان الدين يعد فيه بتصنيف كتاب كبير فى التاريخ]

و من العجائب أنّ الرئيس عامر بن محمد الذى جرى فى هذه الأبيات ذكره كان يؤمل بإيوائه للسلطان أبى الحسن و نصرته له و عدم إخفار ذمّته فيه أن ينال من أولاده الملوك بذلك عزّا مستطيلا و رياسة زائدة على ما كان فيه، فقضى اللّه تعالى أن كان حتفه على يد السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن، إذ نازله بجنوده، و حاصره بمعتقله، حتى استولى عليه و قتله، حسبما استوفى ذلك الشيخ الرئيس قاضى القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المغربى نزيل مصر فى تاريخه الكبير الذى سمّاه ب «كتاب العبر، و ديوان المبتدإ و الخبر، فى أيام العرب و العجم و البربر، و من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» فمن شاء فليراجعه ثمّة.
و كان الرئيس أبو ثابت عامر بن محمد الهنتانى المذكور خرج على السلطان عبد العزيز بالسلطان المعتمد على اللّه أبى الفضل محمد ابن أخى السلطان عبد العزيز المذكور، فكان من قتله ما ذكر، و اللّه غالب على أمره.
و لنرجع إلى ما كنا فيه من نثر لسان الدين بن الخطيب رحمه اللّه تعالى و رضى عنه! فنقول:
و من كلام لسان الدين رحمه اللّه تعالى فى كتابه «إعلام الأعلام» ما صورته: و فى غرضى إذا منّ اللّه تعالى بانفراج الضيقة الوقتيّة، و معاودة الأزمان الهنيّة، و النصبة النقيّة، أن نصنّف فى التاريخ كتابا مبتّيا على التطويل، مستوعبا للكثير و القليل، نسميه «بضاعة المهولين، فى أساطير الأوّلين» يكون هذا الكتاب بالنسبة إليه الحصاة من الرمال، و القطرة من الغيث المنثال، بإعانة ذى القدرة و الجلال»؛ انتهى.
و من كلامه رحمه اللّه تعالى: فما استبعد المرام، من قصد الكرام، و ما فقد الإيناس، من أمّل الناس، انتهى.
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۲۱

## [أمثلة من إنشاء لسان الدين فى التراجم، على طريقة الفتح بن خاقان]

و قد سلك لسان الدين رحمه اللّه تعالى فى كثير من كتبه ك «الكتيبة الكامنة» و «التاج المحلّى» و «الإكليل الزاهر» و غيرها تحلية الأعلام، من حملة السيوف و الأقلام، بالكلام المسجّع الآخذ بحظّه من الإتقان على طريقة صاحب «القلائد» و «المطمح» أبى نصر الفتح بن عبيد اللّه المدعو بابن خاقان بليغ الأندلس غير مدافع، و على نهج مباريه ابن بسّام صاحب «الذخيرة، فى محاسن أهل الجزيرة» و هو كتاب ينبغى أن يراجع، و قد رأيت أن آتى بشىء من كلام لسان الدين فيما ذكر، و نلمّ بعد تحليته بالتعريف بحال من حلاه من الأعلام، بحسب ما منّ به و يسّره لى الملك العلّام، سبحانه و تعالى، فنقول:
قال لسان الدين رحمه اللّه تعالى فى بعض كتبه فى وصف بعض من عرّف به ما نصّه:
أى نفس صافية من الكدر، و صدر طيب الورد و الصّدر، و دوحة عهد تندى أوراقها، و مشكاة فضل يستطلع إشراقها، تمسك برضاع

الكأس، يرى ذلك من حسن عهده، و قسم لحظاته بين آس الرياض و ورده، فلمّا حوّم حمامه للوقوع، و كان يقوّض رحله عن الربوع، و شعر بحبائل المنية تعتلقه، و سرعان خيل الأجل ترهقه، أقلع عن فنّه، و أمر بسفك دنّه، و لجأ إلى اللّه تعالى بأوبته، و ضرع إلى اللّه تعالى فى قبول توبته و غفران حوبته، فكان ذلك عنوان الرضا، و علامة عفو اللّه تعالى عمّا مضى، دخلت عليه فى مرضه، و أشرت باستعمال الدواء المسمّى بلحية التيس عند الأطباء، فاستعمله، فوجد بعض خفة.

و قال فى آخر: كثيف الحاشية، معدود فى جنس السائمة و الماشية، تليت على العمال به سورة الغاشية، تولّى الأشغال السلطانية فذعرت الجباة لولايته، و قامت قيامتهم لطلوع آيته، و قنطوا كلّ القنوط، و قالوا: جاءت الدابة تكلّمنا و هى إحدى الشروط، من رجل صائم الحشوة، بعيد من المصانعة و الرشوة، يتجنّب الناس، و يقول عند المخاطبة: لا مساس، و على مسافة نجهه، و تجهّم وجهه، فكان خالطا إساءته بإحسانه، مشتغلا بشانه، غاضّا من عنان لسانه، عهدى به فى الأعمال يقدّر فيها و يدبّر، و يرجّح و يعبّر، و يحبط و يتبّر، و هو مع ذلك يكبّر، و يحسّن من الأزمنة و يقبّح، و هو يسبّح، و لما شرع فى البحث و التنقير، و المحاسبة على

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۲۲

القطمير و النّقير، أتاه قاطع الأجل، فحنّ ركابه فأقضى العجل، و صدرت عنه أبيات خضم فيها و قضم، و حصل تحت القدر المشترك مع من نظم.

و قال فى آخر: كركدن حلبة الآداب، و سنّور عبد اللّه بيع بقيراط لمّا شاب، هام بوادى الشعر مع من هام، و استمطر منها الجهام، فجاء بأبيات أوهى من بيت العنكبوت نسجا، و مقاصد لا تبين قصدا و لا نهجا، و له بيت معمور بقضاة أكابر، فرسان أقلام و محابر، و عمال قادوا الدهر بأزمّة أزمّتهم، و فرعوا الزهر بهمّتهم، و تكاثرت عليه رحمه اللّه الإحن، و تعاورته المحن، و تصرّف آخر عمره فى بعض الأعمال المخزنية فتعلّل بنزر القوت، إلى الأجل الموقوت.

و قال فى آخر: معدود فى وقته من أدبائه، و محسوب فى أعيان بلده و حسبائه، كان رحمه اللّه تعالى من أهل العدالة و الخير، سائرا على منهج الاستقامة أحسن السّير، و له أدب لا يقصر عن السداد، و إن لم يكن بطلا فمن يكثر السواد، قد أثبتّ له ما عثرت عليه، ممّا ينسب الناس إليه.

و قال فى آخر: معتر غير قانع، و منجع كلّ شهم و خانع، نشأ ببلده مالقة أبرع من أورد اليراعة فى نقس، و هزّ غصنها فى روضة طرس، إلّا ما كان من سخافة عقله، و قعوده تحت المثل «اخبر تقله» لا يرتبط إلى رتبة، و لا ينتمى إلى عصبة، و لا يتلبّس بسمت، و لا يستقيم من أمت، أخبرنى من عنى بخبره، و ذكر عبره، من صباه إلى كبره، أنه رشح فى بعض الدول، و عرض لاكتساب الخيل و الخول، و خلعت عليه كسوة فاخرة، و شارة بزهر الرياض ساخرة، فانقاد طوع حرمانه، و نبذ صفقة زمانه، و حمله فرط النّهم، على أن ابتاع فى حجره طعاما كثير الدّسم، و أقبل و أذياله منه تقطر، كما اختلفت باللبن الأشطر، فطرد و نبذ، و طرح بعد ما جبذ، لقيته بمالقة و قد قلب له زمانه عينيه، و سقط فى يديه، فانتابنى بأمداحه، و تعاورنى بأجاجه و أقراحه.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۲۳

و قال فى آخر: أديب نار فكره تتوقّد، و أريب لا يعترض كلامه و لا ينقد، أمّا الهزل فهو طريقته المثلى، ركض فى ميدانها و جلّى، و طلع فى أفقها و تجلّى، فأصبح علم أعلامها، و عابر أحلامها، إن أخذ بها فى وصف الكاس، و ذكر الورد و الآس، و ألمّ بالربيع و فصله، و الحبيب و وصله، و الروض و طيبه، و الغمام و تقطيبه، شقّ الجيوب طربا، و علّ النفوس شربا و ضربا، و إن ابتغى لاعتلال العشيّة، فى فرش الربيع الموشيّة، ثم تعدّاها إلى وصف الصّبوح، و أجهز على الزقّ المجروح، و أشار إلى نغمات الورق، يرفلن فى الحلل الزّرق، و قد اشتعلت فى عنبر الليل نار البرق، و طلعت بنود الصباح فى شرفات الشرق، سلب الحليم و قاره، و ذكّر الخليع كأسه و عقاره، و حرّك الأشواق بعد سكونها، و أخرجها من ركونها، بلسان يتزاحم على موارد الخيال، و يتدفّق من حافاته الأدب السّيّال، و بيان يقيم أود المعانى، و يشيد مصانع اللفظ محكمة المبانى، و يكسو حلل الإحسان جسوم المثالث و المثانى، إلى نادرة لمثلها يشار،

و محاضرة يجنى بها الشهد و يشار، و قد أثبتّ من شعره المعرب و إن كان لا يتعاطاه إلّا قليلا، و لا يجاور إلّا تعليلا، أبياتا لا تخلو من مسحة جمال على صفحاتها، و هبّة طيب ينمّ فى نفحاتها.

و قال أيضا فى آخر: ظريف السجيّة، كثير الأريحيّة، ارتحل من لورقة فتحها اللّه تعالى و اتّخذ ألمرية دارا، و ألف بها استقرارا، إلى أن دعاه بها داعيه و قام فيها ناعيه.

و قال فى وصف آخر: شيخ أخلاقه ليّنة، و نفسه- كما قيل فى نفس المؤمن- هيّنة، ينظم الشعر عذبا مساقه، محكما اتّساقه، على قاقة و حال مالها من إفاقة، أنشد المقام الكريم بظاهر بلده قصيدة استغرب منها مترعها، و استعذب من مثله مشرعها.

و قال فى آخر: من أئمة أهل الزمام، خليق برعى الميثاق و الذّمام، ذو خطّ كما تفتّح زهر الكمام، و أخلاق أعذب من ماء الغمام، كان ببلده رحمه اللّه تعالى بدار إشرافه محاسبا، و درّة فى لجّة الإغفال راسبا، صحيح العمل، يلبس الطروس من براعته حسن الحلل، و له شعر لا بأس به، و لا خفاء بفضل مذهبه.

و قال فى آخر: خير من استبق إلى داعى الفلاح استباقا، و انتمى إلى القوم الذين هم فى الآخرة أطول أعناقا، و إن كانوا فى الدنيا أضيق أرزاقا، مردّد أذكار، و مسبّح أسحار، و عامر

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۲۴

مئذنة و منار، كان ببلده مؤذنا بجامعها، و مؤقتا بأم صوامعها، و معتبرا فيمن كان بها من السّدنة، و من مثله قوله: فكأنما قرّب بدنة، و له لسان مخيف، و شعر سخيف، توشّح بحليته، و جعله وسيلة كديته.

و قال فى آخر: عظيم الهيئة حسن اللقاء، أغرب فى حسن المداراة من العنقاء، استمرّ عمره للحكم، و صبر على حجج الصّم و البكم، و أفرط فى هشّته و هزته، و تنزل عن نخوة القضاء و عزّته، و له سلف فى القضاء عالى المراقب، مزاحم للنجم الثاقب، و قد أثبتّ من شعره ما تيسّر إثباته، و نجح بروض هذا المجموع نباته.

و قال فى آخر: قاض توارث كلّ جلالة، لا عن كلالة، و جمع فى العلم الحسب، بين الموروث و المكتسب، أشرق بجيد معمّ فى العشيرة مخول، و ألقت عليه مقاليدها من منقول و متأوّل، إلى نزاهة لا تغرها البيضاء و لا الصفراء، و حلم لا تستهويه السعاية و لا يستفزّه الإغراء، و وقار يستخفّ الجبال الراسية، و نظر يكشف الظّلم القاسية، تولّى قضاء الحضرة فأنفذ الأحكام و أمضاها، و شام سيوف الجزالة و انتضاها، و لبس أثواب النزاهة و الانقباض فما نضاها، و سلك الطريق التى اختارها السلف و ارتضاها، فاجتمت الأهوال المفترقة عليه، و صرف الثناء أعنّة الألسن إليه، ثم كرّ إلى بلده، و استقرّ خطيبا بقرارة أهله و ولده.

و قال فى آخر: منتم إلى معرفة، متّصف من الذكاء بأحسن صفة، أقرأ ببلده علم اللسان، و ما حاد عن الإحسان، و عانى الشعر فنظم قوافيه، و ما تكلّف فيه، و على غزارة مادته، و وضوح جادّته، فشعره قليل البشاشة، ذاهب الحشاشة، و ذو الإكثار، كمثل العثار، و له سلف يخوض فى الحقائق، و ينتحل بعض الكلام الرائق.

و قال فى آخر: منتم لدين و عفّة، و إلى نفس بالعرض الأدنى مستخفة، ممّن نزع إلى سلوك و رياضة، و يفيض فى طريق القوم بعض إفاضة.

و قال فى آخر: ممّن يتشوف إلى المعارف و المقالات، و يرتاح إلى الحقائق و المحالات، و يشتمل على نفس رقيقة، و يسير من تعليم القرآن على خير طريقة، و يعانى من الشعر ما يشهد بنبله، و يستطرف من مثله.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۲۵

و قال فى آخر: مشمّر فى الطلب عن ساق، مثابر على اللحاق بدرجات الحذّاق، منتحل للعربية جادّ فى إحصاء خلافها، و معاطاة سلافها، و ربما شرست فى المذاكرة أخلاقه، إذا بهرجت أعلاقه، و نوزع تمسّكه بالحجة و اعتلاقه، و رحل إلى المغرب فاستجدى بالشعر سلطانه، ثم راجع أوطانه.

و قال فى آخر: منتم إلى زهد، باذل فى التماس الخير الجهد، نظمه لا يخلو من حلاوة، و معانيه فى طريقه عليها بعض طلاوة.

و قال فى آخر: كاتب سجلات لا- يساجل فى صحة فصولها، و توقيع فروعها على أصولها، و كلّما طلب بالنظم القريحة، و أعمل الفكرة الصريحة، مع إقلاله، و عدم استعماله، أجابت و لبّت، و تنسّمت رياحها و هبّت.

و قال رحمه اللّه تعالى و سامحه فى بعض العدول الصوفية الأخيار، الذين وحدوا اللّه وفنوا عن سائر الأغيار: خير عدل، و ممّن له وقار و فضل، متّسم بخيره، معرض عن غيره، مشتمل بصفات مرضية، ملمّ بالنظم فى الطريقة الصوفية.

و للسان الدين رحمه اللّه تعالى ركض فى هذا الميدان لا يجارى فيه، و ثبوت فضل لا يستند إلى دليل جاحده و نافيه.

## [من ترجمة محمد بن عبد اللّه بن محمد بن لب، بقلم لسان الدين فى كتابه «التاج المحلى»]

و قال رحمه اللّه تعالى فى كتابه «التاج المحلّى، فى مساجلة القدح المعلّى» فى ترجمة محمد بن عبد اللّه بن محمد بن لب الأمى المرينى، ما صورته: «لجّ معرفة لا يغيض، و صاحب فنون يأخذ فيها و يفيض. نشأ ببلده مشمّرا عن ساعد اجتهاده، و سائرا فى قنن العلم و وهاده، حتى أينع روضه، و فهق حوضه، ثم أخذ فى راحة ذاته، و شام بارق لذّاته، ثم سار فى البطالة سير الجموح، و واصل الغبوق بالصّبوح، حتى قضى وطره، و سئم

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۲۶

بطره، و ركب الفلك، و خاض اللّجج الحلك، و استقرّ بمصر على النعمة العريضة، على شكّ فى قضاء حجة الفريضة، و هو اليوم بمدرستها الصالحية نبيه المكانة، معدود فى أهل العلم و الديانة»؛ انتهى.

و قال فى «الإحاطة» فى حقّ المذكور ما نصّه: من خطّ شيخنا أبى البركات فى الكتاب «المؤتمن، على أنباء أبناء الزمن»: كان سهلا سلس القياد، لذيذ العشرة، دمث الأخلاق، ميّالا- إلى الدّعة، نفورا عن النّصب، يركن إلى فضل نباهة و ذكاء، يحاسب بهما عند التحصيل و الدراسة و الدؤوب على الطلب، من رجل يجرى من الألحان على مضمار لطيف، و لم يكن له صوت رخيم، يساوق انطباعه فى التلحين، فجبر ذلك بالأوتار، و حاول من ذلك بيده مع أصحابه ما لاذ به الظرفاء منهم، و استعمل بدار الأشراف بألمرية، فأحكم تلك الطريقة فى أقرب زمان، و جاء زمامه يروق من ذلك العمل من شأنه. ثم نهضت به همّته إلى أرفع من ذلك، فسار إلى غرناطة، فقرأ بها العربية و غيرها، و انخرط فى سلك نبهاء الطلبة لأدنى مدة.

ثم رحل إلى بلاد المشرق فى حدود العشرين و سبعمائة، فلم يتجاوز القاهرة لموافقة هوائها علّة كان يشكوها، و أخذ فى إقراء العربية بها، و عرف بها إلى أن صار يدعى بأبى عبد اللّه النحوى.

قال شيخنا المذكور: و رأى فى صغره فأرة أنثى فقال: هذه قرينة، فلقّب بذلك، و صار هذا اللقب أغلب عليه من اسمه و معرفته.

ثم قال لسان الدين فى حقّ المذكور ما ملخّصه أنه قرأ بالحضرة على الخطيب أبى على القيطاجى و طبقته، و أخذ بالقاهرة عن الأستاذ أبى حيان، و انتفع بجاهه، نقل إلينا الحاج الحافظ أبو جعفر بن غصن من شعره حسبما قيّده عنه بمصر: [الكامل]

بعد المزار و لوعة الأشواق حكما بفيض مدامع الآماق

و خفوق نجدىّ النسيم إذا سرى أذكى لهيب فؤادى الخفّاق

أ معلّلى أنّ التواصل فى غد من ذا الذى لغد فديتك باقى

إنّ الليالى سبّق إن أقبلت و إذا تولّت لم تنل بلحاق

عج بالمطىّ على الحمى، سقى الحمى صوب الغمام الواكف الرقراق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۲۷

فيه لذى القلب السليم ودادة قلب سليم ما له من راق

قلب غداة فراقهم فارقته لا كان فى الأيام يوم فراق

يا ساريا و الليل ساج عاكف يفرى الفلا بنجائب و نياق

عرّج على مثوى النبىّ محمد خير البريّة ذى المقام الراقى

و رسول ربّ العالمين و من له حفظ العهود و صحّة الميثاق

الظاهر الآيات قام دليلها و الطاهر الأخلاق و الأعراق

بدر الهدى و هو الذى آياته و جبينه كالشمس فى الإشراق

الشافع المقبول من عمّ الورى بالجود و الإرفاد و الإرفاق

الصادق المأمون أكرم مرسل سارت رسالته إلى الآفاق

أعلى الكرام ندى و أبسطهم يدا قبضت عنان المجد باستحقاق

و أشدّ خلق اللّه إقداما إذا حمى الوطيس و شمّرت عن ساق

أمضاهم و الخيل تعثر فى الوغى و تجول سبحا فى الدّم المهراق

من صيّر الأديان دينا واحدا من بعد إشراك مضى و نفاق

و أحلّنا من حرمة الإسلام فى ظلّ ظليل وارف الأوراق

لو أنّ للبدر المنير كماله ما ناله كسف و نكس محاق

لو أنّ للبحرين جود يمينه أمن السفين غوائل الإيساق

لو أنّ للآساد شدّة بأسه لثنت عن الإنجاد و الإعراق

لو أنّ للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم من الإشفاق

ذو العلم و الحلم الخفىّ المنجلى و الجاه و الشرف القديم الباقى

آياته شهب و غرّ بنانه سحب النوال تدرّ بالأرزاق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٢٨

ماجت فتوح الأرض و هو غياثها و ربت ربا الإيمان و هو الساقى

ذو رأفة بالمؤمنين و رحمة و هدى و تأديب بحسن سياق

و خصال مجد أفردت بالخصل فى مرمى الفخار و غاية السّبّاق

ذو المعجزات الغرّ و الآى التى كم آية فقدت و هنّ بواقى

ثنت المعارض حائرا لمّا حكت فلق الصباح و كان ذا إفلاق

يقظ الفؤاد سرى و قد هجع الورى لمقام صدق فوق ظهر براق

و سما و أملاك السماء تحفّه حتى تجاوزهنّ سبع طباق

و منها:

يا ذا الذى اتّصل الرجاء بحبله و انبتّ من هذا الورى بطلاق

حبّى إليك وسيلتى و ذخيرتى إنى من الأعمال ذو إملاق

و إليك أعلمت الرواحل ضمّرا تختال بين الوخد و الإعناق

نجبا إذا نشدت حلى تلك العلا تطوى الفلا ممتدّة الأعناق

يحدو بهنّ من النحيب مردّد و تقودهنّ أزمّة الأشواق

غرض إليه فوّقتنا أسهما و هى القسىّ برين كالأفواق

فأنختها بفنائك الرّحب الذى وسع الورى بالنائل الدفّاق

و قرى مؤمّلك الشفاعة فى غد و كفى بها هبة من الرزّاق

و عليك يا خير الأنام تحيّة تحيى النفوس بنشرها الفتّاق

تتأرّج الأرجاء من نفحاتها أرج الندىّ بمدحك المصداق

و منها:

قسما بطيب تراب طيبة؛ إنه مسك الأنوف و إثمد الأحداق

و بشأن مسجدها الذى برحابه لمعامل الرحمن أىّ نفاق

لأجود فيه بأدمع أسلاكها منظومة بترائب و تراق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٢٩

أغدو بتقبيل على حصبائه و على كرائم جدره بعناق

و منها:

و عليك ذا النّورين تسليم له نور يلوح بصفحة المهراق

كفؤ النبىّ و كفؤ أعلى جنّة حيزت له بشهادة و صداق

و كفاه ما فى الفتح جاء و مصحف فى الفتح يحمده و فى الإطباق

و على أبى السبطين من سبق الألى سبقوا إلى الإسلام يوم سباق

الطاهر الطهر ابن عمّ المصطفى شرف على التخصيص و الإطلاق

مبدى القضايا من وراء حجابها و مفتّح الأكمام عن أغلاق

يغزو العداة بغلظة فيهدّهم بصوارم تفرى الفقار رقاق

راياته لا شىء من عقبانها بمطار يوم وغى و لا بمطاق

و على كرام ستة عشرت بهم عند النظام لآلىء النّساق

ما بين أروع ماجد نيرانه جنح الظلام تشبّ للطّرّاق

و أخى حروب صدّه رشق القنا عمّا قدود مثلهنّ رقاق

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج٧؛ ص٣٢٩

ما غرّدت شجوا مطوّقة و ما شقّت كمام الروض عن أطواق

و على القرابة و الصحابة كلّهم و التابعين لهم ليوم تلاق

و ذكر فى «الإحاطة» غير هذه.

## [من إنشاء لسان الدين فى ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادى آشى]

و قال لسان الدين فى «التاج» فى ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادى آشى ما صورته:

ناظم أبيات، و موضح غرر و شيات، و صاحب توقيعات وقيعات، و إشارات ذوات شارات،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٣٠

و كان شاعرا مكثارا، و جوادا لا يخاف عثارا، دخل على أمير بلده المخلوع عن ملكه، بعد انتثار سلكه، و خروج الحضرة عن ملكه، و

استقراره بوادى آش مروّع البال، متعلّلا بالآمال، و قد بلغه دخول طبرنش فى طاعته، فأنشده من ساعته: [مجزوء الكامل]

خذها إليك طبرنشا شفّع بها وادى الأشا

و الأمّ تأتى بنتها و اللّه يفعل ما يشا

و من نوادره العذبة، ما كتبه إليه يطلب منه الحسبة: [الطويل]

أنلنى أيا خير البريّة خطة ترفّعنى قدرا و تكسبنى عزّا

فأعتزّ فى أهلى كما اعتزّ بيدق على سفرة الشطرنج لمّا انثنى فرزا

فوقع له بما ثبت فى ترجمته، انتهى.

## [من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه بن العطار المزنى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد اللّه بن العطار المزنى ما صورته: ممّن نبغ و نجب، و حقّ له البرّ بذاته و وجب، تحلّى بوقار، و شعشع للأدب كأس عقار، إلّا أنه اخترم فى اقتبال، و أصيب للأجل بنبال؛ انتهى.

## [من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن على بن خاتمة]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن على بن محمد بن على بن يحيى بن خاتمة الأنصارى المزنى، ما صورته: ممن ثكلته اليراعة، و فقدته البراعة، تأدّب بأخيه و تهذّب، و أراه فى النظم المذهب، و كساه من التفهّم و التعليم الرداء المذهّب، فاقتفى و اقتدى، و راح فى الحلبة و اغتدى، حتى نبل و شدا، و لو أمهله الدهر لبلغ المدى. و أما خطّه فقيد الأبصار، و طرفة من طرف الأمصار، و اعتبط يانع الشبيبة، مخضرّ الكتيبة. مات عام خمسين و سبعمائة.

و أورد له فى «الإحاطة» قوله: [الرمل]

و مض البرق فثار القلق و مضى النوم و حلّ الأرق

مذ تذكّرت لأيام خلت ضمّنا فيها الحمى و الأبرق



و عشيّات تقضّت باللّوى فى محيّا الدهر منها رونق

إذ شبابى و التّصابى جمعا و رياض الأنس غضّ مورق

شتّ يوم البين شملى ليت ما خلق البين لقلب يعشق

آه من يوم قضى لى فرقة شاب منى يوم حلّت مفرق

و قوله: [البسيط]

الرفع نعتكم لا خانكم أمل و الخفض شيمة مثلى و الهوى دول

هل منكم لى عطف بعد بعدكم؟ إذ ليس لى منكم يا سادتى بدل

قلت: البيت الثانى غاية فى معناه، و أمّا الأول فسافل و إن أسّس على الرفع مبناه، و اللّه أعلم.

## [من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن محمد المالقى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميرى المالقى ما صورته: «علم من أعلام هذا الفن، و مشعشع راح هذا الدنّ، مجموع أدوات، و فارس يراعة و دواة، ظريف المنزع، أنيق المرأى و المسمع، اختصّ

بالرياسة فأدار فلك إمارتها، و اتّسم باسم كتابتها و وزارتها، ناهضا بالأعباء، صاعدا فى درج التقريب و الاجتباء، مصانعا دهره فى راح و راحة، آويا إلى فضل و سماحة، و خصب ساحة، كلّما فرغ من شأن خدمته، و انصرف عن ربّ نعمته، عقد ثربا، و أطفأ من الاهتمام بغير الأيام حربا، و عكف على صوت يستعيده، و ظرف يبديه و يعيده. فلمّا تقلّبت بالرياسة الحال، و قوّضت منها الرحال، استقرّ بالمغرب غريبا، يقلّب طرفا مستريبا، و يلحظ الدنيا تبعة عليه و تثريبا، و إن كان لم يعدم من أمرائه حظوة و تقريبا، و ما برح يبوح بشجنه، و يرتاح إلى عهود وطنه. و ممّا أعرب به، عن براعة أدبه، قوله: [الكامل]

يا نازحين و لم أفارق منهم شوقا تأجّج فى الضلوع ضرامه

غيّبتم عن ناظرىّ و شخصكم حيث استقرّ من الضلوع مقامه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۳۲

رمت النوى شملى فشتّت نظمه و البين رام لا تطيش سهامه

و قد اعتدى فيها وجدّ مبالغا و جرت بمحكم جوره أحكامه

أ ترى الزمان مؤخّرا فى مدّتى حتى أراه قد انقضت أيامه

تحملها يا نسيم نجديّة النّفحات، وجديّة اللفحات، تؤدى عنى إلى الأحبة نفحها سلاما، و تورد عليهم لفحها بردا و سلاما، و لا تقل كيف تحمّلنى نارا، و ترسل على الأحبّة منى إعصارا. كلّا إذا أهديتهم تحية إيناسى، و آنسوا من جانب هبوبك نار ضرام أنفاسى، و ارتاحوا إلى هبوبك، و اهتزّوا فى كفّ مسرى جنوبك، و تعلّلوا بك تعليلا و أوسعوا آثار مهبّك تقبيلا، أرسلها عليهم بليلا، و خاطبهم بلطافة تلطّفك تعليلا. أ لم ترونى كيف جئتكم بما حملنى عليلا: [الوافر]

كذاك تركته ملقى بأرض له فيها التعلّل بالرياح

إذا هبّت إليه صبا إليها و إن جاءته من كلّ النواحى

تساعده الحمائم حين يبكى فما ينفكّ موصول النّواح

يخاطبهنّ مهما طرن شوقا أما فيكنّ واهبة الجناح

و لو لا تعلّله بالأمانى، و تحدّث نفسه بزمان التدانى، لكان قد قضى نحبه، و لم أبلّغكم إلّا نعيه أو ندبه، لكنه يتعلّل من الآمال بالوعد الممطول، و يتطارح باقتراحاته على الزمن المجهول، و يحدّث نفسه و قد قنعت من بروق الآمال بالخلّب، و وثقت بمواعيد الدهر القلّب، فيناجيها بوحى ضميره، و إيماء تصويره، كيف أجدك يوم الالتقاء بالأحباب، و التخلّص من ربقة الاغتراب، أ بائنة الحضور أم بادية الاضطراب، كأنى بك و قد استفزّك و له السرور، فصرفك عن مشاهدة الحضور، و عاقتك غشاوة الاستعبار للاستبشار، عن اجتلاء محيّا ذلك النهار: [البسيط]

يوم يداوى زماناتى من ازمانى أزال تنغيص أحيانى فأحيانى

جعلت للّه نذرا صومه أبدا أفى به و أوفّى شرط إيمانى

إذا ارتفعنا و زال البعد و انقطعت أشطان دهر قد التفّت بأشطانى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۳۳

أعدّه خير أعياد الزمان إذا أوطانى السعد فيه ترب أوطانى

أ رأيت كيف ارتياحى إلى التّذكار، و انقيادى إلى معلّلات توهّمات الأفكار؟ كأنّ البعد باستغراقها قد طويت شقّته، و ذهبت عنى مشقّته، و كأنى بالتّخيّل بين تلك الخمائل أتنسّم صباها، و أتسنّم رباها، و أجتنى أزهارها، و أجتلى أنوارها، و أجول فى خمائلها، و أتنعّم ببكرها و أصائلها، و أطوف بمعالمها، و أتنشّق أزهار كمائمها، و أصيخ بأذن الشوق إلى سجع حمائمها، و قد داخلتنى الأفراح، و نالت منى نشوة الارتياح، و دنا السرور لتوهّم ذهاب الأتراح، فلمّا أفقت من غمرات سكرى، و وثبت من هفوات فكرى، وجدت

مرارة ما شابه لى فى استغراق دهرى، و كأنى من حينئذ عالجت وقفة الفراق، و ابتدأت منازعة الأشواق، و كأنما أغمضنى النوم، و سمح لى بتلك الفكرة الحلم: [الكامل]

ذكر الديار فهاجه تذكاره و سرت به من حينه أفكاره

فاحتلّ منها حيث كان حلوله بالوهم منها و استقرّ قراره

ما أقرب الآمال من غفواته لو أنها قضيت بها أوطاره

فإذا جئتها أيها القادم، و الأصيل قد خلع عليها بردا مورّسا، و الربيع قد مدّ على القيعان منها سندسا، فاتّخذها- فديتك- معرّسا، و اجرر ذيولك فيها متبخترا، و بثّ فيها من طيب نفحاتك عنبرا، و افتق عليها من نوافج أنفاسك مسكا أذفرا، و اعطف معاطف بانها، و أرقص قضب ريحانها، و صافح صفحات نهرها، و نافح نفحات زهرها، هذه كلّها أمارات، و عن أسرار مقاصدى عبارات، هنالك تنتعش بها صبابات، تعالج صبابات، تتعلّل بإقبالك، و تعكف على لثم أذيالك، و تبدو لك فى صفة الفانى المتهالك، لاطفها بلطافة اعتلالك، و ترفّق بها ترفّق أمثالك، فإذا مالت بهم إلى هواك الأشواق، و لووا إليك الأرؤس و الأعناق، و سألوك عن اضطرابى فى الآفاق، و تقلّبى بين الإشآم و الإعراق، فقل لهم: عرض له فى أسفاره، ما يعرض للبدر فى سراره، من سرار السرار، و لحاق المحاق، و قد تركته و هو يسامر الفرقدين، و يساير النّيّرين، و ينشد إذا راعه البين: [البسيط]

و قد نكون و ما يخشى تفرّقنا فاليوم نحن، و ما يرجى تلاقينا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٣۴

لم يفارق و عثاء الأسفار، و لا ألقى من يده عصا التّسيار، يتهاداه الغور و النجد، و يتداوله الإرقال و الوخد، و قد لفحته الرّمضاء، و سئمه الإنضاء، فالجهات تلفظه، و الآكام تبهظه، يحمل همومه الرواسم، و تحياته البواسم: [البسيط]

لا يستقرّ بأرض حين يبلغها و لا له غير حدو العيس إيناس

ثم إذا استوفوا سؤالك عن حالى، و تقلّبى بين حلّى و ترحالى، و بلغت القلوب منهم الحناجر، و ملأت الدموع المحاجر، و ابتلّت ذيولك بمائها، لا بل تضرّجت بدمائها، فحيّهم عنى تحيّة منفصل، وداع مرتحل، ثم اعطف عليك ركابك، و مهّد لهم جنابك، و قل لهم إذا سألنى عن المنازل بعد سكانها، و الربوع بعد ظعن أظعانها، بماذا أجيبه؟ و بماذا يسكن وجيبه، فسيقولون لك هى البلاقع المقفرات، و المعارف التى أصبحت نكرات: [السريع]

صمّ صداها و عفا رسمها و استعجمت عن منطق السائل

قل لهم: كيف الروض و آسه؟ و عمّ تتأرّج أنفاسه؟ عهدى به و الحمام يردّد به أسجاعه، و الذباب يغنى به هزجا فيحكّ بذراعه ذراعه، و غصونه تعتنق، و أحشاء جداوله تصطفق، و أشجاره تتنسّم، و آصاله تتوسّم، كما كانت بقية نضرته، و كما عهدتها أنيقة خضرته، و كيف التفاته عن أزرق نهره، و تأنّقه فى تكليل إكليله بيانع زهره، و هل رقّ نسيم أصائله، وصفت موارد جداوله؟ و كيف انفساح ساحاته، و التفاف دوحاته؟ و هل تمتدّ كما كانت مع العشىّ فينانة سرحاته؟ عهدى بها المديدة الظلال، المزعفرة السّربال، لم تحدّق الآن به عيون نرجسه، و يمدّ بساط سندسه؟ و أين منه مجالس لذاتى، و معاهد غدواتى و روحاتى؟ إذ أبارى فى المجون لمن أبارى، و أسابق إلى اللّذّات كلّ من أجارى. فسيقولون لك: ذوت أفنانه، و انقصفت أغصانه، و تكدّرت غدرانه، و تغيّر روحه و ريحانه، و أقفرت معالمه، و أخرست حمائمه، و استحالت حلل خمائله، و تغيّرت وجوه بكره و أصائله، فإن صلصل حنين رعد فعن

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٣۵

قلبى لفراقه خفق، و إن تلألأ برق فعن حر حشاى ائتلق، و إن سحّت السّحب فمساعدة لجفنى، و إن طال بكاؤها فعنّى، حيّاها اللّه تعالى منازل، لم تزل بمنظوم الشمل أواهل، و حين انتثرت نثرت أزهارها أسفا، و لم تثن الريح من أغصانها معطفا، أعاد اللّه تعالى الشمل فيها إلى محكم نظامه، و جعل الدهر الذى فرّقه يتأنّق فى أحكامه، و هو سبحانه يجبر الصّدع، و يعجّل الجمع، إنه بالإجابة جدير، و

على ما يشاء قدير.

إيه بنيّ، كيف حال من استودعتهم أمانتك، و ألزمتهم صونك و صيانتك، و ألبستهم نسبك، و مهّدت لهم حسبك؟ اللّه فى حفظهم فهو اللائق بفعالك، و المناسب لشرف خلالك، ارع لهم الاغتراب لديك، و الانقطاع إليك، فهم أمانة اللّه تعالى فى يديك، و هو سبحانه يحفظك بحفظهم، و يوالى بلحظك أسباب لحظهم، و إن ذهبتم إلى معرفة الأحوال، فنعم اللّه تعالى ممتدة الظلال، و خيراته وارفة السّربال، لو لا الشوق الملازم، و الوجد الذى سكن الحيازم».

## [من إنشائه فى ترجمة أبى بكر محمد بن مقاتل المالقى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى بكر محمد بن محمد بن عبد اللّه بن مقاتل المالقى ما نصّه: نابغة مالقية، و خلف و بقية، و مغربى الوطن أخلاقه مشرقية. أزمع الرحيل إلى المشرق، مع اخضرار العود و سواد المفرق، فلمّا توسّطت السفينة اللّجج، و قارعت الثّبج، هال عليها البحر فسقاها كأس الحمام، و أولدها قبل التمام، و كان فيمن اشتملت عليه أعوادها، و انضمّ على نوره سوادها، من جملة الطلبة و الأدباء، و أبناء السراة الحسباء، أصبح كلّ منهم مطيعا، لداعى الردى و سميعا، و أحيوا فرادى و ماتوا جميعا، فأجروا الدموع حزنا، و أرسلوا العبرات عليهم مزنا، و كأنّ البحر لما طمس سبيل خلاصهم و سدّها، و أهال هضبة سفينتهم و هدّها، غار على نفوسهم النفيسة فاستردّها. و الفقيه أبو بكر مع إكثاره، و انقياد نظامه و نثاره، لم أظفر من أدبه إلّا بالقليل التافه، بعد وداعه و انصرافه. فمن ذلك قوله و قد أبصر فتى عاثرا: [الكامل]

و مهفهف هافى المعاطف أحور فضحت أشعّة نوره الأقمارا

زلّت له قدم فأصبح عاثرا بين الأنام لعا لذاك عثارا

لو كنت أعلم ما يكون فرشت فى ذاك المكان الخدّ و الأشفارا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۳۶

و قال: [الطويل]

أيا لبنى الرفّاء تنضى ظباؤهم جفون ظباهم فالفؤاد كليم

لقد قطّع الأحشاء منهم مهفهف له التّبر خدّ و اللّجين أديم

يسدّد إذ يرمى قسىّ حواجب و أسهمها من مقلتيه تسوم

و تسقمنى عيناه و هى سقيمة و من عجب سقم جناه سقيم

و يذبل جسمى فى هواه صبابة و فى وصله للعاشقين نعيم

كان غرقه فى أخريات عام تسعة و ثلاثين و سبعمائة؛ انتهى.

## [من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن الشديد المالقى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن محمد الشّديد المالقى ما نصّه:

شاعر مجيد حوك الكلام، و لا يقصر فيه عن درجة الأعلام. رحل إلى الحجاز لأوّل أمره فطال بالبلاد المشرقية ثواؤه، و عمّيت أنباؤه، و على هذا العهد وقفت له على قصيدة بخطّه غرضها نبيل، و مرعاها غير وبيل، تدلّ على نفس و نفس، و إضاءة قبس، و هى: [الوافر]

لنا فى كلّ مكرمة مقام و من فوق النجوم لنا مقام

و منها:

روينا من مياه المجد لمّا وردناها و قد كثر الزحام

فنحن هم، و قل لى من سوانا، لنا التقديم قدما و الكلام

لنا الأيدى الطّوال بكلّ صوب يهزّ به لدى الروع الحسام

و نحن اللابسون لكلّ درع يصيب السّمر منهنّ انثلام

بأندلس لنا أيام حرب مواقفهنّ فى الدنيا عظام

ثوى منها قلوب الروم خوف يخوّف منه فى المهد الغلام

حمينا جانب الدين احتسابا فها هو لا يهان و لا يضام

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۳۷

و تحت الرايۀ الحمراء منّا كتائب لا تطاق و لا ترام

بنو نصر و ما أدراك ما هم أسود الحرب و القوم الكرام

لهم فى حربهم فتكات عمرو فللأعمار عندهم انصرام

يقول عداتهم مهما ألمّوا أتونا ما من الموت اعتصام

إذا شرعوا الأسنّۀ يوم حرب فحقّق أنّ ذاك هو الحمام

كأنّ رماحهم فيها نجوم إذا ما أشبه الليل القتام

أناس تخلف الأيام ميتا بحيّ منهم فلهم دوام

رأينا من أبى الحجاج شخصا على تلك الصفات له قيام

موقّى العرض محمود السجايا كريم الكفّ مقدام همام

يجول بذهنه فى كلّ شىء فيدركه و إن عزّ المرام

قويم الرأى فى نوب الليالى إذا ما الرأى فارقه القوام

له فى كلّ معضلۀ مضاء مضاء الكفّ ساعدها الحسام

رؤوف قادر يغضى و يعفو و إن عظم اجتناء و اجترام

تطوف ببيت سؤدده القوافى كما قد طاف بالبيت الأنام

و تسجد فى مقام علاه شكرا و نعم الركن ذلك و المقام

أفارسها إذا ما الحرب أخنت على أبطالها ودنا الحمام

و ممطرها إذا ما السّحب كفّت و كفّ أخى الندى أبدا غمام

لك الذكر الجميل بكلّ قطر لك الشرف الأصيل المستدام

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۳۸

لقد جبنا البلاد فحيث سرنا رأينا أنّ ملكك لا يرام

فضلت ملوكها شرقا و غربا و بتّ لملكها يقظا و ناموا

فأنت لكلّ معلوۀ مدار و أنت لكلّ مكرمۀ إمام

جعلت بلاد أندلس إذا ما ذكرت تغار مصر و الشآم

مكان أنت فيه مكان عزّ و أوطان حللت بها كرام

وهبتك من بنات الفكر بكرا لها من حسن لقياك ابتسام

فنزّه طرف مجدك فى حلاها فللمجد الأصيل بها اهتمام

### [من إنشائه فى ترجمة محمد بن الحسن العمرانى، الفاسى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة الشريف محمد بن الحسن العمرانى من أهل فاس ما صورته: كريم الانتماء، متظلّل بأغصان الشجرة الشّماء، من رجل سليم الضمير، ذى باطن أصفى من الماء النّمير، له فى الشعر طبع يشهد بعربية أصوله، و مضاء نصوله.

و ذكر فى «الإحاطة» أن الشريف المذكور توفى فى حدود ثمانية و ثلاثين و سبعمائة.

### [من إنشائه فى ترجمة محمد بن محمد، المرادى، العشاب]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم المرادى العشاب، و هو قرطبى الأصل تونسى المولد و المنشأ، ما نصّه: «جواد لا- يتعاطى طلقه، و صبح فضل لا- يماثل فلقه، كانت لأبيه رحمه اللّه تعالى من الدول الحفصية منزلة لطيفة المحلّ، و مفاوضة فى العقد و الحلّ، و لم يزل تسمو به قدم النجابة، من العمل إلى الحجابة، و نشأ ابنه هذا مقضىّ الديون، مفدّى بالأنفس و العيون، و الدهر ذو ألوان، و مارق حرب عوان، و الأيام كرات تتلقّف، و أحوال لا تتوقف، فألوى بهم الدهر و أنحى، و أغام جوّهم بعقب ما أصحى، فشملهم الاعتقال، و تعاورتهم النّوب الثقال، و استقرّت بالمشرق ركابه، و حطّت به

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۳۹

أقتابه، فحجّ و اعتمر، و استوطن تلك المعاهد و عمر، و عكف على كتاب اللّه تعالى فجوّد الحروف، و قرأ المعروف، و قيّد و أسند، و تكرّر إلى دور الحديث و تردّد، و قدم على هذا الوطن قدوم النسيم البليل، على كبد العليل، و لمّا استقرّ به قراره، و اشتمل على جفنه غراره، بادرت إلى مؤانسته، و ثابرت على مجالسته، فاجتليت للسّرّ شخصا، و طالعت ديوان الوفاء مستقصى. و شعره ليس بحائد عن الإحسان، و لا غفل عن النكت الحسان»؛ انتهى.

### [من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن عمر، المليكشى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن عمر بن على بن إبراهيم المليكشى ما صورته: كاتب الخلافة، و مشعشع الأدب الذى يزرى بالسّلافة، كان بطل مجال، و ربّ رويّة و ارتجال، قدم على هذه البلاد و قد نبا به وطنه، و ضاق ببعض الحوادث عطنه، فتلوّم النسيم بين الخمائل، و حلّ منها محلّ الطيف من الوشاح الجائل، و لبث مدة إقامته تحت جراية واسعة، و ميرة يانعة، ثم آثر قطره، فولّى وجهه شطره، و استقبله دهره بالإنابة، و قلّده خطّة الكتابة، فاستقامت حاله، و حطّت رحاله، و له شعر أنيق، و تصوّف و تحقيق، و رحلة إلى الحجاز سعيها فى الخير وثيق، و نسبها فى الصالحات عريق، و من شعره قوله: [الطويل]

رضا نلت ما ترضين من كلّ ما يهوى فلا توقفينى موقف الذلّ و الشكوى

وصفحا عن الجانى المسىء لنفسه كفاه الذى يلقاه من شدّة البلوى

بما بيننا من خلوة معنويّة أرقّ من النجوى و أحلى من السلوى

قفى أتشكّى لوعة البين ساعة و لا يك هذا آخر العهد بالنجوى

قفى ساعدينى عرصة الدار و انظرى إلى عاشق ما يستفيق من البلوى

و كم قد سألت الريح شوقا إليكم فما حنّ مسراها علىّ و لا ألوى

فيا ريح، حتى أنت ممّن يغار بى و يا نجد، حتى أنت تهوى الذى أهوى

خلقت ولى قلب جليد على النوى و لكن على فقد الأحبّة لا يقوى

و حدّث بعض من عنى بأخباره، أيام مقامه بمالقة و استقراره، أنه لقى بباب الملعب من أبوابها ظبية من ظبيات الإنس، وقينة من قينات

هذا الجنس، فخطب وصالها، و اتقى بفؤاده

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۴۰

نصالها، حتى همّت بالانقياد، و انعطفت انعطاف الغصن الميّاد، فأبقى على نفسه و أمسك، و أنف من خلع العذار بعد ما تنسّك، و قال: [الكامل]

لم أنس وقفتنا بباب الملعب بين الرجا و اليأس من متجنّب

وعدت فكنت مراقبا لحديثها يا ذلّ وقفة خائف مترقّب

و تدلّلت فذللت بعد تعزّز يأتى الغرام بكلّ أمر معجب

بدوية أبدى الجمال بوجهها ما شئت من خدّ شريق مذهب

تدنو و تبعد نفرة و تجنّيا فتكاد تحسبها مهاة الرّبرب

ورنت بلحظ فاتن لك فاتر أنضى و أمضى من حسام المضرب

و أرتك بابل سحرها بجفونها فسبت، و حقّ لمثلها أن تستبى

و تضاحكت فحكت بثيّر ثغرها لمعان نور ضياء برق خلّب

بمنظّم فى عقد سمطى جوهر عن شبه نور الأقحوان الأشنب

و تمايلت كالغصن أخضله الندى ريّان من ماء الشبيبة مخصب

تثنيه أرواح الصبابة و الصّبا فتراه بين مشرّق و مغرّب

أبت الروادف أن تميل بميله فرست وجال كأنه فى لولب

متتوّجا بهلال وجه لاح فى خلل السحاب لحاجب و محجّب

يا من رأى فيها محبّا مغرما لم ينقلب إلّا بقلب قلّب

ما زال مذ ولّى يحاول حيلة تدنيه من نيل المنى و المطلب

فأجال نار الفكر حتى أوقدت فى القلب نار تشوّق و تلهّب

فتلاقت الأرواح قبل جسومها و كذا البسيط يكون قبل مركّب

و قال: [الطويل]

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۴۱

أرى لك يا قلبى بقلبى محبّة بعثت بها سرّى إليك رسولا

فقابله بالبشرى، و أقبل عشيّة فقد هبّ مسك للنسيم عليلا

و لا تعتذر بالقطر أو بلل الندى فأحسن ما يأتى النسيم بليلا

توفى عام أربعين و سبعمائة بتونس، رحمه اللّه تعالى! انتهى.

## [من إنشائه فى ترجمة محمد بن على، العبدرى، التونسى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن على بن عمر العبدرى التونسى الشاطبى الأصل، ما نصّه: غذىّ نعمة هامية، و قريع رتبة سامية، صرفت إلى سلفه الوجوه، و لم يبق من إفريقية إلّا من يخافه و يرجوه، و بلغ هو مدة ذلك الشرف، الغاية من الترف، ثم قلب الدهر له ظهر المجنّ، و اشتدّ به الخمار عند فراغ الدّنّ، و لحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوب مبيرة، و شدّة كبيرة، فامتزج بسكانه و قطّانه، و نال من اللّذّات به ما لم ينله فى أوطانه، و اكتسب الشمائل العذاب، و كان كابن الجهم بعث إلى الرصافة ليرقّ

فذاب، ثم حوّم على وطنه تحويم الطائر، و ألمّ بهذه البلاد إلمام الخيال الزائر، فاغتنمت صفقة ودّه لحين وروده، و خطبت موالاته على انقباضه و شروده، فحصلت منه على درّة تقتنى، و حديقة طيبة الجنى. أنشدنى فى أصحاب له بمصر قاموا ببرّه: [الطويل]

لكلّ أناس مذهب و سجيّة و مذهب أولاد النظام المكارم

إذا كنت فيهم ثاويا كنت سيّدا و إن غبت عنهم لم تنلك المظالم

أولئك صحبى، لا عدمت حياتهم! و لا عدموا السّعد الذى هو دائم!

أغنّى بذكراهم و طيب حديثهم كما غرّدت فوق الغصون الحمائم

و قال: [الوافر]

أحبّتنا بمصر لو رأيتم بكائى عند أطراف النهار



لكنتم تشفقون لفرط وجدى و ما ألقاه من بعد الديار

## [من إنشائه فى ترجمة محمد بن يحيى العزفى، السبتى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى القاسم محمد بن أبى زكريا يحيى بن أبى طالب عبد اللّه بن محمد بن أحمد العزفى السبتى، ما صورته: فرع تأوّد من الرياسة فى دوحة، و تردّد بين غدوة فى المجد و روحة، نشأ و الرياسة العزفية تعلّه و تنهله، و الدهر ييسّر أمله الأقصى و يسهّله، حتى اتّسقت أسباب سعده، و انتهت إليه رياسة سلفه من بعده، فألقت إليه رحالها و حطّت، و متعته بقربها بعد ما شطّت، ثم كلح له الدهر بعد ما تبسّم، و عاد زعزعا نسيمه الذى كان يتنسّم، و عاق هلاله عن تمّه، ما كان من تغلّب ابن عمّه، و استقرّ بهذه البلاد نازح الدار، بحكم الأقدار، و إن كان نبيه المكانة و المقدار، و جرت عليه جراية واسعة، و رعاية متتابعة، و له أدب كالروض باكرته الغمائم، و الزهر تفتّحت عنه الكمائم، رفع منه راية خافقة، و أقام له سوقا نافقة، و على تدفّق أنهاره، و كثرة نظمه و اشتهاره، فلم أظفر منه إلّا باليسير التافه، بعد انصرافه؛ انتهى.

## [من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن المكودى، الفاسى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن المكودى الفاسى ما نصّه: شاعر لا يتقاصى ميدانه، و مرعى بيان ورف عضاهه و أينع سعدانه، يدعو الكلام فيهطع لداعيه، و يسعى فى اجتلاب المعانى فتنجح مساعيه، غير أنه أفرط فى الانهماك، و هوى إلى السمكة من أوج السّماك، قدم على هذه البلاد مفلتا من رهق تلمسان حين الحصار، صفر اليمين و اليسار من اليسار، ملىء هوى أنحى على طريفه و تلاده، و أخرجه من بلاده، و لمّا جذبه البين، و حلّ هذه البلدة بحال تقبحها العين، و السيف بهزّته، لا بحسن بزّته، دعوناه إلى مجلس أعاره البدر هالته، و خلع عليه الأصيل غلالته، و روض تفتّح كمامه، و همى عليه غمامه، و كأس أنس تدور، فتتلقّى نجومها البدور، فلمّا ذهبت المؤانسة بخجله، و تذكّر هواه و يوم نواه حتى خفنا حلول أجله، جذبنا للمؤانسة زمامه، و استسقينا منه غمامه، فأمتع



و أحسب، و نظر و نسب، و تكلّم فى المسائل، و حاضر بطرف الأبيات و عيون الرسائل، حتى نشر الصباح رايته، و أطلع النهار آيته، فممّا نسبه إلى نفسه و أنشدناه قوله: [الوافر]

غرامى فيك جلّ عن القياس و قد أسقيتنيه بكل كاس

و لا أنسى هواك و لو جفانى عليك أقاربى طرّا و ناسى

و لا أدرى لنفسى من كمال سوى أنى لعهدك غير ناسى

و قال: [الطويل]

بعثت بخمر فيه ماء و إنما بعثت بماء فيه رائحة الخمر

فقلّ عليه الشكر إذ قلّ سكرنا فنحن بلا سكر و أنت بلا شكر

## [من إنشائه فى ترجمة محمد بن محمد بن بيش، العبدرى]

و قال لسان الدين رحمه اللّه تعالى فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدرى الغرناطى ما صورته: معلّم مدرّب، مسهّل مقرّب، له فى صنعة العربية باع مديد، و فى هدفها سهم سديد، و مشاركة فى الأدب لا يفارقها تسديد، خاصّىّ المنازع مختصرها، مرتّب الأحوال مقرّرها، تميّز أول وقته بالتّجارة فى الكتب فسلّطت منه عليها أرضة آكلة، و سهم أصاب من رميتها الشاكلة، أترب بسببها و أثرى، و أغنى جهة و أفقر أخرى، و انتقل لهذا العهد الأخير إلى سكنى مسقط رأسه، و منبت غرسه، و جرت عليه جراية من أحباسها، و وقع عليه قبول من ناسها، و بها تلاحق به الحمام، فكان من ترابها البداية و إليها التمام. و له شعر لم يقصر فيه عن المدى، و أدب توشّح بالإجادة و ارتدى. أنشدنى بسبتة تاسع جمادى الأولى عام اثنين و خمسين و سبعمائة يجيب عن بيتى ابن العفيف التلمسانى: [مخلع البسيط]

يا ساكنا قلبى المعنّى و ليس فيه سواك ثانى

لأىّ معنى كسرت قلبى و ما التقى فيه ساكنان

فقال: [مخلع البسيط]

نحلتنى طائعا فؤادا فصار إذ حزته مكانى

لا غرو إذ كان لى مضافا أنّى على الكسر فيه بانى

و قال يخاطب الشريف أبا العباس و أهدى أقلاما: [الطويل]



أناملك الغرّ التى سيب جودها يفيض كفيض المزن بالصّيّب القطر

أتتنى منها تحفة مثل عدها إذا انتضيت كانت كمرهفة السّمر

هى الصّفر لكن تعلم البيض أنها محكّمة فيها على النّفع و الضّرّ

مهذّبة الأوصال ممشوقة كما تصوغ سهام الرّمى من خالص التّبر

فقبّلتها عشرا و مثّلت أننى ظفرت بلثم فى أناملك العشر

و قال فى ترتيب حروف الصحاح: [الطويل]

أ ساجعة بالواديين تبوّئى ثمارا جنتها حاليات خواضب

دعى ذكر روض زانه سقى شربه صباح ضحى طير ظباء عصائب

غرام فؤادى قاذف كلّ ليلة متى ما نأى وهنا هواه يراقب

مولده فى حدود ثمانين و ستمائة، و توفى بغرناطة فى رجب عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة؛ انتهى.

قلت: رأيت بخطّ الجلال السيوطى على هامش جوابه عن بيتى ابن العفيف التلمسانى ما صورته: قلت: فى هذا البيت تصريح بأنّ المضاف إلى الياء مبنى على الكسر، و هو رأى مرجوح عند النحاة، ذهب إليه الجرجانى، و الصحيح أنه معرب، على أنّ ذاك لا يحتاج إلى جواب كما يظهر بالتأمل، قاله عبد الرحمن السيوطى؛ انتهى. و يعنى بذلك أنّ الساكنين إنما يكسر أحدهما، لا محلّهما، و

اللّه سبحانه أعلم.

## [من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن هانىء، اللخمى]

و قال لسان الدين فى «الإكليل» فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن هانىء اللخمى السبتى و أصله من إشبيلية، ما صورته: علم تشير إليه الأكف، و يعمل إلى لقائه الحافر و الخفّ،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۴۵

رفع للعربية ببلده راية لا تتأخر، و مرج منها لجة تزخر، فانفسح مجال درسه، و أثمرت أدواح غرسه، فركض ما شاء و برح، و دوّن و شرح، إلى شمائل يملك الظرف زمامها، و دعابة راشت الحلاوة سهامها، و لمّا أخذ المسلمون فى منازلة الجبل و حصاره، و أصابوا الكفر منه بجارحة إبصاره، و رموا بالثّكل فيه نازح أمصاره، كان ممّن انتدب و تطوّع، و سمع النداء فأهطع، فلازمه إلى أن نفد لأهله القوت، و بلغ من فسحة الأجل الموقوت، فأقام الصلاة بمحرابه، و حيّاه و قد غير محيّاه طول اغترابه، و بادره الطاغية قبل أن يستقرّ نصل الإسلام فى قرابه، أو يعلق أصل الدين فى ترابه. و انتدب إلى الحصار به و تبرّع، و دعاه أجله فلبّى و أسرع، و لمّا هدر عليه الفنيق، و ركع إلى قبلة المنجنيق، أصيب بحجر دوّم عليه كالجارح المحلّق، و انقضّ إليه انقضاض البارق المتألّق، فاقتنصه و اختطفه، و عمد إلى زهره فاقتطفه، فمضى إلى اللّه تعالى طوع نيّته، و صحبته غرابة المنازع حتى فى أمنيته؛ انتهى.

و قد جوّد ترجمته فى «الإحاطة» و قال: إنه ألّف كتبا منها شرح «تسهيل الفوائد» لابن مالك، مبدع تنافس الناس فيه، و كتاب «الغرة الطالعة، فى شعراء المائة السابعة» و كتاب «إنشاد الضّوال، و إرشاد السّؤّال» فى لحن العامة، و هو مفيد، و كتاب «قوت المقيم» و دوّن ترسيل أبى المطرّف بن عميرة و ضمّه فى سفرين، و له جزء فى الفرائض. و حدّثنى شيخنا الشريف القاضى أبو القاسم قال: خاطبت ابن هانىء بقصيدة من نظمى أوّلها: [البسيط]

هات الحديث عن الركب الذى شخصا فأجابنى بقصيدة على رويّها، أوّلها: [البسيط]

لو لا مشيب بفودى للفؤاد عصى أنضيت فى مهمه التشبيب لى قلصا

و استوقفت عبراتى و هى جارية و كفاء توهم ربعا للحبيب قصا

مسائلا عن لياليه التى انتهزت أيدى الأمانى بها ما شئته فرصا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۴۶

و كنت جاريت فيه من جرى طلقا من الإجادة لم يجمح و لا نكصا

أصاب شاكلة المرمىّ حين رمى من الشوارد ما لولاه ما اقتنصا

و من أعدّ مكان النّبل نبل حجا لم يرض إلّا بأبكار النّهى قنصا

ثم انثنى ثانيا عطف النسيب إلى مدح به قد غلا ما كان قد رخصا

فظلت أرفل فيها لبسة شرفت ذاتا و منتسبا أعزز بها قمصا

يقول فيها و قد خوّلت منحتها و جرّع الكاشح المغرى بها غصصا

هذى عقائل وافت منك ذا شرف لو لا أياديه بيع الحمد مرتخصا

فقلت هلّا عكست القول منك له و لم يكن قابلا فى مدحه الرّخصا

و قلت ذى بكر فكر من أخى شرف يردى و يرضى بها الحسّاد و الخلصا

لها حلى حسيّات على حلل حسيّة تستبى من حلّ أو شخصا

خوّلتها و قد اعتزّت ملابسها بالبخت ينقاد للإنسان ما عوصا

خذها أبا قاسم منى نتيجة ذى ودّ إذا شئت ودّا للورى خلصا

جاءت تجاوب عمّا قد بعثت به إن كنت تأخذ من درّ النحور حصا

و هى طويلة.

و مما ينسب إليه: [الكامل]

ما للنوى مدّت لغير ضرورة و لقبل ما عهدى بها مقصوره

إنّ الخليل و إن دعته ضرورة لم يرض ذاك فكيف دون ضروره

و قال مضمّنا للثانى: [الرمل]

لا تلمنى عاذلى حين ترى وجه من أهوى فلومى مستحيل

لو رأى وجه حبيبى عاذلى لتفارقنا على وجه جميل

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۴۷

و أجاب الشريف المذكور عن قصيدة مهموزة بقوله: [الكامل]

يا أوحد الأدباء أو يا أوحد ال فضلاء أو يا أوحد الشرفاء

من ذا تراه أحقّ منك إذا التوت طرق الحجاج بأن يجيب ندائى

أدب أرقّ من الهواء و إن تشأ فمن الهوا و الماء و الصّهباء

و ألذّ من ظلم الحبيب و ظلمه بالظاء مفتوحا و ضمّ الظاء

ما السّحر إلّا ما تصوغ بنانه و لسانه من حلية الإنشاء

و هى طويلة، يقول فيها بعد جملة أبيات:

للّه نفثة سحر ما قد شدت لى من نفث سحرك فى مشاد ثناء

عارضت صفوانا بها فأريت ما يستعظم الراوى لها و الرائى

لو راء لؤلؤك المنظّم لم يفز من نظم لؤلؤه بغير عناء

بوّأتنى منها أجلّ مبوّإ فلأخمصى مستوطئ الجوزاء

و سما بها اسمى سائرا فأنا بما أسديت ذو الأسماء فى الأسماء

و أشدت ذكرى فى البلاد فلى بها طول الثناء و إن أطلت ثوائى

و لقومى الفخر المشيد بنيته يا حسن تشييد و حسن بناء

فليهن هانيهم يد بيضاء ما إن مثلها لك من يد بيضاء

حلّيت أبياتا له لخميّة بحلى على مضريّة غرّاء

فليشمخوا أنفا بما أوليتهم يا محرز الآلاء بالإيلاء

و وصلها بنثر نصّه: «هذا بنىّ- وصل اللّه سبحانه لك ولى بك علوّ المقدار! و أجرى وفق [أو فوق] إرادتك و إرادتى لك جاريات الأقدار!- ما سنح به الذهن الكليل، و اللسان

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۴۸

الفليل، فى مراجعة قصيدتك الغرّاء، الجالبة السرّاء، الآخذة بمجامع القلوب، الموفية بجوامع المطلوب، الحسنة المهيع و الأسلوب، المتحلية بالحلى السنية، العريقة المنتسب فى العلا الحسنية، الجالية لصدإ القلوب ران عليها الكسل، و خانها المسعدان السؤل و الأمل، فمتى حامت المعانى حولها، و لو أقامت حولها، شكت ويلها و عولها، و حرمت من فريضة الفضيلة عولها، و عهدى بها و الزمان زمان،

و أحكامها الماضية أمانى مقضيّة و أمان، تتوارد ألافها، و يجمع إجماعها و خلافها، و يساعدها من الألفاظ كلّ سهل ممتنع، مفترق مجتمع، مستأنس غريب، بعيد الغور قريب، فاضح الحلى، واضح العلاـ وضّاح الغرّة و الجبين، رافع عمود الصبح المبين، أيّد من الفصاحة بأياد، فلم يحفل بصاحبى طيىء و إياد، و كسى نصاعة البلاغة، فلم يعبأ بهمّام و ابن المراغة، شفاء المحزون، و علم سرّ المخزون، ما بين منثوره و الموزون، و الآن لا ملهج و لا مبهج، و لا مرشد و لا منهج، عكست القضايا فلم تنتج، فتلّبد القلب الذكى، و لم يرشح القلم الزكى، و عمّ الإفحام و غمّ الإحجام، و تمكّن الإكداء و الإجبال، و كوّرت الشمس و سيّرت الجبال، و علت سآمة، و غلبت ندامة، و ارتفعت ملامة، و قامت لنوعى الأدب قيامة، حتى إذا ورد ذلك المهرق، و فرّع غصنه المورق، و تغنى به الحمام الأورق، و أحاط بعداد عداته الغصص و الشّرق، و أمن من الغصب و السّرق، و أقبل الأمن و ذهب لإقباله الفرق، نفخ فى صور أهل المنظوم و المنثور، و بعثر ما فى القبور و حصّل ما فى الصدور، و تراءت للأدب صور، و عمرت للبلاغة كور، و همت لليراعة درر، و نظمت للبراعة درر، و عندما تبين أنك واحد حلبة البيان، و السابق فى ذلك الميدان يوم الرهان، فكان لك القدم، و أقرّ لك مع التأخّر السابق الأقدم، فوحقّ فصاحة ألفاظ أجدتها حين أوردتها، و أسلتها حين أرسلتها، و أزنتها حين وزنتها، و براعة معان سلكتها حين ملكتها، و أوريتها حين رويتها أو روّيتها، و أصلتها حين فصلتها أو وصلتها، و نظام جعلته بجسد البيان قلبا، و لمعصمه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٤٩

قلبا، و هصرت حدائقه غلبا، و ارتكبت رويّه صعبا، و نثار أتبعته له خديما، و صيّرته لمدير كأسه نديما، و لحفظه ذمامه المداميّ أو مدامه الذماميّ مديما، لقد فتنتنى حين أتتنى، و سبتنى حين هبتنى، فذهبت خفّتها بوقارى، و لم يرعها بعد شيب عذارى، بل دعت للتصابى فقلت مرحبا، و حللت لفتنتها الحبا، و لم أحفل بشيب، و ألفيت ما ردّ تصابى نصيب، و إن كنّا فرسى رهان، و سابقى حلبة ميدان، غير أنّ الجلدة بيضاء، و المرجوّ الإغضاء بل الإرضاء. بنىّ، كيف رأيت للبيان هذا الطّوع، و الخروج فيه من نوع إلى نوع؟ أين صفوان بن إدريس، و محلّ دعواه بين رحلة و تعريس؟ كم بين ثغاء بقر الفلاة و بين ليث الفريس؟ كما أنى أعلم قطعا و أقطع علما، و أحكم مضاء و أمضى حكما، أنه لو نظر إلى قصيدتك الرائقة، و فريدتك الحالية الفائقة، المعارضة بها قصيدته، المنتسخة بها فريدته، لذهب عرضا و طولا، ثم اعتقد لك اليد الطولى، و أقرّ فارتفع النزاع، و ذهبت له تلك العلامات و الأطماع، و نسى كلمته اللؤلؤية، و رجع عن دعواه الأدبية، و استغفر ربّه من تلك الإلهيّة. بنىّ و هذا من ذلك، من الجرى فى تلك المسالك، و التّبسّط فى تلك المآخذ و المتارك، أ ينزع غيرى هذا المنزع؟ أم المرء بنفسه و ابنه مولع؟ حيا اللّه الأدب و بنيه، و أعاد علينا من أيامه و سنيه! ما أعلى منازعه، و أكبى منازعه، و أجلّ مآخذه، و أجهل تاركه و أعلم آخذه، و أرقّ طباعه، و أحقّ أشياعه و أتباعه، و أبعد طريقه، و أسعد فريقه، و أقوم نهجه، و أوثق نسجه، و أسمح ألفاظه، و أفصح عكاظه، و أصدق معانيه و ألفاظه، و أحمد نظامه و نثاره، و أغنى شعاره و دثاره، فعائبه مطرود، و عاتبه مصفود، و جاهله محصود، و عالمه محسود، غير أنّ الإحسان فيه قليل، و لطريق الإصابة فيه علم و دليل، من ظفر بهما وصل، و على الغاية القصوى منه حصل، و من نكب عن الطريق، لم يعدّ

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥٠

من ذلك الفريق، فليهنك أيها الابن الذكى، البرّ الزكى، الحبيب الحفىّ، الصفىّ الوفىّ، أنك حامل رايته، و واصل غايته، ليس أوّلوه و آخروه لذلك بمنكرين، و لاـ تجد أكثرهم شاكرين. و لو لاـ أن يطول الكتاب، و ينحرف الشعراء و الكتّاب، لفاضت ينابيع هذا الفضل فيضا، و خرجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضا، قرّت عيون أودّائك، و ملئت غيظا صدور أعدائك، و رقيت درج الآمال، و وقيت عين الكمال، و حفظ منصبك العالى، بفضل ربّك الكبير المتعالى. و السلام الأتمّ الأنمّ الأكمل الأعمّ، يخصّك به من طال فى مدحه إرقالك و إغذاذك، وارد روض حمدك و ابلك و طلّك و رذاذك، و غدت مصالح سعيه فى سعى مصالحك، و سينفعك بحول اللّه و قوته و فضله و منّته معاذك، و وسمت نفسك بتلميذه فسمت نفسه بأنه أستاذك، ابن هانىء، و رحمة اللّه تعالى و بركاته».

و كانت وفاته شهادة فى أواخر ذى القعدة عام ثلاثة و سبعمائة، و رثاه شيخنا أبو القاسم الحسنى بقصيدة أثبتت فى اسمه منها: [الطويل]

سقى اللّه بالخضراء أشلاء سؤدد تضمّنهنّ التّرب صوب الغمائم

و رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين فقال: [مجزوء الكامل]

قد كان ما قال البريد فاصبر فحزنك لا يفيد

أودى ابن هانىء الرّضى فاعتادنى للثّكل عيد

بحر العلوم و صدرها و عميدها إذ لا عميد

قد كان زينا للوجو دففيه قد فجع الوجود

العلم و التحقيق و الت وفيق و الحسب التليد

تندى خلائقه فقل فيها هى الروض المجود

مغض عن الإخوان لا جهم اللقاء و لا كنود

أودى شهيدا باذلا مجهوده، نعم الشهيد

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥١

لم أنسه حين المعا رف باسمه فينا تشيد

و له صبوب فى طلا ب العلم يتلوه صعود

للّه وقت كان ين ظمنا كما نظم الفريد

أيام نغدو أو نرو ح و سعينا السّعى الحميد

و إذا المشيخة جثّم هضبات حلم لا تميد

و مرادنا جمّ النبا ت و عيشنا خضر برود

لهفى على الإخوان و ال أتراب كلّهم فقيد

لو جئت أوطانى لأن كرنى التّهائم و النّجود

و لراع نفسى شيب من غادرته و هو الوليد

و لطفت ما بين اللحو د و قد تكاثرت اللحود

سرعان ما عاث الحما م و نحن أيقاظ هجود

كم رمت إعمال المسى ر فقيّدت عزمى قيود

و الآن أخلفت الوع ود، و أخلقت تلك البرود

ما للفتى ما يبتغى فاللّه يفعل ما يريد

أعلى القديم الملك يا ويلاه يعترض العبيد

يا بين قد طال المدى أبرق و أرعد يا يزيد

و لكلّ شىء غاية و لربما لان الحديد

إيه أبا عبد الإل ه و دوننا مرمى بعيد

أين الرسائل منك تأ تينا كما نسق العقود

أين الرسوم الصالحا ت؟ تصرّمت، أين العهود؟

أنعم مساء لا تخطّى ك البشائر و السعود

و أقدم على دار الرضا حيث الإقامة و الخلود

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۵۲

والق الأحبّة حيث دا ر الملك و القصر المشيد

حتى الشهادة لم تفت ك فنجمك النجم السعيد

لا تبعدن وعدا لو أنّ البدء فى الدنيا يعود

فلئن بليت فإنّ ذكر ك فى الدّنا غضّ جديد

تاللّه لا تنساك أن ديّة العلا ما اخضرّ عود

و إذا تسومح فى الحقو ق فحقّك الحقّ الأكيد

جادت صداك غمامة يرمى بها ذاك الصعيد

و تعهّدتك من المهيم ن رحمة أبدا وجود

## [همزية لصفوان بن إدريس مشهورة بين أدباء المغرب]

و قوله أول هذه الرسالة «عارضت صفوان بها إلى آخره» يعنى بذلك همزية صفوان بن إدريس المشهورة بين أدباء المغرب، و لنذكرها إفادة للغرض، و هى: [الكامل]

جاد الرّبا من بانة الجرعاء نوءان من دمعى و غيم سماء

فالدمع يقضى عندها حقّ الهوى و الغيم حقّ البانة الغنّاء

خلت الصدور من القلوب كما خلت تلك المقاصر من مها و ظباء

و لقد أقول لصاحبىّ و إنما ذخر الصديق لآكد الأشياء

يا صاحبىّ و لا أقلّ إذا أنا ناديت من أن تصغيا لندائى

عوجا نجارى الغيث فى سقى الحمى حتى يرى كيف انسكاب الماء

و نسنّ فى سقى المنازل سنّة نمضى بها حكما على الظرفاء

يا منزلا نشطت إليه عبرتى حتى تبسّم زهره لبكائى

ما كنت قبل مزار ربعك عالما أنّ المدامع أصدق الأنواء

يا ليت شعرى، و الزمان تنفّل و الدهر ناسخ شدّة برخاء

هل نلتقى فى روضة موشيّة خفّاقة الأغصان و الأفياء

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۵۳

و ننال فيها من تألّفنا و لو ما فيه سخنة أعين الرّقباء

فى حيث أتلعت الغصون سوالفا قد قلّدت بلآلئ الأنداء

و بدت ثغور الياسمين فقبّلت عنى عذار الآسة الميساء

و الورد فى شطّ الخليج كأنه رمد ألمّ بمقلة زرقاء

و كأنّ غضّ الزهر فى خضر الرّبا زهر النجوم تلوح بالخضراء

و كأنما جاء النسيم مبشّرا للروض يخبره بطول بقاء

فكساه خلعة طيبه و رمى له بدراهم الأزهار رمى سخاء

و كأنما احتقر الصنيع فبادرت للعذر عنه نغمة الورقاء

و الغصن يرقص فى حلى أوراقه كالخود فى موشيّة خضراء

و افترّ ثغر الأقحوان بما رأى طربا و قهقه منه جرى الماء

أفديه من أنس تصرّم فانقضى فكأنه قد كان فى الإغفاء

لم يبق منه غير ذكرى أو منى و كلاهما سبب لطول عناء

أو رقعة من صاحب هى تحفة إنّ الرقاع لتحفة النّبهاء

كبطاقة الوقشىّ إذ حيّا بها إنّ الكتاب تحيّة الخلطاء

ما كنت أدرى قبل فضّ ختامها أنّ البطائق أكؤس الصّهباء

حتى ثنيت معاطفى طربا بها و جررت أذيالى من الخيلاء

فجعلت ذاك الطّرس كأس مدامة و جعلت مهديه من الندماء

و عجبت من خلّ يعاطى خلّه كأسا وراء البحر و البيداء

و رأيت رونق خطّها فى حسنها كالوشى نمّق معصم الحسناء

فوحقّها من تسع آيات لقد جاءت بتأييدى على أعدائى

فكأننى موسى بها، و كأنها تفسير ما فى سورة الإسراء

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥۴

لو جاد فكر ابن الحسين بمثلها صحّت نبوّته لدى الشعراء

سوداء إذ أبصرتها لكنها كم تحتها لك من يد بيضاء

و لقد رأيت و قد تأوّبنى الكرى فى حيث شابت لمّة الظّلماء

أنّ السماء أتى إلىّ رسولها بهديّة ضاءت بها أرجائى

بالفرقدين و الثريّا أدرجا فى الطىّ من كافورة بيضاء

فكفى بذاك الطّرس من كافورة و بنظم شعرك من نجوم سماء

قسما بها و بنظمها و بنثرها لقد انتحت لى ملء عين رجائى

و علمت أنك أنت فى إبداعها لفظا و خطّا معجز النبلاء

لا ما تعاطت بابل من سحرها لا ما ادّعاه الوشى من صنعاء

و لقد رميت لها القياد و إنها لقضيّة أعيت على البلغاء

و طلبت من فكرى الجواب فعقّنى و كبا بكفّ الذهن زند ذكائى

فلذا تركت عروضها و رويّها و هجرت فيها سنّة الأدباء

و بعثتها ألفيّة همزيّة خدعا لفكر جامع إيبائى

علمت بقدرك فى المعارف فانبرت من خجلة تمشى على استحياء

انتهت القصيدة، و من خطّ ناظمها صفوان نقلتها.

### [من إنشاء لسان الدين فى ترجمة أبى محمد عبد اللّه الأزدى]

رجع- و قال لسان الدين رحمه اللّه تعالى فى ترجمة أبى محمد عبد اللّه بن إبراهيم بن عبد اللّه الأزدى فى «التاج» ما صورته: طويل القوادم و الخوافى، كلف على كبر سنّه بعقائل القوافى، شاب فى الأدب و شبّ، و نشق ريح البيان لمّا هبّ، فحاول رقيقه و جزله، و أجاد جدّه و أحكم هزله، فإن مدح، صدح، و إن وصف، أنصف، و إن عصف، قصف، و إن أنشأ و دوّن، و تقلّب فى أفانين البلاغة و تلوّن، أفسد ما شاء اللّه و كوّن، فهو شيخ الطريقة الأدبية و فتاها، و خطيب حفلها كلّما أتاها، لا يتوقّف عليه من أغراضها غرض، و لا يضيع لديه منها مفترض، و لم تزل بروقه تتألّق، و معانيه بأذيال الإحسان تتعلّق، حتى برّز فى أبطال الكلام

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۵۵

و فرسانه، و ذعرت القلوب بسطوة لسانه، و ألقت إليه الصناعة زمامها، و وقفت عليه أحكامها.

و عبر البحر منتجعا بشعره، و منفقا فى سوق الكساد من سعره، فأبرق و أرعد، و حذّر و أرعد، و بلغ جهد إمكانه، فى التعريف بمكانه، فما حرّك و لا هزّ، و ذلّ فى طلب الرّفد و قد عزّ، و ما برح أن رجع إلى وطنه الذى اعتاده، رجوع الحديث إلى قتاده. و قد أثبتّ من نزعاته، و بعض مخترعاته، ما يدلّ على سعة باعه، و نهضة ذراعه، فمن النسيب قوله: [البسيط]

ما للمحبّ دواء يذهب الألما عنه سوى لمم فيه ارتشاف لمى

و لا يردّ عليه نوم مقتله إلّا الدّنوّ إلى من شفّه سقما

يا حاكما و الهوى فينا يؤيّده هواك فىّ بما ترضاه قد حكما

ثم سردها و قال فى المديح:

إليك جدّ بى التّسيار تأميلا فلى على فضلك المأمول تعويلا

الحمد للّه حمدا لا كفاء له بسعد أيامك المأمول قد نيلا

يا راغبا من حجاه دفع معضلة فصبره بصروف الدهر قد عيلا

ألمم بحضرة ملك كلّ مفتخر بالملك يوليه بالتعظيم ترسيلا

فرع من الدّوحة النصرية اجتمعت فيه الفضائل تتميما و تكميلا

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص۳۵۵

لديه ممّا لدى الصدّيق تسمية و ميسم و كفاه ذاك تفضيلا

و هى طويلة؛ انتهى.

## [و فى ترجمة أبى الحسن على بن إبراهيم السكاك، الغرناطى]

و قال لسان الدين فى «الإكليل» فى ترجمة أبى الحسن على بن إبراهيم بن على بن خطاب السكاك من أهل غرناطة، ما صورته: متسوّر على بيوت القريض، فى الطويل من الكلام و العريض، ممّن أطاعته براعة الخطّ، و سلّمت لأقلامه رماح الخطّ، عانى كتابة الشروط لأول أمره، ثم ألظّت به محنته على توفّر خصاله، و نبل خلاله، و هو الآن من كتاب ديوان الحساب، يتعين من الأمور المخزنية ببعض الألقاب؛ انتهى.

## [و فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد بن الصباغ، العقيلى، الغرناطى]

و قال فى «التاج» فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۵۶

الغرناطى ما صورته: اللّسن العارف، الناقد لجواهر المعانى كما يفعل بالسكة الصيارف، و الأديب المجيد، الذى تحلّى به للعصر النحر

و الجيد، إن أجال جياد براعته فضح فرسان المهارق، و أخجل بين بياض طرسه و سواد نقسه الطّرر تحت المفارق، و إن جلا أبكار أفكاره، و أنار طير البيان من أوكاره، سلب الرحيق المقدّم فضل إسكاره، إلى نفس لا يفارقها ظرف، و همّة لا يرتدّ إليها طرف، و إبانة لا يفلّ لها غرب و لا حرف. و له أدب غضّ، زهره على مجتنيه منفض، كتبت إليه أستنجز وعده فى الإتحاف برائقه، و الإمتاع بزهر حدائقه، قولى: [الكامل]

عندى لموعدك افتقار محرج و عهودك افتقرت إلى إنجازها

و اللّه يعلم فيك صدق مودّتى و حقيقة الأشياء غير مجازها

فأجابنى بقوله: [الكامل]

يا مهدى الدّرّ الثمين منظّما كلما حلال السحر فى إيجازها

أدركت حلبات الأوائل وانيا و رددت أولاها على أعجازها

أحرزت فى المضمار خصل سباقها و لأنت أسبقهم إلى إحرازها

حلّيت بالسّمطين منى عاطلا و بعثت من فكرى فتاة مفازها

فلأنجزنّ مواعدى مستعطفا فاسمح، و بالإغضاء منك فجازها

و قال فى «الإحاطة» فى حقّ المذكور: إنه من أهل الفضل و السّراوة و الرجولة و الجزالة.

فذّ فى الكفاية، ظاهر السذاجة و السلامة، مصعب لأضداده، شديد العصبية لأولى وداده، يشتمل على خلال من خطّ بارع و كتابة حسنة و شعر جيد و مشاركة فى فقه و أدب و وثيقة و محاضرة ممتعة. ناب عن بعض القضاة و كتب الشروط، و ارتسم فى ديوان الجند، و كتب عن شيخ الغزاة أبى زكريا يحيى بن عمر على عهده، ثم انصرف إلى العدوة سابع عشر جمادى الأولى من عام ثلاثة و خمسين و سبعمائة، فارتسم فى الكتاب السلطانية منوّها به، مستعملا فى خدم مجدية بان غناؤه فيها و ظفرت كفايته، انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٥٧

و قد وصفه بصاحبنا. ثم قال: و من شعر المذكور قوله: [المديد]

ليت شعرى و الهوى أمل و أمانى الصّبّ لا تقف

هل لذاك الوصل مرتجع أو لهذا الهجر منصرف

و قال: [الطويل]

و ظبى سبى بالطّرف و العطف و الجيد و ما حاز من غنج و لين و من غيد

أشرت إليه بالدّنوّ مداعبا فقال: أيدنو الظبى من غابة الأسد

و قال فى مبدإ قصيدة مطوّلة: [الطويل]

حديث المغانى بعدهنّ شجون و أوجه أيام التباعد جون

لحا اللّه أيام الفراق فكم شجت و غادرت الجذلان و هو حزين

و حيّا ديارا فى ربا غرناطة و إنى بذاك القرب منك ضنين

لأرخصت فيها من شبابى ما غلا و عزمى على مال العفاف أمين

خليلىّ، لا أمر، بأربعها قفا فعندى إلى تلك الربوع حنين

أ لم تريانى كلّما ذرّ شارق تضاعف عندى عبرة و أنين

إذا لم يساعدنى أخ منكما فلا حدت لخؤون بعد ذاك أمون

أليس عجيبا فى البريّة من له إلى عهد إخوان الزمان ركون

فلا تثقن من ذى وفاء بعهده فقد أجن السّلسال و هو معين

لقلبى عذر فى فراق ضلوعه و للدمع فى ترك الشؤون شؤون

و من ترك الحزم المعين فإنه لعان بأيدى الحادثات رهين

رعى اللّه أيامى الوثيق ذمامها فإنّ مكانى فى الوفاء مكين

و لم أر مثل الدهر أمّا عدوّه فحبّ، و أمّا خلّه فخؤون

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۵۸

و لو لا أبو عمرو وجود بنانه لما كان فى هذا الزمان معين

و قال: [الكامل]

زار الخيال و يا لها من لذّة لكنّ لذّات الخيال منام

ما زلت ألثم مبسما منظومه درّ و مورده الشّهىّ مدام

و أضمّ غصن البان من أعطافه و أشمّ مسكا فضّ عنه ختام

مولده عام ستة و سبعمائة، و توفى بفاس، و قد تخلّفه السلطان كاتب ولده عند توجّهه لإفريقية فى العشرين من رمضان عام ثمانية و خمسين و سبعمائة، رحمه اللّه تعالى!.

و قد وهم لسان الدين فى شهر وفاة المذكور، و إنما الصواب أنه توفى يوم الأحد ثامن شوّال، فاعلم ذلك، و اللّه سبحانه أعلم.

## [و فى ترجمة شيخه أبى الحسن بن الجياب]

رجع- و قال فى «التاج المحلّى، فى مساجلة القدح المعلّى» و فى «الإكليل الزاهر، فيمن فضل عند نظم التاج من الجواهر» و غيرهما ممّا ثبت فى حلى رؤساه الكتّاب، و حاملى ألوية الآداب، فى ترجمة شيخه ابن الجياب، ما نصه: «صدر الصدور الجلّة، و علم أعلام هذه الملّة، و شيخ الكتابة و بانيها، و هاصر أفنان البدائع و جانيها، اعتمدته الرياسة فناء بها على حبل ذراعه، و استعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب من شباة يراعه، فتفيّأ للعناية ظلا ظليلا، و تعاقبت الدول فلم تر به بديلا، من ندب على علوّه متواضع، و حبر لثدى المعارف راضع، لا- تمرّ مذاكرة فى فن إلا- و له فيه التبريز، و لا- تعرض جواهر الكلام على محكات الأفهام إلّا و كلامه الإبريز، حتى أصبح الدهر راويا لإحسانه، و ناطقا بلسانه، و غرّب ذكره و شرّق، و أشأم و أعرق، و تجاوز البحر الأخضر و الخليج الأزرق، إلى نفس هذبت الآداب شمائلها، و جادت الرياضة خمائلها، و مراقبة لربّه، و استنشاق لروح اللّه من مهبّه، و دين لا يعجم عوده، و لا تخلف و عوده، و كلّ ما ظهر علينا- معشر بنيه- من شارة تجلى بها العين، أو إشارة كما سبك اللّجين، فهى إليه منسوبة، و فى حسناته محسوبة، فإنما هى أنفس راضها بآدابه، و أعلقها بأهدابه، و هذّب طباعها، كالشمس تلقى على النجوم شعاعها، و الصور الجميلة، تترك فى الأجسام الصقيلة انطباعها، و ما عسى أن أقول فى إمام الأئمة، و نور

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۵۹

الدياجى المدلهمّة، و المثل السائر فى بعد الصيت و علوّ الهمّة». و قد أثبتّ من عيون قصائده، و أدبه الذى علق الإحسان فى مصايده، كلّ وثيق المعنى، كريم المجنى جامع بين حصافة للفظ و لطافة المعنى؛ انتهى.

و المذكور له ترجمة فى هذا الكتاب فى باب مشيخة لسان الدين فلتراجع.

## [و من إنشائه فى ترجمة عمر بن على، المنتقرى]

و قال فى «الإكليل» فى حقّ عمر بن على بن غفرون الكلبى من أهل منتقرير ما صورته:

شيخ خدم، قام له الدهر فيها على قدم، و صاحب تعريض، و دهاء عريض، و فائز من الدول النّصرية بأياد بيض، أصله من حصن منتقرير، خدم به الدولة النصرية عند انتزاء أهله، و كان ممّن استنزلهم من حزنه إلى سهله، و حكّم الأمر الغالبى فى يافعه و كهله، فكسب حظوة أرضته، و وسيلة أرهفته و أمضته، حتى عظم جاهه و ماله، و بسقت آماله، ثم دالت الدول، و تنكّرت أيامه الأول، و تغلّب من يجانسه، و شقى بمن كان ينافسه، فجفّ عوده، و التاث سعوده، و هلك و الخمول يظلّه، و الدهر يقوته من صبابة حرث كان يستغلّه، و له شعر لم يتقنه النظر، و لا وضحت منه الغرر. توفى فى ذى الحجة عام أربعة و أربعين و سبعمائة؛ انتهى.

### [من إنشائه فى ترجمة قاسم بن محمد بن الجد، الفهرى]

و قال فى «الإكليل» فى حق قاسم بن محمد بن الجدّ الفهرى المرى ما صورته: هو من أئمة أهل الزمام، خليق برعى الذمام، ذو حظّ كما تفتّح زهر الكمام، و أخلاق أعذب من ماء الغمام، كان ببلده حاسبا، و درّا فى لجّة الإغفال راسبا، صحيح العمل، يلبس الطروس من براعته أسنى الحلل، قال يمدح السلطان: [الطويل]

أرى أوجه الأيام قد أشرقت بشرا فقل لى رعاك اللّه ما هذه البشرى

و ما بال أنفاس الخزامى تعطّرت فأرّجت الأرجاء من نفحها عطرا

و نقّبت الشمس المنيرة وجهها قصورا عن الوجه الذى أخجل البدرا

و هى طويلة. توفى المذكور عام خمسين و سبعمائة بالطاعون.

### [من إنشائه فى ترجمة أبى عثمان سعيد، الغسانى]

و قال فى «الإكليل» فى حقّ أبى عثمان سعيد الغسانى ما صورته: «هو ممّن يتشوّق إلى المعرفة و المقالات، و يتّسق إلى الحقائق و المحالات، و يشتمل على نفس رقيقة، و يسير من

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۶۰

تعليم القرآن على خير طريقه، و يعانى من الشعر ما يشهد بنبله، و يستظرف من مثله؛ انتهى.

### [و فى ترجمة الطرطوشى]

و قال فى «الإكليل» فى ترجمة أبى الحجاج يوسف بن على الطرطوشى ما صورته:

روض أدب لا- تعرف الذواء أزهاره، و مجموع فضل لا تخفى آثاره، كان فى فنون الأدب مطلق الأعنّة، و فى معاركه ماضى الظّبا و الأسنّة، فإن هزل، و إلى تلك الطريقة اعتزل، أبرم من الغزل ما غزل، و بزل من دنان راحه ما بزل، و إن صرف إلى المغرب غرب لسانه، و أعاره لمحة من إحسانه، أطاعه عاصيه، و استجمعت لديه أقاصيه. ورد على الحضرة الأندلسية و الدنيا شابّة، و ريح القبول هابّة، فأتلى محاسن أوطانها، و كتب عن سلطانها، ثم كرّ إلى أوطانه و عطف، و أسرع اللحاق كالبارق إذا خطف. و توفى عن سنّ عالية، و برود من العمر غالية.

### [و فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن أحمد العذرى، الوادى آشى]

و قال فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن أحمد بن المتأهل العذرى من أهل وادى آش ما صورته: رجل غليظ الحاشية، معدود فى جنس السائمة و الماشية، تليت على العمال به سورة الغاشية، ولى الأشغال السلطانية فذعرت الجباة لولايته، و أيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته، و قنطوا كلّ القنوط، و قالوا: جاءت الدابة تكلّمنا و هى إحدى الشروط، من رجل صائم الحشوة، بعيد عن المصانعة و الرشوة،

يتجنّب النـاس، و يقول عنـد المخالطـة لهم: لا مساس، عهـدى به فى الإعمال يحبط و يتبّر، و هو يهلّل و يكبّر، و يحسّن و يقبّح، و هو يسبّح. و قال يخاطب بعض أمراء الدولة: [الطويل]

عمادى، ملاذى، موئلى، و مؤمّلى ألا انعم بما ترضاه للمتأهّل

و حقّق بنيل القصد منك رجاءه على نحو ما يرضيك يا ذا التّفضّل

فأنت الذى فى العلم يعرف قدره بخير زمان فيه لا زلت تعتلى

فهنّيت يا معنى الكمال برتبة تقرّ لكم بالسّبق فى كلّ محفل

توفى عام ثلاثة و أربعين و سبعمائة، انتهى.

و تذكرت بقوله «و يحسن و يقبح، و هو يسبح» قول الآخر: [مجزوء الرمل]

قد بلينا بأمير ظلم الناس و سبّح

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۶۱

فهو كالجزّار فيهم يذكر اللّه و يذبح

## [و فى ترجمة أبى عبد اللّه بن باق]

رجع- و قـال لسان الـدين فى ترجمـة أبى عبـد اللّه بن باق من «التاج» ما صورته: «مـدير أكؤس البيان المعتّق، و لعوب بأطراف الكلام المشـقّق، انتحل لأول أمره الهزل من أصـنافه، فأبرز درّ معانيه من أصـدافه، و جنى ثمرة الإبـداع لحين قطافه. ثم تجاوزه إلى المغرب و تخطّاه، فأدار كأسه المترع و عاطاه، فأصبح لفنّيه جامعا، و فى فلكيه شـهابا لامعا، و له ذكاء يطير شـرره، و إدراك تتبلّج غرره، و ذهن يكشف الغوامض، و يسبق البارق الوامض، و على ذلاقة لسانه، و انفساح أمد إحسانه، فشديد الصبابة بشعره، معل لسعره»؛ انتهى.

و المذكور هو محمد بن إبراهيم بن على باق الأموى، مرسىّ الأصل، غرناطىّ النشأة، مالقىّ الاستيطان.

و قال فى «عائـد الصـلة»: «كان رحمه اللّه تعالى كاتبا أديبا ذكيا لوذعيّا يجيـد الخطّ و يرسل النادرة، و يقدم على العمل، و يشارك فى الفريضـة، و بـذّ السّـبّاق فى الأدب الهزلى المسـتعمل بالأندلس، غبر زمانا من عمره محارفا للفاقة، يعالج بالأدب الكدية، ثم اسـتقام له الميسم، و أمكنه البخت من امتطـاء غاربه، فأنشـبت الحظوة فيه أناملها بين كاتب و شاهـد و محاسب و مـدير تجر، فأثرى و نما ماله، و عظمت حاله، عهد عندما شارف الرحيل بجملة تناهز الألف من العين، لتصرف فى وجوه من البرّ، فتوهّم أنها كانت زكاة أمسك بها»؛ انتهى.

و قال أيضا: أخبرنى الكاتب أبو عبد اللّه بن سلمة أنه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله فى رويّه: [الخفيف]

أحرز الخصل من بنى سلمه كاتب تخدم الظّبا قلمه

يحمل الطّرس من أنامله أثر الحسن كلّما رقمه

و يمدّ البيان فكرته مرسلا حيث يممت ديمه

خصّنى متحفا بخمس إذا بسم الرّوض فقن مبتسمه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۶۲

قلت أهدى زهر الرّبا خضلا فإذا كلّ زهرة كلمه

أقسم الحسن لا يفارقها فأبرّ انتقاؤها قسمه

خطّ أسطارها و نمّقها فأتت كالعقود منتظمه

كاسيا من حلاه لى حللا رسمها من بديع ما رسمه

طالبا عند عاطش نهلا و لديه الغيوث منسجمه

يبتغى الشّعر من أخى بله أخرس العىّ و القصور فمه

أيها الفاضل الذى حفظت ألسن المدح و الثنا شيمه

لا تكلّف أخاك مقترحا نشر عار لديه قد كتمه

وابق فى عزّة و فى دعة ضافى العيش واردا شبمه

ما ثنى الغصن عطفه طربا و شدا الطير فوقه نغمه

و رأيت على هامش هذه القصيدة بخط أبى الحسن على بن لسان الدين ما صورته: نعم ما خاطب به شيخنا و بركة أهل الأندلس و صدر صدورهم أبا عبد اللّه بن سلمة، و من لفظه سمعتها بالقاهرة، و إنها لمن النظم العالى المتّسق نسق الدّرّ فى العقود، رحمه اللّه تعالى! قاله ابن المؤلف؛ انتهى.

و قرأ ابن باق المذكور على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير و الخطيب أبى عثمان بن عيسى.

و توفى بمالقة فى اليوم الثامن و العشرين لمحرم فاتح عام اثنين و خمسين و سبعمائة، و أوصى بعد أن حفر قبره بين شيخيه الخطيبين أبى عبد اللّه الطنجالى و أبى عثمان بن عيسى أن يدفن به، و أن يكتب على قبره هذه الأبيات: [الطويل]

ترحّم على قبر ابن باق وحيّه فمن حقّ ميت الحىّ تسليم حيّه

و قل آمن الرحمن روعة خائف لتفريطه فى الواجبات وغيّه

قد اختار هذا القبر فى الأرض راجيا من اللّه تخفيفا بقدر وليّه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣۶٣

فقد يشفع الجار الكريم لجاره و يشمل بالمعروف أهل نديّه

و إنى بفضل اللّه أوثق واثق و حسبى و إن أذنبت حبّ نبيّه

انتهى.

## [و فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة، المعافرى، المرى]

رجع- و قال لسان الدين فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافرى المرى المدعوّ بالتنوء من «الإكليل» ما نصّه: شيخ أخلاقه لينة، و نفسه كما قيل هينة، ينظم الشعر سهلا مساقه، محكما اتّساقه، على فاقة، ما لها من إفاقة، أنشد المقام السلطانى بظاهر بلده قوله: [الطويل]

سرت ريح نجد من ربا أرض بابل فهاجت إلى مسرى سراها بلابلى

و ذكّرنى عرف النسيم الذى سرى معاهد أحباب سراة أفاضل

فأصبحت مشغوفا بذكر منازل ألفت، فواشوقى لتلك المنازل

فيا ريح هبّى بالبطاح و بالرّبا و مرّى على أغصان زهر الخمائل

و سيرى بجسمى للتى الروح عندها فروحى لديها من أجلّ الوسائل

و قولى لها عنى معنّاك بالنوى له شوق معمود و عبرة ثاكل

فيا بأبى هيفاء كالغصن تنثنى تقدّ بقدّ كاد ينقدّ مائل

و هى طويلة.

و من شعر المذكور قوله من قصيدة: [الكامل]

بهرت كشمس فى غلالة عسجد و كبدر تمّ فى قضيب زبرجد

ثم انثنت كالغصن هزّته الصّبا طربا فتزرى بالغصون الميّد

حوراء بارعة الجمال غريرة تزهى فتزرى بالقضيب الأملد

إن أدبرت لم تبق عقل مدبّر أو أقبلت قتلت و لكن لا تدى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۶۴

قال القاضى أبو البركات بن الحاج: و ابتلى باختصار كتب الناس، فمن ذلك مختصره المسمّى «الدرر الموسومة، فى اشتقاق الحروف المرسومة» و كتاب حكايات يسمى «دوحة الجنان، و راحة الجنان» و غير ذلك.

قال أبو البركات: و سألته عن مولده، فقال: لى اليوم ستون سنة، و قال ذلك ليلة الخميس السابع و العشرين لذى قعدة عام أربعين و سبعمائة، و توفى آخر رمضان من عام تسعة و أربعين، رحمه اللّه تعالى! انتهى.

رجع- قال لسان الدين فى «الإكليل» فى ترجمة الكاتب صاحب العلامة أبى العباس أحمد بن على المليانى المراكشى ما نصّه: «الصارم الفاتك، و الكاتب الباتك، أىّ اضطراب فى وقار، و تجهّم تحته أنس العقار! اتّخذه ملك المغرب صاحب علامته، و توّجه تاج كرامته، و كان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثأر عمّه، و يطوّفهم دمه بزعمه، و يقصر على الاستنصار منهم بنات همّه، إذ سعوا فيه حتى اعتقل، ثم جدّوا فى أمره حتى قتل، فترصّد كتابا إلى مراكش يتضمّن أمرا جزما، و يشمل من أمور الملك عزما، جعل فيه الأمر بضرب رقابهم، و سبى أسبابهم، و لمّا أكّد على حامله فى العجل، و ضايقه فى تقدير الأجل، تأنّى حتى علم أنه قد وصل، و أنّ غرضه قد حصل، فرّ إلى تلمسان و هى بحال حصارها، فاتّصل بأنصارها، حالا بين أنوفها و أبصارها، و تعجّب من فراره، و سوء اغتراره، و رجّمت الظنون فى آثاره.

ثم وصلت الأخبار بتمام الحيلة، و استيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة، فتركها شنيعة على الأيام، و عارا فى الأقاليم على حملة الأقلام، و أقام بتلمسان إلى أن حلّ مخنّق حصرها، و أزيل هميان الضيقة عن خصرها، فلحق بالأندلس و لم يعدم برّا، ورعيا مستمرّا، حتى أتاه حمامه، و انصرمت أيامه»؛ انتهى.

و المذكور ترجمه فى «الإحاطة» بقوله: صاحب العلامة بالمغرب، الكاتب الشهير البعيد الشأو فى اقتضاء الترة، المثل المضروب فى الهمّة، و قوة الصريمة، و نفاذ العزيمة.

حاله- كان نبيه البيت، شهير الأصالة، رفيع المكانة، على سجيّة غريبة من الوقار و الانقباض و الصمت، آخذا بحظّ من الطبّ، حسن الخطّ، مليح الكتابة، قارضا للشعر، تذهب نفسه فيه كلّ مذهب.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۶۵

و صمته- فتك فتكة شهيرة أساءت الظن بحملة الأقلام على ممرّ الدهر، و انتقل إلى الأندلس بعد مشقّة.

شعره- من شعره الذى يدلّ على بأوه، و انفساح خطاه فى النفاسة و بعد شأوه، قوله:

[الكامل]

العزّ ما ضربت عليه قبابى و الفضل ما اشتملت عليه ثيابى

و الزهر ما أهداه غصن براعتى و المسك ما أبداه نفس كتابى

فالمجد يمنع أن يزاحم موردى و العزم يأبى أن يضام جنابى

فإذا بلوت صنيعة جازيتها بجميل شكرى أو جزيل ثوابى

و إذا عقدت مودّة أجريتها مجرى طعامى من دمى و شرابى

و إذا طلبت من الفراقد و السّها ثأرا فأوشك أن أنال طلابى

وفاته- توفى بغرناطة يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر و سبعمائة و دفن بجبانة باب إلبيرة، تجاوز اللّه تعالى عنه! انتهى.

### [و فى ترجمة أبى العباس الملیانى من نثره فى كتاب «الروض» فى ترجمة عنوانها «ضخام الغصون من شجرة السر المصون»]

رجع إلى نثر ابن الخطيب رحمه اللّه تعالى:

فمن ذلك قوله، فى «الروض» فى ترجمة «ضخام الغصون، من شجرة السرّ المصون» ما صورته: و هى التى أفادت الظل الظليل، و زانت المرأى الجميل، و تكفّلت لمحاسن الشجرة الشمّاء بالتكفيل، و تتعدّد إلى غصون المحبوبات، و أقسام موضوعاتها المكتوبات، و غصن المحبين، أصنافهم المرتبين، و غصن علامات المحبّة، و شواهد النفوس الصّبّة، و غصن الأخبار المنقولة، عن ذوى النفوس المصقولة، و عند تعين هذه الأغصان المقسومة المقمومة، كمل شكل الشجرة المرسومة، و السّرحة الموصوفة الموسومة، ففاءت الظلال، و كرمت الخلال، فحيى من تفرّد و توحّد، و استظلّ من استهدى و استرشد، و وقف الهائم فخطب و أنشد: [مخلع البسيط]



يا سرحة الحىّ يا مطول شرح الذى بيننا يطول

عندى مقال فهل مقام تصغين فيه لما أقول

ولى ديون عليك حلّت لو أنه ينفع الحلول

ماض من العيش كان فيه منزلنا ظلّك الظليل

زال و ما ذا عليه ما ذا يا سرح لو لم يكن يزول

حيّا عن المذنب المعنّى منبتك القطر و القبول

و قال رحمه اللّه تعالى: فصول فى المعرفة تغازل بها عيون الإشارة، إذا قصرت عن تمام المعنى ألسن العبارة، و للّه درّ القائل: [الكامل]

و إذا العقول تقاصرت عن مدرك لم تتّكل إلّا على أذواقها

المعرفة اختراق المراتب الحسّية، و النفوس الجنسية، و العقول القدسية، و البروز إلى فضاء الأزل، إذا فنى من لم يكن و بقى من لم يزل، مع عمران المراتب، و رؤية الجائز فى الواجب: [الطويل]

و من عجب أنى أحنّ إليهم و أسأل شوقا عنهم و هم معى

و تبكيهم عينى و هم فى سوادها و يشكو النوى قلبى و هم بين أضلعى

المعرفة مقام يأتلف من جمع مفروق، و أفول و شروق، و سلّ عروق، ورد مسروق، حتى يذهب الكيف و الأين، و يتعيّن العين، فيجمع العدد و يجمل، و ينحى السوى و مع ذلك لا يهمل: [مجزوء الرمل]

للعدا منك نصيب و لك السهم المصيب

إنما يومك يوما ن: خصيب و عصيب

المعرفة مقام سامى المنعرج، عاطر الأرج، ينقل من السّعة إلى الحرج، و من الشدّة إلى الفرج: [الطويل]



طريقك لا تخفى به إن تتبّعت خطاك و لا يخفى مبيتك فيه

متاعك منشور على كلّ خيمة و رؤياك أمن من ترفّع تيه

المعرفة عين إن لم تبصر أجزاءها، أحسن اللّه عزاءها، و حقيقة إن لم يجعل الفراق إزاءها، كانت الغيرة جزاءها، فهى دائرة مركزها يجمع، و محيطها فى التفريق يطمع، يستقلّ الملك أجمع، و يرى من يرى و يسمع من يسمع: [الكامل]

بعد المحيط من المحدّد واحد و الكلّ فى حقّ الوجود سواء

و الحقّ يعرف ذاته من ذاته صحّ الهوى فتلاشت الأهواء

المعرفة صعود و نزول، و وقوف و وصول، فلا الوصول عن البداية يقطع، و لا البداية عن النهاية تمنع: [السريع]

من له الأمر أجمع كلّ ما شاء يصنع

حصل القصد و استقرّ فلم يبق مطمع

العارف فى البداية يشكر الراكع و الساجد، ثم يعذر الواجد و المتواجد، ثم يرجم المنكر الجاحد، فإذا انتهى و ردّ العدد إلى الواحد، قال لسان حاله: [مجزوء السريع]

من رأى لى نشيدة أو على عينها أثر

فله الحكم قل له ذهب العين و الأثر

إلى أن قال: قال الرئيس: العارف هشّ بش بسّام، فيجلّ الصغير من تواضعه مثل ما يجلّ الكبير، و يبسط من الخامل مثل ما يبسط من النبيه، ثم علّل فقال: و كيف لا يهشّ و هو فرحان بالحقّ، و بكلّ شىء فإنه يرى فيه الحقّ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ [سورة يوسف، الآية: ۹۴]: [الخفيف]

لمعت نارهم و قد عسعس اللى ل و ضجّ الحادى و حار الدليل

فتأمّلتها و قلت لصحبى هذه النار نار ليلى فميلوا

العارف شجاع، و كيف لا- و هو بمعزل عن هيبة الموت، و جواد، و كيف لا و هو بمعزل عن صحبة الباخل، و صفّاح، و كيف لا و نفسه أكبر من أن تحرجها زلة بشر، و نسّاء للأحقاد، و كيف لا و ذكره مشغول بالحقّ، و قالوا: من عرف اللّه تعالى صفا له العيش،

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۶۸

و طابت له الحياة، و هابه كلّ شىء، و ذهب عنه خوف المخلوقين، و أنس بالله رب العالمين.

الشبلى: ليس لعارف علاقة، و لا- لمحبّ شكوى، و لا لعبد دعوى، من عرف اللّه سبحانه انقطع، بل خرس و انقمع، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك؛ انتهى.

و قال رحمه اللّه تعالى فى بعض تراجم الروضة: الفرع الصاعد إلى الهواء، على خطّ الاستواء، من رأس العمود القائم، إلى منتهى الوجود الدائم، و يشتمل على قشر لطيف، و جرم شريف، و أفنان ذوات ألوان، قنوان و غير قنوان، و طلع نضيد، و جنى سعيد، فالقشر الحدود و الرسوم، و خواص العارف الذى هو المعروف بها و الموسوم، و الفنون التى يقوم عليها و العلوم، و الجزم ظاهر الخلق المقسوم، و علاجه كما تعالج الجسوم، و باطنه المجاهدات التى عليها يقوم، و قلبه الرياضة و الغصون المقامات فيها المقام المعلوم، و مادتها السلوك الذى بتدريج غذائه تبلغ الأفنان و الورقات ما تروم، و الزهرات اللوائح و الطوالع و البواده التى لها الهجوم، و الواردات التى تدوم أو لا تدوم، ثم الجنى و هو الولاية التى كان الغارس عليها يحوم؛ انتهى.

ثم فصّل الكل رحمه اللّه تعالى فليراجعه من أراده.

### [من إنشائه إلى الأمير يلبغا]

و من نثر لسان الدين رحمه اللّه تعالى ما كتبه على لسان سلطانه للأمير يلبغا الخاصكى، و هو: «إلى الأمير المؤتمن على أمر سلطان المسلمين، المقلّد بتدبيره السّديد قلادة الدين، المثنى على رسوم برّه لمقامه لسان الحرم الأمين، الآوى من مرضاة اللّه تعالى و رسوله صلى اللّه عليه و سلم إلى ربوة ذات قرار و معين، المستعين من اللّه تعالى على ما تحمّله و أمله بالقوى المعين، سيد الدعوة، ركن الدولة، قوام الملّة، مؤمل الأمة، تاج الخواصّ، أسد الجيوش، كافى الكفاة، زين الأمراء، علم الكبراء، عين الأعيان، حسنة الزمان، الأجلّ المرفع الأسنى الكبير الأشهر الأسمى الحافل الفاضل الكامل المعظّم الموقر الأمير الأوحد يلبغا الخاصكى، وصل اللّه له سعادة تشرق

غرّتها! و صنائع تسحّ فلا تشحّ درّتها! و أبقى تلك المثابة قلادة اللّه تعالى و هو درّتها.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۶۹

«سلام كريم، طيب عميم، يخصّ إمارتكم التى جعل اللّه تعالى الفضل على سعادتها أمارة، و اليسر لها شارة، فيساعد الفلك الدوّار مهما أعملت إدارة، و تمتثل الرسوم كلما أشارت إشارة.

«أما بعد حمد اللّه تعالى الذى هو يعلمه فى كل مكان، من قاص ودان، و إليه توجه الوجوه و إن اختلفت السّير و تباعدت البلدان، و منه يلتمس الإحسان، و بذكره ينشرح الصدر و يطمئنّ القلب و يمرح اللسان، و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد رسوله العظيم الشان، و نبيّه الصادق البيان الواضح البرهان، و الرضا عن آله و أصحابه و أحزابه أحلاس الخيل، و رهبان الليل، و أسود الميدان، و الدعاء لإمارتكم السعيدة بالعزّ الرائق الخبر و العيان، و التوفيق الوثيق البنيان، فإنّا كتبناه إليكم- كتب اللّه تعالى لكم حظّا من فضله وافرا، و صنيعا عن محيّا السرور سافرا، و فى جوّ الإعلام بالنعم الجسام مسافرا!- من حمراء غرناطة حرسها اللّه تعالى دار ملك الأندلس دافع اللّه سبحانه عن حوزتها كيد العداة، و أتحف نصلها ببواكر النصر المهداة، و لا رائد إلّا الشوق إلى التعارف بتلك الأبواب الشريفة التى أنتم عنوان كتابها المرقوم، و بيت قصيدها المنظوم، و التماس بركتها الثابتة الرسوم، و تقرير المثول فى سبيل زيارتها بالأرواح عند تعذّره بالجسوم، و إلى هذا فإننا كانت بين سلفنا تقبّل اللّه تعالى جهادهم، و قدّس نفوسهم، و أمن معادهم، و بين تلك الأبواب كما عرفتم من عدلها و إفضالها، مراسلة ينمّ عرف الخلوص من خلالها، و تسطع أنوار السعادة من آفاق كمالها، و تلتمح من أسطار طروسها محاسن تلك المعاهد الزاكية المشاهد، و تعرب عن فضل المذاهب و كرم المقاصد، اشتقنا إلى أن نجدّدها بحسن منابكم، و نواصلها بمواصلة جنابكم، و نغتنم فى عودها الحميد مكانكم، و نؤمل لها زمانكم، فخاطبنا الأبواب الشريفة فى هذا الغرض مخاطبة خجلة من التقصير، و جلة من الناقد البصير، و نؤمل الوصول فى خفارة يدكم التى لها الأيادى البيض، و الموارد التى لا تغيض، و مثلكم من لا تخيب المقاصد فى شمائله، و لا تضحى المآمل فى ظلّ خمائله، فقد اشتهر من حميد سيركم ما طبّق الآفاق، و صحب الرّفاق، و استلزم الإصفاق، و هذه البلاد مباركة، ما أسلف أحد فيها مشاركة، إلا وجدها فى نفسه و دينه و ماله و عياله، و اللّه سبحانه أكرم من و فى لامرىء بمكياله، و اللّه عز و جل يجمع القلوب على طاعته، و ينفع بوسيلة

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۷۰

النبى صلى اللّه عليه و سلم الذى نعوّل على شفاعته، و يبقى تلك الأبواب ملجأ للإسلام و المسلمين، و ظلّا للّه تعالى على العالمين، و إقامة لشعائر الحرم الأمين، و يتولى إعانة إمارتكم على وظائف الدين، و يجعلكم ممن أنعم اللّه تعالى عليه من المجاهدين، و السلام الكريم يخصكم و رحمة اللّه تعالى و بركاته، انتهى.

## [كتاب أرسله لسان الدين لرجل من الموثقين امتنع عن تناول طعامه]

و من نثر لسان الدين رحمه اللّه تعالى قوله فى قضية امتناع بعض المؤثقين من أكل طعامه بمدينة سلا، و قد صدر به كتابه المسمى «بمثلى الطريقة، فى ذم الوثيقة» و هذا نصه: أما بعد حمد اللّه الذى قرر الحكم و أحكمه، و بيّن الحلال من الحرام بما أوضحه من الأحكام و علّمه، و نوّع جنس المعاش و قسمه، و ماز كل نوع منه و وسمه، فأثبته متفاوتا فى درجات التفضيل و رسمه، و الصلاة و السلام على مولانا محمد رسوله الذى فضله على الأنبياء و قربه و طهر من دنس الشبهات شيمه، فما استعمله فى غير طاعته و لا استخدمه، و لا أعمل فى سوى البر و الهدى بنانه و لا قدمه، و الرضا عن آله و أصحابه الذين رعوا ذممه، و استمطروا ديمه، و تواصوا من أجله بالبر و تواصوا بالمرحمة، فهذا كتاب «مثلى الطريقة، فى ذم الوثيقة» دعا إلى جمعه قلة الإنصاف من المداهن و المعاصر، و المباهت فى درك النور الباصر، و رضى مظنة النيل منهم بالباع القاصر، و المناضلة عن الحمى الذى لم يؤيده الحق بالولى و لا بالناصر، و لوضعه حكاية، و لنفثته شكاية، إذ معرفة الأشياء بعللها مما يتشوق إليه، و يحرص عليه، و هو أنى لما قدمت على مدينة

فاس حرسها اللّه تعالى، مستخلصا بشفاعة الخلافة، ذات الإناقة، مستدعى برسالة الإيالة، ذات الجلالة، فانسحب و المنة لله الستر، و انفسح الفتر، و شفع من النعم الوتر، و اقتدى المرؤوس بالرئيس، و تنافس الأعلام فى التأنيس، و اتّصل الاحتفاء و الاستدعاء، و انتخب الموعى و الوعاء، و أخذ أعقاب الطيبات الوضوء و الطيب و الدعاء، تعرفت فيمن جمعته الأخونة، و المداعى المتعينة، برجل من نبهاء موثقيها غرّنى بمخيلة البشاشة التى يستفزّ بها الغريب، و يستخلص هوى من لم يعمل التجريب، فأنست بمكانه، و استظهرت على ما يعرض من مكتتب بدكانه، و شأنى فى الاغتباط بمن عرفت شانى، فلست للمقة بشانى، و استرسالى، حتى لمن أسا لى، طوع عنانى: [الطويل]

أفادتكم النعماء منى ثلاثة ضميرى و يتلوه يدى و لسانى

و لم يك إلّا أن حللت بمدينة سلا حرسها الله تعالى مقصود المحل و إن رغم الدهر الذى

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۷۱

رمى فأقصد، معتمدا بفتوحات اللّه تعالى و إن أرتج الباب بزعمه و أوصد، مصحبا بمدد عنايته و إن كمن و أرصد، لا يمرّ فاضل إلّا عرّج على مثواى، و أتى من البرّ فوق هواى وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها و تعرفت عن صاحبى الفاسى أنه قدم علينا من سخر عملية فلالها الدسر المنهوبة، و تخلّلها المسبعة المرهوبة، و اغتذى الأطعمة التى مرقتها الدموع، و مطبختها الحمى المروع، و استقرّ بالمدينة بعد أن لان و ضرع، و جدّل و صرع، نافق البقلة كاسد الورع، و نزل بمثوى خمول، و محطّ مجهول، و كنف ممتوت، و جوار لا يبخل بغيبة و لا يسمح بقوت، فبادرت استدعاءه بفاضل من الطلبة ممن يتلقّى به الوارد، و يقتاد الشارد، و قد أغرب بقراءة الاحتفاء و الاحتفال، و أجنب الإغفاء و الإغفال، و جهزت السرايا إلى التماس نعم اللّه تعالى فحلّت الأنفال، فلمّا عرض عليه الدعوة تعجرف و نفر، و لمّا مسح عطفه بالاستنزال نزا و طفر، حتى بهت الرسول كما بهت الذى كفر، و آب يحمل عذرا باردا، و احتجاجا شاردا، فأقطعته جانب شماسه، و خليت بينه و بين وسواسه، و من الغد قصدنى فاعتذر، و أكثر الهذر، و لم ينبت اللّه النبات الحسن شيئا ممّا بذر، و كان جوابى إياه ما نصّه: [الوافر]

أبيتم دعوتى إمّا لشأو و تأبى لومه مثلى الطريقه

و بالمختار للناس اقتداء و قد حضر الوليمة و العقيقه

و غير غريبة أن رقّ حرّ على من حاله مثلى رقيقه

و إمّا زاجر الورع اقتضاها و يأبى ذاك دكان الوثيقه

و غشيان المنازل لاختيار يطالب بالجليلة و الدقيقه

شكرت مخيلة كانت مجازا لكم و حصلت بعد على الحقيقه

و ذاع خبرها فقلبت عنها الجنوب، و كلف بها الطالب و المطلوب، و هشّ إلى المراجعة عنها أحد الموثقين بسلا ممن يحوم حول حمى الإدراك، و يروم درجة الاختصاص ببعض الفنون و الاشتراك، و له فى الأدب مساس، و جلب الباس، بما نصّه: [الوافر]

رسولك لم يبن لى عن طريقه تقرّب من حديقتك الأنيقه

فلا بأو لدىّ و لا إباء و لكن ساء فى الغرض الطريقه

و هب أنى أسأت فكم صديق تدلّل و اعتدى فجفا صديقه

فلا عجب فديت لرفق حرّ يسكّن عند خجلته رفيقه

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۷۲

و إنى فيك معتقد، و لكن أرى الأيام حاقدة حنيقه

على ذى الودّ فيمن ودّ حتى يفارقه و إن أضحى رفيقه

فراجعته بما نصّه لمّا أسلفته من جزاء مصاعه، و كلت له بصاعه: [الوافر]

من استغضبت من هذى الخليقه بمغضبة بإنكار خليقه

و لم يغضب فتيس أو حمار مجازا، لا، لعمرى، بل حقيقه

بعثت بمرسل لكك مع عتيقى فلم تطع الرسول و لا عتيقه

و طوّقت السفير الذنب لمّا عجلت به و لم تبلعه ريقه

إمام جماعة و قريع تقوى و ملغ حجّة، و حفيظ سيقه

فبؤت بها على الأيام داء عضالا لا تفيق عليه فيقه

و قد عارضت عذرك باعتراف فزدت مذمّة تسم الطريقه

و هل بعد اعتراف من نزاع و هل بعد افتصال من وثيقه

و من جهل الحقوق أطاع نفسا ببحر الجهل راسبة غريقه

و منجى نيقة أمر بعيد إذا نصب المهندس منجنيقه

فأمسك حينئذ و أقصر، و رأى الأمر يطول فاختصر، إلّا أنه نمى‌لى عنه قوله: إنّ دكان الوثيقة إن نافى الورع فبغير بلده، و أذهلته لذة لدده، عما هو بصدده، فارتهنت له أن أنصر الدعوى بما يسلمه المنصف المساهل، و ينكره الأرعن الجاهل، و تشدّ به المنازل و المناهل، و المعالم و المجاهل، مستندا إلى الحكم الشرعى، و السّنن المرعى، و المشاهدة و الحسّ، و شهادة الجنّ و الإنس: [الوافر]

و لو تركك القطا ليلا لناما و اللّه يجعله موقظا من السّنات، وازعا عن كثير من الهنات، و ينفع فيه بالنيّة فإنما

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۷۳

الأعمال بالنيّات، وها أنا أبتدىء و على اللّه الإعانة، و بحوله و قوّته الإفصاح و الإبانة.

قلت: ينحصر الكلام فيه فى سبعة أبواب؛ الباب الأول: فى جواز الإجارة فيها عند العلماء. الباب الثانى: فى الشركة المستعملة بين أربابها. الباب الثالث: فى محلّها من الورع إن سوّغها الفقه. الباب الرابع: فى منزلتها من الصنائع و المهن. الباب الخامس: فى أحوال منتحليها من حيث العلم غالبا. الباب السادس: فى أحوالهم من جهة استقامة الرزق و انحرافه.

الباب السابع: فى ردّ بعض ما يحتجّ به فيها. انتهت الخطبة المقتطعة من تأليف لسان الدين رحمه اللّه تعالى.

و هذا التأليف فى نحو كراسة، و قال فى آخره ما صورته: فإن قيل: ترك الأجر و قبول العوض فى هذا الأمر يدعو إلى تعطيله، فيفقد الناس منفعة هذه الطريقة و غناءها، قلت:

الإنصاف فيها اليوم أن لو كان متولّيها يرتزق من بيت المال و أموال المصالح و الأوقاف التى تسع ذلك، و حال الجماهير فى فقدانها و الاضطرار إليها و رفع أمورهم بها إلى السلطان و رغبتهم فى نصب من يتولّى ذلك حالهم فى فقدان أئمة الصلاة فى المساجد الراتبة فى جريانه من بيت المال بعلّة التزامهم و ارتباطهم فقط، حسبما نقل الإجماع فيه القاضى أبو بكر بن العربى رحمه اللّه تعالى و منع الارتزاق من غيره إجماعا، و قد كان بالمدن المعتبرة من بلاد الأندلس- جبرها اللّه تعالى!- ناس من أولى التعفّف و التعين، كبنى الجدّ بإشبيلية، و بنى الخليل و غيرهم بغيرها، يتعيّشون من فضول أملاكهم، و وجائب رباعهم، و يقعدون بدورهم عاكفين على برّ، منتابين لرواية و فتيا، يقصدهم الناس فى الشهادة فيجاملونهم، و يبركون على صفقاتهم، و يهدونهم إلى سبيل الحقّ فيها من غير أجر و لا كلفة، إلّا الحفظ على المناصب، و ما يجريه السلطان من الحرمة و التفقد فى الضرورة، و ما يهديهم الناس من الإطراء و التجلة، و اللّه سبحانه من الأجر و المثوبة، و بلغنى اليوم أنّ حالها بمدينة سجلماسة ينظر إلى هذا الحال من طرف خفى، و لم يفسد بها كلّ الفساد، و كذلك لم نزل نتعرّف أنّ الأمر فى شأنها بمدينة تونس أقرب، و بعض الشّرّ أهون من بعض، و لو بقيت بحالها لوجب تقرير فضلها و تقريظ منتحلها، فالصدق أنجى، و الحقّ عند اللّه أحجى، و اللّه عزّ و جلّ يستعملنا فيما يرضيه، و يلطف بنا فيما يجريه علينا من

أحكامه و ما يقضيه، و يجعلنا ممّن ختم له بالحسنى، و يقربنا إلى ما هو أقرب من رحمته و أدنى، و صلوات اللّه على سيدنا محمد و آله و صحبه؛ انتهى.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۷۴

و كتب على ظهر الورقة الأولى من هذا التأليف شيخ شيوخ شيوخنا الإمام الكبير المؤلف الشهير سيدى أحمد الوانشريسى رحمه اللّه تعالى ما صورته: الحمد للّه جامع هذا الكلام المقيّد هذا بأوّل ورقة منه قد كدّ نفسه فى شىء لا يعنى الأفاضل، و لا يعود عليه فى القيامة و لا فى الدنيا بطائل، و أفنى طائفة من نفيس عمره فى التماس مساوىء طائفة بهم تستباح الفروج، و تملك مشيّدات الدور و البروج، و جعلهم أضحوكة لذوى الفتك و المجانة، و انتزع عنهم جلباب الصدق و الديانة، سامحه اللّه تعالى و غفر له! قال ذلك و خطّه بيمنى يديه عبيد ربه أحمد بن يحيى بن محمد بن على الوانشريسى خار اللّه سبحانه له! انتهى ما ألفيته.

و قد كان لسان الدين رحمه اللّه تعالى كثيرا ما يعرّض و يصرّح بهجو بعض أهل سلا أو كلّهم حتى قال: [السريع]

أهل سلا صاحت بهم صائحه غادية فى دورهم رائحه

يكفيهم من عوز أنهم ريحانهم ليست له رائحه

و اللّه المرجو للعفو عن الزلات.

تم الجزء السابع من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و يليه الجزء الثامن مبتدئا: بقوله: و من نثر لسان الدين رحمه اللّه تعالى خطبة كتاب له فى المحبة.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۷۵

## فهرس الرسائل و الخطب و المراسيم للجزء السابع من كتاب نفح الطيب

ابن جزى، أبو عبد اللّه: رسالته إلى السلطان أبى عنان ۹۸

ابن الجياب: رسالة عن السلطان إلى أبى سعيد المرينى ۴

رسالة فى العزاء بأبى الحسن المرينى ۶

ابن الحاج: نسخة كتاب طلاق ۲۳

ابن الحكيم: إجازة من إنشائه ۴۳

ابن خاتمة، أبو جعفر: رسالة إلى لسان الدين ۱۵۵

ابن خاتمة، أبو جعفر: رسالة إلى ابن جزى ۱۵۹

ابن خاتمة، أبو جعفر: رسالة أخرى إلى لسان الدين ۱۵۹

ابن خاتمة، أبو جعفر: رسالة ثالثة إلى لسان الدين ۱۶۱

ابن داود الحميرى: رسالة من إنشائه ۳۳۱

ابن رضوان، أبو القاسم: جواب على رسالة من لسان الدين ۱۶۷

ابن صفوان: إجازته للسان الدين بن الخطيب ۱۶۴

ابن عاصم، أبو يحيى، نموذج من نثره ۲۵۸

ابن عاصم، أبو يحيى: رسالته إلى ابن طركاط ۲۶۳

ابن مرزوق الخطيب: رسالة إلى لسان الدين ۱۸۵

ابن هانىء اللخمى السبتى: رسالة له ۲۴۶

أبو الحجاج المنتشاقرى: رسالته إلى لسان الدين ۲۴۸

أبو الحسن النباهى: رسالة منه إلى لسان الدين ۲۳۲

أبو زيان المرينى: ظهير منه للسان الدين ۱۳۷

أبو سالم المرينى: رسالة منه إلى لسان الدين ۱۴۳

أبو القاسم البرجى: رسالته إلى لسان الدين ۱۸۸

الشيخ الجنان: رسالة منه إلى لسان الدين ۱۶۷

عبد العزيز الفشتالى: رسالته إلى المقرى مؤلف الكتاب ۱۷۸

لسان الدين بن الخطيب:

جواب لسان الدين عن رسالة من أبى سالم ۱۴۴

رسالة إلى أبى سالم ۱۴۶

جوابه عن رسالة ابن خاتمة ۱۵۶

رسالة إلى ابن نفيس ۱۶۵

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۷۶

رسالة إلى رضوان ۱۶۶

جواب عن رسالة من ابن مرزوق ۱۸۶

رسالة إلى أبى عبد اللّه اليتيم ۲۱۰

رسالة إلى سلطان تونس ۲۴۴

رسالة إلى المنتشاقرى ۲۵۰

فى استدعاء إمداد و حض على جهاد ۲۷۲

فى صداق لكبير الشرفاء بفاس ۲۷۴

رسالة إلى أبى عبد اللّه الشديد ۲۷۵

رسالة إلى على بن بدر الدين الطوسى ۲۷۷

رسالة إلى ابن خلدون أبى زيد ۲۷۹

رسالة مداعبة إلى ابن خلدون ۲۸۰

رسالة إلى السلطان ابن يغمراسن ۲۹۹

رسالة إلى ابن مرزوق الخطيب ۳۰۷

رسالة إلى ابن أبى مدين ۳۰۸

رسالة إلى قاضى الجماعة ۳۰۹

رسالة إلى بعض الفضلاء ۳۱۰

رسالة إلى أبى عبد اللّه بن نصر ۳۱۰

رسالة لمحمد بن نوار فى عرس ۳۱۱

رسالة إلى عامر الهنتاتى ۳۱۱

وصف سبتة من مقامة بلدانية ۳۱۲

وصف مكناسة من نفاضة الجراب ۳۱۳

وصف مكناسة من مقامة بلدانية ۳۱۴

رسالة على لسان السلطان إلى ابن يلبغا ۳۶۸

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۷۷

## فهرس الجزء السابع من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

صلة الباب الثالث من القسم الثانى ۳

عود إلى ذكر نماذج من نظم ابن الجياب ۳

ذكر نماذج من نثر ابن الجياب ۴

من أشياخ لسان الدين أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمى ۹

أبو سعيد بن عبد المهيمن الحضرمى ۱۵ عبد المهيمن بن أبى سعيد بن عبد المهيمن الحضرمى ۱۶

و من أشياخ لسان الدين قاضى الجماعة أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقى ۱۶

من أشياخ لسان الدين أبو زكريا يحيى بن هذيل (ترجمة) ۳۰

و منهم الوزير أبو بكر محمد بن ذى الوزارتين أبى عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندى ۳۹

مما مدح به أبو الحسن بن الجياب الوزير أبا بكر بن الحكيم ۴۱

من نثر ذى الوزارتين ابن الحكيم ۴۳

و من شعره ۴۳

ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم (عن عائد الصلة) لابن الخطيب ۴۵

رحلة ابن الحكيم (عن الإحاطة) للسان

الدين ۴۵

شىء من ترجمة ذى الوزارتين ابن الحكيم، و عن الإحاطة ۴۶

ترجمة أبى الحسن على بن عمر القيجاطى ۴۸

ترجمة أبى سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب ۵۰

ترجمة أبى القاسم محمد بن أحمد بن جزى، الكلبى ۵۴

أربعة أبيات على روى الغين لابن لؤلؤة ۵۶

من نظم ابن جزى فى التبليغ ۵۶

ترجمة أبى بكر أحمد بن محمد بن جزى ۵۶

قصيدة له صدر بها أعجاز لامية امرئ القيس «ألا عم صباحا» ۵۷

قصيدة لحازم صاحب المقصورة صدر بها أعجاز معلقة امرئ القيس (قفا نبك) ۵۹

جيمية بارعة لحازم صاحب المقصورة ۶۳

جيمية لابن قلاقس ۶۴

عود لترجمة أبى بكر أحمد بن محمد بن جزى الكلبى ۶۵

ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن محمد بن جزى الكلبى ۶۵ قصيدة من نظمه يمدح بها أمير المسلمين أبا الحجاج و حذف منها الراء ۶۶

قصيدة له يمدح فيها أبا عنان ملك المغرب ۶۸ مقطعات من نظمه فى أغراض شتى ۷۰ من شعر ابن الجزى الذى ورى به ۷۲ من إنشائه موريا بأسماء كتب و رفعها لأبى عنان فارس ۷۳ عدة مقطعات من نظمه يورى فيها بأسماء كتب ۷۵ ترجمة القاضى أبى محمد عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن جزى، الكلبى ۷۷

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۷۸

من شيوخ لسان الدين أبو بكر بن شبرين ۷۸

من أشياخ لسان الدين أبو عثمان سعد بن أحمد بن ليون التجيبى ۸۱

نبذة من شعره الذى حكاه فى كتابه «نصائح الأحباب، و صحائح الآداب» ۸۲

نبذة من كتابه «الأبيات المهذبة، فى المعانى المقربة» ۱۱۱

نبذة من كتابه «أنداء الديم، فى المواعظ و الوصايا و الحكم» ۱۲۱

بعض أناشيده التى كان ينشدها أهل مجلسه، لشعراء متعددين ۱۲۹

خاتمة الباب الثالث، و فيها سرد لجماعة من شيوخ لسان الدين ۱۳۵

الباب الرابع من القسم الثانى: فى مخاطبات الملوك و الأكابر للسان الدين، و ثناء أهل عصره عليه ۱۳۷

من السلطان أبى زيان المرينى إلى لسان الدين ۱۳۷

ترجمة السلطان أبى زيان المرينى عن «الإحاطة» للسان الدين ۱۳۷

تعقيب لابن مرزوق على كلام لسان الدين فى «الإحاطة» ۱۴۲

من السلطان أبى سالم المرينى إلى لسان الدين ۱۴۳

من لسان الدين إلى السلطان أبى سالم المرينى ۱۴۴

من لسان الدين إلى السلطان أبى سالم ۱۴۶

تعريف لسان الدين فى «الإحاطة» بالسلطان أبى سالم المرينى، و ذكر مقتله ۱۵۰

ترجمة لسان الدين من إنشاء الأمير أبى الوليد إسماعيل بن الأحمر ۱۵۱

رد اعتراض أورده ابن الأحمر على لسان الدين ۱۵۲

ثناء قاضى القضاة برهان الدين الباعونى على لسان الدين بن الخطيب ۱۵۳

اتهام لسان الدين بالإطناب ۱۵۳

الرد على هذا الاتهام ۱۵۳

بين لسان الدين و السلطان الغنى باللّه سلطانه ۱۵۴

من أبى جعفر بن خاتمة إلى لسان الدين ۱۵۵

جواب لسان الدين على أبى جعفر بن خاتمة ۱۵۶

من أبى جعفر بن خاتمة إلى ابن جزى ۱۵۹

ترجمة أبى جعفر بن خاتمة من إنشاء لسان الدين ۱۵۹

من أبى جعفر بن خاتمة إلى لسان الدين ۱۶۱

من نظم ابن خاتمة ۱۶۲

قصيدة من أحمد بن صفوان إلى لسان الدين ضمنها غرضا تعجل له قضاءه ۱۶۳

إجازة من ابن صفوان للسان الدين و ولده عبد اللّه ۱۶۴

من أبى جعفر العذرى إلى لسان الدين ١٦٥
من لسان الدين إلى ابن نفيس ١٦٥
من لسان الدين إلى أبى القاسم بن رضوان ١٦٦
من ابن رضوان إلى لسان الدين ١٦٧
من لسان الدين إلى الشيخ الجنان ١٦٧
من الشيخ الجنان إلى لسان الدين ١٦٨
ترجمة الشيخ أحمد بن محمد الجنان الأوسى ١٦٨
أبيات رآها المؤلف على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التى بناها ابن تاشفين ١٦٩
أبيات أخرى أنشدها بعض أهل المغرب لتكتب على النواحى الأربع من القبة المعروفة بالبديع التى أنشأها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسنى ١٧٠
أبيات للفقيه أبى محمد المسفيومى المراكشى مما كتب على أحد مبانى الوزير عبد العزيز الفشتالى ١٧١
أبيات للوزير أبى فارس عبد العزيز الفشتالى
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٧، ص: ٣٧٩
كتبت فى المبانى المنصورية بمراكش ١٧٢
أبيات للوزير الفشتالى مما كتب ببهو المبنى المنصورى بمرمر أسود فى أبيض ١٧٤
أبيات له كتبت بداخل القبة ١٧٥
أبيات له فى بعض المبانى المنصورية ١٧٦
أبيات له مما كتب فى المصرية المطلة على الرياض ١٧٧
من جملة قصيدة له ١٧٧
من الوزير عبد العزيز الفشتالى إلى مؤلف هذا الكتاب ١٧٨
لابن الصباغ العقيلى فى لسان الدين و اختصاصه بابن الجياب ١٨١
إجازة بين ابن الجياب و لسان الدين ١٨١
من أبى يحيى البلوى للسان الدين ١٨٢
تهنئة من أبى يحيى البلوى للسان الدين فى إعذاره أولاده ١٨٣
ترجمة أبى يحيى البلوى من إنشاء لسان الدين فى «الإحاطة» ١٨٤
من أبى عبد اللّه بن مرزوق إلى لسان الدين ١٨٥
من لسان الدين إلى ابن مرزوق ١٨٦
من أبى القاسم البرجى إلى لسان الدين، فى شفاعة ١٨٨
ترجمة أبى القاسم محمد بن يحيى البرجى، عن «الإحاطة» للسان الدين ١٨٩
من الوزير ابن زمرك إلى لسان الدين ١٩٥
تعليق للمؤلف على قصيدة ابن زمرك ١٩٧
من الوزير ابن زمرك إلى لسان الدين أيضا ١٩٧
من مخاطبات ابن زمرك للسان الدين ١٩٩

من ابن سلبطور إلى لسان الدين ۲۰۰
ترجمة أبى عبد اللّه بن سلبطور، عن «الإحاطة» للسان الدين ۲۰۲
من أبى عبد اللّه بن راجح التونسى إلى لسان الدين ۲۰۳
ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن على بن راجح ۲۰۴
من لسان الدين إلى ابن راجح (قصيدة) ۲۰۴
من ابن راجح إلى لسان الدين (قصيدة) ۲۰۵
من أبى عبد اللّه العشاب التونسى إلى لسان الدين فى بعض الأعياد ۲۰۷
من ابن عبد الملك المراكشى إلى لسان الدين ۲۰۸
ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك، الأنصارى، الأوسى، عن «الإحاطة» للسان الدين ۲۰۸
من أبى عبد اللّه محمد المكودى الفاسى
إلى لسان الدين ۲۰۸
من أبى عبد اللّه اليتيم إلى لسان الدين ۲۰۹
رسالة من لسان الدين إلى أبى عبد اللّه اليتيم جوابا عن قصيدته ۲۱۰
بين أبى عبد السلام و أبى عبد اللّه اليتيم (مداعبة) ۲۱۲
ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن على العبدرى، المالقى، المعروف باليتيم ۲۱۲
من أبى عبد اللّه الكرسوطى للسان الدين ۲۱۳ ترجمة أبى عبد اللّه الكرسوطى من أبى
عمرو بن الزبير إلى لسان الدين ۲۱۴
ترجمة أبى عمرو محمد بن أحمد بن الزبير ۲۱۵
من ترجمة أبى يحيى محمد بن أحمد بن الأكحل ۲۱۵
من أبى عبد اللّه محمد بن على بن عياش إلى لسان الدين ۲۱۶
من محمد بن محمد الوادى آشى إلى لسان الدين ۲۱۷
من أبى محمد عبد اللّه بن إبراهيم الأزدى إلى لسان الدين ۲۱۷
من شعر أبى محمد الأزدى ۲۱۷
من لسان الدين إلى أبى قاسم بن رضوان، النجارى ۲۲۱
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۸۰
من ابن رضوان إلى لسان الدين ۲۲۱
ترجمة أبى القاسم بن رضوان ۲۲۲
بين أبى بكر عبد الرحمن بن عبد الملك و لسان الدين بن الخطيب ۲۲۶
ترجمة أبى بكر عبد الرحمن بن عبد الملك ۲۲۷
من أبى سلطان عبد العزيز بن على بن يشت الغرناطى إلى لسان الدين ۲۲۷
ترجمة أبى سلطان بن يشت ۲۲۹
من أبى الحسن النباهى إلى لسان الدين ۲۳۲
ترجمة القاضى أبى الحسن النباهى ۲۳۴

بين لسان الدين و أبى الحسن بن الجياب ۲۳۷
من سعيد بن محمد الغرناطى إلى لسان الدين على ظهر كتاب استعاره منه ۲۴۲
بين أبى الحسن على بن محمد بن البناء الوادى آشى و لسان الدين ۲۴۲
ترجمة أبى الحسن على بن محمد بن البناء ۲۴۴
من لسان الدين إلى سلطان تونس ۲۴۴
من أبى الحسن على بن يحيى الفزارى المالقى المعروف بابن البرزى، إلى لسان الدين ۲۴۶
من أبى القاسم قاسم بن محمد الحرالى المالقى إلى لسان الدين ۲۴۸
ترجمة أبى القاسم الحرالى ۲۴۸
من أبى الحجاج يوسف بن موسى الجذامى الرندى، إلى لسان الدين ۲۴۸
من لسان الدين إلى أبى الحجاج الجذامى ۲۵۰
ترجمة أبى الحجاج الجذامى ۲۵۰
ثناء ابن عاصم على لسان الدين ۲۵۸
ترجمة الوزير أبى يحيى محمد بن محمد بن عاصم ۲۵۹
ظهير بتعيين ابن عاصم للقضاء ۲۶۵
الباب الخامس من القسم الثانى: فى إيراد جملة من نثر لسان الدين و شعره ۲۷۲
وصف نثر لسان الدين ۲۷۲ تحميد من إنشاء لسان الدين ۲۷۲
من نثره فى الحض فى الجهاد ۲۷۲
من إنشائه فى ذكر أولية شريف فاس ۲۷۴
من إنشاء لسان الدين فى ترجمة أبى عبد اللّه الشديد و كتب له و قد ولى الحسبة ۲۷۵
مما كتب به لسان الدين إلى على بن بدر الدين بن موسى بن عبد الحق من مدينة سلا ۲۷۷
ترجمة ابن خلدون من إنشاء لسان الدين ۲۷۸
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب؛ ج۷؛ ص ۳۸۰
ليق للمؤلف على ترجمة لسان الدين لابن خلدون ۲۹۶
من كلام الشيخ إبراهيم الباعونى فى حق لسان الدين ۲۹۶
ترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى، من إنشاء لسان الدين ۲۹۷
من لسان الدين إلى السلطان بن يغمراسن ۲۹۹
من إنشاء لسان الدين ما كتب به إلى شيخه أبى عبد اللّه بن مرزوق ۳۰۷
من إنشائه تهنئة إلى أبى عبد اللّه بن أبى القاسم بن أبى مدين ۳۰۸
من إنشائه ما كتب به إلى قاضى الجماعة، و قد نالته مشقة ۳۰۹
و كتب إلى بعض الفضلاء ۳۱۰
و كتب إلى السلطان أبى عبد اللّه بن نصر، و قد عاد ولده من الأندلس ۳۱۰
و كتب إلى محمد بن نوار، و قد أعرس ببنت مزوار الدار السلطانية ۳۱۱

و كتب إلى عامر بن محمد بن على الهنتانى ۳۱۱
من إنشائه فى وصف البلاد الأندلسية (مقامة) ۳۱۲
كلام له مرسل فى وصف البلاد ۳۱۳
وصف مكناسة الزيتون ۳۱۳
المؤلف يدخل مكناسة و يصفها ۳۱۴
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج۷، ص: ۳۸۱
شىء عن السلطان أبى الحسن المرينى ۳۱۵
نظم لابن الصباغ يحصر فيه علاقات المجاز ۳۱۶
حكاية عن رجل عائن ۳۱۷
زيارة لسان الدين لقبر السلطان أبى الحسن، و قصيدة له فيه ۳۱۸
من كلام للسان الدين يعد فيه بتصنيف كتاب كبير فى التاريخ ۳۲۰
أمثلة من إنشاء لسان الدين فى التراجم، على طريقة الفتح بن خاقان ۳۲۱
من ترجمة محمد بن عبد اللّه بن محمد بن لب، بقلم لسان الدين فى كتابه «التاج المحلى» ۳۲۵
من إنشاء لسان الدين فى ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادى آشى ۳۲۹
من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه بن العطار المزنى ۳۳۰
من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن على بن خاتمة ۳۳۰ من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن محمد المالقى ۳۳۱
من إنشائه فى ترجمة أبى بكر محمد بن مقاتل المالقى ۳۳۵
من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن الشديد المالقى ۳۳۶
من إنشائه فى ترجمة محمد بن الحسن العمرانى، الفاسى ۳۳۸
من إنشائه فى ترجمة محمد بن محمد، المرادى، العشاب ۳۳۸
من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن عمر، المليكشى ۳۳۹
من إنشائه فى ترجمة محمد بن على، العبدرى، التونسى ۳۴۱
من إنشائه فى ترجمة محمد بن يحيى العزفى، السبتى ۳۴۲ من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن المكودى، الفاسى ۳۴۲
من إنشائه فى ترجمة محمد بن محمد بن بيش، العبدرى ۳۴۳
من إنشائه فى ترجمة أبى عبد اللّه محمد بن هانىء، اللخمى ۳۴۴ همزية لصفوان بن إدريس مشهورة بين أدباء المغرب ۳۵۲
من إنشاء لسان الدين فى ترجمة أبى محمد عبد اللّه الأزدى ۳۵۴
و فى ترجمة أبى الحسن على بن إبراهيم السكاك، الغرناطى ۳۵۵
و فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد بن الصباغ، العقيلى، الغرناطى ۳۵۶
و فى ترجمة شيخه أبى الحسن بن الجياب ۳۵۸
و من إنشائه فى ترجمة عمر بن على، المنتقرى ۳۵۹
من إنشائه فى ترجمة قاسم بن محمد بن الجد، الفهرى ۳۵۹
من إنشائه فى ترجمة أبى عثمان سعيد، الغسانى ۳۵۹
و فى ترجمة الطرطوشى ۳۶۰

و فی ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن أحمد العذری، الوادی آشی ۳۶۰
و فی ترجمة أبی عبد اللّه بن باق ۳۶۱
و فی ترجمة أبی عبد اللّه محمد بن إبراهیم بن سالم بن فضیلة، المعافری، المری ۳۶۳
و فی ترجمة أبی العباس الملیانی من نثره فی کتاب «الروض» فی ترجمة عنوانها «ضخام الغصون من شجرة السر المصون» ۳۶۵
من إنشائه إلی الأمیر یلبغا ۳۶۸ کتاب أرسله لسان الدین لرجل من الموثقین امتنع عن تناول طعامه ۳۷۰

## تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.
مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...
– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.
– من الأنشطة الواسعة للمرکز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...
د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخَرَ
ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة
و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)
ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹